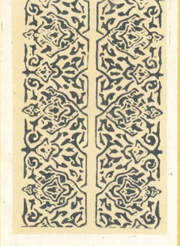
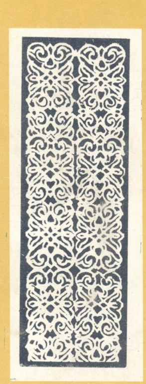


تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون





الجزء التاسع

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣

الناشر

مكتبة الخانجي بالقاهرة

دار الرفاعي بالرياض



ولب لباب لسان العرب

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء التاسع

الطبعة الأولى

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

الناشـــر

مكتبة الخانجي بالقاهرة

دار الرفاعي بالرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الجوازم

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الستمائة[1] :

٦٧٦ (لولا فوارسُ مِنْ ذُهلٍ وأُسْرَتِهِمْ يَومَ الصُّلَيفاءِ لم يُوفُونَ بالجارِ) ٦٢٦

على أن (لم) قد جاءت في الشعر غيرَ جازمة .

وكذلك قال ابن عصفور : إنَّ رفع المضارع بعد لم ضرورة . وأنشد مع هذا البيت قولَ الشاعر :

وأَمسَوْا بَهَالِيلَ لو أَقسَمُوا على الشَّمس حَولين لمْ تَطْلُعُ

برفع (تطلعُ) . وقال : حَكَم للم بدلاً من حُكمها بحكم ما ، لمّا كانت نافيةً مثلَها . فرفع المضارع بعدَها كما يرفع بعد ما .

وقال التبريزي (في شرح الكافية)، تبعًا لابن جني (في سر الصناعة): وقد لا تجزم لم ، حملاً على لا .

وقال ابن مالك : إنَّ رفع المضارع بعدها لغةٌ لا ضرورة . كذا في مغني اللبيب .

وفوارس : جمع فارس ، شاذٌّ . وذُهل ، بضم الذال المعجمة : اسمٌ لقبيلتَين ، إحداهما : ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكابة ، والأُخرى[2] :

---

(١) المحتسب ٢ : ٤٢ وابن يعيش ٧ : ٨ وضرائر ابن عصفور ٣١٠ والمغني ٢٧٧ ، ٣٣٩ والعيني ٤ : ٤٤٦ والتصريح ٢ : ٢٤٧ والهمع ٢ : ٥٦ والأشموني ٤ : ٦ واللسان (صلف) .

(٢) ط : « والآخر » ، صوابه في ش . ومما يجدر ذكره أن « ذهل » اسم لعدة قبائل لا لقبيلتين . انظر فهارس جمهرة ابن حزم ٥٦٣ ، فقد عد منهم ثماني قبائل .

ذُهل بن ثعلبة بن عكابة ، وهما من ربيعة . وروى بدله : «من جَرْمٍ» بفتح الجيم ، وهو قبيلة أيضاً . وروى : « نُعْم » أيضًا بضم النون، وهو اسم امرأة ، وهو تحريف .

(من ذُهل وأُسرتهم) يروى بالرفع عطف على فوارس ، ويروى بالجر عطف على ذهل .

وأُسرة الرجل ، بضم الهمزة : رهطُه . والصُّليفاء : مصغر صَلْفاءَ ، وهى الأَرض الصُّلبةُ ، والمكان أَصلف . ويقال صِلْفاءٌ ، بوزن حِرباءٍ . وقال الأَصمعىُّ: الأَصلَف والصَّلْفاءُ : ما اشتدَّ من الأَرض وغَلُظ وصَلُب ، والجمع الأَصالف والصَّلاَفىُّ . كذا (فى العباب للصَّاغانى) . ويوم الصَّلْفاءِ هو يومٌ من أَيَّام العرب[1] ،لكنَّ الشاعر صغَّره . قال ابن رشيق (فى العمدة) : يوم الصَّلفاءِ لهوازن على فَزَارةَ وعَبْسٍ وأَشجع ، وفيه قُتل دُريد بأَخيه ذؤابِ بن أَسماء[2] . انتهى .

والواو فى (يوفون) ضمير القوم الذين هجاهم الشَّاعر . و (الجارُ) له معانٍ : منها المجاوِر فى السَّكَن ، ومنها المستجير وهو الذى يَطلُب الأَمان ، ومنها الحليف . وأَحد هذه الثلاثة [هو المنَاسِب[3]] ، وعليه ففيه حذف مضاف ، أَى لم يوفون بذمَّة الجار .

وهذا البيت أَنشده الأَخفشُ والفارسىُّ وغيرهما ، ولم أَجد من عَزاه إلى قائله ، ولا مَنْ ذكر له تتمَّة . والله أَعلم به .

---

(١) لم يذكره ياقوت . وإنما ذكر « الصلعاء » و « الصليعاء » أيضاً بالتصغير ، ذكرهما بالعين المهملة، مشتقين من قولهم : رجل أصلع وامرأة صلعاء ، وقال : إنه موضع كانت به وقعة لهم .

(٢) العمدة ٢ : ١٦١ حيث ذكر الموضع بالفاء أيضاً .

(٣) التكملة من ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد الستمائة[1] :

٦٧٧ (فأَضحت مَغَانيها قِفارًا رسومُها
كأَنْ لَمْ سِوَى أهلٍ من الوَحْش تُوهَلِ)

على أنَّ (لم) قد فُصلت فى الضرورة مِنْ مجزومها ، فإنَّ الأَصل : كأَنْ لم توهل سوى أَهلٍ من الوحش .

وقيَّد ابنُ عصفور الفصلَ فى الضَّرورة بالمجرور والظرف ، وأنشد :

نوائب من لَدْنِ ابنِ آدم لم تَزَلْ ... تبـاكر مَنْ لم بالحوادثِ تَطْرُقِ

وأنشد بعده قوله : (فأَضحت مغَانيها) البيت . وقد فصل فى الأَوَّلِ بين لمْ ومجزومها وهو تطرق ، بالمجرور ، وفصل فى الثانى بالظَّرف بينهما.

وكذلك صنع ابن هشام (فى المغنى) ، قال: وقد تُفصَل من مجزومها فى الضَّرورة بالظرف ، كقوله :

فذاك ولمْ إذا نحن امتريْنـا ... تَكنْ فى الناس يُدرِكُك المِراءُ

وقولِه : (فأَضحت مغانيها) البيت . وقد يليها الاسم معمولاً لفعلٍ يفسِّره ما بعده ، كقوله :

ظُنِنتُ فقيرًا ذا غِنًى ثم نلتُه ... فلَمْ ذا رجاءٍ أَلْقَهُ غيرَ واهبِ[2] ٦٢٧

انتهى .

(١) الشاهد لذى الرمة فى ديوانه ٥٠٦ . وانظر الخصائص ٢ : ٤١٠ والضرائر ٢٠٣ والمغنى ٢٧٨ والعينى ٤ : ٤٤٥ والهمع ٢ : ٥٦ والأشمونى ٤ : ٥

(٢) المغنى ٢٧٨ .

وقوله (إذا نحن امترينا) متعلق بيدروك ، الأَصل : ولم تكن فى الناس يدركك المراءُ إذا نحن امترينا ، والامتراءُ : الشَّكُّ . والمِراءُ : الجِدال .

وقولُه : «ظُنِنْتُ فقيرًا» الخ . هو بالبناءِللمجهولِوالتكلم. وفقيرًا حال من نائبِالفاعل، وذا غنى : مفعولٌ ثانٍ لظُننت، وضمير نلتُه للغِنى، وذا رَجاءٍ : مفعولٌ لفعل محذوف مفسَّر بأَلقَى المذكور. وغيرَ واهب : حالٌ مِن فاعله ، يعنى أَنَّه فى حال فقره كان متعفِّفاً ، فكنى عن ذلك بظنِّه ذا غنى ، وأَنَّه حين صار غنيًّا يعطى كلَّ راجٍ لقيَهُ ما يرجو .

أبيات الشاهد

والبيت من قصيدة طويلة لِذِى الرُّمَّة . وقبله :

(فياكَرَمَ السَّكْنِ الذين تحمَّـلوا عن الدار والمسْتَخلَفِ المتبدِّلِ)

وبعده :

(كأَنْ لمْ تَحُلَّ الزُّرقَ مىٌّ ولم تطأْ بجرعاءِ حُزْوَى نِير مِرْطٍ مرَحَّلِ
إلى مَلعبٍ بينَالجِواءَينِ مَنْصَفٍ قريبِ المزارطيِّب التربُ مُسْهِلِ)

وقوله : « فياكرم السَّكْن » إلخ . هو نداءٌ تعجُّبى، أَى يا صاح ، انظر كرمَ السَّكن ، وهو أَهل الدار، جمع ساكن كَصَحْب جمع صاحب. وتحملوا : أَرتحلوا . والمستخلف معطوف على الدار ، وهو والمتبدّل رُويا على صيغة اسم الفاعل واسم المفعول . يريد : الدار تبدَّلت بالسَّكْن الوحوشَ والظِّباءَ والبقَر . يعنى أَنَّ الدار استخلفت واستبدلت الوحش.

وبهذا البيت استشهد صاحب (الكشاف) على أن التبدُّل فى قوله

تعالى : ﴿ ولا تتبدَّلوا الخبيثَ بالطَّيِّبِ[1] ﴾ بمعنى الاستبدال ، كالتعجُّل والتأخُّر ، بمعنى الاستعجال والاستئخار .

وقوله : (فأَضْحَتْ مغانيها) أى صارت ، والمغانى . جمع مغنًى ، وهو المُقَام ، مِن غَنِيَ بالمكان كَرَضِيَ ، إذا أقام فهو غانٍ . والقِفار : جمع قَفْر . فى المصباح : القفر : المفازة لا ماءَ فيها ولا نبات . ودارٌ قفرٌ : خاليةٌ من أهلها . والرَّسم : الأَثَر . ورسومُها فاعل قِفار . والمرويُّ فى ديوانه كذا :

* فأَضحت مَبَادِيها قفاراً بلادُها *

قال شارحه : مَبادِيها : حيث تبدو فى الرَّبيع . والبلاد : جمع بلدة ، وهى القِطعة من الأَرض . وأَهَلَ المكانُ أُهولاً من باب قعد : عَمِر بأَهله فهو آهل ، وقرية آهلة . وأَهِلْت بالشىء : أَنِست به . قال شارح الديوان : تُوهَلُ : تُنزَل . يقال بلدٌ مأْهولٌ : ذو أَهل .

وقال ابن الأَنبارى (فى شرح المفضليات) : أَهِلَ هذا المكانُ . وسمعتُ يقال مكان آهل أَى ذو أَهل . وأَنشد هذا البيتَ ، ثم قال : وبنو عامر يقولون : أَهِلت به آهَلُ به أُهولا ، أَى أَنِسْتُ به .

وقوله : « كأَن لم تَحُلَّ الزُّرق » هو جمع أَزرق . قال شارح الديوان : الزُّرق : أَكثبةٌ بالدَّهناء . والجَرْعاءُ من الرمل . وحُزْوى بضم المهملة : موضع : والمِرط ، بالكسر : الإِزار . ونِيره : عَلَمُه . والمرحَّل بفتح الحاء المهملة المشددة : الموشَّى على لون الرِّحال[2] .

وقوله :« إلى ملعب»، الحِواءين بكسر المهملة : أَبياتٌ مجتمعة . يريد :

---

(١) الآية ٢ من سورة النساء .

(٢) فى الديوان : « المرجل » بالجيم . وفى شرحه : « والمرجل : المعلم » .

ملعباً بين الحِواءَين . وَمَنْصَف: بفتح الميم والصاد ، يقول: هو بين الحِواءَين وسط . ومسهل : سهلٌ قد انحدرَ عن الغلظ .

وترجمة ذى الرمة تقدمت فى الشاهد الثامن من أول الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده :

(أزِفَ الترحُّــلُ غير أَنَّ رِكابنا لمَّا تَزُلْ برحالنــا وكأَن قدِ)

٦٢٨ على أَنَّ الفعل بعد (قد) محذوف اختيارًا، أَى وكأَن قد زالت. وأَزِف : دنا . والرِّكاب: الإبل . ولمَّا نافية جازمة ، وتَزُل مجزوم وأَصله تزول . والرِّحال : جمع رَحْل، وهو ما يستصحبه الإنسان من الأَثاث فى السفر . وكأَن مخففة .

وتقدَّم شرح هذا البيت مفصَّلاً فى الشاهد الخامس والعشرين بعد الخمسمائة[2] .

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الستمائة[3] :

٦٧٨ (احفَظْ وديعتَك التى استُودِعْتَهــا

يومَ الأَعــارِبِ إنْ وصَلْتَ وإنْ لَمِ)

على أَنَّ حذف مجزوم (لم) ضرورة ، والأَصل: وإن لم تَصل[4] .

كذا قدَّره أَبو حيان ، فيكون وصلتَ مثله بالبناء للمعلوم .

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) الخزانة ٧ : ١٩٧ — ٢٠٤ .

(٣) ديوان ابن هرمة ٢٠١ والمغنى ٢٨٠ والعينى ٤ : ٤٤٣ والتصريح ٢ : ٢٤٧ والهمع ٢ : ٥٦ والأشباه والنظائر ٢ : ٧٣ والأشمونى ٤ : ٦ .

(٤) ط : « والأصل أن لم تصل » . وإثبات الواو من ش .

وقدره أبو الفتح البَعْلى : وإن لم تُوصَلْ ، فيكون إن وُصِلت مثلَه بالبناء للمفعول .

وأنشد ابن عصفور (فى الضرائر الشعريَّة) قول ابن هَرْمة :

وعليكَ عهدُ الله إنَّ ببـــابه أَهلَ السَّيالة إن فعلتَ وإنْ لم [(١)]

يريد : وإن لم تفعل . ومثلُه قول الآخر :

يارُبَّ شيخٍ من لُكيز ذى غَنَمْ فى كَفِّه زيغٌ وفى الفَمِّ فَقَــمْ [(٢)]

أَجْلحَ لمْ يَشْمَط وقد كان وَلَمْ

يريد : وقد كان ولم يجلحْ . ثم قال : وإنَّما لم يَجُزْ الاكتفاءُ بلم وحذفُ ما تعمل فيه إلَّا فى الشِّعر، لأَنَّها عاملٌ ضعيف، فلم يتصرَّفوا فيها بحذف معمولها[(٣)] فى حال السَّعة ، بل إذا كان الحرف الجارّ ــ وهو أَقوى فى العمل منه ، لأَنَّه من عوامل الأَسماء ، وعواملُ الأَسماءِ أَقوى من عوامل الأَفعال ــ لا يجوز حذف معمولِه[(٤)]، فالأَحرى أَن لا يجوز ذلك فى الجازم . فإنْ قال قائل: فلم جاز الاكتفاءُ بلمَّا وحذفُ معمولها فى سَعَة الكلام وهى جازمة ، فقالوا : قاربت المدينة ولمّا ، أَى ولمَّا أَدخلْها ولم يجز ذلك فى لم ؟ فالجواب أَن تقول : إنَّ الَّذى سوَّغ ذلك فيها كونُها نفيًا لِقَدْ فعل . أَلا ترى أَنَّك تقول فى نفىِ قدْ قام زيد : لم يقم، فحُملت لذلك على قد ، فكما يقال لم يأْت زيد وكأَن قد ، أَى وكأَن

(١) ديوان ابن هرمة ٢١٩ والضرائر ١٨٣ . وفى الديوان : « إن أتيته » .

(٢) كذا ورد فى الضرائر وابن يعيش ٨ : ١١١ بدون نسبة . وفى ابن يعيش : « وفى فيه » .

(٣) ط : « معمولهما » ، صوابه فى ش والضرائر .

(٤) فى النسختين : « معمولها » ، صوابه من الضرائر .

قد أتى ، فيُكتَفى بقد، فكذلك أيضاً قالوا : قاربت المدينة ولمّا، أى ولمّا أدخلْها ، فاكتفَوْا بلمّا . هذا كلامه .

وقوله : (احفظْ) أمرٌ . و (استُودعتها) على بناء المجهول . و (يوم الأَعارب) لم أَقفْ عليه فى كتب أَيام العرب ، وقال العينى : هو يومٌ معهودٌ بينهم . ونسب البيتَ إلى إبراهيم بنِ هَرْمة . وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والستين[1] والله أعلم .

صاحب الشاهد

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الستّمائة[2] :

٦٧٩ (ألمَّا تعرِفُوا منَّا اليقينــا)

على أَنَّ الهمزة الداخلة على لمَّا للاستفهام التقريرى ، أى أَلم تعرفوا منَّا إلى الآن الجِدَّ فى الحربِ عِرفانًا يقيناً . أى قد علمتم ذلك فلم تتعرَّضوا لنا .

وهذا عجزٌ وصدره :

(إليكم يا بنى بَكرٍ إليكمْ)

والبيت من معلقةِ عمرو بن كلثوم التغلِبى ، يخاطب بنى عمِّه بكر ابن وائل .

وإليكم[3] : اسم فعل، أَى : ابعُدوا وتَنَحَّوْا عنَّا إلى أَقصى ما يمكن من البُعْد . وكرَّر إليكم تأْكيدًا للأُولى .وبعده :

٦٢٩

(أَلمَّا تعلموا مِنَّا ومنـــكم كَتائبَ يَطَّعِنَّ ويرتمينــــــا)

و (أَلمَّا) مثل الأُولى . والكتيبة : الجماعة من الجيش،سمِّيت كتيبة

(١) الخزانة ١ : ٤٢٤ .
(٢) معلقة عمرو بن كلثوم .
(٣) ط : « وإليك » ، صوابه فى ش .

لاجتماع بعضها إلى بعض؛ ومنه كتبت الكتاب، أى جمعت بعضَ حروفه إلى بعض. ويطَّعِنَّ : يفتعلن من الطَّعن ، وكذلك يرتمينا[١] : يفتعلن من الرَّمْى ، والألف للإطلاق . أراد التَّطاعُن بالرمح، والترامىَ بالسَّهم مِنَّا ومنكُمْ .

وتقدمت ترجمة عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة مع شرح أبيات منها فى مواضع فى الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٣] :

٦٨٠ (مُحَمَّدُ تَفْدِ نفسَك كلُّ نفسٍ
إذا مـــا خِفْتَ من شىءٍ تَبـــالا)

على أنه جاء فى ضرورة الشِّعر حذفُ لام الأَمر فى فعلِ غير الفاعل المخاطَب ، والتقدير : يامحمَّد لتَفْدِ نفسَك كلُّ نفس .

قال سيبويه : واعلم أنَّ هذه اللام قد يجوزُ حذفُها فى الشِّعر وتَعمل مضمرةً ، كأنَّهم شبَّهوها بأَنْ إذا أعملوها مُضمَرة . وقد قال الشاعر :

محمد تُفدِ نفسَك كلُّ نفسٍ ... البيت .

وإنَّما أراد : لِتَفْدِ . وقال مُتَمِّم بنُ نُويرة :

---

(١) ش : « يرتمين » .
(٢) الخزانة ٣ : ١٨٣ . وفى ش : « الثامن والثلاثين بعد المائة » ، صوابه ما أثبت من ط .
(٣) سيبويه ١ : ٤٠٨ والمقتضب ٢ : ١٣٢ والأصول لابن السراج ٢ : ١٨٢ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٧٥ والإنصاف ٥٣٠ وابن يعيش ٧ : ٣٥ ، ٦٠ ، ٦٢ / ٩ : ٢٤ والمقرب ١ : ٢٧٢ ورصف المبانى ٢٥٦ وشذور الذهب ٢١١ والمغنى ٢٢٤ ، ٦٤١ والعينى ٤ : ٤١٨ والتصريح ٢ : ١٩٤ والهمع ٢ : ٥٥ والأشمونى ٤ : ٥ .

على مثلِ أَصحابِ البَعُوضة فاخمِشِى
لكِ الويلُ حُـرَّ الوجهِ أَو يبكِ مَن بكَى[1]

أَراد : لِيَبْكِ . انتهى .

قال الأَعلم: هذا من أَقبح الضرورة، لأَنَّ الجازم أَضعف من الجارّ ، وحرف الجرّ لا يُضمر . وقد قيل إِنّه مرفوعٌ حُذفت لامهُ ضرورةً واكْتُفِىَ بالكسرةِ منها . وهذا أَسهلُ فى الضَّرورة وأَقرب .

وقال النحَّاس : سمِعت علىَّ بن سليمان يقول : سمعت محمد بن يزيدَ ينشد هذا البيت ويلحِّن قائله ، وقال : أَنشده الكوفيُّون ، ولا يُعرف قائله ، ولا يُحتجُّ به ، ولا يجوز مثلُه فى شعرٍ ولا غيره ؛ لأَنَّ الجازم لا يُضمَر؛ ولو جاز هذا لجاز يقمْ زيد ، بمعنى ليقم. وحروف الجزم لا تُضمَر ، لأَنَّها أَضعف من حروف الخفض، وحرف الخفض لا يضمر .

فبعد أَنْ حكى لنا أَبو الحسن هذه الحكاية ، وجدتُ هذا البيت فى كتاب سيبويه يقول فيه : وحدَّثنى أَبو الخطَّاب أَنّه سمع هذا البيت ممن قاله .

قال أَبو إِسحاق الزجَّاج احتجاجًا لسيبويه : فى هذا البيت حذف اللام ، أَى لتفد . قال: وإِنَّما سماه إِضمارًا لأَنَّه بمنزلته . وأَمَّا قوله أَو يبك من بكى فهذا البيتُ لِفَصيح ، وليس هذا مثلَ الأَوّل ، وإِن كان سيبويه

(١) سيبويه ٣ : ٨ والمقتضب ٢ : ١٣٢ وأصول ابن السراج ٢ : ١٦٣ ، ١٨١ وابن الشجرى ١ : ٣٧٥ وابن يعيش ٧ : ٦٠ ، ٦٢ والإنصاف ٥٣٢ ورصف المبانى ٢٢٨ والمغنى ٢٢٥ والبلدان (البعوضة) .

قد جمع بينهما . وذلك أنَّ المعطوف يُعطَف على اللفظ وعلى المعنى . فعطفَ الشاعرُ على المعنى ،لأَنَّ الأَصل فى الأَمر أَن يكون باللام ، فحذفت تخفيفًا والأَصل : فلْتخمشى ، فلما اضطُرّ الشاعر عطف على المعنى ، فكأَنه قال : فلتخمشى ويَبْكِ، فيكون[1] الثانى معطوفًا على معنى الأَول .والبعوضة : موضع بعينه قُتل فيه رجالٌ من قومَه فحضَّ على البكاء عليهم .

وحذا ابن هشام (فى المغنى) هذا الحذو وقال : وهذا الذى منعه المبرّد أَجازه الكسائى فى الكلام ، بشرط تقدُّم قُلْ ، وجعل منه : ﴿قُلْ لعبادىَ الذين آمنوا يُقيموا الصَّلاة[2] ﴾، أَى ليقيموا .

ووافقه ابن مالك (فى شرح الكافية) وزاد عليه أَنَّ ذَلك يقع فى النثر قَليلاً بعد القول الخبرىّ ، كقوله :

قلتُ لبــوّاب لديه دارُها تِيذَن فإِنّى حَمْوُها وجارُها[3]

أَى لتيذن ، فحذف اللام وكسر حرْف المضارعة . ٦٣٠

وأَمَّا ابن عصفور فلم يَزِدْ (فى كتاب الضرائر) على قوله : إِضمار الجازم وإِبقاءُ عمله أَقبح من إِضمار الخافض . ثم أَنشد خمسة أَبيات حذف فيها اللام .

و (محمدُ) منادى . و (تفدِ) أَمرٌ من الفداء . و (كلّ) فاعله . و (نفسَك) مفعوله . و(التَّبَال) بفتح المثناة بعدها موحَّدة . قال الأَعلم ، وتبعه ابن هشام : هو سوءُ العاقبة ، وأَصله وَبَال ، فتاؤه مبدلة من الواو .

---

(١) ش : « ويكون » .
(٢) الآية ٣١ من سورة إبراهيم .
(٣) لمنظور بن مرثد، فى المغنى ٢٢٥ والعينى ٤ : ٤٤٤ والهمع ٢ : ٥٦ والأشمونى ٤ : ٠٤

والبيت لا يُعرف قائله ، ونسبه الشارح فى الباب الذى بعد هذا لحسّان ، وليس موجودًا فى ديوانه .

صاحب الشاهد

وقال ابن هشام (فى شرح الشذور) : قائله أَبو طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال بعض فضلاءِ العجم (فى شرح أَبيات المفصل) : هو للأَعشى . والله أَعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثّمانون بعد الستمائة [١] :

٦٨١ (لِتقُمْ أَنتَ يا ابنَ خيرِ قُريشٍ
فلتُقَضِّى حَـوائجَ المُسْلِمِينـا)

على أَنَّ أَمر المخاطب جاءَ فيه باللام ، وهو فى الشعر أَكثر منه فى النثر ، أَراد قم . وكذا اللام فى قوله (فلتقَضِّى) لأَمر المخاطب ، والياءُ إِشباع الكسرة .

والبيت أَورده الكوفيُّون . وهو مجهول لا يعلم تتمته ولا قائله . والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثّمانون بعد الستمائة [٢] :

٦٨٢ (قالتْ بناتُ العَمِّ يَا سَلْمَى وإِنْ
كان فقيرًا مُعْدِمًا قـالت وإِنْ)

(١) العقد ٣ : ٤٩٦ والإنصاف ٥٢٥ والمغنى ٢٢٧ ، ٥٥٢ والتصريح ١ : ٥٥ / ٢ : ٢٤٦

(٢) المقرب ١ : ٢٧٧ والضرائر ١٨٥ ورصف المبانى ١٠٦ والمغنى ٦٤٩ والعينى ١ : ١٠٤ / ٤ : ٣٣٦ والتصريح ١ : ١٩٥ والهمع ٢ : ٦٢ والأشمونى ١ : ٣٣ / ٤ : ٢٦ وملحقات ديوان رؤبة ١٨٦ .

على أنَّ فيه حذف الشرط والجزاءِ معًا لضرورة الشِّعْر ، والتقدير : وإنْ كان كذلك رضيتُه أيضاً .

وكذا قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر[1]): إنَّ حذفهما خاصٌّ بالشعر .

وأورده ابن هشام (فى فصل الحذف من المغنى) ولم يخْصُصْه بالشعر .

وأمّا إن الأُولى فإنَّما حذف منها جوابُها، والتقدير : وإن كان فقيرًا أترضَينَ به ، لأَنَّ كان شرطها ، واسمها مستتر فيها يعود إلى بعلٍ فى بيت مقدَّم ، وهو :

(قالت سليمى ليت لى بعلاً يَمُنْ يَغْسِل جلدى ويُنَسِّينى الحَـزَنْ
وحاجةً ما إنْ لها عِنـدى ثَمـنْ ميسورةً قضاؤها منـهُ ومِـنْ
قالت بناتُ العمِّ ياسلمى وإنْ كان فقيرًا مُعدِماً ، قالت وإنْ)

صاحب الشاهد وهذا الرجز منسوب إلى رؤبة بن العجَّاج ، وسليمى : مصغَّر سَلمى الاتية . والبعل : الزَّوج. ويَمُنّ فعل مضارع من المِنَّة ، وخفف النون للضرورة ، والمِنَّة : النعمة يقال منَّ عليه ،أى أنعم عليه . والمراد هنا : يحصل منه المنُّ والإنعام ، سواءٌ كان عليها أو على غيرها ، فهو مطلق .

وقال : العينى : هو بتقدير يمنُّ علىَّ .

وقوله : « يغسل جلدى » إلخ تفسيرٌ لقولها يُمنّ . وقولها : «وحاجةً» منصوب بتقدير : ويقضى لى حاجة ، وهى قضاءُ شَهْوة النَّوم . وقال العينى : حاجة معطوف على بعلاً ، وما نافية ، وإن زائدة . وكون هذه الحاجة

---

(١) ط : « الضرورة » ، وأثبت ما فى ش .

لا ثمن لها عندها لغلائها وعِزَّتها . وميسورة صفة حاجة . وأرادت : قضاؤُها من البعل ومنِّى ، فحذفت الياءُ مع نون الوقاية ضرورة .

وروى : (قالت بنات الحىّ) بدل بنات العم . وروى (وإنِنْ) بزيادة نون فى الموضعين ، وبها استشهد شُرّاح الألفية على أنَّ هذه النون هى تنوين الغالى ، وبها يخرج الشعرُ عن الوزن ولا يستقيم إلاَّ بحذفها . ٦٣١

ورؤبة تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الخامس من أول الكتاب[١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الستمائة[٢] :

٦٨٣ (أماوىَّ مَهْمَنْ يَسْمَعَنْ فى صديقِهِ
أَقاويلَ هذا النَّاسِ ماوىَّ يَندمِ)

على أنَّ الكوفيين حكَوْا عن العرب مجىء (مهمن) بمعنى مَنْ كما فى البيت .

قال ابن يعيش عند الكلام على مَهما : وقال آخرون هى مركبة من مَهْ بمعنى اكففْ وما الشرطيَّة . والمعنى عندهم : اكفف عن كلِّ شىء ، ما تفعل أفعل . ويؤيِّده قولُ الشاعر :

أماوىَّ مَهمَنْ يستمع فى صديقه . . . . البيت

فركَّب مه مع من ، كما ركَّبها مع ما . فاعرفه . انتهى .

وقال (صاحب تهذيب اللغة) : مَهْمن استفهام ، وأصلها مَنْ مَنْ فأُبدلت النون هاءً . وأنشد هذا البيت .

والهمزة فى قوله : (أماوىَّ) للنداءِ . و (ماوىَّ) مرخم ماويَّة ، وهى من أسماءِ النساءِ ، منها ماويَّة امرأة حاتم طىّ .

---

(١) الخزانة ١ : ٨٩ .

(٢) السبع الطوال ٥٤ وابن يعيش ٤ : ٨ والتهذيب ٥ : ٣٨٥ واللسان (مهه ٤٤٠) .

وهذا البيت شبيهٌ بشعره ، لكنِّى لم أقف عليه منسوبًا إليه .

قال فى الصحاح : والماويَّة : المِرآة كأنَّها منسوبةٌ إلى الماء . وماويَّة : اسم امرأة . قال طرفة :

* ليس هذا منكِ ماوِىَّ بحُرّْ[1] *

واسم امرأةِ حاتم طيّ ، وتصغيرها : مُوَيَّة . قال حاتمٌ يخاطبُها :

فضارتْهُ مُوَىَّ ولم تَضِرْنى ولم يعرقْ مُوَىَّ لها جَبينى

يعنى الكلمة العوراء . انتهى .

ومهمن اسم شرط يجزم فعلين ، الأوَّل يسمعن ، والنون هى نون التوكيد الخفيفة . ورُوى (يستمع) بدله ، يفتعل من السَّماع . والثانى : يندم ، وكسر للقافية . و (ماوىَّ) الثانى منادًى ، وحرف النداءِ محذوف، وكرَّر المنادى للتَّلذُّذ به . وروى المصراع الثانى هكذا أيضاً :

* أقاويلَ هذا الناس يُصْرَم ويَندمِ *

فيكون يُصرم جزاءَ الشرط . والصَّرم : الهجر والقطع .

ورأيت فى قصيدةٍ لذى الرمَّة هذا المعنى مع المصراع الثانى بعينه ، وهو قوله :

ومَن يك ذا وصلٍ فيَسمعْ بوصلهِ
أقاويلَ هذا الناسِ يَصرِم ويُصرَمِ[2]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد السبعمائة[3] :

(١) صدره فى ديوان طرفة ٦٣ :

* لا يكن حبك داء داخلا *

(٢) ديوان ذى الرمة ٦٢٩ .

(٣) نوادر أبى زيد ٦٢ والأزهية ٢٦٥ وابن يعيش ٧ : ٤٤ والمغنى ١٠٨ ، ٣٣٢ والهمع ٢ : ٥٨ .

٦٨٤ (مَهمَا لِيَ اللَّيلَةَ مهما لِيَهْ أَودَى بنعــلىَّ وسِـــرباليَهْ)
على أَنَّ (مهما) فيه بمعنى الاستفهام .

قال أَبو على الفارسى (فى تذكرته) : هذا عندى مثل قول الخليل فى مهما فى الجزاءِ : إِنَّه ما ما ، فقلب الأَلف هاءً . وذلك لأَنَّه يريد : مالى الليلة . وما تستعمل فىالاستفهام على حدِّ استعمالها فى الجزاءِ ، أَى غير موصولةٍ فيهما . وإِنَّما غيِّر كراهية التقاءِ الأَمثال . أَلا ترى أَن قوله تعالى : ﴿فى ما إن مَكَّنَّاكُمْ فيه[1]﴾ ولم يقل : ماماكّناكم فيه ، فعدّل إِلى (إِنْ) لئلاً تلتقى الأَمثالُ فى اللفظ . ومن قال مهما هىمَهْ ما غيرُ مغيَّرة ، فإِن كان يريد أَنَّها مَهْ التى للأَمر فليس يخلو من أَن يجزمَ بها أَو لا يجزم. فإِنْ كان يجزم فإِنَّما قال مَهْ ثم استأْنف فقال: ما تفعلْ أَفعل ، لم يجز . أَلا ترى أَنَّ قوله :

* وأَنَّك مهما تـأْمرى القلبَ يفعل[2] *

ليس يريد به : وأَنَّك اكفِى ، ما تـأْمرى القلب يفعلْ ، وإِن كان لا يَجزِم الفعلَ بها[3] ، كأَنَّه قال : لتكففْ افعلْ، لم يكن لذكر فعل الشرط وجهٌ . وإِن كان لا يريد الأَمر بها ولكنَّها حرفٌ يوافق التى للأَمر فى اللَّفظ ويخالفُه فى المعنى ، فيكون حرفًا للشَّرط يجزم ، بمنزلة إِنْ ، جاز ذلك . انتهى .

٦٣٢

وقال ابن الحاجب (فى أَماليه) : إِنَّه يجوز أَن يكون مَهْ فى «مهما لى الليلة» ، اسم فعل بمعنى اسكتْ واكففْ عما أَنت فيه من اللَّوْم ، كأَنَّه

---

(١) الآية ٢٦ من سورة الأحقاف . وكلمة «فيه» ليست فى ش .
(٢) لامرئ القيس فى معلقته . وصدره :
* أغرك منى أن حبك قاتلى *
(٣) ش : «وإن كان جزم الفعل بها» ، صوابه فى ط .

يخاطب لائمًا على ما يراه من الوَلَه . ثم قال : مالى الليلة ، تعظيمًا للحال التى أصابته ، والشِّدّةِ التى أدركتْه . ثم ذكر الأَمر الذى يحقّق تعظيم الأَمر فقال :

* أودَى بنعليّ وسِرباليَه *

يعنى ذهب بنعليّ وسرباليه ، كقوله تعالى : ﴿ هلك عَنّى سُلطانِيَه[١] ﴾ . وإذا ذهب عنه نعله وسرباله دلَّ على أنَّ حاله بلغت مبلغًا أذهلته عما لا يُذهَل متيقّظ عن مثله . وصورة الاستفهام للتعظيم ثم مَجىءُ ما يحقّق ذلك التعظيم بجملة أُخرى بعد ذلك ، من فصيح كلام العرب وبديعِه . قال تعالى : ﴿ الحاقّةُ ما الحاقّة * وما أدراكَ ما الحَاقّة[٢] ﴾ ثم قال : ﴿ كذَّبَتْ ثمودُ[٣] ﴾ . ويجوز أن يكون مهما أصله ماما ، كرِّرت ما الاستفهاميَّة للتأْكيد اللفظى ، فقلبت الأَلف الأُولى هاءً كما قلبت أَلف الشرطية فى قولهم : مهما . وهى عند الأَكثرين : ما ما . وليس ذلك بقياس وإنَّما هو حَمل لفظ العربىِّ على ما يحتمله ، ممَّا هو من جنس كلامهم ، وليس من القياس المختلَفِ فيه فى شىءٍ . ويجوز أَنْ تكون ما الأُولى قَدَّر الوقف عليها ، فقلبت أَلفُها هاءً ، ثم أُجرِىَ الوصلُ مجرى الوقف . والوجه الأَوّل أَوجَهُ وأَوضح . انتهى .

واختار ابن هشام التوجيه الأَوّل (فى المغنى) فى ردّ ما قاله الشارح المحقق . قال : ذكر جماعةٌ منهم ابن مالك أَنَّ مهما تأْتى للاستفهام ، واستدلُّوا بهذا البيت ، ولا دليلَ فيه ؛ لاحتمال أَنَّ التقدير : مه اسم فعل

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الحاقة .

(٢) الآية ١ ، ٢ من سورة الحاقة .

(٣) الآية ٤ من سورة الحاقة .

بمعنى اكفف ، ثم استأنف استفهامًا بما وَحْدَها . هذا كلامه ، وكأنّه يريد به تقليل الأقسام مهما أمكن. وعلى أيّ تقديرٍ كان ، مهما ههنا مبتدأٌ، ولِيَ هو الخبر، والليلة ظرف معمول إمّا لمتعلّق الجارِّ فى لى ، والتقدير : ما حصل لى ، وإمّا بما تضمّنه معنى الجملة الكبرى ، لأنّ معناها ما أصنع وما ألبس . وأودى : هلك وتَلِف . والنَّعلان : مثنى نعل، وهو ما وقَيت به الرِّجلَ من الأرض. والسِّربال، بالكسر: القميص، وقيل الدِّرع ، وقيل كل ما لُبس على البَدَن . والباءُ فى قوله(بنعليَّ) : زائدة فى الفاعل . قال أبو على(فى كتاب الشعر) : يجوز أن تكون الباءُ زائدة ، كأنّه قال أودى نعلاى ، فلحقت الباءُ كلما لحقت فى : ﴿ كفى بالله[1] ﴾ . فإنْ قلت : فلم لا تجعل الباءَ زائدةً فى المفعول به ، ويكون الفاعل مضمرًا ، كأنّه قال أودى مُودٍ بنعليّ ، فتضمِرُه للدّلالة عليه كما أُضمر فى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ[2] ﴾؟ فالقول أنَّ هذا أضعف ، لأنّه ليس فى مودٍ الذى تضمِرُه زيادةٌ على ما استفدتَه فى قوله أودى ، وليس قوله سبحانه: ثم بدا لهم كذلك ، لأن البَدَا والبداءَ قد صارَا بمنزلة المذهب فى قولك ذُهب به مذهبٌ وسُلك به مسلك . فإن قلت : فلم لا تجعل فاعل أودى ذِكْرًا يعود إلى ما فى قوله : مَهما لى الليلة؟ فإنّ ذلك أيضاً ليس بالقوىّ ، لأنّ المعنى يصير كأنّه أودَى شىءٌ بنعليَّ . فإذا جعلت الباءَ لاحقة للفاعل كان أشبه ، ولا تزيد مع الفاعل من الحروف الجارّة غيرَ الباءِ فى قول سيبويه فى الإيجاب ، كما لم تزد فيه غير الباءِ فى المبتدأ . انتهى كَلام أبى على .

٦٣٣ وذهب ابن الحاجب (فى أماليه) إلى أنَّ الباءَ للتعدية . قال : والباءُ

(١) فى آيات متعددة ، أولها الآية ٦ من سورة النساء .

(٢) الآية ٣٥ من يوسف .

باءُ التَّعدية ، يعنى أذهَبَهُما وأَضَلَّهما عنِّى . يقال أذهبته وذهبت به بمعنًى واحد . هذا كلامُه .

واختار ابن‌هشام(فى المغنى) مذهبَ أبىعلى، لكنّه جَعل زيادة الباءفى الفاعل مختصًا بالضرورة، تبعاً لابن عُصفور (فى كتاب الضرائر). ثم نقل كلام ابنِ الحاجب وتعقبَّه بقوله : ولم يتعرَّض لشرح الفاعل ، وعلام يعود إذا قدِّر ضميرًا فى أودى . ويصح أن يكون التقدير : أودى هو ، أى مُودٍ ، أى ذهب ذاهبٌ .

ولا يخفى عليك أنَّ هذا التوجيه قد ردَّه أبو علىٍّ وبيَّنَ ضعفَه .

صاحب الشاهد

وهذا البيت مطلعُ قصيدة لعَمْرو بن مِلْقط الطائى ، عدَّتُها اثنا عشر بيتاً ، أوردها أبو زيد وابنُ الأعرابى (فى نوادرَيْهما) .

أبيات الشاهد

وما بعده على رواية أبى زيد :

(إنَّك قــد يكفيكَ بَغْىَ الفتى ... ودَرْءَهُ أن تَرْكُضَ العــاليه
بطعنـــة يَجــرى لهــا عاندٌ ... كالمــاء من غــائلةِ الجــابيَه
يا أَوسُ لو نالتــك أرماحُنا ... كنتَ كمن تهــوى به الهاويَه
أُلفِيتَــا عينــاكَ عند القَفــا ... أَولَى فأَولى لك ذا واقِيَــه
ذاك سنـــانٌ مُحْلِبٌ نصــرُهُ ... كالجمَلِ الأَوطف بالرَّاويه[1]
يا أَيُّها النــاصر أخـــوالَه ... أأَنت خَــيرٌ أم بنو جاريه
أَمْ أُختُكم أفضلُ أَمْ أُختُنــا ... أَم أُختُنــا عن نصرِنا وانيه
والخيل قد تُجشِمُ أَربابها الـ ... شِّقَّ وقد تَعْتسِفُ الــدَّاويَه
يــأْبى لى الثَّعلبتـــانِ الــذى ... قال ضُــراطُ الأَمة الراعيَــه

(١) فى النوادر : « بالجمل الأوطف » .

ظلَّت بِوادٍ تجتنى صمغـهُ   واحتبلت لِقحتَها الآنيه[١]
ثم غـدَت تَنبِـذ أَحرادُهـا   إنْ مُتغنَّاةً وإنْ حـاديَه[٢])

قوله: «أَن تركُضَ العالية»، فى تأْويل مصدر مرفوع فاعل يكفيك، أَى يقيك[٣]، وبَغْىَ الفتى مفعوله الثانى، ودرءه معطوف على بغى. والبغى: التعدِّى. والدَّرءُ: العِوَج. يقال أَقمت دَرْءَ فلان أَى اعوجاجه. وروى بدله: «وشَغْبه» بالسكون، وهو تهييج الشَّرِّ. والعالية بالعين المهملة: اسم فرس الشاعر، وهو عَمرو بن ملقط، كذا قال أَبو زيد.

وزعم ابن الأَعرابى أَنَّه أَراد عالية الرُّمح، وغلَّطه أَبو محمد الأَعرابىُّ (فيما كتب على نوادره).

وقد خاطب الشاعر نفسَه فى هذا البيت. وأَراد بالفتى أَوسَ بن حارثة ابن لَأْم الطائى كما يأْتى.

وقوله: «بطعنة» الخ متعلق بيكفيك. والعاند بالمهملة والنون، هو العِرق الذى لا يخرج دمُه على جهةٍ واحدة. قاله أَبو زيد. والغائلة بالمعجمة: ما غال من الماء وسَرَق. والجابية، بالجيم: الحوض. كذا قالهما أَبو زيد.

وقوله: «يا أَوس» هو أَوس المذكور، وهو جاهلى. ورواه ابن الأَعرابى:

---

(١) ط والنوادر: «صمغة»، صوابه فى ش.
(٢) وكذا فى ط والنوادر. وجعلها الشنقيطى فى نسخته: «جاذية». والجاذية: التى تقوم على أطراف أصابعها. قال النعمان بن نضلة:

إذا شئت غنتْنى دهاقين قرية   وصناجة تجذو على حد منسم

لكن شرح البغدادى يقتضى «حاديه» بالحاء والدال المهملتين.
(٣) ش: «أي يكفيك»، وأثبت ما فى ط.

«ياعمرو» وغلَّطه أبو محمد الأعرابى. وتهوِى: تقع من فوق إلى أسفل. والهاوية: المَهْواة.

وقوله: «أُلْفِيَتَا عيناك» إلخ أُلفِيتَا بالبناء للمفعول، أى وُجِدَتا. وهذا على لغةِ أكلونى البراغيث.

وأورده ابنُ هشام (فى المغنى، وفى شرح الأَلْفِيَّة) على أَنَّ الأَلف فيه علامةٌ لاثنين.

وكذا أورده ابن الأعرابىّ، وقد غلَّطه أبو محمد الأعرابى وقال: ٦٣٤ إنَّما هو: «أَفلِتَتَا عيناكَ عند القفا». ولم يظهرلى معناه، مع أنَّه قد وافق أبا زيد فى الرِّواية.

والعجب من شارحه ابنِ المُلاَّ لقوله هنا: إن هذا البيت لم يسمَّ قائله، مع أنَّ هذه القصيدةِ بتمامها فى شواهد العينى فى باب الفاعل، ولم يتذكَّر ما أسلفه فى شرح قوله:

* مَهما لِىَ الليلةَ مهماليه *

فى حرف الباءِ (من المغنى) من قوله: هذا البيتُ مطلع قصيدة لعمرو بن مِلقطِ الطائى؛ وسيُورده المصنِّف فى الكلام على مهما. واستشهد ببيتٍ من أبياتها أيضًا فى الحرف الهاوى. ويأْتى الكلام عليه هناك. اهـ.

وقال أيضاً (عند الكلام على متى): تقدَّم الكلام عليه مستوفًى فى الباءِ الموحدة.

وقوله: «أَوْلى لك»، كلمةُ وعيدٍ وتهديد قد شرحها الشارح المحقِّق فى أفعال المقاربَة. وقوله: «ذا واقية»، حالٌ من الكاف، وصحَّ مجىءُ الحال من المضاف إليه لكون المضاف جزءًا منه. والواقية: مصدرٌ بمعنى الوقاية

كالكاذبة بمعنى الكذب. يصفه بالهروب، ويقول : أنت ذو وقاية من عينيك عند فِرارك تحترس بهما ، ولكثرة تلفُّتك حينئذٍ صارت عيناك كأنَّهما فى قفاك .

وقوله : « ذاك سنان» إلخ : قال أبو زيد : سنان : اسم رجل . والمُحلِب ، بضم الميم وسكون المهملة وكسر اللام : المُعين ، من الإعانة . والأَوطف: الكثير شعر الأُذنين وهُدْب العينين . ا هـ . والرَّاوِية : البعير ، أو البغل، أو الحمار الذى يُستَقى عليه . ونَصرُه مبتدأٌ ومُحلبٌ خبره . ووانية من الوَنْى[1] وهو الفتور والإبطاء .

وقوله : « والخيل قد تُجْشِم » إلخ ، الإجشام بالجيم : التكليف ، وفاعله ضمير الخيل، وأربابَها مفعوله الأوّل. والشّقّ بفتح الشين وكسرها بمعنى المشقَّة ، مفعوله الثانى . والاعتساف : المشى على غير الطريق المسلوكة ، وفاعله ضمير الخيل . والداويَّة : المفاز، وخفّفت الياءُ للضرورة .

وقوله : « يأْبى لى الثعلبتان » إلخ يأْبى من الإباء، أى يَكره . والثّعلبتان فاعل يأْبَى . قال صاحب الصحاح : الثعلبتان : ثعلبة بن جُدعان بن ذُهل بن رُومان بنِ جندب بن خارجة بن سعد بن فُطْرة بن طيئ، وثعلبة ابن رُومان بن جندب . وأنشد هذا البيت .

والذى : مفعول يَأْبى ، وقال صلة الذى ، والعائد محذوف، أى قاله. وضُراط فاعل قال، وأراد به أَوْسًا المذكورَ، سمّاه به استهانَةً به وتحقيراً له. وروى: « خُبَاج » بدل ضراط، بضم الخاء المعجمة بعدها موحَّدة ثم جيم ، وهو بمعنى الضُّراط .

وقوله : « ظَلَّت » ، أى استمرت . واللِّقحة بالكسر : الناقة ذات اللَّبن.

---

(١) يقال : ونى يني ونْياً وونًي ووَناء ووُنيًّا .

والآنية قال أبو زيد : هى المبطئة بلبَنها. وفسَّرها بعضهم على هامش النوادر بالمُدْرِكة .

وقوله : « تَنبِذ أَحرادها » إلخ. تنبذ: تطرح، وفاعله ضمير الأَمة . والأَحراد : جمع حَرَد بفتح المهملتين ، قال أبو زيد : هو الغيظ والغضب. ورواه ابنُ الأَعرابىِّ : « ثم غَدت تنبِضأَحرادُها »، وقال: تنبض تضطرب. أَحرادُها : أَمعاؤها . قال أَبو محمد الأَعرابى : الصواب « ثم غدت تنبذ أَحرادُها » أَى تضرط ، يدلُّك على هذا قوله سابقًا : ضُراط الأَمة الرَّاعية . ا هـ . وروى العينى : « تحرد أَحرادُها » وما أَدرى من أين نقلها .

وقوله : « إن مُتغنَّاة» إلخ ، قال أَبو الحسن فى شرحه : أَراد متغنِّية يقلبون الياءَ أَلفاً . وحادية من حُداء الإبل ، وهو سَوْقها بالغناء . وإن هنا للتقسيم بمعنى إمَّا المكسورة. قال ابن هشام (فى المغنى) : إمَّا المكسورة المشدَّدة مركبة عند سيبويه من إنْ وما . وقد تحذف ما ، كقوله : ٦٣٥

سَقتهُ الرَّواعدُ مِن صيِّفٍ وإنْ مِنْ خريفٍ فلن يَعْدَما[1]

أَى إمَّا من خريف وإمَّا من صيِّف . ويدلُّ لما قلناه رواية الْجرْمى وأَبِى حاتم :

* إمَّا مُغنَّاةٌ وإن حاديه *

وعمرو بن مِلقطِ الطائىُّ شاعرٌ جاهلىٌّ . ومِلقط بكسر الميم وسكونِ اللام وفتح القاف . ا هـ . والله أَعلم . عمرو بن ملقط

* * *

(١) للنمر بن تولب . وهو الشاهد الحادي بعد التسعمائة .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد الستمائة[1] :

٦٨٥ (ومَهْما وكَلْتَ إليه كَفاه)

على أنَّ (مهما) اسمٌ ، بدليل رجوع الضمير إليه ، وهو الهاءُ من كفَاه ، والضمير لا يرجع إلاَّ إلى الاسم ، وأمَّا الضمير فى إليه فراجعٌ إلى الممدوح.

كذا استدلَّ به ابن يعيش (فى شرح الكافية). وكذا الضمير فى به راجع إلى مهما فى الآية[2] .

وقال الزمخشرى وغيره : عاد عليها ضمير به وضمير بها ، حملاً على اللفظ وعلى المعنى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : والأَوْلى أن يعُود ضمير بها لِآيةٍ . وفيه أنَّ عَوْدَ الضمير إلى المبيَّن أولى من عوده إلى البيان[3] . وزعم السُّهيلى أنَّ مهما تأْتى حرفًا بدليل قول زهير :

ومَهما تكن عنـــد امرىءٍ من خليقـــةٍ
وإنْ خالهـــا تَخْفَى على النَّـــاس تُعْلَمِ

قال : هى هنا حرفٌ بمنزلة إن ، بدليل أنَّها لا محل لها. وتبعَه ابن يَسَعُون واستدلَّ بقوله :

قـــد أُوبيَتْ كـــلَّ ماءٍ فهى ضـــاويَةٌ
مهمَـــا تُصِبْ أُفقًا من بارقٍ تَشِمِ[4]

---

(١) ابن يعيش ٧ : ٤٣ وديوان الهذليين ٢ : ٣٠ .
(٢) الآية ١٣٢ من سورة الأعراف : « مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها » .
(٣) المغنى ٣٣١ .
(٤) لساعدة بن جؤية فى ديوان الهذليين ١ : ١٩٨ واللسان (أبى ٤) .

قال : إذْ لا تكون مَبتَدأً لعدم رابطٍ من الخبر[١] وهو فعل الشرط ، ولا مفعولاً لاستيفاء فعل الشرط مفعولَه . ولا سبيل إلى غيرهِما ، فتعيَّن أنَّها لا موضع لها .

قال ابن هشام : والجواب أنَّها فى الأوَّل إمّا خبر تكن، وخليقة اسمها ، ومن زائدة ، لأَنَّ الشرط غير موجَب عند أَبى على ، وإمَّا مبتدأٌ واسم تكن ضمير راجعٌ إليها والظرف خبر ، وأَنَّث ضميرها لأَنَّها الخليقة فى المعنى ، ومن خليقة تفسيرٌ للضَّمير، كقوله :

* لِمَا نسجَتْها من جنوبٍ وشمْأَلِ[٢] *

وفى الثانى مفعول تُصب وأُفقًا ظرف ، ومن بارق تفسيرٌ لمهما ، أَو متعلِّق بتُصِب ، فمعناها التبعيض ، والمعنى : أَىَّ شىءٍ تصبْ فى أُفقٍ من البوارق تَشِمْ .

وقول الشارح المحقِّق : إنَّ مهما تأْتى ظرف زمان إلخ ، هو فى هذا تابعٌ لابن مالك ، زعم أَنَّ النحويِّينَ أَهملوا هذا المعنى . وأَنشَدَ لحاتم :

وإنَّك مهما تُعطِ بطنَك سُؤْلَه   وفَرجَكَ نالَا منتهى الذَّمِّ أَجمَعَا[٣]

وأَبياتاً أُخر. قال ابن هشام : ولادليل فى ذلك ، لجواز كونها للمصدر بمعنى أَى إعطاءً كثيراً أَو قليلاً .

وابن مالك مسبوقٌ بهذا القول . وشدَّد الزمخشرى الإنكار على من قال بها فقال : هذه الكلمة فى عداد الكلمات التى يحرِّفها من لاَ يَدَ له فى

(١) الذى فى المغنى : « لعدم الرابط من الخبر » .
(٢) لامرئ القيس فى معلقته . وصدره :
* فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها *
(٣) ديوان حاتم ١١٤ والهمع ٢ : ٥٧ والأشمونى ٤ : ١٢ .

علم العربية ، فيضعها فى غير موضعها ، ويظنُّها بمعنى متى ، ويقول : مهما جئتنى أَعطيتك . وهذا مِنْ وضعه ، وليس من كلام واضع العربية ، ثم يذهب فيفسِّر بها الآية ، فيُلحد فى آيات الله تعالى .

قال ابن هشام : والقول بذلك فى الآية ممتنع ، لتفسيرها بمن آية ، وإنْ صحَّ ثبوته فى غيرها كما ذهب بعضهم فى : مهما تُصِبْ أُفقاً البيت السابق ، قال : مهما فيه ظرف زمان ، والمعنى أىَّ وقت تُصِبْ بارقاً من أُفق ، فقلب الكلام . أوفى أُفقٍ بارقاً ، فزاد مِنْ واستعمل أُفقًا ظرفاً . ٦٣٦

والمصراعُ الشاهد وقع فى شعر شاعرين أَحدهما المتنخِّل الْهُذلى ، وهو عجز ، وصدره :

(إذا سُدتَه سُدتَ مِطواعةً)

والآخَر : ذو الإِصبع العَدْوانى ، وصدره :

(فإنْ سُسْتَه سُسْت مِطواعةً)

وتقدَّم شعرهما مشروحاً فى الشاهد السادس والسبعين بعد المائتين[1]

وقوله :« إذا سُدته » هو من المساوَدَة التى هى المسارَّة، والسِّواد كالسِّرار بكسرهما لفظاً ومعنى . قال : إذا سارَرْته طاوعك وساعدك . وقال قوم : هو من السِّيادة فكأَنه قال : إذا كنت فوقه سيِّدًا له أَطاعَك ولم يحسُدْك، وإن وَكَلْتَ إليه وفوَّضْتَه شيئًا كفاك. والمطواع : الكثير الطَّوع والانقياد، والتاءُ لتأْكيد المبالغة. وقوله فى الرِّواية الأُخرى: « إذا سُسْتَهُ » هو من سُسْت الرَّاعيَة[2] سِياسة ، إذَا دبَّرتهم وقمتَ بأَمرهم . ووكلت[3] إليه الأَمر وَكلا من باب وَعد ، ووُكولاً : فوَّضته إليه واكتفيت به .

* * *

(١) الخزانة ٤ : ١٤٦ – ١٥٢ .
(٢) بمعنى الدواب التى ترعى . وفى ط : « الرعية » .
(٣) ط : « ووكل » ، وأثبت ما فى ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الستمائة ، وهو من شواهد س[١] :

٦٨٦ (إذْما دَخَلْتَ على الرَّسولِ فقُلْ له
حَقًّا عليكَ إذا اطمَأَنَّ المجلسُ)

على أنَّ سيبويه استشهَد به لإذْما .

وهذا نصُّ سيبويه فى باب الجزاء: فمِمَّا يجازى به من الأَسماء غيرِ الظُّروف : مَنْ وما وأَيُّهم . وما يجازَى به[٢] من الظُّروف: أىَّ حينٍ[٣] ومتى ، وأين ، وأنَّى ، وحَيثُما . ومن غَيرِهما : إنْ وإذْما . ولا يكون الجزاءُ فى حيثُ ولا فى إذْ حتَّى يضمَّ إلى كلٍّ واحدةٍ منهما ما ، فيصير إذْ مع ما بمنزلة إنَّما وكأَنَّما ، وليست ما فيهما بلَغْوٍ ، ولكنَّ كلَّ واحدة منهما مع ما بمنزلة حرفٍ واحد . فممَّا[٤] كان من الجزاء بإذْما قولُ العبَّاس بن مِرداس :

إذْما أَتيتَ على الرسول فقُلْ له البيت .

وقال الآخر ، وهو عبد الله بن همَّام السَّلولى :

إذْما تَرَيْنى اليوم مُزْجًى ظعينتى البيت الآتى

سمعناهُما ممَّن يرويهما عن العرب ، والمعنى إمَّا . اهـ .

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٣٢ . وانظر المقتضب ٢ : ٤٧ والكامل ١٦٤ والجمل ٢٢٢ والخصائص ١ : ١٣١ والمحتسب ٢ : ٨٤ وابن يعيش ٤ : ٩٧ / ٧ : ٤٦ ورصف المبانى ٦٠ .
(٢) ش : « ومما يجازى به » . وفى سيبويه : « ما يجازى به » ، فى هذا الموضع وسابقه .
(٣) ط : « حين » فقط ، صوابه فى ش وسيبويه .
(٤) ط : « فما » ، وأثبت ما فى ش وسيبويه .

قال ابن يعيش: إن قيل: إذْ ظرفُ زمانٍ ماضٍ ، والشرط لا يكون إلاَّ بالمستقبل ، فكيف يصحُّ المجازاةُ بها ؟ فالجواب[١] من وجهين : أَحدهما أَنَّ إِذْ هذه التى تستعمل فى الجزاءِ مع ما ، ليست الظرفيَّة ، وإنَّما هى حرف غيرها ضُمَّت إليها ما ، فركِّبا دلالةً على هذا المعنى كإِمَّا[٢]. والثانى : أَنَّها الظرفيَّة ، إِلَّا أَنَّها بالتركيبِ غُيِّرت ونُقلت ، وغيِّرت عن معناها بلزوم ما إِيَّاها إلى المستقبَل ، وخرجت بذلك إلى حيِّز الحروف. ولذلك قال سيبويه : ولا يكون الجزاءُ فى حيثُ ولا فى إِلاَّ[٣] حتَّى يضمَّ إلى كلٍّ واحدةٍ منهما ما ، إلخ . اهـ .

ورواه أَهل السِّيَرَ ، منهم ابن هشام[٤] :

* إمَّا أَتيت على النبىِّ فقُل له *

وعليه لا شاهد فيه ، وأَصله إنْ ما ، وهى إن الشرطية وما الزائدة .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للعباس بن مرداس الصَّحابى ، قالها فى غزوة حُنين يخاطب بِها النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، ويذكر بلاءَه وإقدامَه مع قومه فى تلك الغَزْوة وغيرِها من الغَزَوات ، وعدَّتها ستَّةَ عشرَ بيتًا ، وأَولها :

أبيات الشاهد

(يـأَيُّها الرَّجـلُ الذى تَهْوِى به — وَجْناءُ مُجمَرةُ المناسم عِـرمِسُ

إمَّا أَتيت على النبىِّ فقـل له — حَقًّا عليك إذا اطمـأَنَّ المجلسُ

٦٣٧ ياخيرَ مَنْ ركِبَ المطىَّ ومَن مشَى — فوقَ التُّراب إذا تُعَدّ الأَنْفُسُ

إنَّا وفَيْنـا بالذى عاهدتَنـا — والخيلُ تُقْدَع بالكُماة وتُضْرَسُ)

---

(١) فى النسختين : « والجواب » . والوجه ما أثبت من ابن يعيش ٧ : ٤٧ .
(٢) فى ابن يعيش : « كإنما » .
(٣) ط فقط : « إذا » تحريف ، صوابه فى ش وسيبويه وابن يعيش .
(٤) سيرة ابن هشام ٨٦٣ . وانظر أيضاً البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤٣ .

قوله : « يأَيُّها الرجل » إلخ تهوِى بكسر الواو : تُسرع . والوَجْناءُ : الناقة الغليظة الوَجَنات ، قال السُّهيلىُّ (فى الروض الأُنف) : وجْناءُ : غليظةُ الوجَنَات بارزُتها ، وذلك يدلُّ على غُؤور عينها ، وهم يصفون الإبل بغُؤور العينين عند طول الأَسفار . ويقال من الوَجْنة فى الآدميِّين : رجلٌ موجَّن وامرأة موجَّنة ، ولا يقال وجناء. قاله يعقوب . ومُجمَرة بالجيم : اسم مفعول من أَجمَرَ البعيرُ ، إذا أَسرَعَ فى سيره . والمناسم : جمع مَنسِم كمجلس ، وهو مقدَّم طرفِ خُفِّ البعير . قَال السُّهيلى : مُجْمَرة المناسم ، أى نَكَبتْ مناسمَها الجمار ، وهى الحجارة . وقد يريدُ أَيضاً أَنَّ مناسمها مجتمعة منضمَّة ، فذلك أَقوى لها . وقد حُكى : أَجمرت المرأَةُ شعرَها ، إذا ضَفرته. وأَجمر الأَميرُ الجيشَ، أى حبَسَه عن القُفول . والعِرمِس ، بكسر العين وسكون الراءِ المهملتين وكسر الميم ، قال السُّهيلىُّ : هى الصخرة الصُّلبة ، ويشبَّه بها[1] الناقة الجَلْدة .

وقوله : (إذْما دخلْتَ) إلخ جملةُ « دخلتَ» وجملة « أَتيتَ » فى الرواية الأُخرى فى محلّ جزمٍ شرطٌ لإذما أَو لإمَّا ، وجملة فقل كذلك جوابُ إذما وجزاؤه . وأَراد بالرَّسول والنبيِّ نبيَّنا محمدًا صلى الله عليه وسلم . وقوله : (حقًّا عليك) قال اللخمى : قيل إنَّه منصوب بقُل ، والصواب أَن يكون منصوباً على المصدر المؤكَّد به ، أَو نعتًا لمصدر محذوف ، لأَنَّ المقول ما بعد البيت ، وهو « يا خَيْرَ من ركب المطىَّ » إلخ. وعليك متعلِّق بحقًّا . وإذا ظرفٌ لقُلْ . واطمأَنَّ : سكَن . والمجلس ،

(١) فى الروض الأنف ٢ : ٢٩٨ : « وتشبه بها » .

قيل يريد أهلَ المجلسِ فحذف المضاف . وحكى أبو عليٍّ البغداديُّ[١] أنَّ المجلسَ النَّاسُ . وأنشد :

ذهب الخيارُ من المعاشِرِ كلُّهمْ واستَبَّ بعدكَ يا كليبُ المجلسُ[٢]

ويجوز أن يكون المعنى : إذا اطمأنَّ جلوسك .

وقوله : « يا خيرَ من» إلخ ، هذا مقول القول . وقد تعسَّف بعضُ أفاضل العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) بقوله : يا خير من ركب بيانٌ لقوله حقًّا أو بدل منه . ويجوز أن يكون واقعاً موقعَ القسم ، تأكيداً للأمر ، والمعنى : قل له قولاً حقًّا صدقاً واجبًا عليك ، أو قل له واللهِ يا خير الراكبين . هذا كلامه .

والمطىّ : جمع مطيَّة : البعير ، لأنه يُركَب مَطاهأى ظهره . وقوله : « ومن مشى » هو معطوف على من ركب ، أى ويا خير من مشى . وقوله : « إذا تُعَدُّ الأَنفس » إذا متعلِّقة بخير ، أى أنت خير الناس إذا عُدُّوا نَفْساً نفساً ، أى واحداً واحداً . ورواه ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : « إذا يُعدُّ الأَنْفَسُ » بالمثناة من تحت . وقال : الأَنفس بفتح الفاء ، على أنه أفعل تفضيل من النَّفاسة .

وقوله : « إنَّا وفَيْنا » إلخ هذا جواب النداء . وقوله : « والخيلُ تُقدَع» إلخ بالبناء للمفعول أى تُكَفُّ . وقيل تُقدع بمعنى تُضرب بالمِقْدَعة[٣] وهى العَصا . والكُماة : جمع كمىٍّ ، وهو الشُّجاع . وتُضْرَس بالبناء للمفعول أيضاً أىْ تُخرَج . وقال السُّهيلىُّ : أى تُضرَب أضراسُها باللُّجُم ، تقول : ضرَسْتُه أى ضربتُ أضراسه ، كما تقول : رأَستُه ، أصبتُ رأْسه .

(١) يعنى أبا على القالى فى أماليه ١ : ٩٥ .

(٢) البيت لمهلهل ، كما فى الأمالى . وانظر نوادر أبى زيد ٢٩ ومجالس ثعلب ٤٦ ، ٥٦٢ وابن الشجرى ١ : ٥٢ ، ١٨٤ ، ٣٢٤ .

(٣) ط : « بالقدعة » ، صوابه فى ش .

٦٣٨ والعباس بن مرداس السُّلَمى ، من بنى سُلَيم بضم السين : صحابىٌّ رضى الله عنه . وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع عشر من أوائل الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٦٨٧ (إذْماترينْىِاليومَ أُزجِىظَعِينَتِى أُصعِّدُ سيراً فى البلاد وأُفْرِعُ)

لما تقدَّم قبله . فترينى مجزوم بإذما بحَذْف النون ، والأصل ترينَنى ، فحذِفت الأُولى للجزم ، والثانية نون الوقاية ، والياءُ ضمير المتكلم وجزاءُ الشرط هو الثانى .

وقد أنشدهما سيبويه معاً ، فكان ينبغى للشارح المحقق إنشادُهما كذلك ، وهو :

(فإنِّىَ من قومٍ سِواكُمْ وإنَّما رجالىَ فَهْمٌ بالحجــاز وأَشْجَعُ)

فجملة إنِّى من قوم سواكم فى محل جزم جزاءُ الشرط ، والفاءُ للربط.

صاحب الشاهد والبيتان لعبد الله بن هَمَّام السَّلولى .

والإزجاءُ : السَّوق ، بالزاءِ المعجمة والجيم . يقال أَزجيت الإبل، إذا سقْتَها . وظعينتى مفعول أُزجِى . و (الظعينة) : المرأة ما دامت فى الْهَوْدج . وروى بدله : « مطيتى » . والمطيَّة : البعير .

وزعم بعض فضلاءِ العجم (فى شرح أبيات المفصل) أَنَّ ظعينتى منادًى ، ومفعول أُزجى محذوف تقديره : ركائبى .

---

(١) الخزانة ١ : ١٥٢ .

(٢) سيبويه ١ : ٤٣٢ والأصول لابن السراج ٢ : ١٦٥ والأزهية ٩٨ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٥ وابن يعيش ٧ / ٣٧ ، ٩ : ٦ .

وروى سيبويه : « مزجًّى ظعينتى » بصيغة اسم المفعول ، فيكون ظعينتى نائبَ الفاعل ، وذكَّر مُزْجًى والأَصل مزجاة بالهاء ، قاله ابن المستوفِى .

وجملة أُزجى حالٌ من الياءِ من تَرَيْنى لا مفعولٌ ثانٍ لترى ، لأَنَّها هنا بصريَّة . وكذلك مزجًّى حال .

وجملة أُصعِّد وأُفرِعُ تفسيرٌ لأُزجى وبيانٌ له . وقال ابن المستوفى : أُصعِّد موضعه النصب على الحال ، ولو جُعل بدلاً من مُزجًى على رواية من روى مطيَّتى ، جاز ؛ لأَنَّ معنى يُزْجِى مطيَّته معنى يصعِّد فى البلاد ويُفْرِع . قال صاحب الصحاح : وأَصعَد فى الوادى وصَعَّد فى الوادى تصعيدًا ، أَى انحدر فيه . وأَنشد هذا البيت ، فيكون أَفْرُع بفتح الهمزة مقابلاً له . قال صاحب الصحاح : وفرعت الجبل : صَعِدته ، وأَفرعت فى الجبل : انحدرت. قال رجلٌ من العرب : لقيت فلاناً فارعاً مُفرعاً ، يقول : أَحدنا مُصعِدٌ والآخر منحدر . وسيرًا : مصدر فى موضع الحال . وأَنشد الزمخشرى (فى المفصَّل) المصراعَ الأَوَّل كذا : « فإِمَّا ترينى اليومَ » على أَنَّ ما تزاد بعد إِنْ للتأْكيد .

وقوله : « فإِنِّىَ من قومٍ سواكم » .

فإِن قيل : كيف قال سواكم ، وهو يخاطب امرأَة ؟ فالجواب أَنَّه للتعظيم ، وربَّما خوطبت المرأَةُ الواحدة بخطابِ جماعةِ الذُّكور مبالغةً فى سَتْرها ، فيُعدَل عن الإِفرادِ والتأْنيث إِلى الجمع والتذكير ، فيبعد عن الضَّمير لها بمرتبتين . ومنه قوله تعالى حكايةً عن موسى : ﴿ فقالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا[1] ﴾ . وقال عُمر بن أَبى ربيعة مخاطبًا لامرأَة :

---

(٣) الآية ١٠ من سورة طه .

كم قد ذكرتكِ لو أُجزَى بذكرِكُمُ
يا أشبَه النَّاسِ كلٌّ النَّاسِ بالقَمَرِ[1]

وفَهْم بالميم لا بالراء ، وأشجع : قبيلتان . قال الأعلم[2] : انتمى الشاعر فى النَّسب إلى فَهْمٍ وأشجع ، وهو من سَلول بن عامر ، لأنّهم كلّهم من قيسِ عَيلان بن مضر .

وقائل هذين البيتين كما قال سيبويه وغيره : عبدُ الله بن همَّام السَّلولى .

وهذا نسبُه (من الجمهرة) : عبد الله بن همَّامٍ بتشديد الميم، ابنِ نُبَيشة بضم النون ، ابنِ رِياح بكسر الراء بعدها مثناة تحتية ، ابنِ مالك ابنِ الهُجَيم بالتصغير ، ابنِ حَوْزة بالحاء المهملة ، ابنِ عمير بنِ مرَّة بنِ صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . ٦٣٩

وكان يقال لعبد الله من حُسن شعره : « العَطَّار » .

وسَلول هى بنت ذُهْل بن شيبان بن ثعلبة ، كانت امرأة مُرَّةَ بنِ صعصعة ، وأولادها منه ينسبون إليها .

عبد الله بن همام

وعبد الله بن همام شاعر إسلامىٌّ من التابعين . قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هو من بنى مُرّة بن صعصعة من قيس عيلان . وبنو مُرَّة يعرفون ببنى سَلولَ ، وهى أُمُّهم ، وهى بنت ذُهْل بن شيبان من ثعلبة ، وهم رهط أَبى مريم السَّلولى ، وكانت له صحبة[3] . وعبد الله هو القائل فى عَريفِهم :

---

(١) ديوان عمر ١١٦ . ونسب فى العينى ٤ : ٨٨ إلى كثير . انظر ديوانه ٥٣١ .
(٢) ش : « قال الشاعر » ، تحريف . وانظر الشنتمرى ١ : ٤٣٢ .
(٣) واسمه مالك بن ربيعة ، وهو مشهور بكنيته . الإصابة ٧٦٢٥ .

ولمَّـــا خشِيتُ أظـافيره نجـوتُ وأرهنْتُه مالكا[١]
عَرِيفًا مقيمًا بدار الهـــوا نِ أهونْ علىَّ به هالكا[٢]

وهو القائل فى الفُلافِس[٣] :

أَقِلِّى علىَّ اللَّـــوْمَ يا ابنةَ مالكٍ[٤] . وذُمِّى زمانًا ساد فيه الفُـــلافِسُ
وســـاعٍ من السلطان ليس بناصح ومحترس من مثلهِ وهو حارسُ[٥]

وكان الفُلافس هذا على شُرطة الكوفة ، من قبل الحـــارث بن عبد الله بنِ أَبى ربيعة المخزومى ، أخى عمر بن أَبى ربيعة . وخرج الفُلافس مع ابنِ الأَشعث فقتله الحجَّاج .

وعبد الله هو القائل ليزيدَ بنِ معاوية[٦] :

اصبرْ يزيد فقـــد فارقتَ ذا مِقَـــةٍ
واشـــكرْ حِباءَ الذى بالملك ردَّاكا[٧]

---

(١) أنشدهما فى اللسان (رهن) وبعدهما بيتان ، هما :
وأحضرت عذرى عليه الشهـــو د إن عاذرا لى وإن تاركا
وقد شهد الناس عنـــد الإما م أنى عدو لأعدائكـــا
وفى اللسان وإصلاح المنطق ٢٣١ ، ٢٤٩ .
فلمـــا خشـــيت أظافيرهم نجـــوت وأرهنتهم مـــالكا
(٢) فى اللسان : « غريباً » .
(٣) فى الحيوان ١ : ٢١٦ وعيون الأخبار ١ : ٥٧ أن الفلافس هذا كان على شرطة الكوفة من قبل الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى ، أخى عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ، كما سيأتى . وفى ش : « الفلاقس » ، تحريف .
(٤) فى المحاسن والمساوى للبيهقى ١ : ٢٦٦ : « ياأم مالك » .
(٥) فى الحيوان وعيون الأخبار والشعراء : « وساع مع السلطان » . وفى المحاسن والمساوى للبيهقى : «كساع إلى السلطان »، مع نسبة البيتين إلى البر دخت الشاعر .
(٦) يعزيه عن أبيه معاوية . الشعراء ٦٥٢ والكامل ٧٨٥ .
(٧) فى الكامل: « ذا ثقة » . والمقة : المحبة ، ومقه يمقه . وفى الكامل أيضاً : « واشكر بلاء الذى بالملك أصفاكا » . وكذا نجد بقية الأبيات برواية أخرى فى الكامل .

لا رُزْءَ أعظَمُ بالأَقــوام قد عــلموا
ممَّــا رُزِئْتَ ولا عُقبَى كعُقبـاكا
أَصبحتَ راعىَ أَهـلِ الدِّين كُلِّهِمُ
فأَنت ترعاهُمــو والله يَرْعَـاكـا
وفى معــاويةَ البـاقِى لنا خَلَفٌ
إذا نُعِيتَ ولا نسمَـعْ بمنعــاكـا

* * *

وأنشد بعده :

(كبيرُ أُناسٍ فى بِجـادٍ مُزَمَّلِ)

على أن قوله (مزمَّل) جُرَّ لمجاورته المجرور ، وهو أُناس ، أو بجاد ، ولولاه لرُفع ، لأنَّه صفة لقوله كبير .

وقد تقدَّم شرحه مفصَّلاً مستوفًى فى الشاهد الخمسين بعد الثلثمائة[1] وهو عجزٌ ، وصدره :

(كأَنَّ أَبانًا فى عرانينِ وَبْلِهِ)

والبيت من معلَّقة امرئ القيس .

* * *

وأنشد بعده :

(فَمتَى واغـلٌ يَزُرْهم يُحيُّـو هُ وتُعطَفْ عليه كأْسُ السَّـاقى)

على أنَّه فصل اضطرارًا بين متى ومجزومه فعلِ الشرط بواغل ، فواغل فاعلُ فعلٍ محذوف يفسِّره المذكور ، أى متى يَزُرْهم واغل يَزُرْهم . والواغل : الذى يدخل على مَنْ يشرب الخمر ولم يُدْعَ إليها ، وهو فى الشَّراب بمنزلة الوارش فى الطَّعام ، وهو الطُّفيلىّ .

(١) الخزانة ٥ : ٩٨ .

وقد تقدَّم الكلام على هذا البيت فى الشاهد الحادى والستين بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده :

(أَينما الرِّيح تُميِّلها تَمِلْ)

لما تقدَّم قبله ، فتكون الريحُ فاعلةً لفعل محذوف يفسِّره المذكور ، أى أَينما تميِّلها الريح تميِّلها .

وقد تقدم الكلام على هذا البيت أَيضاً فى الشاهد الثانى والستين بعد المائة[٢] . وهو عجز وصدره :

(صعدة نابتة فى حائرٍ)

* * *

٦٤٠ وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الستمائة[٣] وهو من شواهد سيبويه :

٦٨٨ (ومَنْ نحن نؤْمِنْه يبِتْ وَهْوَ آمِنٌ)

لما تقدَّم قبله ، فنحن فاعل لفعل محذوف يفسِّره المذكور ، فلمَّا حُذف الفعل برز الضمير وانفصل ، والتقدير : فمن نؤمنه نؤْمِنْه .

قال سيبويه (فى باب الحروف التى لا تقدُم فيها الأَسماءُ الفِعل) : اعلم أَنَّ حروف الجزاءِ يقبح أَن تتقدَّم الأَسماءُ فيها قبل الأَفعال ، وذلك أَنَّهم شبهوها بما يَجزِم ممَّا ذكرنا ، إِلَّا حروف الجزاءِ ، قد جاز ذلك فيها

(١) الخزانة ٣ : ٤٦ — ٤٧ .
(٢) الخزانة ٣ : ٤٧ — ٥١ .
(٣) فى كتابه ١ : ٤٥٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٦٥ والإنصاف ٦١٩ والمغنى ٤٠٣ والهمع ٢ : ٥٩ .

فى الشِّعر، لأَنَّ حروف الجزاءِ يدخلها فعَل ويفعُل ، ويكون فيها الاستفهام فيُرفع فيها الأَسماءُ ، وتكون بمنزلة الذى ، فلما كانت تَصرَّفُ هذا التصرُّفَ وتُفارقُ الجزم ، ضارعت ما يجرُّ من الأَسماءِ التى إن شئْتَ استعملتَها غير مضافةٍ ، نحو ضاربٌ عبدَ الله ، فلذلك لم تكن مثل لم ولا فى النهى ، واللام فى الأَمر ، لأَنَّهنَّ لا يفارقْن الجزم . ويجوز فى الكلام فى (إن) إذا لم تجزْم فى اللفظ ، نحو قوله :

* عاودْ هَرَاةَ وإنْ معمورُها خَربا[1] *

فإن جزمت ففى الشعر ، لأَنَّه يشبَّه بلم. وإنَّما جاز فى الفصل ولم يشبه لأَنَّ (لم) لا يقع بعدها فعل. وإنَّماجاز هذا فى إنْ لأَنَّها أَصل الجزاءِ ، ولا تفارقُه ، فجاز هذا كما جاز إضمار الفعل فيها حين قالوا : إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًّا فشر . وأَمَّا سائر حروف الجزاءِ فهذا فيه ضعْف فى الكلام ، لأَنَّها ليست كإن، فلو جاءَ[2] فى إن وقد جزمَتْ كان أَقوى ، إذ جاز فيها فَعَل. وممَّا جاءَ فى الشعر مجزومًا فى غير إنقولُ عدىٍّ بن زيد :

فمتى واغلٌ ينُبْهم يحيُّوهُ . . . البيت

وقال :

* أَينَما الرِّيحُ تميِّلْها تمِلْ[3] *

ولو كانت فَعَل كان أَقوى ؛ إذْ كان ذلك جائزاً فى إن فى الكلام. واعلم أَنَّ قولهم فى الشعر : إنْ زيدٌ يأْتِكَ يكن كذا ، إنَّما ارتفع علىفعلٍ

---

(١) لشاعر من أهل هراة ، قاله عند ما افتتحها عبد الله بن خازم سنة ٦٦ . انظر ما كتبت فى حواشى سيبويه ٣ : ١١٣. وعجزه :

* وأسعد اليوم مشغوفاً إذا طربا *

(٢) فى سيبويه : « فلو جاز » .

(٣) لكعب بن جعيل ، كما فى سيبويه ١ : ٤٥٨ . وصدره :

* صعـــدة نابتـــة فى حائر *

هـذا تفسيرُه ، كما كان ذلك فى قولك : إنْ زيدًا رأيته[1] يكن ذلك ، لأنَّها لا يبتدأُ بعدها الأَسماءُ ثم يبنى عليها . فإن قلت: إن تأْتنى زيدٌ يقل ذلك، جاز على قول من قال: زيداً ضربته. وهذا موضع ابتداءٍ. أَلا ترى أَنَّك لو جئت بالفاءِ فقلت: إنْ تأْتنى فأَنا خيرٌ لك ، كان حسناً . وإن لم تجعله على ذلك[2] رُفع وجاز فى الشعر ، كقوله :

* الله يشكرها[3] *

ومثل الأَوَّل قول هِشامٍ المُرّىّ :

(فمن نحنُ نؤمِنْه يبتْ وهو آمنٌ ومن لانُجِرْهُ يُمْسِ منَّـا مفزَّعا)

انتهى كلامُ سيبويه ، ولنفاسته سُقناه بتمامه .

وقد أَورد ابن هشام هذا البيت (فى المغنى) قال: قولنا الجملة المفسِّرة لا محلَّ لها ، خالف فيه الشَّلوبين ، فزعم أَنَّها بحَسَب ما تفسِّره ، فهى فى نحو: زيدًا ضربته لا محلَّ لها، وفى نحو:﴿إنَّا كلَّ شىْءٍ خَلقْناهُ بقَدرٍ[4]﴾ ونحو زيدٌ الخبزَ يأْكله ،بنصب الخبز ، فى محلّ رفع. ولهذا يظهر الرفع إذا قلت آكِلُه . قال :

* فمن نحن نؤمِنْه يبتْ وهو آمنٌ *

٦٤١ فظهر الجزمُ . وكانت الجملة المفسِّرة عنده عطفَ بيان أَو بدلاً.

---

(١) فى النسختين : « إن زيد رأيته » ، وأثبت ما فى سيبويه :

(٢) فى سيبويه : « وإن لم يحمله على ذلك » .

(٣) قطعة من بيت هو الشاهد ٦٩١ ص ٤٩ . وتمامه .

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان

(٤) الآية ٤٩ من سورة القمر .

ولم يُثبت الجمهورُ وقوع البيان والبدل جملةً . وقد بيَّنت[١] أنَّ جملة الاشتغال ليست من الجمل التى تسمَّى فى الاصطلاح جملةً مفسِّرة وإنْ حصل فيها تفسير .

ولم يثبتْ جوازُ حذف المعطوف عليه عطفُ البيان ، واختُلِف فى المبدل منه .

(وفى البغداديات) لأَبى علىّ أنَّ الجزم فى ذلك بأَداة شرط مقدَّرة فإنَّه قال ما ملخَّصه أنَّ الفعل المحذوف والفعل المذكور فى نحو قوله :

* لا تجزعى إنْ منفسًا أهلكته[٢] *

مجزومان فى التقدير ، وأنَّ انجزام الثانى ليس على البدَليَّة ، إذ لم يثبت حذف المبدل منه ، بل على تكرير إنْ ، أى إن أهلكتُ منفسًا إن أهلكته ، وساغ إضمار إنْ لاتِّساعهم فيها . ا ﻫ .

والبيت لهشامٍ المرّى كما قاله سيبويه[٣] وغيره ، وهو منسوبٌ إلى مُرّة بن كعب بن لؤىٍّ القرشىٍّ ، وهو شاعر جاهلى . صاحب الشاهد

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الستمائة[٤] :

٦٨٩ (يُثنِى عليكَ وأنتَ أهلُ ثنائِهِ ولديك إنْ هو يستزِدْكَ مَزيدُ)

على أنَّ مجىء الشرط المفصول باسمٍ من أداة الشرط مضارعًا شاذٌّ ، وحقه أن يكون ماضيًا ، سواءٌ كان لفظًا ومعنى ، نحو : إن زيد قام قمت ، أو معنًى فقط نحو قوله[٥] :

(١) ش : « وقد ثبت » ، وما أثبت من ط يطابق ما فى المغنى .

(٢) للنمر بن تولب فى سيبويه ١ : ٦٧ والمقتضب ٢ : ٧٦ والخزانة ١ : ١٥٢، ٤٥٠/٤ : ٤١٠

(٣) ش : « كما قال سيبويه » .

(٤) الهمع ٢ : ٥٩ والأشمونى ٤ : ٣٠ والحماسة بشرح المرزوقى ١٠٤١ .

(٥) هو السموءل بن عاديا . الهمع ١ : ٦٣ / ٢ : ٥٩ والحماسة بشرح المرزوقى ١١١ .

وإنْ هو لم يَحْمِلْ على النَّفسِ ضيمَهَا
فليس إلى حُسْنِ الثَّنـــاءِ سبيـــلُ

وفيه نظر من وجهين :

الأَوَّل : أنَّه عمَّ فى أَداة الشرط ، وسيبويه خَصَّه بإنْ كما تقدَّم ، وتبعه مَنْ بعدَه .

الثانى : أنَّ مجىءَ المضارع ضرورةٌ لا شاذٌّ ، سواءٌ كانت الأَداة إن أو غيرها، كما تقدَّم عن سيبويه . وهو فى هذا الثانى تابعٌ لابن مالك (فى التسهيل) . ورُوِىَ :

* ولديك إمَّا يستزدْك مزيدُ *

فلا شاهد فيه . فإمَّا هى إن الشرطية وما الزائدة .

صاحب الشاهد — والبيت من أَبياتٍ ستَّةٍ لعبد الله بن عَنَمة الضَّبّىّ ، أَوردها أَبو تمّام (فى باب المراثى من الحماسة) ، وهى :

أبيات الشاهد

(أَأُبَىُّ لا تبعَــدْ وليس بخــالد ... حىٌّ ومن تُصِبِ المنــونُ بعيدُ
أَأُبَىُّ إنْ تصبحْ رَهينَ قــــرارةٍ ... زَلجِ الجوانبِ قعرُها ملْحودُ[1]
فلربَّ مكروب كررتَ وراءه ... فمنعتَــهُ وبنو أَبيــهِ شُهودُ
أَنَفًا ومَحمِيَــةً وأَنَّك ذائــدٌ ... إذ لا يكاد أَخو الحفاظ يذودُ
فلربَّ عانٍ قد فككتَ وسائلٍ ... أَعطيتَهُ فغَــدَا وأَنت حميــدُ
يُثنِى عليك وأَنت أَهلُ ثنائه ... ولديك إمَّــا يستزدْك مزيدُ)

وقوله : « أَأُبَىُّ » إلخ الهمزة للنداءِ ، وأُبَىّ منادى. ولا تبعَد: لا تهلِك

(١) الزلج ، بالفتح وبفتحتين : الزلق . ويروى : « زلخ » بالفتح وكفرح ، وهو بمعنى السابق . وفى ط : « ذلج » ، تحريف .

وأَخبَرَ أَنَّ ذلك ليس بكائن، من أَجْل أَنَّه لا يبقى على الدَّهر ذو حياة . والمَنونُ : المنيَّة . وبعيدُ خبر مبتدإٍ محذوفٍ ، أَى فهو بعيد .

وقوله : « تصبحْ رهينَ » ، إلخ أَى إنْ خلَّيت مكانك وصرت رهينَ قبر زلِقِ الجوانب[1] لا يُنعَش صريعُه ولا يفكّ رهينُه ، فلربَّ مكروبٍ ، أَى ربَّ مُضيَّقٍ عليه ، تعطَّفت عليه وأَنقذته .

وقوله :« أَنفاً ومحميَة » مفعول لأَجله ، أَى فعلت ذلك حميَّةً وأَنفة ، ولأَنَّ مِنْ سجيَّتك الذِّيادَ ، أَى المنع ، حين لا ذائدَ ، لشدَّة الأَمر .

والعانى : الأَسير ، من عنا يعنو إذا خضعَ. أَى وربَّ أَسيرٍ أَطلقته من إسارِه ، وربَّ سائلٍ أَعطيتَه فأَغنيتَه ، فانصرفَ عنك وأَنت محمودٌ مشكور ، وهو يثنى عليك ويشكر نِعْمتَك . ولو عاد إليك لوجد مَعَادًا ، إذْ لا تضَجُر ولا تسأَم من الإفضال والجود .

٦٤٢

وعبد الله بن عنمة شاعرٌ إسلامىٌّ مخضرمٌ ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الخمسين بعد الستمائة[2] .

* * *

وأَنشد بعده :

(أَينَما الرِّيحُ تميِّلْهَا تَمِلْ)

لما تقدَّم قبله . وتقدَّم الكلامُ عليه قريباً وبعيداً[3]

* * *

وأَنشد بعده :

(إنْ منفسٌ أَهلكتُه)

(١) فى النسختين : « رتق الجوانب » ، صوابه ما أثبت .
(٢) الخزانه ٨ : ٤٧١-٤٧٢ .
(٣) الخزانة ٣ : ٤٧ – ٥١ ، كما سبق هنا قريباً فى ص ٣٨ .

هو قطعة من بيت ، وهو :

(لا تجزعى إنْ مِنفسٌ أَهلكْتُه وإذا هلكتُ فعند ذلك فاجزَعى)

وتقدَّم الكلام عليه مفصَّلاً فى الشاهد السادس والأَربعين من أَوائل الكتاب[1]

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد الستمائة[2] :

٦٩٠ (وللخيلِ أَيّامٌ فمن يَصطبِرْ لهـا
ويَعْرِفْ لهـا أَيّامَهـا الخيرَ تُعْقِبِ)

على أَنَّ (الخيْر) مفعولٌ مقدَّم لتُعقِب، وتعقب مجزومٌ جواب الشرط، وإنَّما كسرت الباءُ لأَنَّ القصيدة مجرورة .

وإنَّما جاز الكسر فى المجزوم دون المرفوع والمنصوب لوجهين :

أَحدهما أَنَّ الجزم فى الأَفعال نظير الجرّ فى الأَسماء ، فلمَّا وجب تحريكُه للقافية حرّكوه بحركة النظير .

والثانى: أَنَّ الرفع والنصب يدخلان هذا الفعل ولا يدخله الجرَّ ، فلو حرّكوه بالضم أَو الفتح لالْتبس[3] حركةُ الإعراب بحركة البناء ، بخلاف الكسر فإِنَّه ليس فيهِ لَبْس .

صاحب الشاهد

قال يعقوب بن السكيت (فى شرح ديوان طفيل): أَراد تُعْقِبه الخيلُ الخيرَ؛ فقدَّم وأَخَّر . ا هـ .

وأَجابَ الدمامينى عن الكوفيين بأَنَّ الخيرَ صفةُ أَيامَها، أى أَيّامَها الطيِّبة ، فلا فصْلَ لأَنَّه ليس بمفعول للجزاء ،فجزم تعقب لعدم الفَصْل.

(١) الخزانة ١ : ٣١٤ – ٣٢٢ .
(٢) الإنصاف ٦٢١ . وانظر ديوان طفيل ١٦ كرنكو ، و٣٥ محمد عبد القادر .
(٣) ش : مع تصحيح : « لالتبست » ، وهما سواء .

وفيه نظر من وجهين :

أحدهما أنَّ الأيَّام هنا عبارةٌ عن الشَّدائد المتعلِّقة برياضة الخيل ، ومقاساةِ أهوالها ، فلا طيب بالشَّدائد على النفس ، والقرينة استعمال الصَّبر .

ثانيهما : أنَّ تُعقِب فعل متعدٍّ ، فلا بدَّ له من مفعول ، وليس هنا منزَّلاً منزلة الفعل اللازم . فإذا كان الخير صفة أيامَها ، لا يعلم ما الذى تُعْقبه الخيل . ويشهَدُ لما قلنا ما أنشدَه ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) ، وهو قول الشاعر :

* وكلَّ مُفَدَّاة العُلالة صِلدِمِ[1] *

قال : أى أعقبهم خيلهم هذِه[2] خيراً ، ممَّا قاموا عليها وصنَعوها. والأهوج : الذى يركب رأسه. والمِهْرج ، بكسر الميم : الكثير الجرى. وقوله : مفدَّاة العُلالة ، يقال لها إذا طُلب علالتُها وهى بقيَّة جريها : وَيْهاً فِدًا لك ، ومثله قولُ طفيل : « وللخيل أيّام » البيت . والعربُ لكثرة انتفاعها بالخيل تسمِّيها الخير ، قال الله تعالى : ﴿ إنِّى أَحبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى حتَّى توارَتْ بالحجاب[3] ﴾. ذكروا أنَّه لَهَا بالخيل وبالنَّظر إليها ، حتَّى فاتته صلاةُ العصر . وقال أبو ميمون العِجْلىّ : ٦٤٣

* والخيلُ والخيراتُ كالقرينينْ[4] *

---

(١) المعانى الكبير ٨٤ برواية : « كل أهوج ممرج » . وفى ديوان أوس بن حجر ١٢٠ : « مهرج » ، وكذا فى الأمالى ١ : ١٨٩ .

(٢) ط : « هذا » ، صوابه فى ش و المعانى الكبير .

(٣) الآية ٣٢ من سورة ص .

(٤) المعانى الكبير ٨٥ ، ١٧٦ وعيون الأخبار ١ : ١٥٦ . وفى عيون الأخبار : « فى قرينين » .

وقوله : « وللخيل أيام » مبتدأٌ وخبر ، وقوله : « ويعْرِف لها » معطوف على يصطبر ، ولهذا جزم . وتُعقِب ، أى تحدث الخيرَ فى العاقبة . والماضى أعقبَ بالهمزة ، وهو متعدٍّ لمفعولين كما فُهِم من ابن السكيت.

والبيت من قصيدةٍ طويلة عدّتها ستة وسبعون بيتاً ، قالها فى غارةٍ أغارها على طيِّئ أكثرُها فى وصف الخَيْل . وبعده :

أبيات الشاهد

وقـد كان حيَّـانَا عـدُوَّيْنِ فى الـذى
خَلا ، فعلَى ما كان فى الدهـر فارتُبِى[1]

إلى اليـومِ لم تَحدُثْ إليـكم وسيـلةٌ
ولم تَجِدُوها عنـدنا فى التنسُّبِ[2]

جـزيناهُمُ أمسِ العظيمـةَ إنَّنـا
متى مـا تكن منا الوسيقة نَطلب[3]

قال ابن السكيت : قوله فارتبى ، يريد فاثبتى أيتها العداوة . وقوله : « إلى اليوم » إلخ يقول : لم تكن بيننا مودّةٌ ولا نسب فيُستعطَف به . والوَسيقةِ : الطريدة . والعظيمة : الفظيعة[4] .

طفيل الغنوى

وطفيل الغنويُّ شاعر جاهلى ، وهو طفيل بن عوف بن خَلَف بن ضُبَيس بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن جِلَّان ، بكسر الجيم وتشديد اللام ، ابن غَنْم بفتح فسكون ، ابن غنىّ بن أعصُر . كذا فى الجمهرة .

---

(١) ويروى : « فارتب » بخطاب المذكر ، أى اثبت أيها الأمر .
(٢) ويروى : « لم نحدث إليكم » بالنون .
(٣) ويروى : « الفطيمة » ، وهى ما فطمهم وحرمهم ما أرادوه من الوقائع . وفى ط : « الوثيقة » بالثاء هنا وفى الشرح . صوابه فى ش والديوان .
(٤) ش : « القطيعة » .

قال الصولى (فى كتاب الكتاب[1]) فى خلال وصف الحِبْر : وسمَّوا طُفيلاً الغنوى محبِّراً ، لتحسينه شعره . وقيل سمِّى بذلك لقوله يصفُ بُرْدًا :

سماوتُه أَسمالُ بــردٍ محبّرٍ وســائرُه من أَتحَمِىٍّ مُعَصَّبِ[2]

وسَمَاوة البيت : سَقْفُه . والأَتحمىُّ : ضرب من البرود . ا هـ.

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء): كان طفيلٌ الغَنَوىُّ من أَوصف العرب للخيل ، فقال عبد الملك : من أَراد ركوب الخيل فلْيروِ شعرَ طفيل . وقال معاوية : دعُوا لى طُفيلاً ، وسائرُ الشُّعراءِ لكم . ا هـ .

وقال الأَصمعى : كان طفيلٌ أَحدَ نُعّات الخيل ، وكان أَكبر من النابغتين[3] ، وليس فى قيسٍ فحلٌ أَقدمُ منه ، وكان يسمَّى طفيلَ الخيل لكثرة وَصْفِه إِيّاها ، والمحبِّرَ لحسن وصفِه لها .

وقد أَورد الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) أَربعة شعراءَ كلٌّ منهم اسمه طُفيل ، أَحدهم هذا .

* * *

وأَنشد بعده :

(يا أَقرعَ بنَ حابسٍ يا أَقرَعُ إِنَّك إِنْ يُصرَع أَخوك تُصــرَعُ)

---

(١) كذا . وصوابه « أدب الكتاب » ، وهو لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى ، وقد طبع فى المطبعة السلفية ١٣٤١ بتحقيق محمد بهجة الأثرى . والنص فيه ص ١٠٥ .

(٢) البيت أيضاً فى ديوان طفيل ١٩ والكامل ٨٧ والأغانى ١٤ : ٨٦ ، ٨٧ والعينى ٣ : ٢٤ . ويروى : « من أتحمى مشرعب » . وما بعد هذا البيت من تفسير ساقط من النسخة المطبوعة من أدب الكتاب .

(٣) أى النابغة الذبيانى والنابغة الجعدى . وفى الأغانى ١٤ : ٨٥ عن الأصمعى قال : « كان طفيل أكبر من النابغة » . وفى الأصل هنا : « من الناعتين» ، والتصحيح بقلم الشنقيطى فى نسخته .

على أَنَّ الكوفيين استدلُّوا به على أَنَّ رتبة الجزاءِ التقديمُ، فرفع (تصرُع) مراعاةً لأَصله ، ولو كان رتبته التأْخير لجزم .

وأَجاب الشارح عنه بأَنَّه ضرورة، كما بيَّنه .

وهذا مأْخوذٌ من كلام سيبويه ، وهذا نصُّه : وقد تقول : إن أَتيتنى آتيك ، أى آتيك إن أَتيتنى . قال زهير :

وإنْ أَتاهُ خليلٌ يومَ مسأَلةٍ   يقول لا غائبٌ مالى ولا حَرِمُ

ولا يحسُن إن تأْتِنى آتيك ، من قِبَل أَنَّ إنْ هى العاملة . وقد جاءَ فى الشعر ، قال جرير بنُ عبد الله البَجلىّ :

يا أَقرعَ بنَ حابسٍ يا أَقرعُ   إنَّك إن يُصرع أَخوك تُصرعُ

أَى إنَّك تصرع إن يُصرَعْ أَخوك . ومثل ذلك قوله :

٦٤٤ هـذا سراقةُ للقرآن يدرسُه   والمرءُ عندالرُّشا إنْ يَلْقَها ذِيبُ[1]

أَى والمرءُ ذئبٌ إن يَلْقَ الرُّشا . قال الأَصمعىّ : هو قديم أَنشدَنيه أَبو عمرو . وقال ذو الرمَّة :

وإنِّى ، متى أُشرفْ على الجانب الذى

بِهِ أَنتِ من بين الجوانب ، ناظر[2]

أَى إنِّى ناظر متى أُشرفْ . فجاز هذا فى الشعر ، وشبَّهوه بالجزاء إذا كان جوابه منجزماً ؛ لأَنَّ المعنى واحد، كما شَبَّه « الله يشكُرها » ،

---

(١) هو الشاهد ٨٢ فى الخزانة ٢ : ٣ – ٤ . وانظر سيبويه ١ : ٤٣٧ وابن الشجرى ١ : ٣٣٩ والهمع ٢ : ٣٣ .

(٢) هو الشاهد ٦٩٢ . وسيأتى فى ص ٥١ .

جعَله بمنزلة يشكرها الله، وكما قالوا فى اضطرار : إن تأْتنى أنا صاحبك، تريد معنى الفاء، فتشبِّهه ببعض ما يجوز فى الكلام حذفُه وأنت تعنيه . وقد يقال إن أَتيتنى آتِكَ ، وإن لم تأْتنى أَجْزِكَ ، لأَنَّ هذا فى موضع الفعل المجزوم ، وكأَنَّه قال : إن تفعل أفعل. وتقول : إن تأْتنى فأُكرمُك، أَى فأَنا أُكرمك ، فلا بُدَّ من رفع فأُكرمك إذا سكت عليه [1] لأَنَّه جواب . وإنَّما ارتفع لأَنَّه مبنىٌّ على مبتدإٍ . انتهى كلام سيبويه .

فتخريج الشارح المحقق فى البيت خلافُ ما خرَّجه سيبويه ، فإنَّ الشَّارح جعل تصرع جوابَ الشرط مع مبتدإٍ محذوف مع الفاءِ الرابطة ، والتقدير : فأَنت تصرعُ ، والجملة الشرطية خبر إنَّ . وسيبويه جعل تصرع خبر إنَّ ، وجواب الشرط محذوف يدلُّ عليه ما قبله .

صاحب الشاهد

والرجز لعمرو بنِ الخُثارِم ، وتقدَّم شرحه فى الشاهد الحادى والثمانين بعد الخمسمائة [2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الستمائة ، وهو من شواهد س [3] :

٦٩١ (مَنْ يَفعلِ الحَسَناتِ اللهُ يَشْكُرُها)

على أَن الفاءَ الرابطة محذوفة من جواب الشرط ضرورة ، أَى فالله يشكرها.

---

(١) وكذا فى سيبويه ١ : ٤٣٧ . وفى ش : « إن أسكت عليه »

(٢) الخزانة ٨ : ٢٠ – ٢٩

(٣) فى كتابه ١ : ٤٣٥ ، ٤٥٨ . وانظر نوادر أبى زيد ٣١ والمقتضب ٢ : ٧٢ والأصول ٢ : ٢٠٤ ومجالس العلماء ٤٣٢ والخصائص ٢ : ٢٨ والمنصف ٣ : ١١٨ والمحتسب ١ : ١٩٣ وسر الصناعة ١ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ وابن يعيش ٩ : ٢ ، ٣ والمقرب ١ : ٢٧٦ والمغنى ٥٦ ، ٩٨ ، ١٣٩ ، ١٦٥ ، ٢٣٦ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٥١٧ ، ٦٣٦ ، ٦٤٧ والعينى ٤ : ٤٢٣ والتصريح ٢ : ٢٥٠ .

قال النحّاس : أبو العباس المبرِّد يجيز حذف الفاءِ فى الشعر .

ونقل العَينى عنه خلافه ، قال : وعن المبرد أنَّه منعَ ذَلك حتَّى فى الشعر .

ثم قال النحاس : وقال أبو الحسن: هو عندى جائزٌ فى الكلام إذا عُلم، ومنه قول الله عز وجل: ﴿ وما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبةٍ فبِمَا كَسَبَتْ أَيديكم[1] ﴾ وقرئ: ﴿ بما كسبت[2] ﴾ فاستُدِلّ بهذا على أن الفاءَ محذوفة. ومنه قوله تعالى : ﴿إنْ تَرَكَ خيراً الْوَصِيَّةُ للوالدَيْن[3]﴾. وكذلك جوَّزه ابنُ مالك، قال : ومنه حديث اللُّقطة : «فإنْ جاءَ صاحبُها وإلاَّ استمتعْ بها».

ثم قال النحاس : قال أبو الحسن : حدَّثنى محمد بن يزيد قال : حدّثنى المازنى أنَّ الأَصمعى قال : هذا البيت غيَّره النحويون ، والرواية :

* من يفعل الخير فالرَّحمنُ يشكرُهُ * ا هـ

وأبو الحسن قال هذا فيما كتبه على نوادر أبى زيد ، قال : أخبرنا أبو العباس عن المازنى عن الأصمعى أنَّه أنشدهم : « فالرحمٰنُ يشكره » . قال : فسأَلتُه عن الرواية الأُولى فذكر أنَّ النحويين صنعوها . ولهذا نظائرُ ليس هذا موضعَ شرحها . ا هـ .

وهذا مردودٌ ؛ لأنَّه طعنٌ فى الرُّواة العُدول .

وأغرب منه ما نقل ابن المستوفِى قال : وجدت فى بعض نسخ

(١) الآية ٣٠ من سورة الشورى .

(٢) هى قراءة نافع وابن عامر من السبعة ، وأبى جعفر يزيد بن القعقاع من العشرة . تفسير أبى حيان ٧ : ٥١٨ وإتحاف فضلاء البشر ٣٨٣ . وهى أيضاً قراءة شيبة ، كما فى تفسير أبى حيان .

(٣) الآية ١٨٠ من سورة البقرة .

الكتاب فى أصله : قال أبو عثمان المازنى : خبَّر الأصمعىُّ عن يونس قال : نحن عملنا هذا البيت .

وكذلك نقله الكرمانى (فى الموشَّح) .

صاحب الشاهد

والبيت نسبه سيبويه وخدَمته لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت رضى الله عنه ، ورواه جماعةٌ لكعب بن مالكٍ الأنصارى . وقبله بيتان وهما[1] :

٦٤٥

(إنْ يسلم المرءُ من قتلٍ ومن هَرَمٍ ... للذَّةِ العيشِ أفناهُ الجديدان[2]

فإنَّما هذه الدنيا وزينتُها ... كالزاد ، لابدَّ يومًا أنَّه فانى)

وترجمة كعب بن مالك تقدَّمت فى الشاهد السادس والستين[3] .

عبد الرحمن ابن حسان

وعبد الرحمن بن حسان يعرف نسبه من ترجمة والدِه رضى الله عنه ، وقد تقدَّمت فى الشاهد الحادى والثلاثين من أوائل الكتاب[4]

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[5] :

٦٩٢ (وأنِّى متى أشرِفْ على الجانب الذى

به أنتِ من بين الجوانب ناظرُ)

على أنَّ قوله (ناظر) جواب الشرط ، بتقدير مبتدإٍ محذوف مع الفاءِ الرابطة ، أى فأنا ناظر ، وتكون الجملة الشرطيَّة خبر أنّ .

(١) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ١٣٣ . والحديث أخرجه البخارى فى كتاب اللقطة ، يقوله صلوات الله عليه وسلامه لأبى بن كعب .

(٢) ديوان كعب بن مالك ٢٨٨ وحماسة البحترى ١٣٥ .

(٣) الخزانة ١ : ٤١٧ .

(٤) الخزانة ١ : ٢٢٧ — ٢٢٨ .

(٥) فى كتابه ١ : ٤٣٧ . وانظر المقتضب ٢ : ٧١ وديوان ذى الرمة ٢٤١ .

وهذا خلاف ما ذهب إليه سيبويه ، فإنَّ ناظراً عنده خبر إنّ ، والجملة دليل جواب الشرط المحذوف .

قال ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) : هذا عندسيبويه على تقديم الجزاء[1] : وإنِّى ناظر متى أشرف . وأجاز أيضاً أن يكون على إضمار الفاء . والذى عند أبى العباس وعندى فيه وفى أمثاله ، أنّه على إضمار الفاء لا غير ، لأَنَّ الجواب فى موضعه ، فلا يجوز أن يُنْوَى به غير موضعه إذا وُجد له تأْويل . ومثله :

* إنَّك إن يصرع أَخوك تصرعُ[2] *

فهذا على ماذكرتُ لك . وكذلك قوله :

. . . . . إنَّها مطبَّعةٌ من يأْتها لاَ يضيرها[3]

أَراد : لا يضيرها مَنْ يأْتها ، وإنَّك تصْرعُ إنْ يصْرع أَخوك ، وهو عندنا على إضمار الفاء . فأَما قوله :

* من يفعل الحسناتِ الله يشكرها *

فعلى إضمار الفاء فى كلِّ قول . اهـ .

وسيأْتى نقل كلام المبرد فى الشاهد السادس والثمانين[4] بأَبسط من هذا .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لذى الرمة ، وهذا مطلعها :

---

(١) ش : « تقديم الخبر » ، صوابه فى ط . والمراد ما تضمن معنى الجزاء أى جواب الشرط .

(٢) هو الشاهد ٥٨١ وقد سبق فى ٨ : ١٩ - ٢٩ .

(٣) هو الشاهد ٦٩٤ فيما سيأتى ص ٥٧ .

(٤) ش : « الشاهد السادس والثلاثين » . وكلاهما خطأ . وأرى أنه يشير إلى ما سيأتى فى الشاهد السابع والتسعين بعد الستمائة فيما سيأتى .

أبيات الشاهد

(لميَّـــة أَطلالٌ بحُزْوَى دواثرُ عَفَتْها السَّوافِى بعــدنا والمواطرُ
كأَنَّ فؤادى هاضَ عرفانُ ربعها بهِ وَعْىَ ســاقٍ أَسلَمتْهَا الجبائرُ
عشيّةَ مَسعود يقولُ وقــد جَرَى على لحيتى من عَبرة العَين قاطرُ
أَفى الدار تبكى أَنْ تفرَّقَ أَهلُها وأَنت امرؤٌ قد حلَّمَتك العشائرُ
فلا ضيرَ أَن تستعبِرَ العينُ إِنَّنى على ذاك إِلاَّ جَولةَ الدَّمع صابرُ
فيامىّ هل يُجزَى بكائى بمثــله مِرارًا وأَنفاسى إِليكِ الزوافــرُ
وأَنّى متى أُشرف على الجانب . . . .) البيت

قوله : « لمية أَطلال » الخ حُزوى : اسم مكان . والدواثر : التى قد انمحت . وعَفَتها : محتها . والسَّوافى : الرياح التى تَسفى التراب .

وقوله : « كأَنَّ فؤادى » الخ الهَيْض : الكسر بعد الجبر ، وضمير به للفؤاد . والوَعْى : الجَبْر . وأَسلمتها : خذَلَتْها . والإِسلام : التخلية والخِذلان. والجبارة بالكسر : ما شددت به الكَسْرَ من الأَعواد . وعرفانُ فاعل هاضَ ، ووعْىَ مفعوله .

وقوله : « عشية مسعود » هو أَخو ذى الرمة . وقوله : « فى الدار » الخ هو مقول مسعود ، وأَن تفرَّقَ مجرور باللام المقدرة ، و« أَنت امرؤ » الخ جملة حالية . وحلَّمَتْك : وصفَتْك بالحلم .

٦٤٦

وقوله : «فلا ضَير» إلخ الضَّير : الضَّرَر . وصابر : خبر إِنَّنى ، يريد : إِنَّنى صابر على ذلك الوَجْد إِلّا جولةَ الدَّمع ، أَى يَجول فى العين[1] .

وقوله : « فيامى » إلخ هو مرخم ميَّة . ويُجزَى ببناءِ المفعول ، يريد :

---

(١) ط : « تجول فى العين » .

هل تبكين مثلَ ما أبكى مرارًا . والزَّفير : إدخال النَّفَس إلى الجوف . والشَّهيق : إخراجه .

وقوله : (وأنى متى أُشرف) الخ ، هو بفتح الهمزة معطوف على المستثنى ، وهو جَولة الدَّمع . قال شارح ديوانه : يريد: إننى على ذاك صابر إلاَّ جولةَ الدَّمع وأنِّى متى أُشرِف . والأَقرب أن يكون معطوفاً على بكائى ، أى هل يُجزَى نظرى إليك فى كل جهة كنتِ فيها[1] ، أى هل تنظرين إلىَّ كذلك . أو المعنى : هل تجزيننى على هذه المحبّة . والتاءُ من أنتِ مكسورة .

وترجمة ذى الرمة تقدَّمت فى الشاهد الثامن من أوَّل الكتاب[2] .

* * *

وأنشد بعده :

(فأَنتِ طـلاقٌ والطَّـلاقُ أَليّةٌ)

على أنَّ جملة (والطَّلاق أَليّة) اعتراضية ، وقعت بين المصدر وهو طلاق ، وبين عدده وهو ثلاثًا فى المصراع الثانى ، وهو :

(ثلاثاً ومن يَخْرَقْ أَعقُّ وأَظلَمُ)

وتقدَّم الكلام عليه بما لا مزيدَ عليه فى الشاهد الخامس والأَربعين بعد المائتين[3] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الستمائة[4] :

(١) ط : « فيه » ، صوابه فى ش .
(٢) الخزانة ١ : ١٠٦ .
(٣) الخزانة ٣ : ٤٥٩ — ٤٧١ .
(٤) ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٢ : ٤٦٩ وتحرير التحبير ٣٦٠ .

٦٩٣ (يَرَى كلَّ مَن فيها وحاشاكَ فانيًا)

على أَنَّ جملة (وحاشاك) اعتراضية وقعت بين مفعولى يرى ، أَوَّلُهما كلَّ ، وثانيهما فانيا .

وهذا عجزٌ ، وصدره :

(وتَحتقر الدُّنيا احتقارَ مجرِّبٍ [1])

والبيت فيه من أَنواع البديع التكميلُ ، وهو أَن يأْتَىَ الشاعرُ أَو المتكلِّم بمعنًى من معانى المدح أَو غيره من فنون الشعر وأَغراضِه ، ثم يرى مَدحَه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غيرَ كامل ، فيكمِّل بمعنًى آخر ، كمن أَراد مدح إِنسانٍ بالشجاعة ، ورأَى مدحَه بالاقتصار عليها دون الكرم مثلاً ، غير كامل ، فيكمِّله بذكر الكرم ، أَو بالبأْس دون الحلم وما أَشبهه .

قال ابن أَبى الإِصبع (فى تحرير التحبير) : وممَّا وهِمَ فيه المؤلِّفون فى هذا الموضع أَنَّهم خلطُوا التكميل بالتتميم ، إِذ ساقوا فى باب التتميم شواهد التكميل ، لأَنَّهم ذكروا قول عَوف :

إِنَّ الثمانينَ وبُلِّغْتَها قد أَحوجَتْ سمعى إِلى تَرجُمانِ

من شواهد التتميم . ومعنى البيت تامٌّ بدون لفظة وبُلِّغتها . وإِذا لم يكن المعنى ناقصاً فكيف يسمَّى هذا تتميما؛وإِنَّماهو تكميل . وما غلَطُهم إِلاَّ من كونِهم لَم يَفْرِقوا بين تتميم الأَلفاظ وتتميم المعانى . وكذلك أَتوا بقول المتنبى :

* وتحتقر الدنيا احتقارَ مجرِّب * البيت .

---

(١) ط : « ويحتقر » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابهما فى ش والديوان .

فى باب التتميم ، وهو مثل الأوّل وإن زاد على الأول أدنى زيادةٍ[١] لما فى لفظة حاشاك[٢] بعد ذكر الفَناءِ من حُسْن الأدب مع الممدوح . وربَّما سُومِحَ بأَن يُجْعل هذا البيتُ فى شواهد التتميم بهذه اللفظة . وأَمّا الأوّل فمحض التكميل ، ولا مدخل له فى التتميم . ا هـ .

وقد ذكر التتميم فى أَوَّل كتابه[٣] وقال : سمّاه ابن المعتز اعتراضَ كلامٍ فى كلام لم يتمَّ معناه ، ثم يعودُ المتكلم فَيُتمُّه . وشَرح حدَّه أَنَّه الكلمة التى إذا طُرِحت من الكلام نَقص حُسْنُ معناه أَو مبالغتُه ، مع أَنَّ لفظَه يُوهم بأَنَّه تامّ . ومجيئه على وجهين : للمبالغة ، والاحتياط . ويجىءُ فى المقاطع كما يجىءُ فى الحَشْو . هذا كلامه . ٦٤٧

ولا يخفى أَنَّ هذا الحدَّ منطبقٌ على البيت .

وأَما أَنا فالبيت عندى من الاحتراس ، وهو أَن يأْتىَ المتكلِّم بمعنًى يتوجَّه عليه دَخَلٌ ، فيفطِنُ له فيأْتى بما يخلِّصه من ذلك .

قال ابن أَبى الإِصبع : والفرق بين الثلاثة أَن المعنى قبلَ التكميل صحيح تامّ ، ثم يأْتى التكميل زيادةً يكمُل بها حُسنه ، إمّا بفنّ زائد أَو بمعنًى . والتتميم يأْتى ليتمِّمَ نقص المعنى . والاحتراس لاحتمالِ دَخَلٍ على المعنى وإنْ كان تامًّا كاملاً .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ للمتنبى مدح بها كافورًا الإِخشيدىَّ . وقبل هذا البيت :

---

(١) وكذا فى تحرير التحبير . وفى ش : « أوفى زيادة » .

(٢) ش : « حشاك » ، تحريف .

(٣) تحرير التحبير ١٢٧ . وفيه : « باب التمام ، وهو الذى سماه الحاتمى : التتميم » .. الخ .

(وقد تَهبُ الجيشَ الذى جاءَ غازيًا لسائلك الفَرْدِ الذى جاءَ عافيَـا)

يقول : إذا غزاك جيشٌ أخذتَه فوهبته لسائلٍ واحد أتاك يسأَلك .

وقوله : « وتحتقرُ الدُّنيا » إلخ هو بالخطاب. وجملة يرى إلخ صفة لمجرِّب . يقول: أنت تحتقر الدنيا احتقارَ مَنْ جرَّبها فَعَرَفها ، وعلمَ أَنَّ جميع ما فيها يفنى ولا يبقى، أى فلذلك تَهبُهَا ولا تدَّخرها . وقوله: (وحاشاك) استثناءٌ ممَّا يفنى . وذكر هذا الاستثناء تحسينًا للكلام واستعمالاً للأَدب فى مخاطبة الملوك ، وهو حَسَنُ الموقع .

وترجمة المتنبي تقدَّمت فى الشاهدالحادى والأَربعين بعد المائة[١] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٢] :

٦٩٤ (فقلتُ تحمَّلْ فوقَ طَـوْقِكَ إنَّهـا
مُطَبَّعةٌ مَنْ يـأْتِهـا لايَضِيرُهـا)

على أَنَّ التقدير عند سيبويه : لا يضيرُها من يأْتها ، فهو مؤخَّر من تقديم .

وهذا نصٌّ سيبويه : وقد يجوز فى الشعرِ : آتى من يأْتنى . وقال الْهُذَلِىّ :

فقلت تحمل فوق طوقك . . . البيت

(١) الخزانة ٢ : ٣٤٧ – ٣٦٣ . وفى ش : « الواحد » بدل « الحادى » .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٣٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٧٢ والأصول ٢ : ٢٠٢ وابن يعيش ٨ : ١٥٨ والتصريح ٢ : ٢٤٩ والعينى ٤ : ٤٣١ والأشمونى ٤ : ١٨ وديوان الهذليين ١ : ١٥٤ والسكرى ٢٠٨ .

هكذا أنشدناه يونس، كأنَّه قال : لا يضيرها مَنْ، كما كان وأَنِّى متى أُشرِفْ ناظرٌ على القلب . ولو أُريد به حذف الفاء جاز فجعلت كإنْ . ا هـ .

قال الأَعلم : وهذا عند المبرِّد على إرادة الفاء ، لأَنَّ يضير إذا تقدمت على مَنْ ارتفعت مَنْ به . ويلزم منه أَن يبطل عملُها من الجزم ، لأَنَّ حرف الشرط لا يَعمَلُ فيه ما قبله . والحجَّة لسيبويه أَنَّه يقدِّر الضمير فى يضير على ما هو عليه فى التأْخير . ومَنْ مبتدأَة على أَصلها ، فلا يلزم أَن ترتفع مَنْ به ، وتبطل من عمل الجزم . هذا كلامه .

وسننقل كلام المبرد فى الشاهد الثالث والثمانين[1] .

وقد تكلَّم أَبو علىّ (فى كتاب الشعر) على فاعل يضير على التقديرَين فقال : من قدَّر فيه التقديم كان فاعل لا يضيرها ضَيْر ، فأَضمر الضَّير له لدلالة يضير عليها . والضَّير قد استُعمِل استعمالَ الأَسماءِ فى نحو لا ضير ، كأَنَّه قد صار اسماً لما يُكرَه ولا يراد . ومن قدَّر الفاءَ محذوفة أَمكنَ أَن يكون الفاعل عندنا أَحدَ شيئين : أَحدُهما الضَّير كقول من قدَّر التقديم . ويجوز أَن يكون فاعل يضير ضميرًا من الذى تقدَّم ذكره . ا هـ .

أَراد بما تقدَّم التحمُّل فوق الطاقة .

صاحب الشاهد ٦٤٨

والبيت من قصيدة عدَّتها سبعةَ عَشَرَ بيتًا لأَبى ذؤيب الهذلى ، قالها فى ابن أُخته خالد بن زهير ، وكان خاله أَبو ذؤيب فى صِغَره رسولاً من وهب بن جابرٍ إلى امرأَةٍ من هذيل كان يتعشَّقها وهبٌ ، وكان أَبو ذؤيب

(١) انظر ما سبق فى حواشى ص٥٢ . وانظر أيضاً الشاهد ٦٩٧ .

جميلاً فرغبت فيه واطَّرحت وَهبًا ، ففشا أَمرُهما فى هذيل ، فكان يُرسل إليها ابنَ أُخته خالد بن زهير ، وعاهده على أن لا يخونه فيها ، فلم تلبث أن عشِقت خالدًا وتركت أَبا ذؤيب ، فجرى بين أَبى ذؤيب وبين خالدأَشعارٌ كثيرة منها هذه القصيدة، وأَجابه خالدٌ بقصيدةِ على رويِّها ، منها :

فــلا تجزعَنْ مِن سُنَّةٍ أَنتَ سِرْتَهــا
فأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَن يسيرُهـــا

وقد شرحنا حالهما وما لَهما فى الشاهد الثامن والأَربعين بعد الثلثمائة وفى الشاهد الستين بعد السمائة[1] .

وهذه أَبياتٌ من أَوَّل قصيدة أَبى ذؤيب :

(ما حُمِّل البُخْتِىُّ عــامَ غيــارِهِ
عليــه الوُسوقُ بُرُّها وشَعيرُهــا
أَتى قريةً كانت كثيرًا طعامُها
كرَفغِ التُّرابِ كلُّ شىءٍ يَميرُها[2]
فقيل تحمَّلْ فوق طَــوقك إنَّها
مُطبَّعة من يــأْتِهــا لا يَضيرها
بــأَكثَرَ مِمَّا كنتُ حمَّلتُ خالداً
وبعض أَمانات الرجال غُرورُها)

قوله : « ما حُمِّل البختى عامَ غياره » ما نافية. والبُختىُّ نائب فاعل حُمِّل ، وهو واحد البُخْت ، وهو نوع من الإبل . والغِيار، بكسر المعجمة ، مصدر غارهم يَغِيرهُم ، إذا مارهم ، أَى أتاهم بالمِيرة بالكسر ، وهى الطَّعام . والوُسوق : جمعَ وَسْق ، وهو حِملُ بعيرٍ ، وجملة عليها الوسوقُ تفسير لقوله : حُمِّلَ البختىّ . وبُرُّهَا وشعيرها بدلٌ من الوُسوق ، بَدل مفصَّل من مجمَل . وإضافة البُرّ والشعير إلى ضمير الوسوق لأَدْنى ملابسَة ، لأَنَّهما

(١) الخزانة ٥ : ٨٣ – ٨٦ و٨ : ٥١٥ .
(٢) البيتان التاليان ساقطان من ش

يصيران وسُوقاً . واختار البختىَّ على البعير لأَنَّه أَشدُّ منه وأَقوَى على زيادة التحمُّل . ولهذا قال : « عليها الوسوق » . يعنى أَنَّ هذا البختىَّ حُمِّل أَضعافَ ما يَحْمِله غيرُه من الإبل .

وقوله : « أَتى قريةً » إلخ فاعل أَتى ضمير البختى . والجملة حالٌ من البختى . وقوله : « كرَفْغ التُّراب» أَى ككثرة التُّراب، وأَصلُ الرَّفغ اللِّينُ والسهولة، وهو بالفاءِ والغين المعجمة. وقوله : « يَمِيرها » هو على القلب، أَى كل شىءٍ تميرهُ هذه القرية، فقَلب، فجعل الفاعل وهو ضمير القرية مفعولاً وأَسند الفعل إلى ضمير كلِّ شىءٍ . والنُّكتة فيه أَنَّ كلَّ شىءٍ يُعطى هذه القريةَ الميرةَ ، حتَّى اجتمع فيها الطعام ككثرة التراب . وقال القارى (فى شرحه) : قوله يميرها ، يريد يمتار من القرية. قال الباهلى : كلُّ شىءٍ يمير لها .

أَقول : الوجه الأَوَّل معنى الكلام قبل القلب، والثانى معناه بعدَ القلب ،كما قلنا فيها .

وقوله : (فقلتُ تحمَّلْ) إلخ رواية السكرى: « فقيل تحمَّلْ » وهى الجيّدة ، أَى وقيل للبختى تحمَّلْ فوق طاقتك ، وقوله : (إِنَّها) أَى إِنَّ هذه القرية مطبَّعة ، أَى مختومة بالطَّابَع . يعنى أَنَّ هذه القرية مملوءَةٌ بالطعام ، لأَنَّ الخَتْم إِنما يكون غالبًا بعد الملءِ . وفيه مبالغة لا تخفى . وجملة إِنَّها مطبَّعة استئنافٌ بيانىٌّ ، كأَنَّه سأَل البختىَّ هل يَدَعوننى أَن أَتحمَّل فوق طاقتى من هذه القَرْية . فهو سؤالٌ عن السببِ الخاصِّ للحكم ، لا عن سبب الحكم مطلقًا، فلهذا أَكَّد بإِنَّ. والجملة الشرطيَّة خبر ثان لإِنَّ . وضاره ضَيرًا ، من باب باع : أَضرَّ به .

وقولهُ : (بأكثر مما كنتُ) إلخ يقول : ماحُمِّل هذا البختى من الطَّعام بأكثرَ ممَّا كنتُ حَمّلت خالدًا من الأَمانة . والغُرور بالضم : الغفلة ، والضمير للرِّجال .

وترجمة أَبى ذؤيب الهذلى تقدمت فى الشاهد السابع والستين[1] . ٦٤٩

* * *

وأَنشد بعده :

(والمرءُ عِند الرُّشَا إنْ يَلْقها ذِيبُ)

على أَنَّ التقدير عند سيبويه : والمرءُ ذِئْبٌ ، فأَخَّر خبر المبتدإ بعد الشرط ، وتكون الجملة دليلَ الجواب المحذوف .

وعند المبرِّد «ذيبٌ» هو الجزاءُ ، بتقدير المبتدإ مع الفاء، أَى : فهو ذيب ، وتكون الجملة الشرطية خبر المبتدأ .

وهذا عجزٌ وصدرُه :

(هذا سُراقَةُ للقُرآنِ يَدرُسُه)

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد الثانى والثمانين[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد السمائة ، وهو من شواهد س[3] :

٦٩٥ (على حِينِ مَنْ تَلْبَثْ عليه ذَنُوبُه
يَجِدْ فَقْدَها إذْ فى المَقَام تدابُرُ)

---

(١) الخزانة ١ : ٤٢٢ .
(٢) الخزانة ٢ : ٣ — ٤ .
(٣) فى كتابه ١ : ٤٤١ . وانظر الإنصاف ٢٩١ والهمع ٢ : ٦٢ وديوان لبيد ٢١٧ .

على أنَّ جزم أدوات الشرط المضاف إلى جملتها ظرف ، خاصٌّ بالشعر كما فى البيت ، فإنّه جازى بمَنْ مع إضافةحين إلى جملة الشَّرط ضرورةً ، وحكمُها أن لا تضاف إلَّا إلى جملةٍ خبريَّة ، لأَنَّ المبهماتِ إنَّما تفسَّر وتُوصَل بالأخبار ، لا بحروف المعانى وما ضُمِّنت معناها . وجاز هذا فى الشِّعر [تشبيهًا[1]] لجملة الشرطبجملة الابتداء والخبر ، والفعلوالفاعل.

قال سيبويه : وقد يجوز فى الشِّعر أَن يُجازَى بعد هذه الحروف فتقول: أَتذكر إذْ من يأْتنا نأْته ، فإنَّما أَجازُوه لأَنّ إذْ[2] لا تغيِّر مادخلت عليه عَن حالِهِ[3] قبل أَن تجئ بها[4] ولا تغيِّر الكلام ، كأَنَّا قلنا : من يأْتنا نأْتِه ، كما أَنَّا إذا قلْنا : إذْ عبد الله منطلق ، فكأَنَّا قلنا : عبد الله منطلق ، لأَنَّ إذْ لم تُحدِثْ شيئًا قبل أَن تذكرها . قال لبيد :

على حين من تلبث عليه ... البيت .

ولو اضطُرّ شاعر فقال: أَتذكر إذ إنْ تأْتنا نأْتِك ، جاز له كما جاز فى مَنْ[5] . وتقول: أَتذكر إذ نحن من يأْتنا نأْتِه ، فنحن فصَلَتْ[6] بين إذ وَمن . وتقول : مَررت به فإذا من يأْتيه يُعطيه ، وإن شئت جزمتّ ؛ لأَنَّ الإضمار يحسُن هنا . أَلا ترى أَنَّك تقول : مررت به فإذا أَجملُ الناس ، ومررنا به فإذا أَيُّما رجلٍ . فإذا أَردت الإضمار فكأَنَّك قلت : فإذا هو من يأْته يعطيه ، فإن لم تضمر فهى بمنزلة إذْ ، لايجوز فيها الجزم .

(١) التكملة من ش
(٢) فى سيبويه : لأن إذ و هذه الحروف » .
(٣) ط : « من حالة » ، صوابه فى ش وسيبويه .
(٤) ش : « أن يجيء بها » .
(٥) ط : « فيمن » ، صواب كتابته فى ش وسيبويه .
(٦) ط : « فصلنا » ، صوابه فى ش وسيبويه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للبيد بن ربيعة الصَّحابى ، وكان له فى الجاهلية جارٌ من بنى القَين قد لجأ إليه ، فضربه عمُّه عامرٌ بالسَّيف ، فغضِب لذلك لبيدٌ وقال هذه القصيدة ، يعدِّد على عمه بلاءَه عنده ، ويُنكِر فعلَه بجاره .

وقد تقدَّم شرحُ أبياتٍ منها فى الشاهد الثالث عشر بعد الخمسمائة [1] .

أبيات الشاهد

وقبل هذا البيت :

(ودَافعتُ عنك الصِّيدَ مِن آلِ عامرٍ
ومنهم قَبيلٌ فى السُّرادق فاخرُ [2]
وذُدْتُ معدًّا والعِبَادَ وطيِّئًا
وكلباً كما ذِيدَ الخماسُ البواكر)

على حين مَنْ تلبث ..... البيت

الصِّيد : الرؤساءُ المتكبِّرون . يقال للسيِّد المتعاظم أَصْيَد ؛ لميله [3] رأْسَه مِن الكِبْر والعظمة ، تشبيهًا بالجمل الأَصيَد ، وهو الذى به داءٌ يأْخذ البعير فَيَرِمُ أَنفُه فيشمَخ ويَميل رأْسُه لذلك الوَجع . والقبيل : الجماعة من قوم شتى . والسُّرادق : ما يُدار حولَ الخيمة من شُقَقٍ بلا سَقْف ، وقيل هو الفسطاط ، وقيل هو كلُّ بيت من قُطْن . وفاخرٌ ، يريد يفخرون عليك .

٦٥٠

(١) الخزانة ٧ : ٩١ — ٩٧ .

(٢) فى الديوان ٢١٦ : « من آل دارم » ، وهو الصواب ، لأن بعد هذا البيت فى الديوان :

فقيم وعبد الله فى عز نهشل بثيتل ، كل حاضر متناصر

وفقيم هم بنو فقيم بن دارم بن مالك . وكذلك نهشل ، بنو نهشل بن دارم وعبد الله أيضاً ، بنو عبد الله بن دارم .

(٣) فى هامش ش : «كذا بخط المؤلف ، والصواب لتمييله » .

وقوله : « وذُدت مَعدًّا » إلخ . الذَّودْ : الطرد . ومعدٌّ: أبو قبيلةٍ ، أراد من ينسَب إليه من أولاده . والعِباد بالكسر : قبائل شتَّى من بطون العرب ، اجتمعوا على النَّصرانية بالحيرة ، والنسبة إليهم عِبادىٌّ . وطيِّئٌ بهمزة الآخر على وزن فيعل ، وهو القبيلة المشهورة بلا همز . وكلبٌ أيضاً : قبيلة . والخِماس، بالكسر: الإبل التى لا تشرب أربعة أيام . والبواكر : التى تُبْكِر غداةَ الخِمْس .

وقوله : (على حينِ مَنْ تَلبث) على متعلقة بقوله ذدت ، وحين يجوز جرُّها بالكسرة ويجوز بناؤها على الفتحة ، لأنَّ الظروفَ المضافة إلى الجمل يجوز إعرابها وبناؤها على الفتحة . واللَّبْثُ : البطءُ . والذَّنوب ، بفتح الذالِ المعجمة ، قال صاحب المصباح[1] : هى الدَّلو العظيمة . قالوا : ولا تسمَّى ذنوباً حتَّى تكون مملوءةً ماءً . وتذكَّروتؤنث[2] . وقال الزجاج : مذكَّر لا غير . ا هـ . ويردُّ عليه حَضْرَه هذا البيتُ ، فإنَّ الضمير فى « فَقْدَها » مؤنَّث ، وهو عائد إلى الذَّنوب . و (التَّدابُر) : التقاطُع . وأصله أن يولِّىَ كلُّ واحد من المتقاطعين صاحبَه دُبُرَه . يقول لعمِّه عند قيامه فى مقام النُّعمان بن المنذر ملكِ الحِيرة مع خصومه : أنا دافعتُ عنك بلسانى فى مجمعٍ . يقول : قمتُ بفخرك وأيَّامك على حين من لا يقوم بحجَّته . وهذا على المثلَ . يعنى أنَّه نَصرَه فى وقت إن تبطئ فيه الحجّة عن المحتجّ يَهلِكْ ولا يمكنْه أن يتلافَى ما فَرَطَ منه . وقوله : (يجِدْ فقدها) معناه يؤلمه فقدُها ، كما يقال وَجَد فلان فَقْدَ فلانٍ ، إذ انقطع عنه نفعُه فأثَّر ذلك فى حاله . وروى : (تداثر)

---

(١) ط : « الصحاح » ، صوابه فى ش . وانظر المادة فى المصباح المنير .

(٢) بعده فى المصباح : « فيقال هو الذنوب ، وهى الذنوب » .

بالمثلَّثة بدل (تدابُر) بالموحَّدة ، وهو التزاحم والتكاثُر . جَعل الجمعَ الذينَ عند الملك بمنزلةِ المزدحِمينَ على الماء ليَسقُوا إبلَهم . وأصل الدَّثْر المال الكثير . وأراد بالمقام المجلسَ الذى جَمَعهم للخِصام ، ورُوى فى ديوانه :

* يجدْ فقدها وفى الذِّناب تداثُرُ *

بالمثلثة . والذِّناب، بالكسر : جمع ذَنُوب المذكورة . قال شارح ديوانه : يقول: ذُدْت عنك فى ذلك الوقت. تَلبث: تبطئ. والذَّنوب : الدلْو . يجد فقدها إذا لم تخرجْ إليه . وإنَّما هذا مثلٌ ضَرَبَه . وفى الذِّناب تداثرُ ، يقول : وفى ذلك تكاثر. وإنَّما هذا مَثَلٌ، أراد الأَلسُنَ التى كَثُرت عليه. اهـ .

وروى سيبويه المصراع الثانى كذا :

* يرثْ شِرْبُه إذْ فى المقام تدابرُ *

قال الأَعلم : وصف مقامًا فاخر فيه غيره وكثُرت[1] المخاصمة والمحاجَّة فيه . وضَرَبَ الذَّنوبَ ، وهى الدَّلو مملوءةً ماءً ، مثلاً لما نزل به من الحجَّة . والشِّرب بالكسر : الحظُّ من الماء . والرَّيْث: الإبطاءُ . انتهى.

وترجمة لبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الستمائة[3] :

---

(١) ط : « وكثرة » بالعطف على « مقاماً » ، وهو يطابق ما فى شرح الديوان ٢١٧ نقلا عن الخزانة . لكن فى ش ونسخة الأعلم على هامش سيبويه : « وكثرت » عطفاً على « فاخر » .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٤٦ .

(٣) فاته أن ينص على أنه من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٢ . وانظر الموشح ٧٣ والمغنى ٦٠٦ وشذور الذهب ١٣٥ والعينى ٤ : ٤٢٢ .

٦٩٦ (ولستُ بِحَلَّالِ التِّــلاعِ مخــافةً
ولـــكنْ متى يَسترْفدِ القـــومُ أَرفِـــدِ)

على أَنَّ وقوع الجملة الشرطية بعد(لكنْ) لكونها لا تغيِّر معنى الجملة.

قال سيبويه: وتقول: ما أَنا ببخيلٍ ولكن إِنْ تأْتنى أُعطِك .
٦٥١ جاز هذا وحَسُن لأَنَّك قد تضمر ههنا كما تضمر فى إِذا. أَلا ترى أَنك تقول : ما رأَيتك عاقلاً ولكن أَحمقَ . وإِن لم تضمر تركت الجزاءَ كما فعلت ذلك فى إِذا . قال طرفة :

ولست بحلاَّل التلاع مخافة . . . . البيت

كأَنَّه قال : أَنا . ولا يجوز فى متى أَن يكون الفعل وصلًا لها كما جاز فى مَنْ . والذى سمعناهم ينشدون قولَ العُجير السَّلولى :

وما ذاك أَن كان ابن عمِّـــى ولا أَخـــى
ولـــكن مَتَى ما أَملكِ الضُّرَّ أَنفَـــعُ

والقوافى مرفوعة ، كأَنه قال : ولكنْ أَنفع متى ما أَملك الضر ، ويكون أَملكْ على متى فى موضع جزاءٍ ، وما لغوٌ . ولم تجد سبيلاً إِلى أَن تكون بمنزلةِ مَنْ فتوصَل ، ولكنَّها كمهما . انتهى كلام سيبويه .

فشرط جواز وقوعَ أَداة الشَّرط بعد لكنْ تقديرُ الضَّمير بينهما ، وحينئذ لا ضرورة فيه ، بل هو حسنٌ للفصل كما قال سيبويه .

ولم يُصب الأَعلم فى قوله : الشاهد فى هذا البيت حذف المبتدأ بعد لكنْ ضرورة ، والمجازاة بعدها ، والتقدير : ولكن أَنا متى يسترفد القوم أَرفد . ا هـ .

ولم يقدِّر الضمير ، فلا يجوز وقوع الأَداة بعد لكنْ إِلاَّ فى الشعر.

والشارح المحقق أخلَّ بهذا التَّفصيل ولم يذكرْه، وقد أخذ به أبو على (فى التذكرة القصرية) وقال فيها : قال سيبويه فى قوله :

* ولكن متى يسترفِد القومُ أرفِدِ *

تقديره : لكن أنا إنْ . قيل : هلا لم يحتج إلى هذا الضمير لأنَّ لكن إنَّما تُشبه الفعل إذا كانت ثقيلة ، فإذا خفّت زال عنها شَبه الفعل ، وإذا كان كذلك صلَحت للجملتين ، وإذا صلحت لهما لم تحتج إلى ضمير ؟ قيل : لكن لما فيها من معنى الاستدراك لَم يزُل عنها معنى الفعل ، فاحتيج إلى الضمير فيها . وهذا عندى إنَّما يجب إذا دخل حرف العطف عليه ، نحو ولكن، التى فى البيت، لأنَّ حرف العطف إذا دخل عليها خلَصت لمعناها وخرجت من العَطْف . وإذا لم يدخل عليها حرف العطف كانت للعطف ، فلم يُحتج[1] فى وقوع الجزاء بعدها إلى إضمار ، كما لا يُحتاج فى حروف العطف إلى ذلك . ا ه.

وقد نقل ابن هشام (فى المغنى) عن أبى علىٍّ خلافَ هذا . قال : وزعم سيبويه فى قوله :

* ولكنْ متى يَسترفدِ القومُ أرفدِ *

أنَّ التقدير : ولكن أنا . ووجَّهوه بأنَّ لكن تشبه الفعل فلا تدخل عليه . وبيان كونها داخِلةً عليه أنَّ متى منصوبة بفعل الشرطِ ، فالفعل مقدَّم فى الرُّتبة عليه . وردَّه الفارسىُّ بأنَّ المشْبه للفعل هو لكنَّ المشددة لا المخفَّفة ، ولهذا لم تعمل المخفَّفة لعدم اختصاصها بالأسماء . وقيل: إنَّما يُحتاج إلى التقدير إذا دخل عليها الواو ، لأنَّها حينئذ تخلُص لمعناها وتخْرُج عن العطف. ا ه.

---

(١) ط : « فلم تحتج » .

وهذا كما ترى مخالف لكلام أبى على من وجوه، ولا أدرى من أين نقله .

وقوله : (ولست بحَلاَّل) إلخ الحَلاَّل : مبالغة الحالّ ، من الحُلول وهو النُّزول . والأَحسن أَنْ يكون فعَّالٌ للنِّسبة ، أَى لست بذى حُلول . و (التِّلاع) : جمع تَلْعة ، وهو مَجرى الماءِ من رءُوس الجبال إلى الأَودية . قال ابن الأَنبارىّ : والتَّلعة من الأَضداد ، تكون ما ارتفع، وما انخفض . والمراد هنا الثانى ، وهو سيل ماءٍ عظيم . و (مخافة) مفعول لأَجله . و (أَرفِد) بكسر الفاءِ ، لأَنه مضارع رَفَدَه رَفْداً من باب ضرب ، أَى أَعطاه أَوْ أَعانه . والرِّفد بالكسر اسمٌ منه . وأَرفَدَهُ بالأَلف مثله . وتَرافَدُوا : تعاوَنوا . واسترفدته : طلبت رفده . قال الزوزنى : المعنى إنِّى لستُ ممَّن يستتر فى التِّلاع مخافة الضَّيف[١] أَو غدرِ الأَعداءِ إِيَّاى[٢] ، ولكنْ أَظهَرُ وأُعِينُ القومَ إذا استعانوا بى، إمَّا فى قِرى الضيف ، وإمَّا فى قتال الأَعداءِ . ٦٥٢

صاحب الشاهد وهذا البيت من معلَّقة طرفة بن العبد . وقد عابه المرزُبانى (فى كتاب الموشح) وقال : المصراع الثانى غيرُ مشاكِلٍ للأَوَّل .

وبعده :

(فإنْ تَبْغِنِى فى حَلْقة القوم تَلْقَنى
وإن تَقْتَنِصْنِى فى الحوانيتِ تَصْطَدِ)

---

(١) فى النسختين : « الضيق » ، والوجه ما أثبت . والذى فى شرح الزوزنى : « مخافة حلول الأضياف أو غزو الأعداء إياى » .
(٢) انظر الحاشية السابقة .

الحلْقة بسكون اللام : ما استدار من الناس ومن الحديد ، وتُجمَعُ على الحَلَق بفتح الحاءِ واللام ، وهذا من الشواذّ . وقد تجمع على الحِلَق بكسر الحاءِ مثل بَدْرة وبِدَر [1] . والاقتناص: الاصطياد . يقول: وإن تطلبنى فى مَحفِل القوم وجدتَنى هناك،وإن تطلبنى فى بيوت الخمَّارين صِدْتنى . والبُغاءُ هو الطَّلَب ، والفعل بغى يبغِى . يريد أنَّه يجمع بين الجِدّ والهزل. كذا فى شرح الزوزنىّ . وقال أَبو جعفر النحوى [2] : المعنى إن تطلُبْنى فى موضع يجتمع القوم فيه للمَشُورة وإجالةِ الرَّأْى تلقَنِى ، لما عِندِى من الرَّأْى ، لا أَتخلَّف عنهم ، وإن تطلَّبتَ صيدى فى حوانيت الخمَّارين تجدْنى أَشربُ وأَسقِى مَنْ حضرنى . والحانوت : بيت الخمَّار ، يذكَّر ويؤنث . ا هـ .

وقال ابن السكيت : يقول : أَبدًا تجدُنى فى مجلس القوم للمفاخرة وفى بيوت الخمَّارين مع الشَّرْب ، يعنى أَنَّه من وجوه قومه لا يُبرَمُ أَمرٌ إلاَّ بحضْرتِه ، وأَنَّه صاحبُ شرابٍ ولهو . ا هـ .

وترجمة طرفة تقدمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة [3] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الستمائة ، وهو من شواهد س [4] :

---

(١) فى النسختين : « بردة وبرد » ، والصواب ما أثبت . والبدرة ، بالفتح : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ . والنص فى شرحه للقصائد التسع ١ : ٢٥٦ .

(٣) الخزانة ٢ : ٤١٩ .

(٤) فى كتابه ١ : ٤٤٢ . وانظر الأصول لابن السراج ٢ : ٢٠٣ والأغانى ١٤ : ١٥١ .

٦٩٧ (وما ذاك أَن كـان ابنَ عمِّى ولا أَخى
ولكن مَتَى مـا أَملكِ الضَّرَّ أَنفَعُ)

على أَنَّ (أَنفع) مرفوع ، وهو مؤخَّر من تقديم لضرورة الشعر ، كما فى قوله :

* إنَّك إنْ يُصرع أَخوك تصرعُ *

والأَصل فيهما : ولكِن أَنفعُ متى أَملك الضَّرَّ ، وإنَّك تُصرَعُ إنْ يصرع أَخوك ، ويكون هذا المقدَّمُ تقديرًا دليلَ الجزاءِ المحذوف .

قال سيبويه : والذى سمعناهم ينشدون قولَ العجير السلولى : «وما ذاك إن كان ابن عمِّى» البيت. والقوافى مرفوعة ، كأَنه قال : ولكن أَنفعُ متى ما أَملكِ الضَّر . ا هـ.

والضرورة عند المبرد إنَّما هى فى حذف الفاء من أَنفع وتصرع ، وقد ردَّ على سيبويه دعواه تقديرَ التقديم فى هذا وفيما تقدم ، ونقله ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) ، فلا بأْس علينا إن نقلناه . وهذا كلامه :

قال أَبو العباس محمد بن يزيد : أَمَّا قوله آتيك إن أَتيتنى فغير مُنكَر ولا مدفوع ، استغنَى عن الجواب بما تقدَّم ، ولم تجزم إنْ شيئاً فتحتاج إلى جواب مجزوم أَو شىءٍ فى مكانه ، وأَما قوله :

وإن أَتاه خليلٌ يوم مسغبةٍ يقولُ لا غائبٌ مالى ولا حَرِمُ[1]

يقول على القلب ، فهو محال ، وذلك لأَنَّ الجواب حدُّه أَن يكون بعد إن وفعلِها الأَوّل ، وإنَّما يُعنَى بالشىءِ موضعُه إذا كان فى غير موضعه ،

---

(١) فى الأصول لابن السراج : « يوم مسألة » . والبيت من شواهد سيبويه ١ : ٣٤٦ لزهير بن أبى سلمى . وانظر معجم الشواهد .

نحو ضرب غلامَه زيدٌ ، لأَنَّ حدَّ الغلام أَن يكون بعد زيد . وهذا قد وقع فى موضعه من الجزاء ، فلو جاز أَن تعنِيَ به التَّقديم لجاز أَنْ تقول : ضرب غلامُه زيدًا ، تريد ضرب زيدًا غلامه. وأَمَّا ما ذكره من مَنْ ومتى ، وسائر الحروف فإِنَّه يستحيل فى الأَسماء منها والظروفِ من وجوهٍ فى التقديم والتأْخير ، لأَنَّك إذا قلت : آتى من أَتانى ، وجب أَن تكون مَنْ منصوبة بقولك آتِى ونحوه ، وحروف الجزاءِ لا يعمل فيها ما قبلها ، فليس يجوز هذا إلاَّ أَن تريد بها معنى الذى ومتى ، إذا قلت آتِيك متى أَتيتنى ، فمتى للجزاءِ وهو ظرف لأَتيتنى ، لأَنَّ حرف الجزاءِ لا يعمل فيه ما قبله ، ولكن الفعل الذى قبل متى أَغنَى عن الجواب ، كما قلت فى إنْ فى قولِك : أَنت ظالم إن فعلت . فأَنت ظالم منقطع من إن وقد سدَّ مسدَّ الجواب . وكذلك آتيك قد سدّت مَسدَّ الجواب فى متى وإن لم يكن منها فى شيءٍ ، لأَنّ متى منصوبة بأَتيتنى[1] ، لأَنَّ حروف الجزاءِ من الظروف والأَسماءِ إنَّما يعمل فيهما ما بعدهما ، وهو الجزاءُ الذى يعمل فيه الجزم . والباب كلُّه على هذا ، لا يجوز غيره . ولو وُضع الكلام فى موضعه لكان تقديره : متَى أَتيتنى فأَتيتك ، أَى فأَنا آتيك . وأَما قوله :

* ... من يأْتِها لا يضيرُها *

إنَّما هو مَنْ يضيرها لا يأْتِها ، فمحال أَن ترتفِعْ مَنْ بقولك لا يضيرها ومَنْ مبتدأَة ، كما لا تقول زيد يقوم فترفعه بيقوم . وكلُّ ما كان مثلَه فهذا قياسُه . وهذه الأَبياتُ التى أَنشدَها كلُّها لا تصلح إلاَّ على إرادة الفاء فى الجواب ، كقوله : «الله يشكرها» ، لا يجوز إلاَّ ذلك. ا هـ .

٦٥٣

(١) ش : « لأن آتى » ، صوابه فى ط وأصول ابن السراج .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للعُجير السلولى . قال الأصفهانى (فى الأغانى) ، وابن هشام اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : قال ابنُ الأعرابىّ : كانت للعُجير بنتُ عَمٍّ كان يهواها وتَهواه ، فخطبها إلى أبيها فوعده وقارَبَه ، ثم خطبها رجلٌ من بنى عامرٍ مُوسِرٌ ، فخيَّرها أبوها بينه وبين العُجير ، فاختارت العامرىَّ ليساره ، فقال العجير فى ذلك :

أبيات الشاهد

(ألمَّا على دارٍ لزينبَ قد أتى
لها باللِّوى ذى المَرْج صَيْفٌ ومَرْبَعُ[1]

وقولا لها : قد طال ما لم تَكَلَّمِى
وراعَكِ بالغيب الفؤادُ المروَّعُ[2]

وقُولا لها : قال العُجَير وخَصَّنى
إليكِ ، وإرسالُ الخليلين ينفعُ

أأَنتِ الذى أَودعتُكِ السِّرَّ وانتحى
بكِ الخَوْنَ مَزَّاحٌ من القوم أفرَعُ

إذا مِتُّ كان الناسُ صنفانِ : شامتٌ
وآخر مُثنٍ بالذى كنتُ أَصنعُ

ولكنْ ستبكينى خطوبٌ كثيرة
وشُعثٌ أُهينوا فى المجالس جُوَّعُ[3]

ومُسْتَلْحِمٌ قد صَكَّه القومُ صكَّةً
بَعيدُ الموالى نِيلَ ما كانَ يَمنَعُ

---

(١) فى الأغانى : « ذى المرخ » . والمرخ من العضاه ، وهو ينفرش ويطول فى السماء حتى يستظل فيه ، وهو كثير الورى سريعه .
(٢) فى الأغانى : « بالعين » .
(٣) فى الأغانى : « ستبكينى خطوب ومجلس » .

رددتُ له ما فرَّط القَيــلُ بالضُّحى
وبالأَمس حَتَّى آبَنَا وهو أَضــلعُ[(١)]

وما ذاك أَنْ كــان ابنَ عمِّى ولا أَخى
ولكن متى ما أَملكِ الضَّرَّ أَنفــعُ[(٢)])

وهى قصيدة طويلة .

والإلمام : النُّزول ، وضمَّنه معنى الإشراف . واللوى : ما التوى من الرَّمل . والمرج : الموضعُ الذى ترعَى فيه الدوابُّ . وأَراد بالمربع الربيع .

وراعك : أَفزعك . وانتحى : اعتمد وقصد . والخَوْن : الخيانة .

وقولُه : «إذا متُّ كان الناس» إلخ هو من شواهد سيبويه على أَنَّ كان فيها ضمير الشأْن ، وهو اسمها . وجملة الناس صنفان خبرها .

وروى ابنُ الأَعرابى البيتَ كذا :

إذا مُتّ كــان النــاسُ صِنفَيْنِ شامتٌ
ومُثْنٍ بِنِيرَىْ بَعْضِ ما كنتُ أَصنَــعُ[(٣)]

٦٤٥ فكان على أَصلها . والنِّيرانِ : العَلمَانِ فى الثَّوب . وإنَّما يريدُ أَنَّه يُثْنَى عليه بحُسْنِ فعلِه ، الذى هو فى أَفعال النَّاسِ كالعَلمِ فى الثوب .

وخطَّأَه أَبو محمد الأَسود وقال : الصواب الرواية الأُولى فى المصراع الثانى .

(١) فى الأغانى : « حتى اقتاله فهو أصلع »، تحريف .
(٢) فى الأغانى : « ولست بمولاه ولا بابن عمه » .
(٣) سيبويه ١ : ٣٦ ومعجم الشواهد .

وقوله : « ولكن ستبكينى خطوب » الخطوب هنا : الأُمور العظام . وروى بدله : « خصوم » جمع خَصْم ، وهو معروف . والشُّعث : جمع أَشعثَ وشَعثاءَ ، وهو المتلبِّد الرأْس . وقال أَبو محمد الأَسود : الصَّواب :

* بلى سوف تـأْتينى خطوب كثيرة *

ولم يظهر لى وجهُه . ورَوَيَا[1] : « أُهينوا حَضْرَةَ الدار »، بدل : «أُهينوا فى المجالس » ،وحضرةَ ظرف . وجُوّع : جمع جائع .

وقوله : ومُستلحِمٌ قد صَكَّه » بالرفع معطوف على ما قبله . والمستلحِم بكسر الحاءِ ، المستلحِقُ فى القرابة وفى الجِوار ، من اللُّحمة بالضم ، وهى القَرابة . والصَّكَّة : الضَّربة . والمولى هنا الناصر والمُعِين. وبَعِيدَ : حال من المفعول . ورَوَيا : « ذَليل الموالى » بدل : « بعيد الموالى » . وقوله : « نيل» أَى أُخِذ منه ما كان يمنعه . ورَوَيا المصراعَ الأَوَّل هكذا :

* ومضطهَدٌ قد صَكَّه الخَصْمُ صَكَّةً *

والمضطهد بفتح الهاءِ : المقهور والمُضطَرُّ .

وقوله : « رددْتُ له ما فرّط القَيْل» أَى ما نحَّاه القيل . قال فى الصحاح : قال الخليل : فرَّط الله عنه ما يكره[2] أَى نحَّاه ، وقلَّما يستعمل إلاَّ فى الشعر. والقَيْل بفتح القاف : المَلِك . قال ابن خلف ويحتمل أَن يكون القَيْل هنا شُربَ نِصفِ النَّهار . وآبَنَا : رجَعَ إِلينا . والأَضلع ، بالمعجمة : المُطِيق للشيء القائمُ به . وروى ابنُ الأَعرابىّ :

---

(١) كذا فى النسختين : « ورويا » يعنى ابن الأعرابى ، وأبا محمد الأسود الأعرابى . وذلك فى مقابل الرواية الأخرى التى أثبتها البغدادى عن أبى الفرج فى أغانيه .

(٢) فى النسختين : « ما فرط الله عنه مايكره » ، والصواب حذف « ما » كما هو فى الصحاح .

رَدَدتُ له ما سلَّفَ القَومُ بالضُّحَى وبالأَمسِ حَتَّى اقتالَه وهو أَخضَعُ

وقال : سَلَّفَ القومُ ذلاًّ وهو أَخضَع ، أَراد أَنَّ مفعول سَلَّف محذوف وجملة « وهو أَخضع » حال . واقتاله ، أَى اقتالَ عليه أَى تحكَّم . قال صاحب الصحاح : واقتال عليه : تحكَّم . ومادته القول . وروى أَبو محمدٍ الأَسودُ المصراعَ الثانىَ كذا :

* حتَّى ناله وهو أَضلع *

وقال : أَى أَخذ أَكثر من حَقِّه .

وقوله : « وما ذاك أَن كان » إلخ اسم الإشارة راجع لما صنعه[1] من الجميل مع المستلحِم ، وهو ردُّ ما أُخذَ من ماله إليه قهراً ، وهو مبتدأٌ وخبره محذوف ، أَى صَنَعْتُه . وأَنْ مصدريَّة مجرورة باللام . واسم كان ضمير المستلحِم . وابنَ خبر كان ، والتقدير : وما ذاك الجميلُ فعلته معه لكونه ابنَ عمى ، ولكونهِ أَخى ، ولكن من شأْنى إذا قَدَرت على الضَّرّ والبَطْش نفَعْت .

وروى أَبو محمد الأَسودُ المصراعَ الأَوَّل كذا :

* ولست بمولاه ولا بابن عمِّه *

والعُجَير السَّلولى : شاعرٌ إسلامىٌّ تقدّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد الثلثمائة[2] .

* * *

وأَنشد بعده :

(إنَّ مَنْ لامَ فى بنى بنتِ حَسَّا نَ أَلُمْهُ وأَعصِهِ فى الخُطُـوبِ)

---

(١) ش : « إلى ما صنعه » .

(٢) الخزانه ٥ : ٣٥ – ٣٦ . وكرر البغدادى ترجمته فى الشاهد ٣٨٠ فى الخزانة ٥ : ٢٦٣ .

علىأَنَّ ضمير الشأْن وهو اسم إِنَّ محذوف ، والجملة الشرطية خبرها.
وتقدم شرح هذا البيت مفصلاً فى الشاهد السابع بعد الأَربعمائة[١] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الستمائة[٢] :

٦٩٨ (مَنْ يَكِدْنِى بسيِّئٍ كُنْتَ منه
كالشَّجَا بين حَلْقِه والوريدِ)

٦٥٥ على أَنّ مجىء الشرط مضارعًا مجزوماً والجزاءِ ماضيًا خاصٌّ بالشِّعر عند بعضهم .

قال ابن مالك : الصحيح الحكم بجوازه ، لثبوته فى كلامِ أَفصح الفصحاءِ ، قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يَقُم ليلةَ القَدْرِ إِيمانًا واحتساباً غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذنبه[٣] » .

والبيتُ من قصيدةٍ لأَبى زُبيدٍ الطائىِّ النَّصْرانى ، رثى بها ابن أُخته اللَّجلاج . وقبله :

(كانَ عَنّى يردُّ دَرْؤُكَ بعدَ الله شَغْبَ المُسْتَصْعَبِ المِرِّيدِ[٤])

من يَكِدْنى . . . . البيت .

الدرءُ : الدفع. وفى الحديث: «ادرءُوا الحدودَ بالشُّبُهات[٥] ». والشَّغْب

(١) الخزانة ٥ : ٤٢٠ — ٤٢٥ .
(٢) ديوان أبى زبيد الطائى ٥٢ . وانظر المقتضب ٢ : ٥٩ والمقرب ١ : ٢٧٥ ورصف المبانى ١٠٥ والعينى ٤ : ٤٢٧ والأشمونى ٤ : ١٧وجمهرة القرشى ٢٦٣ .
(٣) من حديث أبى هريرة فى صحيح البخارى ومسلم،وسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه . وانظر الألف المختارة الحديث ١٦٣ .
(٦) الدرء : الدفع . ط : « درأك » ، صوابه فى ش والديوان .
(٥) أخرجه ابن عدى فى الكامل . الجامع الصغير ٣١٤ .

بفتح الشين وسكون الغين المعجمتين : تهييج الشر . والمِرِّيد : مبالغةُ المارد .

وقوله : (من يَكِدْنى) يقال كاده كَيْدًا من باب باع، إذا خدَعَه ومكَرَ به . والسيِّئُ : فَيْعِل، وصفٌ من السوء . و(كنتَ) بالخطاب . و (الشَّجَا) : ما يعترض فى الحَلْق كالعَظْم . و (الوريد) : عرقٌ قيل هو الودَج ، وقيل بجنْبِه . وقال الفرَّاءُ : عرق بين الحُلقوم والعِلباوَيْن، وهو ينبض أبدًا، فهو من الأَوردة التى فيها الحياة ولا يجرى فيها دم، بل هى مجارى النَّفس بالحرَكات . وهذا مطلع القصيدة :

(إنَّ طُولَ الحياةِ غيرُ سعودِ وضلالٌ تأْميلُ نَيلِ الخُلودِ)

وعدَّتها تسعة[1] وخمسون بيتاً ، وهى من القصائد الجياد فى المراثى وقد جمعها محمد بن العباس اليزيدى ، عن ابن حبيب ، وهى عندى بخط محمد بن أسد بن علىٍّ القارى ،وتاريخ خطِّه سنة ثمانٍ وستِّين وثلثمائة .

وترجمة أَبى زُبيد الطائى تقدَّمت فى الشاهد الثانى والثمانين بعد المائتين[2] .

* * *

وأَنشد بعده :

(منَ يفعَلِ الحسناتِ اللهُ يشكُرُها)

وتقدَّم شرحه قريباً[3] :

* * *

(١) ط : « تسع » ، صوابه فى ش . والقصيدة بهذا العدد فى ديوانه .
(٢) الخزانة ٤ : ١٩٢ .
(٣) هو الشاهد ٦٩١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد الستمائة ، وهو من شواهد س[(١)] :

٦٩٩ (أَتَغْضَبُ إنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتا)

على أنّه قد يستعمل الماضى فى الشَّرطِ متحقِّق الوقوع ، وإن كان بِغير لفظ كان ، لكنَّه قليل . وهو هنا محذوفٌ مفسَّر بالفعل المذكور ، والتقدير : إن حُزّتْ أُذُنا قتيبة . فحزُّ أُذُنَيْهِ قد وقَع فيما مضَى من الزمان وتحقَّق معناه .

وقدّر المصنف (فى شرح المفصل) بما نقله الشارح عنه ، وردَّه . ويشهد لما قاله الشارح المحقق ما نقله سيبويه عن الخليل ، قال : سألتُ الخليل رحمه الله عن قول الفرزدق :

أتغضب إنْ أُذنا قُتيبةَ حُــزَّتا جِهارًا ولم تغضب لقتل ابن خازم

فقال : لأنَّه قبيح أنَّ تفصل بين أنْ والفعل ، كما قَبح أن تفصل بين كَى والفعل ، فلَمَّا قبح ذلك ولم يَجُزْ حملوه على إنْ ، لأنَّه قد يقدّم فيها الأسماءُ قبل الأفعال . ا ه .

يريد الخليل أنَّ إنْ فى البيت لا يصحُّ فتح همزتها للقبح المذكور ، وإنما هى إن المكسورةالهمزة ، لجواز الفصل بينها وبين الفعل باسمٍ على شريطة التفسير ، نحو قوله تَعالى : ﴿وإنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكينَ استَجَارَكَ[(٢)]﴾ . ٦٥٦

و (فى المسائل القصرية لأبى على) : اعترض أبو العباس المبرِّد على إنشاد هذا البيت بالكسر فقال : قتل قُتيبة قد مضى وإن للجزاء ، والجزاءُ

(١) فى كتابه ١ : ٤٧٩ . وانظر الهمع ٢ : ١٩ والمغنى ٢٦ ، ٣٥ ، ٣٦ وشرح شواهده للسيوطى ٣٢ والأزهية ٦٩ وديوان الفرزدق ٨٥٥ .

(٢) الآية ٦ من سورة التوبة .

يكون لِما يأْتى ، فلا يستقيم أن تقول : إن قمتَ قمتُ ، وقد مضى قيامه .
قال أبو علىّ : إنما يريد : أفتغضبُ كلما وقع هذا الفعلُ ، أى مثلُ هذا الفعل ، وإن كان التأْويل على هذا صحَّ الكسر . ا هـ .

وأراد بتقدير المِثْل كوْنَ الفعل مستقبلاً .

وظاهر نقل أبى علىٍّ أنَّه لا يجوز الكسر عند المبرد ، ولكنَّ صريح كلام ابن السِّيد أنَّ المبرِّد يجوِّزه ، قال (فى شرح كامل المبرد) : وأجاز أبو العباس فتحَ أنْ فى هذا البيت ، وجعلها أنِ المخفَّفةَ من الثقيلة وأضمر اسمها ، كأنَّه قال : أنَّه أُذنا قتيبة حُزَّتا . ومن روى إنْ بكسر الهمزة ، وهو رأى سيبويه ، فوجهه أنَّه وضع السبب موضع المسبَّب ، كأنَّه قال : أتغضب إن افتخر مفتخرٌ بحزِّه أُذُنَىْ قتيبة ، كما قال الآخر[1] :

إنْ يقتلوك فإنَّ قتلَكَ لم يكن عارًا عليك ، ورُبَّ قتلٍ عـــارُ

المعنى : إن افتخروا بقتلك . فذكر القتْلَ الذى هو سببُ ذلك . ا هـ .

وقد صَرفه ابن هشام (فى المغنى) إلى المستقبل بتأْويلين : أحدهما : ما ذكره ابن السِّيد من إقامة السَّبب مقام المسبب . والثانى : أنَّه على معنى التبيُّن ، أى أتغضب إن تبيَّن فى المستقبل أنَّ أُذنى قتيبة حُزَّتا فيما مضى .

ثم قوله : وقال الخليل والمبرّد : الصواب «أنْ أُذنا» بفتح الهمزة ، أى لأَنْ أُذنا ، هو خلاف ما نقله سيبويه عن الخليل ، وخلاف ما نقله ابن السِّيد عن المبرد . وذهب الكوفيون إلى أنَّ أن فى هذا البيت ليست للشَّرط ، لمضيِّه ، وإنَّما هى بمعنى إذْ . قال إمامُهُمْ[2] (فى سورة الزخرف .

(١) هو ثابت قطنة ، وهو الشاهد ٧٩٨ .
(٢) يعنى الفراء .

من تفسيرِه) عند قوله تعالى: ﴿أفنَضْرِبُ عنكم الذِّكْرَ صَفْحاً إنْ كنتم[1]﴾ قرأ الأعمش بالكسر ، وقرأ عاصم والحسن بفتح أَنْ ، كأَنَّهم أرادوا شيئًا ماضيًا . وأنت تقول فى الكلام : أأَسبُّك أَنْ حَرَمتنى ، تريد إذْ حرمتنى . وتكسر إذا أردت: أأَسبُّك[2] إن تحرمْنى. ومثله : ﴿ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قومٍ أَنْ صَدُّوكم[3] ﴾ تكسر إنْ وتفتح . ومثله ﴿ فلعلَّك بَاخِعٌ نَفْسَكَ على آثارهم إنْ لم يؤمنوا[4] ﴾ و (أَن لم يُؤمنوا) . والعرب تنشد قول الفرزدق :

* أَتجزع إن أُذْنَا قتيبة حُزَّتا *

وأنشدونى :

وَتجــزع إنْ بانَ الخليطُ المــودِّع
وحَبْــلُ الصَّفا من عَزَّةَ المتقطِّعُ[5]

وفى كلٍّ واحدٍ من البيتين ما فى صاحبه من الكسر والفتح . انتهى كلامه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة للفرزدق مدحَ بها سليمان بنَ عبد الملك ، وهجا جريراً . وقبله هذه الأبيات :

(١) الآية ٥ من سورة الزخرف .
(٢) فى النسختين : « لأسبك » . صوابه من معانى الفراء ٣ : ٢٦ .
(٣) الآية ٢ من المائدة . وقراءة الفتح هى قراءة الجمهور . وقرأ بالكسر ابن كثير وأبو عمرو ، ووافقهما ابن محيصن واليزيدى . إتحاف فضلاء البشر ١٩٨ .
(٤) الآية ٦ من الكهف . وقد نص الزمخشرى فى الكشاف على القراءتين ولم يعين صاحبهما ، ونقل عنه ذلك أبو حيان فى تفسيره ، وجاء فيه النص محرفاً على هذه الصورة : « بكسر الميم وفتحها » والصواب « بكسر الهمزة وفتحها » . والواضح أن قراءة الكسر هى قراءة الجمهور . ووجدت فى مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص ٧٨ نسبة قراءة الفتح إلى الأعشى عن أبى بكر عن عاصم . وانظر معانى الفراء ٢ : ١٣٤ .
(٥) يبدو أنه لكثير . ولم أجده فى ديوانه .

والبيت من قصيدةٍ طويلة للفرزدق مدحَ بها سليمان بنَ عبد الملك ، وهجا جريراً . وقبله هذه الأبيات :

فإنْ تلك قيسٌ فى قتيبة أُغضِبَتْ
فلا عَطَستْ إلَّا بأَجدعَ راغمِ

وهل كان إلاَّ باهليًّا مجدَّعاً
طغَى فسقيناه بكأْس ابن خازمِ

لقد شهدت قيسٌ ، فما كانَ نصرُها
قتيبةَ إلاَّ عضُّها بالأَباهم

فإن تقعُدوا تَقعُدْ لئامٌ أَذلَّة
وإن عدتُمُ عُدنا بأَبيضَ صارمِ)

أَتغضب إنْ أُذنا قتيبة . . . . . البيت

(فما منهما إلَّا بعثْنا برأْسه
إلى الشَّامِ فوقَ الشَّاحجات الرَّواسمِ

تَذبذبُ فى المِخلاة تحتَ بطونها
محذَّفَةَ الأَذناب جُلْحَ المقادمِ

ستعلم أَىُّ الواديينِ له ثَرًى
قديماً وأَوْلَى بالبحور الخضارمِ[1]

وما أَنت من قيسٍ فتنبِحَ دُونَها
ولا من تميمٍ فى الرءُوس الأَعاظمِ[2]

٦٥٧

(١) فى الديوان ٨٥٥ : « له الثرى » .

(٢) بين هذا البيت وسابقه فى الديوان ٢١ بيتا .

قوله: « فإن تك قيس » إلخ، قيس: أبو قبيلة ،وهو قيس بن عَيلان ابن مضر . وقبيلةُ باهلةَ : فخذٌ من قيس بن عيلان . وأراد القبيلة . ولجريرٍ خُئولةٌ فى قيس . وقتيبة هو ابن مسلم الباهلى، وستأْتى حكايته . وأُغضِبَت بالبناءِ للمفعول ، وقوله « فلا عَطَست » إلخ جملة دعائية: وقعت جزاءً للشَّرط ، فلذا قرنت بالفاء . وأَجْدَع صفة موصوفٍ محذوف أى أنف أجدع . والراغم: الذَّليل أو الكاره[1] ، وهو على النسبة ، أى ذى الرّغام وهو التّراب[2] ، يقال أرغم الله أَنْفَه، أى ألصقه بالرَّغام ، وهو التّراب ، وهو كناية عن الإذلال .

وقوله : « وهل كان إلاَّ باهليًّا » اسم كان ضمير قُتيبة، ومجدَّعاً يُدْعَى عليه بالْجَدْع ، وهو قَطْع الأنف . وباهلة : قبيلةٌ منحطَّة بين العرب . ولذا قيل :

وما يَنفَعُ الأَصلُ من هــاشمٍ إذا كانت النَّفسُ من باهِلَــه

رُوى أنَّ قتيبة هذا مازحَ أعرابيًّا جافياً فقال : أيسرُّك أن تكونَ باهليًّا ؟ فقال : لا والله . قال : فتكون باهليًا خليفة ؟ قال : لا والله ولو أنَّ لى ما طلعَتْ عليه الشَّمس : قال : فيسرُّك أنْ تكون باهليًّا وتكونَ فى الجنَّة ؟ فأَطرقَ ثم قال : بشرط أن لا يعلم أَهلُ الجنَّة أَنِّى باهلى ! فضَحِك من قوله .

وقوله: (أَتغضبُ إن أُذنا قتيبة) إلخ. فاعل تغضب قيسٌ المتقدم ، وأَنَّث فعله لأَنَّه أَراد به القبيلة . والاستفهام للتعجُّب والتوبيخ . ويجوز أن يكون فاعله مستترًا فيه تقديره أَنت ، وهو خطابٌ مع جرير

(١) ط : « والكاره » .
(٢) ط : « أى ألصقه بالتراب » فقط .

بدليل ما بعده من البيتين . والحَزُّ ، بالحاءِ المهملة والزاى المشددة : القطع. وحَزّ الأُذنين كناية عن القَتل ، لأَنَّ القتيل قد تُقطَع أُذنه للتشويه . (جهارًا) أَى حزًّا جهاراً. و(ابن خازم) بالخاءِ والزاءِ المعجمتين. يريد أَنَّ قيسا غضبت من أَمرٍ يسيرٍ ولم تغضب لأَمرٍ عظيم . وقد أَنكَر هذا منها .

وأَمَّا قتيبة بالتصغير فهو قُتيبة بنُ مسلم بن عمرو بن حُصين بن ربيعة بن خالد بن أُسيد الخير بن كعب بن قُضاعىّ بن هلال الباهلى . نشأَ فى الدَّولة المَرْوانية ، وتَرقَّى وتولَّى الإمارة ، وفتح الفتوحات العظيمة ، وعَبَرَ ما وراءَ النَّهرِ مراراً وأَبلى فى الكُفَّار . وكان شُجاعًا جوادًا دمِثَ الأَخلاق ذا رأْى ، افتتح بُخارى ، وخُوارزم ، وسَمَرْقَند ، وفَرغانة ، والتُّرك . وولىَ خراسان ثلاثَ عَشْرة سنة .

وهذا خبر مقتَله (من تاريخ النُّويرى[1]) قال : قُتل قتيبةُ بن مسلمٍ الباهلىُّ فى سنة ستٍّ وتسعين فى خراسان . وكان سببُ ذلك أَنَّه أَجابَ الوليدَ إلى خلع سليمان ، فلما أَفْضَت الخلافةُ إلى سليمانَ خَشِىَ قتيبةُ أَنَّ سليمان يستعمل يزيد بن المهلَّب على خُراسان ، فكتب قتيبة إلى سليمان كتابًا يهنِّئه بالخلافة ، ويذكر بلاءَه وطاعتَه لعبد الملك والوليدِ ، وأَنَّه له على مثل ذلك إنْ لم يعزِلْه عن خُراسان . وكتب إليه كتاباً آخر يُعلمه فيه بفتوحه ونكايتِه ، وعظِيمِ قَدْره عند ملوك العجمِ ، وهَيبته فى صدورهم ، ويذمُّ آلَ المهلَّب ويحلف بالله : لو استُعمِل يزيد على خراسان ليخلعنَّه . وكتب كتابًا ثالثاً فيه خلعُه . وبعث الكتبَ مع رجلٍ من باهلة وقال له : ادفع الكتابَ الأَوَّل إليه ، فإنْ كان يزيد حاضرًا

---

(١) هو نهاية الأرب ، ويعنى القسم التاريخى منه ، ويبدأ فى الجزء الثالث عشر من نهاية الأرب .

٦٥٨ فقرأه ثم ألقاه إليه[١] . فادفع إليه الثانىَ . فإن قرأه ودفعه إليه فادفع إليه الثالث . وإن قرأ الأوّل ولم يدفَعْه إلى يزيد فاحبس الكتابين عنه . فقدِم رسولُ قتيبة فدخلَ على سليمان وعنده يزيدُ بن المهلَّب ، فدفع إليه الكتاب الأوَّلَ فقرأَهُ وألقاه إلى يزيد ، فدفع إليه الثانىَ فقرأه ودفعه إلى يزيد ، فأَعطاه الثالثَ فقرأه وتمعَّر لونُه وختَمه ، وأمسكه بيده . فقيل : كان فيه « إنْ لم تُقرَّنى على ما أنا عليه وتؤمِّننِّى[٢] لأَخلعنَّك ، ولأَملأنَّها عليك خيلًا ورَجْلاً » ثم أَمر سليمان بإنزال رسول قتيبة وأحضره ليلاً[٣] وأعطاه دنانيرَ وعَهْد قتيبةَ على خراسان ، وسيَّر معه رسولًا . فلما كانا[٤] بحُلوان بلغهما خَلْعُ قتيبة ، فرجع رسولُ سليمان فلمَّا خلعَه قتيبةُ دعا الناس إلى خلعِه فلم يجبْه أحد ، فغضب وسبَّهم طائفةً طائفة ، وقبيلةً قبيلةً ، فغضب الناسُ واجتمعوا على خَلع قتيبة ، وكان أَوّل من تكلم فى ذلك الأَزْد ، فأَتَوْا حُضَين بن المنذر[٥] فقالوا :إنَّ هذا قد خلع الخليفة ، وفيه فسادُ الدِّين والدنيا ، وقد شَتَمَنا فما ترى؟ فأَشار أَنْ يأْتوا وكيعَ بنَ حسّانِ بن قيسٍ الغُدَانى . وغُدانة هو ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وكان وكيعٌ مقدَّمًا، لرياسته على بنى تميم ، وكان قتيبة عزَله ، فحقد عليه وكيع . فلما أتوه وسأَلوه أن يلىَ أمرَهم فعل ، فبلغ أَمرُه لقتيبة ، فأَرسل إليه يدعوه ، فلبس

(١) ط : « ثم دفعه إليه » ، وأثبت ما فى ش مطابقاً لابن الأثير ٥ : ١٢ فى حوادث سنة ٩٦ .
(٢) كذا فى النسختين . والإتيان بنون التوكيد بعد « لم » قليل نادر .
(٣) ش : « ثم أحضره ليلا » .
(٤) ط : « كان » ، صوابه فى ش .
(٥) هو الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى ، من كبار التابعين ، وكان فارسا شاعرا ، وكانت معه راية على بن أبى طالب يوم صفين ، دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة سنة . مات على رأس المائة . المؤتلف ٨٧ وتهذيب التهذيب ٢ : ٥٩٥ . وانظر ما سبق فى ٤ : ٣٨ .

وكيع سلاحه ونادى فى الناس فأَتَوْه ، وركب فرسَه وخرج ، وأتاه الناس أَرسالاً ، واجتمع إلى قتيبة أهلُ بيته وخواصٌّ اصحابه ، فكَبّروا وهاجوا ، فقُتل عبدُ الرحمن أخو قتيبة ، وجاء الناس حتّى بلغوا فُسطاطَ قتيبة فقطعوا أطنابه ، وجُرح قتيبة جراحاتٍ كثيرة . ثم نزل سعدٌ[1] وشقّ الفُسطاط واحتزَّ رأْس قتيبة وقَتلَ معه من أهله وإخوته أحدَ عشر رجلا . فأَرسل وَكيع إلى سليمانَ برأسه ورُءُوس أهله .

وأَما ابن خازم فهو عبد الله بن خازم السُّلَمِىّ[2] . وينتهى نسبُ سُليمٍ إلى قيس عيلان . وهو أَحدُ غِربان العرب فى الإسلام . وكان من أَشجع الناس ، وقتلته بنو تميم بخُراسان فى سنة اثنتين وسبعين ، وكان الذى وَلِىَ قتلَه وكيعُ بن الدَّوْرقيَّة القُرَيعىّ . وكان ابنُ خازم أمير خراسان من قبل ابن الزُّبير ، وكان أَوَّلًا استعمله ابنُ عامرٍ على خُراسان فى أَيَّام عثمان . وكان أَحدَ الأَبطال المشهورين ، وقد حضر مواقفَ مشهورةً وأَبلَى فيها .

وهذا خبرُ مقتله (من تاريخ النويرى) قال : ولمَّا قُتل مصعب ابن الزبير كان ابن خازم يقاتل بُجَير بن وَرْقاءَ التَّميمى[3] بنيسابور ، فكتب عبد الملك بنُ مروانَ إلى ابن خازمٍ يدعوه إلى البيعة ويُطعِمه خراسان سَبعَ سنين ، فامتنع وأَطعم كتابه لرسوله . وكتب عبد الملك إلى

(١) سعد هذا لا يعرف من خبره إلا أنه قاتل قتيبة ، وقد سجل حضين بن المنذر أن اسمه سعد بن سعد ، بقوله فى شعره وهو يعنيه :

وإن ابن سعد وابن زحر تعاورا بسيفيهما رأس الهمام المتوج

انظر تاريخ الطبرى ٦ : ٥١٧ فى حوادث سنة ٩٦

(٢) ط : « السليمى » ، صوابه فى ش .

(٣) انظر خبره فى نوادر المخطوطات ٢ : ١٧٦ — ١٧٧ .

بُكير بن وسَّاج[١] وكان خليفةَ ابن خازم على مَرْو ، وتعهَّده[٢] على خراسان ، ووعده ومَنَّاه ، فخلع بُكيرٌ ابنَ خازم ، ودعا إلى عبد الملك ، فأَجابه أهل مرو . وبلغ ابنَ خازمٍ فخاف أن يأْتيه بُكير ، فيجتمعَ عليه أَهل مَرْو وأَهلُ نيسابور ، فترك بُجيرًا وأَقبل إلى مَرْو فاتبعه بجير فلحقه بقريةٍ على ثمانية فراسخ من مَرْو فقاتله ، فقُتل ابن خازم وكان الذى قتله وَكيع بن عمرو القُريعى ، اعتوَرَه وكيعٌ وبُجير بن ورقاء ، وعمَّار ابن عبد العزيز ، فطعنوه فصرعوه ، وقعد وكيعٌ على صَدره فقتله ، وبعث بشيرًا بقتله إلى عبد الملك ولم يبعَثْ برأْسه ، وأَقبل بكيرٌ فى أَهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم ، فأَراد أَخْذ الرأْسِ وإنفاذَه إلى عبد الملك ، فمنعه بجير . ٦٥٩

كذا قال النُّويرى . وهو خلاف قولِ الفرزدق :

فما منهما إلاَّ بعثنا برأْسِه إلى الشام .... البيت

والله أَعلم .

وكان بين قتل ابن خازم وقتل قتيبة أَربعٌ وعشرون سنة[٣] .

وقوله : « فوق الشاحجات » يعنى البغال. والرسم : ضرب من السَّير ، وإنَّما عنَى ههنا بغالَ البريد بقوله :

* محذَّفةَ الأَذنابِ جُلحَ القَوادِمِ *

وترجمة الفرزدق تقدمت فى الشاهد الثلاثين[٤] .

* * *

(١) ط : « وشاح » ، وأثبت ما فى ش مطابقاً فى القاموس (وسج) وتاريخ الإسلام للذهبى ٣ : ١١٢ ، وجمهرة ابن حزم ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٢) المراد أعطاه عهداً بها . وفى ش : « تعهده » بلا واو .

(٣) فى النسختين : « أربعة وعشرون سنة » ، والوجه ما أثبت .

(٤) فى الخزانة ١ : ٢١٧ .

وأنشد بعده :

(لم تَدْرِ ما جزعٌ عليتَ فتجْزَعُ)

تقدَّم شرحه فى هذا الباب قريباً[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى السَّبعَمائة ، وهو من شواهد س[٢] :

٧٠٠ (وقالَ رائدُهم أَرْسُوا نُزاوِلُها
فكلُّ حتْفِ امرئٍ يجرى بمقدارِ)

على أنَّ قوله : (نزاولُها) استئنافٌ ولهذا وجب رفعُه .

قال سيبويه : وتقول : ائتنى آتِك ، فتجزم على ما وصفنا ، وإن شئت رفعتَ على أَن لا تجعله معلَّقاً بالأَوّل ، ولكنك تبتدئهُ وتجعل الأَوّلَ مستغنياً عنه ، كأَنه يقول : ائتنى أَنا آتيك . ومثل ذلك قول الأَخطل :

* وقال رائدُهم أَرسُوا نُزاوِلُها * البيت . اﻫ

وأَجاز الشارح المحقق كونَ نزاولُها حالاً .

فإنْ قلت : الحال قيدٌ لعاملها ، فكيف يكون الإرساءُ فى حال المُزاوَلة والمزاولةُ إنَّما تكون بعد الإرساءِ ؟

قلت : أَوَّل المزاولة مقارنٌ للإرساءِ وإنْ كانت لا تتمُّ إلاَّ بعده . وهذا المقدار كافٍ .

---

(١) انظر الخزانة ٨ : ٥٣١ . ومن الجدير بالذكر أنه هذا الشاهد ليس فى هذا الباب ، بل هو فى باب النواصب .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٥٠ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٥٠ ، ٥١ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٢ .

وهذا البيت أُورِدَ فى علم المعانى مثالاً لكمال الانقطاع باختلاف الجملتين خبرًا وإنشاءً لفظًا ومعنى ، ولهذا لم يتعاطفا . فإنَّ أَرسُوا إنشاءٌ لفظاً ومعنى ونزاولُها خبرٌ كذلك ، فوجب تركُ العطف . ولم يُجعل نزاولها مجزومًا جوابًا للأَمر ، لأَنَّ الغرض تعليلُ الأَمر بالإرساء بالمزاولة ، والأَمر فى الجزم بالعكس ، أعنى يصير الإرساءُ علَّة المزاولة كما فى «أَسلِمْ تدخُلِ الجنَّة» . كذا قرَّره التفتازانى . وبه يُعرَف ما فى قول الأَعلم ، وتبعه ابن يعيش : « ولو أمكنه الجزمُ على الجواب لجاز » - من الضَّعف .

وتبعه أَيضاً ابن المستوفِى فقال : ويجوز أَنْ يُجزَم إذا جعلتَه عِلَّة للأَوَّل ومحتاجاً إليه .

وإنَّما استشهدُوا به لأَنَّه لا يمكن جزم نزاولها .

و (الرائد) : الذى يتقدَّم القومَ ليطلبَ الماءَ والكلأَ ، من الرَّود وهو التردُّد فى طلب الشىء برفق . و (أَرْسُوا) بفتح الهمزة أَمرٌ من الإرساء ، أَى أَقيموا ، من أَرسيت السفينة إرساءً ، أَى حبَسْتُها بالمِرساةِ . ولم يُصب العبَّاسىّ (فى معاهد التنصيص) فى قوله : وهو من رَستِ السَّفينة ترسو رُسوًّا ، إذا وقفَتْ على الأَنجر[1] معرب لَنْكر ، وهو مِرساة السَّفينة ، وهى خَشَبات يُفرَغ بينها الرَّصاصُ المذاب ، فتصير كصخرةٍ ، إذا رسَتْ رست السَّفينة. أَو هو من رسَتْ أَقدامهم فى الحرب ، أَى ثبتت . (نزاولها) : مضارع زاولَ الشىءَ ، أَى حاول وعالجه . و (الحتف) : الهلاك . قال السعد : الضمير فى نزاولها للحرب ، أَى

(١) وكذا فى معاهد التنصيص . وفى ش : « اللنجر » ، تحريف . وانظر القاموس واللسان والمعرب للجواليقى ٢٦ . وفى التهذيب : هو اسم عراقى ، وهو خشبات يخالف بينها وبين رءوسها ، وتشد أوساطها فى موضع واحد ثم يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كأنها صخرة ، ورءوس الخشب ناتئة تشد بها الحبال وترسل فى الماء ، فإذا رست رست السفينة فأقامت .

قال رائدُ القومِ ومقدمهم : أقيموا نقاتل . فإنَّ موت كلِّ نفس يجرى بمقدار الله وقَدَره ، لا الجبنُ يُنجيه ، ولا الإقدامُ يُرْديه . وقيل الضمير للسَّفينة ، وقيل للخَمر . والوجه ما ذكرنا . ا هـ. ٦٦٠

ويشهد لما اختار ما أورده الكرمانى (فى الموشَّح) ، وتبعه العباسى من بيتٍ بعده ، وهو :

(إمَّا نموتُ كرامًا أو نفوزُ بها لنسلم الدَّهرَ من كَدٍّ وأسفارِ)

والعجب من الكَرمانىّ فى قوله : وصف الشاعر جماعةَ اللُّصوص ، لما رأَوُا السَّفينةَ طمِعوا فى أَخْذها ، فأَمر سيِّدُ القوم الملاَّحين بإرساء السفينة . ويَعضِد هذا الوجهَ ما بعده : إمَّا نموت كرامًا .... البيت .

وقال الأعلم ، وتبعه ابن يعيش : وصف شَربًا قدَّموا أحدَهم يرتاد لهم خمراً فظفر بها فقال لهم : أَرسُوا ، أى انزلوا ، نشربها . ومعنى (نزاولها) : نخاتل صاحبَها عنها . وقوله : (فكلّ حتف) إلخ أى لابدَّ من الموت ، فينبغى أن نبادر ، بإنفاق المال فيها وفى نحوها ، إلى اللذات. هذا كلامه .

والبيت قد نسَبه إلى الأخطل، وراجعتُ ديوانَه مرارًا فلم أظفر به فيه . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى[1] والثانى بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[2] :

---

(١) وفى ش : « الشاهد الواحد » . وانظر ما كتبت فى حواشى الجزء الثامن ص ٣٤١ ، كما أن الحق أن هذا الإنشاد يتضمن شاهدين لا شاهداً واحداً كما سيأتى فى ص ٩٦ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٤٦ . وانظر المقتضب ١ : ٦٦ والإنصاف ٥٨٣ وابن يعيش ٧ : ٥٣ / ١٠ : ٢٠ ورصف المبانى ٣٢ ، ٣٣٥ والهمع ٢ : ١٢٨ والأشمونى ٣ : ١٣١ ويس ٢ : ١٦٢ .

٧٠١ (مَتَى تأْتِه تَعْشُو إلى ضَـوءِ نارِهِ
تَجِـدْ حَطَبـاً جـزلاً ونارًا تأَجَّجا)

على أَنَّ جملة (تعشو) جاءت حالاً بعد صَريح الشَّرط وهو تأْتِهِ وصاحب الحال الضمير المخَاطَب فى الشرط . والمعنى : متى تأْتِه عاشياً، أَى فى الظلام .

قال الشارح المحقِّق : « ويجوز فى مثلِه البدل » . أَراد ما أَنشده [سيبويه [1]] ، وهذا نصُّه (فى باب ما يرتفع بين الجزمين وينجزم بينهما) : أَما ما يرتفع بينهما فقولك : إن تأْتنى تسأَلُنى أُعطِك، وإن تسأَلنى تَمْشى أَمْشِ معك . وذلك لأَنَّك أَردت أَن تقول ، إن تأْتنى سائلاً يكن ذلك وإن تأْتنى ماشيًا فعلتُ . وقال زهير :

ومَن لا يزلْ يستحملُ النَّـاسَ نفسَـه
ولا يُغْنِهـا يومًا من الدَّهر يَسْـأَمِ

إنَّما أَراد : من لا يزل مستحملاً يكون من أَمره ذلك . ولو رفع يغنها جاز وكان حسناً ، كأَنَّه قال : من لا يزل لا يغنى نفسه . ومما جاء أَيضاً مرتفعاً قول الحطيئة :

متَى تأْته تعشُو إلى ضوءِ ناره تجـدْ حطباً جَزْلاً ونارًا تأَجَّجا

وسأَلتُ الخليل رحمه الله عن قوله ، وهو عُبيد الله بن الحُرّ [2] :

متى تأْتنا تلمِم بنا فى ديارنا تَجدْ حطبًا جزلا ونارًا تأَجَّجا

قال : تلمم بدلٌ من الفعل . ونظيره فى الأَسماء : مررت برجل عبدِالله

---

(١) التكملة من س . وانظر سيبويه ١ : ٤٤٥ — ٤٤٦ .

(٢) ط : « عبد الله بن الحر » ، صوابه فى ش . وقد سبقت ترجمته عبيد الله هذا فى ٢ : ١٥٥ — ١٦١ .

فأراد أن يفسِّر الإتيان بالإلمام ، كما فسَّر الاسمُ الأوَّل بالاسم الآخِر.

ومثل ذلك قوله ،أنشدنيهما الأصمعىُّ عن أبى عمرٍو لبعض بنى أسد[1] :

إنْ يبخَلوا أو يجبُنُوا أو يَغدِرُوا لا يَحْفِلوا
يغدُوا عليكَ مُرجَّلِيـ ـنَ كأنَّهم لم يَفْعَلُوا[2]

فقوله : يَغْدُوا بدلٌ من لا يحفِلوا . وغدوُّهم مرجَّلين يفسِّر أنَّهم لم يحفلوا .

وسألته رحمه الله :هل يكون إنْ تأتنا تسألْنا نعطك؟ فقال : هذا يجوز على غير أنْ يكون مثلَ الأوَّل ، لأنَّ الفعل الآخر تفسيرٌ له ، وهو هو . والسؤال لا يكون الإتيانَ ، ولكنَّه يجوز الغلط والنسيان ممن يتدارك كلامَه . ونظير ذلك فى الأسماء : مررت برجل حمارٍ ، كأنَّه نسىَ ثم تداركَ كلامه . ا هـ.

وعُلم مِن هذا أنَّ ما أنشده الشارح مركَّب من بيتين سهوًا . فصدرُه للحطيئة ، وعجزه لابن الحرّ .

ورفع يستحملُ الناس فى البيت الأوَّل لأنه خبر زال الناقصة .

وقوله : « تلمم بنا » فى البيت الثالث بدل من تأتنا وتفسيرٌ له ، لأنَّ الإلمام إتيان . ولو أمكنه رفعه على تقدير الحال لجاز .

وقوله : « يغدوا عليك » فى البيت الرابع بدلٌ من قوله : لا يحفلوا ، لأنَّ غدوَّهم مرجَّلين دليل على أنَّهم لم يحفلوا بقبيحِ ما أتوه ، فهو

(١) فى الحيوان ٣ : ٤٧٧ أن هذا الشعر من الشوارد التى لا أرباب لها .

(٢) بعده فى الحيوان والبيان ٣ : ٣٣٣ وأمالى القالى ٣ : ٨٣ وعيون الأخبار ٢ : ٢٩ والصناعتين ١٠٣ :

كأبى براقش كلَّ يو مٍ لونه يتخيَّل

تفسيرٌ له وتبيين . والترجيل : مَشْط الشعر وتليينُه بالدُّهن . وحَفَلت بكذا ، أى بَاليتُ به .

وقوله : (متى تأْتِه تعشو) إلخ . قال المرزوقى (فى شرح الفصيح) : يقال عشا يعشو ، إذا سار فى ظلمة تسمَّى عشوة مثلثة العين . وأنشد هذا البيت . وقال ابن يعيش : يقال عَشَوته أى قصدته فى الظَّلام ، ثم تُّسِع فقيل لكل قاصدٍ : عاشٍ .

وقال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : قوله تعشو إلى ضوءِ ناره ، قال الأَصمعى : تأْتيه على غير هداية . وقال غيره : تجىءُ على غير بصرٍ ثابتٍ فتهتدى بناره . وقال القُتَبىّ : يقال عشوت إلى نارك أَعشو عُشُوًّا ، إذا قصَدْتَها بليل ، ثم سمِّى كلُّ قاصد عاشيًا . قال صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ ومَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكر الرَّحمن[1] ﴾ إذا حَصَلت الآفةُ فى البصر قيل عَشِيَ كفرح ، وإذا نظر نظر العُشْى ولا آفة به قيل عَشَا يعشُو . ونظيره : عرِج ، لمن به الآفة ، وعَرَج لمن مشى مِشية العُرجان من غير عَرَج . قال الحطيئة :

* متى تأْتِه تعشو إلى ضوءِ ناره[2] *

أَى تنظُرُ إليها نظرَ العُشْى لِمَا يضعفُ بصرُكُ من عِظَمِ الوقود ، واتِّساع الضوءِ . وهو بيِّنٌ فى معنى قول حاتم :

أَعشـــو إذا ماجارَتى برزَتْ حتَّى يُوارِىَ جارتى الخِدْرُ[3] . ا هـ .

(١) الآية ٣٦ من سورة الزخرف .

(٢) عجزه كما فى الديوان ٢٥ ، وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٥ :

* تجد خير نار عندها خير موقد *

(٣) لم يرد البيت فى ديوان حاتم من مجموع خمسة دواوين ، والحق أنه لمسكين الدارمى فى ديوانه ٤٥ وحماسة الخالديين ١ : ٦٦ وأمالى المرتضى ١ : ٤٧٤ والخزانة ٣٦٩١٣. ونسبته إلى حاتم فى الكشاف للزمخشرى وتفسير أبى حيان . وانظر ديوان حاتم ٣١٣ تحقيق عادل سليمان .

وقول العينى : تعشو من عشا إذا أتى نارًا يرجو عندها خيرًا أو هُدًى ، ليس معنا ما ذكره .

وكذلك قول ابن المستوفى : يقال عشا إلى النار يعشُو إذا استدلَّ عليها ليُبصر – ضعيفٌ .

قال عبد اللطيف البغدادى (فى شرح نقد الشعر لقدامة): وصفَهُ بأَنَّ نارَه موقَدة باللَّيل ، وهذا عند العرب غايةُ المدح بالكرم وقِرَى الضِّيفان . ثم دلَّ بقوله تعشو إلى ضوءِ ناره أنَّ السَّابلة تستضىء بها وتَقصِد نحوها . وهذا صفةُ النَّار إذا كانت على نَشز ، ولا يفعل ذلك إلاَّ السيِّد الجوادُ المطعام . وقوله :

* تجدْ خير نارٍ عندها خيرُ موقدِ *

أى متى أتيته عاشيًا إلى ضوءِ ناره وجدتَ خير نار ، أى أنفعَ نارٍ للدِّفءِ والأكل ، عندَها خير موقد يحتمل معنيين : أحدهما أن يريد بمن عندها مَنْ يوقدها مِن الغِلمان والخوَل . ويريد بقوله خير موقد كثرةَ كرمهم واحتفالَهم بالوارد عليهم ، وحُسنَ القيام عليه بجميع ما يحتاج إليه .

والثانى : يريد به الممدوح ، ووصَفَه بالإيقاد وإنْ كان سيِّدًا لأنَّه آمرٌ به ، فكأنه فاعله . ويريد بقوله خير موقد أكرمَ موقد ، وأسخى مُوقِد ، وأفضلَ موقد .

فعلى هذا يكون قد وصَفه فى هذا البيت بجماع الفضائل[1] . وعلى

(١) ش : « بجميع الفضائل » .

التأْويل الأَوَّل إنَّما وصفه بالسَّخاءِ فقط، لكن ذكره أَوّلاً مفصلًا وهُنَا مجْمَلا ، فاعرف ذلك . ا هـ .

٦٦٢ ويروى أَن هذا البيت لما أُنشِدَ لعمرَ بنِ الخطَّاب قال : كذب ، تلك نار موسى صلوات الله عليه وسلامه .

والبيت من قصيدةٍ طويلة للحطيئة مدحَ بها بغيضَ بن عامرِ بن شَّماس بن لأْى بن أَنف النَّاقة التميمى . وهذه أَبياتٌ من آخرها ، وهو أَوّلُ المديح :

(فما زالت الوَجْناءُ تجرى ضُفورها
إليكَ ابنَ شمَّاسٍ تَروحُ وتَغْتدِى

تزورُ امـرأً يُؤتِى على الحمـد ماله
ومن يُعطِ أَثمانَ المحامدِ يُحْمَـدِ[1]

تَرَى البخل لا يُبقى على المرءِ مـالَه
ويعـلمُ أَنَّ الشحَّ غير مخلَّدِ

كَسوبٌ ومِتلاف إذا ما سـأَلْتَه
تَهلَّلَ واهتزَّ اهتزازَ المهنَّـدِ

متى تأْتِه تعشـو ... . البيت

تزور امرأً إن يُعطِكَ اليوم نائلاً
بكفَّيه لا يمنعك من نائل الغدِ[2]

هو الواهبُ الكُومَ الصَّفايَا لجـارِهِ
يُروِّحها العِبْدانُ فى عازبٍ ندِى[3])

(١) ط : « يرقى على الحمد » ، صوابه فى ش وديوان الحطيئة ٢٤ .
(٢) فى الديوان : « وذاك امرؤ » .
(٣) فى الديوان : « يروح بها العبدان » .

وهذا آخر القصيدة .

وقوله :« فما زالت الوجناءُ » الخ. الناقة الوجناءُ: الغليظة . وضفورها: أنساعها ، وإنَّما تَجرِى لأنَّها قلقَتْ من الضُّمر . وابنَ شماس : منادى .

وقوله : « تزور امرأً » إلخ ، قال عبد اللطيف البغدادى (فى شرح نقد الشعر لقدامة) : فيه صنفان من المدح : أحدهما : أنَّه يُؤتِى ماله لاكتسابِ الحمد ، فخلص به[1] من رذيلة التَّبذير الذى هو إنفاق لالغرض صحيح . والثانى : أنَّه ينفق مالَه لطلب الحمد ، لا لِعوضٍ[2] آخر فخلص به من رذيلة التقتير ، وهو أخذ العوض المحسوس فيما ينفقه . فحينئذ تمحَّضَ الوسط للفضيلة .

وقوله : « ومن يعطَ» إلخ ، أتى بقضية كلية مشهورة تقتضى استحقاقه للحمد .

وقوله : « يرى البخلَ لا يُبقِى» إلخ . دلَّ به على أنَّ كرَمه ليس لمجرَّد الطَّبع فقط ، بل عن فكرة ورويَّة واعتقادٍ صحيح ، ونَظرٍ فى العواقب مستقيم . قال أفلاطون فى هذا المعنى : « نِعم البخلُ لو كان المال لا يؤتَى عليه إلاَّ من جهة البَذْل . ولكنْ لمَّا كان المال معرَّضًا للتلف بالحوادث الخارجة التى لا يمكن الاحتراسُ منها ، كان إتلافه على يدَىْ مالكه أفضَلَ ، لأنَّه يَحُوز به الحمد » .

وقوله : « كسوب ومِتْلاف » إلخ. قال عبد اللطيف: وصفَه بالشَّجاعة والسَّخاء جميعاً . فبالشجاعة يكتَسِب ، وبالسَّخاء يبذلُ ويُتلف . ويجوز

---

(١) ش : « فتخلص به » .

(٢) ش : « لا لغرض آخر » .

أن يريد بكسوب أنَّه يكتسب الحمد ، وبقوله متلاف البذل ، فلا يخرج إذن عن وصفه بالسَّخاء ، بل يصحُّ أن يقال إنَّه وصفه مع السَّخاء بالعقل؛ لأنَّ السَّعىَ فى كسبِ الحمد من أفعال العقلاء . وقوله : « إذا ما سألتَه تهلَّل » أى استبشَرَ واستنار مُحَيَّاهُ . وهذا إنَّما يكون عند تناهِى الجُودِ . وقوله : « اهتزَّ اهتزازَ المهنَّد» وصَفَه مع البشاشة بالجمال والشَّهامة ، واعتدال الحركات ، فإنَّ اهتزاز المهنَّد ممَّا يوصف به الشَّهم الشجاع . وأمَّا اهتزاز القضيب والغُصنِ الرَّطيب ، فممَّا يُوصَف به النِّساءُ والمُتْرَفون .

وقوله : « هو الواهبُ الكُوم » إلخ الكُوم : جمع كَوْماءَ ، وهى الناقة العظيمة السَّنام . والصَّفايا : جمع صفيَّة ، وهى الناقة الغزيرة اللَّبن . والعِبْدان بالكسر : جمعَ عبد . والعازب : النَّبت البعيدُ عن الناس فلم يُرْعَ ، فهو أَتَمُّ[1] له . وهو بالعين المهملة والزاى المعجمة . وقد حرَّف العينى هذه الكلمة لفظًا ومعنى فقال : والغارب ، بالغين المعجمة والراء : ما بين السَّنام والعنق .

٦٦٣

والحطيئة تقدمت ترجمته فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة[2]

وأما البيت الآخر وهو :

(مَتى تأْتنا تلمِم بنــا فى دِيارنا تجِدْ حطبًا جَزْلًا ونارًا تأَجَّجا)٣

فإنَّ تُلمِمْ فيه بدلٌ من تأْتنا ، لأَنَّ الثانى - من جنس الأَوَّل ، فإنَّه يقال : أَلمَّ الرجلُ بالقوم إلمامًا : أَتاهم فنزلَ بهم . ومنه قيل أَلمَّ بالمعنى ،

(١) ط : « فهو اسم له » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ٢ : ٤٠٦

إذا عرَفه ، وألَمَّ بالذنب : فعله . كذا فى المصباح . كما أنَّ تعشو من جنس الإتيان ، فلولا أنَّه فى شعرٍ لجاز جزمُه . ويدلُّ عليه كلامُ سيبويه المتقدِّمُ وكلامُ الشارح المحقق ، فإنَّه لو كان مراده بالمِثْليّة فى قوله : « ويجوز فى مثله البدل» وقوعَ المضارع بين الشرط والجزاء فقط ، لقال : إذا كان الثانى من جنس الأَوّل ، ولم يقل لأَنَّ الثانىَ إلخ .

وكذا قال اللَّخمىُّ (فى شرح أَبيات الجمل) ، [قال[1]] : ولو كان تعشو فى موضع يقوم بالجزم فيه وَزْنُ الفِعْل[2] ، لجاز أن يبدل من تأْتِهِ ، لأَنَّ معناهما واحد ، لأَنَّه كثر فى كلامهم حتَّى صار كلُّ قاصدٍ عاشياً . والحطَب الجَزْل ، بفتح الجيم : الغليظُ منه . يريد أَنَّهم يوقدون الجَزْل من الحطب لتقوى نارُهم فينظُرَ إليها الضُّيوف على بُعدٍ ويَقصِدُونَها . والتأَجُّج : توقُّد النار . وتأَجَّجا فى البيت ماضٍ ، والأَلف للإطلاق وفاعله ضمير النار .

وقال أَبو حنيفة (فى كتاب النبات) : النار تذكَّر وهو قليل ، وأَنشد هذا البيت . ويشهد له قول الشَّمرذل[3] :

أَناخوا فصَالُوا بالسيوف وأَوقَدوا　　　بعلياءَ نارَ الحربِ حتَّى تأَجَّجا

وقال بعضهم : النَّار مؤنَّثة لا غير ، وإنَّما ردَّ الضميرَ مذكَّراً لأَنَّه أَراد بها الشِّهابَ وهو مذكَّر . وقيل لأَنَّ تأْنيث النار غير حقيقى ، فيكون على طريقة :

---

(١) التكملة من ش.

(٢) يريد وزن الشعر .

(٣) كذا فى النسختين ؛ والمعروف « الشمردل » بالدال المهملة ، وهو اسم لعدة شعراء فى المؤتلف ١٣٩ – ١٤٠ . لكن فى القاموس وتاج العروس : « الشمرذل بالذال المعجمة أهمله الجوهرى وصاحب اللسان . وقال الليث : لغة فى الشمردل بالمهملة كما فى العباب » .

* ولا أَرضَ أَبقَلَ[١] *

وقيل: الضمير راجعٌ للحطب،لأَنَّه أَهمُّ ،إِذِ النَّار إِنَّما تكون به . وقيل: ليست الأَلف للإِطلاق وإِنَّما هى ضمير الاثنين: الحطب والنار ، وإِنَّما ذكَّر الضمير لتغليب الحطب على النار . وكذا فى قوله :

مَن يأْتنا يومًا يقصُّ طريقَنــا ... يجدْ حطبًا جزلاً وناراً تـأَجَّجـا

قال أَبو على: قال أَبو الحسن : يعنى النار والحطب . وقال بعضهم: تـأَجَّجا فعلٌ مضارع محذوفٌ من أَوَّله التاءُ ، والأَلف مبدلةٌ من نون التوكيد الخفيفة ، والأَصل تتـأَجَّجَن ، فالضمير المستتر للنار المؤنَّثة ، ولهذا أَنَّث الفعل .

والبيت من قصيدةٍ تزيد على ثلاثين بيتاً لعُبيد الله[٢] بن الحرّ ،قالها وهو فى حبس مُصعَب بن الزُّبير فى الكوفة .

وكان ابنُ الحرِّ لشهامته لا يُطِيع أَحدًا ، فقال الناس لمصعب: إِنَّ عُبيد الله بنَ الحرّ كان قد أَبَى على المختار غير مرَّة ، وخالفه وقاتله، وفعلمثل ذلك بعُبيدِ الله بنِ زيادٍ منْ قَبْل، فليس لأَحدٍ عليه طاعة، ونحن نتخوَّف أَن يثور فى السَّــواد فَيكسِرَ عليك الخراجَ كما كان يفعل ، وقد أَظهر طَرَفًا من الخلاف، فأَلطِفْ له حتَّى تحبسَه . فلم يزل مصعبٌ يتلطَّف به ويَعِدُه يمنِّيه الأَمانىَّ حتَّى أَتاه، فلمَّا أَتاه أَمربه فحُبِس، فقال فى ذلك قصائد، وقال هذه القصيدةَ وهو فى السِّجن لرجل من أَصحابه ، وكان

---

(١) قطعة من الشاهد المشهور ، وهو الشاهد الثانى فى الخزانة لعامر بن جوين الطائى :

فلا مزنة ودقت ودقهـــــا ... ولا أرض أبقل إبقالهـا

(٢) فى النسختين : « لعبد الله بن الحر » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر ترجمته فيما سبق ٢ : ١٥٥ — ١٦١

حُبِس معه ، يقال له عطيّة بن عمرٍو البكرى ، وذلك أنَّ عطيّةَ جزع فى السَّجن . ومطلعها :

أبيات الشاهد ٦٦٤

(أقــولُ له صبرًا عَطِىَّ فإنَّمــا هو السِّجنُ حتَّى يجعلَ اللهُ مَخرَجا)

إلى أن قال :

(ومنزلةٍ يا ابن الزُّبير كريهــةٍ شددتُ لها من آخر الليل أَسْرُجا
لفتيانِ صدقٍ فوق جُرْدٍ كأنَّهــا قِداحٌ براها الماسخىُّ وسَــحَّجا
إذا خرجُوا من غمرةٍ رجَعُوا لها بأَسيافهم والطَّعنِ حتَّى تَفرَّجــا
متى تأْتنا تلمم بنا فى ديارنا . . . البيت)

والقصيدة بتمامها (فى كتاب اللصوص) . وعَطِىّ : منادى مرخم عطيَّة . والواو فى قوله « ومنزلة » واو رُبَّ . وابن الزبير هنا مُصعَب . وأَسرُج : جمع سَرْج . والجُرد : جمع أَجرد ، وهو القصير الشَّعر من الخيل . والقداح : جمع قِدْح بكسر القاف فيهما ، وهو عُود السهم قبل أن يُجعَل له نَصل . والماسخىّ ، بالخاء المعجمة : الذى يصنع السِّهام . وسَحَّجا بتشديد الحاء المهملة وقبلها سين مهملة ، أى نحتَه ومَلَّسَه .

والغمرة ، بفتح المعجمة : الشِّدَّة . والطعن معطوف على الأَسياف ، وتَفَرَّجا أَصله تتفرَّجنْ بنون توكيد خفيفة ، فقلبت أَلفاً ، وحذفت التاءُ من أَوله ، ومعناه تتكشَّف. والفُرجة : الثُّلمة . وفاعله ضميرُ الغمرة .

وقوله : (متى تأْتنا) فاعلُه مستتر فيه راجعٌ لفتيان . وكذلك الحال فى (تُلْمِم) و (تجد)، وليست التاءُ فيها للخطاب. ورواه صاحب كتاب اللصوص :

متى تأْتنى فى منزل قد نزلتُه تجد حطباً جزلًا . . . البيت

وترجمة ابن الحُرّ تقدَّمت مفصَّلَة فى الشاهد التاسع بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد السبعمائة[٢] .

٧٠٣ (دَعْنِى فأَذهبَ جانبًا يومًا وأَكفِكَ جانبا)

على أنّه عطف (أَكفِك) مجزومًا على جواب الأمر المنصوب بأَن بعد الفاء السببية ، وهو فأَذهَبَ ، على توهُّم سقوط الفاء وجزمِ أَذهبْ فى جواب الأَمر .

قال صاحب المفصَّل : وسأَل سيبويه الخليلَ عن قوله تعالى : ﴿ لولا أَخَّرتَنِى إلى أَجَلٍ قريبٍ فأَصَّدَّقَ وأَكُنْ من الصالحين[٣] ﴾ ، فقال : هذا كقول ابنِ معديكرب[٤] : صاحب الشاهد

دعْنى فأَذهبَ جانبَـا يومًا وأَكفِـكَ جانبـا

وكقوله :

بدا لىَ أَنِّى لستُ مُدرِكَ ما مضىَ
ولا سابقٍ شيئًا إذا كـان جائيا[٥]

أَى كما جرُّوا الثانى ، لأَنَّ الأَوَّل تدخله الباءُ[٦] فكأَنَّها ثابتة فيه . فكذلك جزمُوا لأَنَّ الأَوَّل يكون مجزومًا ولا فاءَ فيه ، فكأَنَّه مجزوم. ا هـ .

أَقول : بيت ابنِ معديكرب لم يوردهُ سيبويه فى كتابه البتَّةَ ،

---

(١) انظر الحاشية السابقة .
(٢) ابن يعيش ٧ : ٥٦ .
(٣) الآية ١٠ من سورة المنافقين .
(٤) فى النسختين : « معديكرب » فى هذا الموضع وتاليه ، والوجه ما أثبت .
(٥) هو الشاهد التالى .
(٦) ط : « يدخله الباء » .

لا هنا ولا فى موضع آخر ، كما يظهر لك من نقل كلامه بعد هذا .
وقد خَبَط ابن المستوفى هنا خَبْط عشواءَ من وُجوه[1] فقال بعد أن نقل عبارة المفصَّل : الأَوَّل من المسألتين كثيرٌ فصيح ، كقوله تعالى : ﴿ منْ يُضْلِلِ اللهُ فلا هادِىَ له ويَذَرْهم[2] ﴾ . والثانى لحنٌ لا يأْتى إلَّا فى ضرورة شعر ، لأَنَّ الأَوّل محقَّق فيه الجزم موضعًا لوجود الفاء ، والثانى مُتوهَّمٌ فيه الجرُّ لعدم الباءِ . هذا إذا ثبت أَنَّه روى بفتح الباءِ فى قوله : فأَذهَب ، ولو رُوى بسكونها كان معطوفًا عليه لفظًا ، وإذا فتحتَ الباءَ كان وأَكفكَ معطوفًا على محل الفاءِ ، لأَنَّها واقعة موقع الجزاءِ المجزوم . اهـ

٦٦٥

أَحدها : أَنَّ الآية لا مناسبة لإِيرادها هنا .

ثانيها : أَنَّ بيت زهير لم يقل أَحدٌ إنَّه مِن قبيل اللحن . وكيف يسوغ تلحينُ أَهلِ اللِّسان لاسِيَّمَا زهير .

ثالثها : قوله : « هذا إذا ثبت أَنَّه روى بفتح الباءِ » إلخ ، كأَنَّه لم يثبت عنده فتح الباءِ ، مع أَنَّه ثابتٌ عند جميع الرُّواة .

رابعها : قوله : « ولو روى بسكونها » إلخ ، يعنى أَنَّه يكون عطفَ أَمر على أَمر . وفيه أَنَّه يخرج حينئذ عن كونه شعرًا .

خامساً : قوله : « كان أَكفكَ معطوفًا على محلّ الفاءِ » إلخ عبارةٌ قلقة ، وحقُّ التعبير : على توهُّم سقوط الفاءِ وجزم أَذهبْ ، وهو المسمَّى عطفَ التوهُّم ، والعطفَ على المعنى .

---

(١) ط : « من وجده » ، صوابه فى ش .

(٢) الآية ١٨٦ من الأعراف . وقراءة الجزم هى قراءة حمزة ، والكسائى ، وخلف . إتحاف فضلاء البشر ٢٣٣ .

هذا: وقال ابن الحاجب (فى أماليه): يجوز أن يكون المعنى اتركْنى أتصرَّفْ فأذهبَ إلى جهة فأكفِيَكَ جانباً تحتاج إلى كفايته بتصرُّفى وذهابى. ويجوز أن يريد: دعنى يومًا وأكفك جانباً يومًا. أى: إذا تصرَّفتُ لنفسى يومًا كفيتُك جهةً تخشاها يومًا آخر. اهـ.

وقال بعض فضلاءِ العجم: انتصب جانبًا الأَوَّل على الظرف، والثانى على أَنَّه مفعولٌ ثان لأَكفك، كأَنَّه خطابٌ لمن عذلَه على السَّفر والبُعْد، أَى اتركنى أَذهبْ فى جانب من الأَرض وأَكفِكَ جانبًا من الجوانب التى تتوجَّه إليها.

وهذا البيت لم أَجده فى ديوان عمرو بن معد يكرب، فإنى تصفَّحت ديوانه مرارًا فلم أَره فيه، كما أَنَّ غيرى تصفَّح ديوانه فلم يجدْه فيه. والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الرابع بعد السبعمائة، وهو من شواهد س[1]:

٧٠٤ (بدالَ أَنِّى لستُ مــدركَ ما مضى
ولا سابقٍ شيئًا إذا كانَ جائيا)

على أَنَّ قوله: (سابق) بالجر معطوف على مدرك على توهُّم الباءِ فيه، فإنَّه يجوز زيادة الباءِ فى خبر ليس، كقوله تعالى: ﴿ أَليسَ اللهُ بكافٍ عَبْدَه[2] ﴾.

---

(١) فى كتابه ١ : ٨٣ ، ١٥٤ ، ٢٩٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٩ ، ٤٥٢ / ٢ : ٢٧٨ وانظر المقتضب ٢ : ٣٣٩ / ٤ : ١٩١ ، والأصول ١ : ٣٠٦ والجمل ٩٦ والخصائص ٢ : ٣٥٣، ٤٢٤ ومختصر القوافى لابن جنى ٢٦ والإنصاف ١٩١ ، ٣٩٥ ، ٥٦٥ وابن يعيش ٢ : ٥٢/ ٧ : ٥٦ / ٨ : ٦٩ والمغنى ٩٦ ، ٢٨٨ ، ٤٦٠ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٥٥١ ، ٦٧٨ والعينى ٢ : ٣٦٧ / ٣ : ٣٥١ والهمع ٢ : ٢٤١ وديوان زهير ٢٨٧ .

(٢) الآية ٣٦ من سورة الزمر .

قال سيبويه (فى باب الحروف التى تنزَّل بمنزلة الأَمر والنهى، لأَنَّ فيها[1] معنى الأَمر والنهى) : وسأَلت الخليل عن قول الله عزَّ وجل : ﴿ فأَصَّدَّقَ وأَكُنْ[2] ﴾ فقال : هو كقول زهير :

بدا لىَ أَنِّى لستُ مدركَ مامضَى ولا سابقٍ شيئًا إذا كان جائيـــا

فإنَّما جرُّوا هذا لأَنَّ الأَول تدخله الباءُ ، فجاءُوا بالثانى وكأَنَّهم قد أَثبتوا فى الأَوَّل الباء . وكذلك هذا لمَّا كان الفعل الذى قبله قد يكونَ جَزْمًا ولا فاءَ فيه تكلَّموا بالثانى وكأَنَّهم قد جَزَموا قبله . فعلى ذلك توهَّموا هذا . اهـ .

وهذا كما ترى ليس فيه البيتالسابق. وبيان الآية وأَوّلها: ﴿ رَبِّ لولا أَخَّرتنى إلى أَجلٍ قريبٍ فأَصَّدَّقَ وأَكُنْ من الصَّالحين ﴾: أَنَّ لولا معناها الطلب والتحضيض ، فإذا قلت لولا تعطينى، معناه أَعطِنى ، فإذا أُتِىَ لها بجواب كان حكمُه حكمَ جواب الأَمر ، إذْ[3] كان فى معناه وكان مجزومًا بتقدير حرف الشرط ، فإذا أَجبتَ بالفاءِ كان منصوبًا بتقدير أَن ، فإذا عطفت عليه فعلاً آخر جاز فيه وجهان : النصب بالعطف على ما بعد الفاءِ ، والجزم على موضع الفاءِ لو لم تدخل وتقديرِ سقوطها . ٦٦٦

وقد ذكر سيبويه هذا البيتَ فى ثلاثة مواضعَ أُخَر من كتابه[4] .

أَحدها : فى باب الفاءِ عند ذكر نواصب الفعل ، قال فيه بعد أَن أَنشده : لمَّا كان الأَوَّل يُستعمَل فيه الباءِ ولا تغيِّر المعنى ، وكانت

---

(١) فى النسختين : « فيه » ، صوابه فى سيبويه ١ : ٤٥٢ .
(٢) الآية ١٠ من سورة المنافقين .
(٣) ط : « إذا » صوابه فى ش .
(٤) هى ست مواضع أخر ، كما سبق فى تخريج الشاهد .

مما يلزم الأَوَّل نَووْها فى الحرف الآخِر، حتَّى كأَنَّهمْ قد تكلَّموا بها فى الأَوَّل .

ثانيها : قُبيلَ باب يضمرون فيه الفعل لقُبح الكلام ،أنشده فيه كذلك.

ثالثها : وهو أول موضع وقع فى كتابه ، أنشده فى باب اسم الفاعل يعمل عمل فِعله ، بنصب سابقٍ قال : إذا كان اسم الفاعل منوَّنًا ينصب المفعولَ به .

وأنكر المبرِّد روايةَ الجر وقال : حروف الخفض لا تُضمَر وتَعمل . والرواية عنده : « ولا سابقًا » بالنصب ، « ولا سابقِى شىءٌ » بالإضافة إلى الياء ورفع شىءٌ على أَنَّه فاعل سابق. وروى أيضاً: «ولا سابقٌ شيئًا » بالرفع على أنه خبر لمبتدإٍ محذوف ، والتقدير: ولا أنا سابقٌ شيئاً .

قال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : وفى هذا البيت شاهدٌ آخر وهو إضافة اسم الفاعل المعمَل ، وذلك قوله : « مدركَ ما مضى » . والدليل على أنَّه مُعمَلٌ أَنَّه خبر ليس، وليس لا تنفى ماضيًا ، وإنَّما تنفى المضارع ، وعطفُ سابق عليه . وفيه تقديرُ المصدر على المعنى ، إذْ لم يكن للفعل الواقع بعدها مصدرٌ، فيكون التقدير : بدا لِىَ امتناعُ إدراكِ ما مضى . وإنَّما قدَّر المصدر من غير اللفظِ، لأَنَّ ليس لا مصدر لها. بدا: ظَهَرَ . وأَنِّى بالفتح . وجملة لست إلخ فى محلّ خبر أَنَّ ، وأَنَّ ومعمولاها فى تأويل مصدرٍ مرفوعٍ فاعل بدا . وما موصولة ومضى صلتها ، أو ما نكرة ومضى فى محل الصّفة . وإذا شرطيّةٌ حذف جوابُها ، ويدلُّ عليه ما قبلها. ولا يصحُّ أن تكون ظرفيَّة ، لأَنَّ الشىءَ لا يسبقُ وقت مجيئه ، وإنَّما

يسبق قبل مجيئه ، والعامل فى إذا الشرطية هنا خبر كان ، أو نفس كانَ إنْ قلنا بدلالتها على الحدث .

صاحب الشاهد

والبيت نسبه سيبويه تارةً إلى زهير بن أبى سلمى ، وتارة إلى صِرمة الأَنصارىّ . وقال ابن خلف : وهو الصحيح. ويروَى لابن رَوَاحة الأَنصارىّ وقد تقدم إنشادُه فى قصيدةَ زهيرٍ فى الشاهد الخامس والخمسين بعد السّمائة[1] .

(١) الخزانة ٨ : ٤٩٢ .

باب الأمر

أَنشد فيه :

(لتقمْ أَنتَ يا ابنَ خيرِ قريشٍ)

تقدَّم شرحه فى الجوازم فى الحادى والثمانين بعد الستمائة[١] .

* * *

وأَنشد بعده :

* محمَّدُ تفْدِ نفسَك كلُّ نفسٍ *

تقدم شرح هذا أَيضاً هناك[٢] .

---

(١) انظر ما سبق فى ص ١٤ .

(٢) يعنى الشاهد الثمانين بعد الستمائة . وقد سبق فى ص ١١ — ١٤ .

المتعدى وغير المتعدى

٦٦٧ أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس بعد السبعمائة[١] :

٧٠٥ (يقرَأْن بالسُّوَرِ)

هو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(تلكَ الحرائرُ لا رَبَّاتُ أَحمــرة
سُــودِ المحاجرِ لا يَقْرأْن بالسُّــوَرِ)

على أَنَّ الباءَ زائدةٌ فى المفعول بـه .

قال ابن هشام (فىالمغنى): وقيل ضمِّن يقرأْن معنى يَرقِين ويتبرَّكن ، وأَنَّه يقال : قرأْت بالسُّورة ، على هذا المعنَى ، ولا يقال قرأْت بكتابك ، لفَواتِ معنى التبرُّك . قاله السهيلى .

وقال أَيضاً (فى أَوَّل الباب الثامن) : قد يُعطَى النَّفْىُ حكم ما أَشبهه فى معناه ، ومنه إِدخال الباءِ فى لا يقرأْن بالسُّور ، لمَا دخَله من معنى لا يتقرَّبن بقراءَة السُّوَر . ولهذا قال السُّهيلى : لا يجوز أَن تقول : وَصَلَ إِلىَّ كتابُك فقرأْتُ به ، على حدِّ قوله: لا يقرأْن بالسُّوَرِ ، لأَنَّه عارٍ عن معنى التقرُّب . ا هـ .

ولا يخفاك أَنَّ ما نقله عن السهيلى فى الموضعين مختلف ، وكأَنَّه أَشار إِلى أَنَّ مدار التضمين لفظٌ يجوز أَن يتعدَّى بالحرف المذكور ، أَىَّ لفظ كان . وكلٌّ من هذه الأَلفاظ المذكورة يتعدَّى بالباءِ ، ولكنَّ كلام السُّهيلى مبنىٌّ على أَنَّ التضمين قياسى .

---

(١) مجالس ثعلب ٣٦٥ والمخصص ١٤ : ٧٠ وابن يعيش ٨ : ٢٣ والمغنى ٢٩ ، ١٠٩ ، ٦٧٥ وديوان الراعى ٨٧ و القتال الكلابى ٥٣ . واللسان (قرأ) .

صاحب الشاهد والبيت وقع فى شعرين : أَحدهما للرَّاعى النميرى ، والثانى للقتَّال الكلابى .

أَمَّا الأَوَّل فهو من قصيدةٍ أَوّلُها :

(يا أَهلُ ما بالُ هذا الليلِ فى صَفَـرِ
يزداد طـولاً ومـا يزداد فى قِصَرِ

ى إِثْر من قُطِعت عنِّى قرينتُـه
يوم الحَـدَالَى بأَسـبابٍ من القَـدرِ

كأَنَّما شُقَّ قلبى يومَ فارقهُـمْ
قسمين : بين أَخى نَجْدٍ ومنحـدِرِ

همُ الأَحبَّـةُ أَبـكِى اليومَ إِثرَهمُ
قد كنتُ أَطربُ إِثْرَ الجِيرة الشُّطُـرِ

فقلتُ والحَرَّةُ الرَّجْـلاءُ دونَهـمُ
وبَطنُ لجَّـانَ لمَّا اعتادنى ذِكـرى

صَلَّى على عـزَّةَ الرّحمنُ وابنتِهـا
ليلى ، وصَلَّى على جاراتِهـا الأُخَـرِ

هن الحرائرُ لا ربَّات أَحمرةٍ . . . . . البيت)

وهى قصيدةٌ طويلة تزيد على الخمسين .

قوله : « فى صفر » هو اسم الشهر ، قالوا : خصَّه لأَنَّ الهَّم فيه أَصابه . وقيل كان صفرُ صيفًا ، وليلُ الصيف قصير ، فقال : كيف طال علىّ الليل فى الصَّيف ؟ ! وإِنَّما ذلك لما هو فيه من الغَمّ ، فلذلك طال عليه اللَّيل . كذا قال ابن المستوفِى .

وقوله : « فى إثر » متعلِّق بيزداد . وأراد بالقرينة الحبيبةَ، لأنَّها تشبه القمر . والحَدَالَى بفتح المهملة والقَصْر : موضع .

والجيرة : جمع جار بالجيم . والشُّطُرُ بضمتين : جمع شطير ؛ وهو البعيد .

والحرّة الرَّجْلاءُ : موضعٌ فى ديار جُذام ، الأوّل بالمهملة والثانى بالجيم . ويروى : « والحرة السَّوداءُ » . ولَجَّان ، بفتح اللام وتشديد الجيم : وادٍ قِبَلَ حرّةِ بنى سُلَيم .

وقوله : « صلَّى على عزَّة » إلخ الصَّلاة : الرحمة . وعَزّة بفتح المهملة وتشديد المعجمة : محبوبة كثيِّر الشاعر .

وقوله : (تلك الحرائر) إلخ ، الإشارة بتلك إلى النساء المذكورة . وإيثار اسم الإشارة لتمييزهنَّ أكملَ تمييز ، وكونه بالبعيد للتعظيم . وروى : « هُنَّ الحرائر » . وتلك مبتدأٌ ، والحرائر خبره ، وقال بعض أفاضل العجم : الحرائر صفته. وقوله (لا ربَّات) هو الخبر. ويبطله رواية هُنّ الحرائر ، وهو جمع حُرّة ، ومعناها الكريمة والأَصيلة ، وضدُّ الأَمَة. والرَّبَّات : جمع ربَّة بمعنى صاحبة . ولا نافية عاطفة على هُنّ أو على تلك . قال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : والأَحمرة : جمع حِمار بالحاءِ المهملة جمع قِلَّة . وخَصَّ الحمير لأنَّها رُذَالُ المالِ وشرُّه . يقال « شرُّ المال مَالَا يزكَّى ولا يُذَكَّى[1] » . ا هـ.

٦٦٨

وكذا ضبط هذه الكلمة صاحبُ (كتاب اللصوص) وابن المستوفى . وقد صحَّف الدَّمامينىُّ (فى الحاشية الهندية) هذه الكلمةَ بالخاءِ المعجمة

(١) شرح أدب الكاتب للجواليقى ٣٧٨ – ٣٧٩ .

وقال : والأَخمرة : جمع خِمار ، وهو ما تستُر به المرأةُ رأسها . وفى القاموس : « وكلُّ ما ستر شيئًا فهو خِمار » . هذا كلامه[١] ، وتبعه من بعده .

وقوله : (سُود المحاجر) صِفةُ رَبَّات ، لأَنَّ إضافة ما بمعنى اسم الفاعل المستمرّ تخفيفيّة[٢] لا تفيدُ تعريفاً، كقولهم: ناقة عُبْرُ الهواجر[٣] ، أى عابرة فيها . وكذلك سُود المحاجر ، أى مسوَدَّة محاجرها ، وهو جمع محجر كمجلس ومِنبر . قال الجواليقى : هو من الوجه حيث يقَع عليه النِّقاب ، وما بدا من النِّقاب أيضاً . اهـ . وأراد بهذا الوصف الإماء السود .

قال (صاحب أشعار اللصوص) : سود المحاجر من سَواد الوجه ، وخصَّ المحاجر دون الوجه والبدن كلِّه لأَنَّه أَوّلُ ما يُرَى. ومن هذا قولُ النابغة :

* ليست من السُّودِ أَعقابًا إذا انصرفت[٤] *

وإنما أَراد سواد الجَسدِ كلِّه .

وجملة (لا يقرأْن) صفة ثانية لربَّات . قال الجواليقى : يقول : هنّ خَيْراتٌ كريماتٌ[٥] ، يتلون القرآن ، ولسنَ بإماءٍ سُود ذواتِ خُمُر يَسقِينَها . اهـ .

---

(١) ش : « وهذا كلامه » ، بزيادة الواو .
(٢) فى النسختين : « تخفيفة » ووجهه ما أثبت . والمراد أنها إضافة لفظية .
(٣) فى النسختين : « عبرة » ، صوابه ما أثبت . والكلمة مثلثة الفاء مع سكون العين ، كما فى اللسان والقاموس . وفى القاموس أنها بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والواحد والجمع .
(٤) عجزه فى ديوانه ٦٥ من مجموع خمسة دواوين :
* ولا تبيع بجنبى نخلة البرما *
(٥) ط : « هن من خيرات كريمات » ، وأثبت ما فى ش والجواليقى .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : إنَّ تلك الحرائر ليست أَربابَ أَخمرة ولا يتستَّرن بها ، سودُ المحاجر لهزالها أَو لكِبَرِ أسنانها ، جاهلاتٌ لا يقرأْن القرآن . هذا كلامه . وهذا لا يُقضَى منه العجب .

وعنده أَنَّ أَخمرة بالمعجمة ، وهو تصحيف كما مرّ .

وترجمة الراعى تقدَّمت فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة [(١)] :

وأَمّا الشعر الثانى فهو للقتَّال الكلابى . قال صاحب(كتاب اللصوص) : أَخبرنا أَبو سعيدٍ حدّثنى أَبو زيد ، حدَّثنى حُميد بن مالك ، أَنشدنى شدَّاد بن عُقبة ، للقتَّال فى ابنه عبد السلام :

(عبدَ السَّلامِ تأَمَّلْ هل تَرى ظُعُنًا
إِنِّى كبِرتُ وأَنتَ اليــوم ذو بَصَرِ
لا يُبعِــدِ الله فتيــانَا أَقولُ لهــم
بالأَبرقِ الفَــرْدِ لمَّــا فاتنِى نظــرِى
يا هَــلْ تُرَوْنَ بأَعــلى عاسمٍ ظُعُنًا
نَكَّبْن فَحــلَيْنِ واستَقْبلن ذا بقَرِ
صَلَّى على عَمْــرةَ الرَّحمنُ وابنتِهــا
ليلى ، وصلَّى على جاراتِهــا الأُخَــر
هُنَّ الحرائرُ . . . . البيت)

---

(١) الخزانة ٣ : ١٥٠ .

وعبدَ السلام منادى . وظُعن : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى الهودج . والأَبرقُ الفردُ : موضع ، وكذلك عاسم ؛ بالمهملتين ، وفحلَين بإعراب المثنَّى ، وذو بقر : أسماءُ مواضع . وأراد بهذه الظُّعن نساءه وحريمه .

قال ياقوت (فى معجم البلدان) : فحلين بلفظ التثْنيه : موضعٌ فى جَبل أُحد . وأَنشد هذه الأَبيات .

القتال الكلابى

والقتَّال الكلابى اسمُه عبد الله بن مُجِيب بن المَضْرَحىّ بن عامر ابن كعب بن عَبْد بن أَبى بكر بن كلاب . وقيل اسمه : عبادة بن المجيب . وقيل اسمه : عُبيد بن مُجيب ، وكنيته أبو المسيَّب . كذا (فى كتاب اللصوص) .

وهو شاعرٌ إسلامىٌّ كان فى الدولة المرْوانية فى عَصر الراعى والفرزدق وجرير ، ولُقِّبَ بالقتَّال لتمرُّده وفَتْكه . وكان شجاعًا شاعراً . وكان فى دناءَة النفس كالحُطيئة ، وكانت عشيرته تُبغِضه لكثرة جناياته ، وما يَلحقُها من أذاه ، ولا تمنعُه من مكروه يلحقه .

وأورد له صاحب كتاب اللصوص جناياتٍ كثيرة ، وله فيها أشعار .

* * *

وأنشد بعده :

(إذا لم تَجِدْ من دُونِ عَدنانَ والدًا
وذُونَ مَعَــدٍّ فلتزَعْكَ العــواذلُ)

على أنَّ (دون) معطوف على محلِّ الجار والمجرور ، أعنى « مِنْ دون»

وكأنَّه قال : فإن لم تجد دونَ عدنان والدًا ودون مَعَدٍّ . وقوله : (فلتزَعْك) بفتح الزاى : أمرٌ من وزعته أَزَعُه وَزْعاً ، إذا كففْتَه .

وقد تقدَّم شرحُه مستوفىً فى الشاهد الثالث والعشرين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد السبعمائة[2] :

٧٠٦ (أشارتْ كُليبٍ بالأَكُفِّ الأَصابعُ)

على أَنَّ بقاءَ عمل حرف الجر بعد حذفه شَاذٌّ . وعند ابن عصفور ضرورة ، والتقدير : أَشارت إلى كليب ، وكان القياس النَّصبَ بعد حذف الجار .

وقد رأَيتُه (فى ديوانه) و (فى المناقضات) منصوبًا . وأنشده أَبو على الفارسى (فى التذكرة القصرية) بالرفع . وكذا رأَيته (فى شرح المناقضات)، قال شارحها : أَراد : أَشارت الأَصابع : هذه كليبٌ . ويروى : « أَشَرَّت كليبًا » ، أَى رفعَت .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

(إذا قيل أَىُّ النَّاسِ شَرٌّ قبيلةً)

والبيت من قصيدة عدتها خمسةٌ وأَربعون بيتاً للفرزدق ، ناقض بها قصيدةً لجرير هجاه بها على هذا الروىِّ ، وغالب أَبياتها فى كتب النحو .

صاحب الشاهد

وهذا مطلعها :

أبيات الشاهد

(مِنَّا الذى اختِيرَ الرِّجالَ سَماحــةً
وخيرًا إذا هبَّ الــرِّياحُ الــزَّعــازِع

(١) الخزانة ٢ : ٢٥٢ — ٢٥٩ .

(٢) النقائض ٧٠٢ والمغنى ١١ ، ٦٤٣ والعينى ٢ : ٥٤٥٢ / ٣ : ٣٤٥ والتصريح ١ : ٢١٢ والهمع ٢ : ٣٦ ، ٨١ والأشمونى ٢ : ٩٠ ، ٢٣٣ وديوان الفرزدق ٥٢٠ .

ومنّا الذى قاد الجيادَ على الوجَى
لِنَجْرانَ حتَّى صبَّحتها النزائعُ(١)
ومنّا الذى أعطَى الرّسولُ عطيّةً
أُسارَى تميم والعيونُ دوامعُ
ومنّا الذى يُعطِى المئينَ ويشترى الْ
غَوالِيَ ويعلُو فضلُه مَن يُدافعُ
ومنّا خطيبٌ لا يُعابُ وحاملٌ
أَغرُّ إذا التفَّتْ عليه المجامعُ
ومنّا الذى أَحيا الوئيدَ ، وغالبٌ
وعمرٌو ، ومنّا حاجبٌ والأَقارعُ
أُولئك آبائى فجئنى بمثلِهِمْ
إذا جَمَعَتْنا يا جريرُ المَجامعُ
بهمْ أَعتلِى ما حَمَّلتنى مجاشعٌ
وأَصْرَع أَقرانى الذين أُصارِعُ
فياعجبًا حتَّى كليبٌ تسبُّنى
كأَنَّ أَباها نَهْشَلٌ أَو مجاشعُ
تَنحَّ عن البَطْحاءِ إنَّ قديمَهَا
لنا ، والجبالُ الراسياتُ الفوارعُ
أَخَذْنا بآفاق السَّماءِ عليكمُ
لنا قَمراها والنجومُ الطَّوالعُ
أَتَعدِلُ أَحسابًا لِئامًا أَدِقَّة
بأَحسابنا ، إنّى إلى الله راجعُ

(١) ترتيب هذا البيت هو السابع فى كل من النقائض والديوان .

وكُــلٌّ فطــيم ينتهــى لفــطامه
وكــلُّ كليبىٍّ ولو شــابَ راضــعُ[(١)]

تَزَيَّدُ يَرْبوعٌ بهــم فى عــــديدهم
كما زيد فى عرض الأَديم الأَكــارعُ[(٢)]

٦٧٠

إذا قيــل أَىُّ النــاس شرٌّ قبيــلةٍ
أَشــارت كليبًا بالأَكــفِّ الأَصــابعُ)

وقوله : « منا الذى اختير الرِّجالَ سماحةً » ، يأْتى شرحُه إن شاءَ الله فى بيتٍ بعد هذا .

وقوله : « ومنا الذى قاد الجياد » إلخ ، هذا هو الأَقرع بن حابس ، وعمرو بن كلثوم ، كلاهما غَزَوا نَجْران .

وقوله : « ومنَّا الذى أَعطى الرَّسولُ » إلخ هذا يومُ بنى عَمرو بن جُندب ، حين ردَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَبْيهم . وقال أَبوعبيدة : كلَّم الأَقرعُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى أَصحاب الحُجُرات ، وهم بنو عمرو بن جندب ، فردَّ سبْيَهم .

وقوله : « ومِنَّا خطيبٌ» إلخ الخطيب هو عُطارد بن حاجب بن زُرارة ، حين وفَدَ إلى النبىِّ صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم . والحامل : عبد الله بن حكيم ، الذى حَمَل الحَمَالاتِ يوم المِرْبَد ، يوم قُتِلَ مسعودُ ابن عمرو العَتَكِىُّ .

---

(١) فى كل من الديوان والنقائض : « وإن شب » .
(٢) الديوان والنقائض : « فى عدادهم » .

وقوله: « ومنَّا الذى أَحيا الوئيد» هو جدُّه صعصعة بن ناجية، كان يشترى البنت ممن يريد وَأْدها، فأَحيا ستًّا وتسعينَ موءُودةً إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله: فيا عَجباً حتى كليبٌ، البيت، يأْتى شرحه إن شاءَ الله تعالى فى حتَّى الجارة.

وقوله: « إذا قيل أَىُّ الناس » إلخ إنَّما بنى قِيلَ بالبناءِ للمفعول لأَنَّه أَراد التعميم، أَى إذا قال قائل. وجملة أَىُّ الناس شرٌّ قبيلةً من المبتدإ والخبر نائب الفاعل، ونيابة الجملة مختصَّة بالقول نحو: ﴿ ثم يُقالَ هَذا الذى كُنْتُمْ بِهِ تُكذِّبون[١] ﴾ لأَنَّ الجملة التى يراد بها لفظُها تنزَّل منزلة الأَسماءِ المفردة. و (شرٌّ) أَفعل تفضيل حُذفت منها الهمزة. و (أَشارت) جواب إذا. وروى أبو على (فى تذكرته): « أَشَرَّت» بدله، وقال: يريد أَشارت إليها بأَنَّها شر الناس، يقال لا تُشِرَّ فلانًا، أَى لا تُشِرْ إليه بشَرّ. وإنَّما قال أَشارت للإِيماءِ إلى أَنَّ حال هذه القبيلة فى الشر قد صار أَمرًا محسوساً يُشار إليه. و(الأَصابع) فاعل أَشارت، وإنَّما جمع للتنبيه على كثرة المشيرين[٢]، كلٌّ واحدٍ منهم يُشير إليهم[٣] بإِصبعٍ واحدةٍ كما هو المعتاد.

قال الدَّمامينىّ: وبالأَكفّ حال من الأَصابع، أَى أَشارت الأَصابع فى حالة كونها مع الأَكفّ. يعنى أَنَّ الإِشارة وقعَتْ بالمجموع. قال:

---

(١) الآية ١٧ من سورة المطففين.

(٢) ط: « المشير من »، صوابه فى ش.

(٣) ط: « لا يشير إليهم »، وأثبت ما فى ش. والمألوف أن يشار بإصبع واحدة فقط. وقد يكون عنى أن الإشارة وقعت على خلاف المعتاد، فيكون إثبات « لا » مقبولا.

وفيه مزيدُ ذَمٍّ لهذه القبيلة ، فالباءُ على هذا للمصاحبة . وقيل هذا من قبيل القلب المقبول ، لتضمُّنه معنًى لطيفًا ، وهو المبالغة فى هَجْوِ هذه القبيلة ، لإيهامه أنَّه صار يُشار إليها حالَ السؤال عن حالها على خلاف المعتاد ، لمزيدِ شَرِّها . والأَصل : أَشارت الأَكفُّ إلى كليب بالأَصابع ، فالباءُ للاستعانة . قال ابن الحنبلىّ : ويقوِّى الأَوَّل أَنَّه يقال : فلانٌ يشار إليه بالأَصابع ، ولا يقال بالكفّ ، فلتكن الأَصابع هنا هى المشيرة ظاهرًا وباطناً ، على التجوُّز فى الإسناد ، من دون قَلْب .

ورد ابن المُلاَّ على شيخه بأَنَّه إنَّما يقال ذلك حيث يُطوَى ذكر الفاعل ، وما فى البيت ليس كذلك ، على أَنَّ مَا يقال إنَّما يقوِّى وجه القلب ، لدخول الباءِ فيه على الأَصابع .

والناس : اسمُ جمعٍ لإنسان ، أَصله أُناس حذفت همزته تخفيفاً . وفى القاموس : الناس يكونُ من الإنس ، ومن الجنّ .

والقبيلة : واحدة قبائل العرب ، وهى الطبقة الثانية من الطبقات الست التى عليها العرب ، وهى الشَّعب بالفتح ، والقبيلة ، والعمارة[1] والبطن ، والفخذ ، والفصيلة . فالشَّعب يجمع القبائل ، وهى تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن يجمع الأَفخاذ ، والفخذ يَجْمع الفصائل . وإنَّما قيل لها قبيلة أَخْذًا من قبيلة الرأس وقبائله : القِطَع المَشْعوبُ بعضها إلى بعض ، وذلك لتقابلها وتناظرها فى الشَّعب كما قيل له شَعْب لتَشعُّب القبائل إليه أَوْ منه . ٦٧١

(١) العمارة بكسر العين وفتحها ، كما فى اللسان والقاموس . وما بعده إلى «العمارة» التالية ساقط من ش .

وكليب ، بالتصغير : أبو قبيلةِ جرير ، وهو كليب بن يربوع بن حَنظلة .

وردَّ عليه جريرٌ فى مناقضته بمثل هذا البيت فقال :

إذا قيل أىُّ الناس شرٌّ قبيلة وأعظمُ عارًا قيل: تلك مُجاشعُ[١]

وقبيلةً فى البيتين بالنصب على التمييز .

وتقدَّمت ترجمة الفرزدق فى الشاهد الثلاثين[٢]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد السبعمائة[٣] :

٧٠٧ (تَمُرُّونَ الدِّيارَ ولَمْ تَعُوجُوا)

على أنَّ حذف الجار منه على سبيل الشذوذ ، والجارُّ المحذوف إمَّا الباءُ ، وإمَّا على ، فإنَّ المرور يتعدَّى بهما .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وعن الأخفش فى مررت بزيد ، أنَّ المعنى مررت على زيدٍ ، بدليل ﴿ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم[٤] ﴾ . وأقول: إنَّ كُلاًّ من الإلصاق والاستعلاء إنَّما يكون حقيقيًّا إذا كان مُفضِيًا إلى

---

(١) ديوان جرير ٣٧٣ والنقائض ٦٩٥ . ومما يجدر ذكره أن الذى بدأ المناقضة هو جرير ، وأن الفرزدق صنع نقيضته جواباً على جرير . على أن جريراً كرر هذا المعنى فى قوله لعبد العزيز ابن الوليد مادحاً :

إذا قيل أى الناس خير خليفة أشارت إلى عبد العزيز الأصابع

ديوان جرير ٣٥٧ والنقائض ٣٥١ .

(٢) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٣) ابن يعيش ٨ : ٨ / ٩ : ١٠٣ ، والمقرب ١ : ١١٥ ورصف المبانى ٢٤٧ ، والمغنى ١٠٢ ، ٤٧٣ والعينى ٢ : ٥٦٠ ، والهمع ٢ : ٨٣ ، والأشباه والنظائر للسيوطى ٣ : ١٩٤ / ٤ : ٢٢٤ ، وديوان جرير ٥١٢ .

(٤) الآية ١٣٧ من سورة الصافات .

نَفْس المجرور ، كأَمسكت بزيد ، وصَعِدت على السَّطح . فإنْ أَفضَى إلى ما يقرُب منه فمجَازىٌّ كمررت بِزيدٍ ، فى تأْويل الجماعة ، أَى أَلصَقتُ مرورى بمكانٍ يقرب منه . وكقوله :

* وبات على النَّار النَّدَى والمحلَّق[١] *

فإذا استوى التَّقديران فى المجازيَّة فالأَكثر استعمالاً أَولى بالتخريج عليه ، كمررت به ومررت عليه ، وإن كان قد جاءَ كما فى :﴿ لَتَمُرُّون عليهِمْ[٢] ﴾ ، ﴿يَمُرُّونَ عَليها[٣] ﴾.

* ولقد أَمُرُّ على اللئيم يسبُّنِى[٤] *

إلاَّ أَنَّ مررت به أَكثر ، فكان أَولى بتقديره أَصلاً . ويتخرَّج على هذا الخلاف خلافٌ فى المقدَّر فى قوله :

* تمرُّون الدِّيارَ ولم تَعوجُوا *

أَهو الباءُ أَو على . ا هـ .

يعنى : فمن ساوى بين التقديرَين قدَّر أَيَّهما شاءَ ، لصحَّة المعنى بهما . ومن رجَّح الباءَ لكثرة الاستعمال قدَّرها ، لأَنَّه متى أَمكنَ المصيرُ إلى الأَصل لم يُتجاوَزْ عنه .

وعدَّ ابنُ عصفورٍ حذفَ الجارِّ وإيصالَ الفعل إليه ضرورةً . والصَّحيح ما ذهب إليه الشارح المحقِّق ، بدليل ما أَورده من الآيات .

---

(١) للأعشى فى ديوانه ١٥٠ والأغانى ٨ : ٧٧ ، والمغنى ١٠١ . وصدره :
* تشب لمقرورين يصطليانها *

(٢) الآية ١٣٧ من سورة الصافات .

(٣) الآية ١٠٥ من سورة يوسف .

(٤) لرجل من بنى سلول . وعجزه كما فى سيبويه ١ : ٤١٦ والخزانة ١ : ٣٥٧ :
* فضيت ثمت قلت لا يعنينى *

وقول الشارح المحقِّق : والأَخفشُ الأَصغر يجيز حذفَ الجار مع غيرهما أَيضاً قياساً إذا تعيَّن الجارّ ، أَى مع غير أَن وأَنَّ . والأَخفش الأَصغر هو تلميذ أَبى العبَّاس ، وهو أَبو الحسن علىُّ بن سليمان الأَخفش . وليس ما نسبه إليه مذهبَه ، وإنَّما مذهبه أَن يكون الفعل متعدِّيًا بنفسه إلى مفعول واحد ، وإلى آخَر بحرف جرٍّ ، فحينئذ يجوز حذفه .

وهذا كلامُه (فيما كتبه على كامل المبرد) ، قال : فأَمَّا قوله :

* وأُخفِى الذى لولا الأُسَى لقَضَانى[١] *

فإنَّما يريد : لقضَى علىَّ الموتَ ، كما قال الله تعالى : ﴿ فلمَّا قَضَينا عَليهِ المَوْتَ[٢] ﴾ فالموت فى النية[٣] ، وهو معلومٌ بمنزلة ما نطقتَ به . ومثله : ﴿واختارَ مُوسَى قَوْمَه[٤] ﴾ أَى لقومه . وكذلك قوله تعالى : ﴿وإذا كالُوهم أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرون[٥] ﴾ والمعنى : إذا كالوا لهم أَو وزنوا لهم ، أَى كالوا لهم الشىءَ ووزنوه لهم . والمكيل والموزون معلومٌ بمنزلة ما ذُكِر فى اللفظ . ولا يجوز مررت زيدًا وأَنت تريد بزيد ، لأَنَّه لا يتعدَّى إلاَّ بحرف ، وذلك أَنَّه فِعلُ الفاعل فى نفسه ، وليس فيه دليلٌ على مفعول[٦] ، وليس هذا بمنزلة ما يتعدَّى إلى مفعولين فيتعدَّى إلى أَحدهما بحرف الجرّ وإلى الآخر بنفسه ؛ لأَنَّ قولك : اخترتُ الرِّجالَ

(١) صدره كما فى الكامل ٢١ ، وهو لأعرابى من بنى كلاب :

* تحن فتبدى ما بها من صبابة *

(٢) الآية ١٤ من سورة سبأ .

(٣) أى فى نية الشاعر .

(٤) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

(٥) الآية ٣ من سورة المطففين .

(٦) فى الكامل ٢٢ : « على المفعول » .

زيدًا، قد عُلِم بذكرك زيدًا أنَّ حرفَ الجرّ محذوفٌ من الأَوَّل . فأَمَّا قولُ جرير وإنشادُ أَهلِ الكوفة له ، وهو قوله :

تمرُّون الدِّيارَ ولم تَعُوجُوا ... كلامُكُمُ علىَّ إذًا حرامُ

ورواية بعضهم له :

* أَتَمْضُون الدِّيارَ ولم تُحَيَّا [(١)] *

فليستَا بشيءٍ لما ذكرتُ لك . والسَّماع الصحيح والقياسُ المطَّرد لا تعترِض عليه الرِّواية الشاذة . أَخبرنا أَبو العباس محمد بن يزيد قال : قرأْت على عُمارة بن عَقيل بن بلال بن جرير :

* مررتم بالدِّيار ولم تَعُوجوا *

فهذا يدلُّك على أَنَّ الرواية مغيَّرة . اهـ .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لجرير هجا بها الأَخطلَ النَّصرانى . وهذا مطلعُها :

أبيات الشاهد (مَتَى كان الخيامُ بذى طُلوحٍ ... سُقيتِ الغيثَ أَيَّتُها الخيامُ

تَنكَّر مِن معالمها ومالت ... دعائمُها وقد بَلِيَ الثُّمامُ

أَقولُ لصُحبتِى لمَّا ارتحلْنا ... ودَمعُ العَين مُنهمِرٌ سِجامُ

تمرُّونَ الدِّيارَ ولم تَعُوجُوا ... كلامُكُمُ علىَّ إذًا حرامُ)

ومنها

(لقد وَلَدَ الأُخيطِلَ أُمُّ سَوءٍ ... على باب استها صُلُبٌ وشَامُ)

قوله : « متى كان الخيام» الخ . أَورد ابن هشام عجُزَه (فى المغنى)

---

(١) كذا بالتاء فى « تحيا » بالنسختين ، بعود الضمير إلى « الديار » . والذى فى الكامل : « أتمضون الديار» فقط . وفى ديوان جرير : « أتمضون الرسوم ولا تحيا » .

على أنّه قد تولّدت واوٌ من إشباع ضمة الميم . والخَيمة عند العرب : كلُّ بيتٍ يُبنَى مِن عِيدان الشَّجَر . وذو طلوح[١] بمهملتين : مكان . والطَّلح : شجرٌ عظيم له شوك .

والمعالم : جمع مَعْلم كمقعد : مَظِنَّة الشيء وما يُستدَلُّ به . والدِّعامة بالكسر : عماد البيت . والثُّمام بضم المثلثة : نبتٌ ضعيف لهخُوص رُبَّما حُشِيَ به الوسائد ، ويسدُّ به خَصاصُ البُيوت . والمنهمر : المنسكب . والسِّجام بالكسر : مصدر سجم الدمع إذا سال .

وقوله : (ولم تَعُوجوا) يقال عاج رأسَ البعير ، إذا عطفَه بالزِّمام . (وكلامُكم) مبتدأٌ ، وهو مصدرٌ مضاف إلى مفعوله ، والفاعل محذوف أى كلامى إياكم . و (حرام) خبره وعلىَّ متعلق بالخبر .

وقوله : « لقد ولدَ الأُخيطِلَ » أورده صاحبالكشاف ، شاهدًا لقراءةِ إبراهيمَ النَّخَعىّ : ﴿ ولم يَكن له صاحِبَةٌ[٢] ﴾ بالمثناة التحتية ، على أنّه لم يؤنّث الفعلُ المسند إلى المؤنث الحقيقى للفصل .

والأُخيطل : مصغر الأَخطَل . والصُّلُب : جمع صليب . وشامٌ : جمع شامة ، وهى العلامة . يريد أنَّ أُمَّه فعلَتْ فعلَ الموشّمات ، نقشَتْ صورة الصَّليب فى ذلك الموضع .

وفى القاموس أَنَّ الأَخطل كان يلقَّب بذى الصليب .

---

(١) ط : « وذى طلوح » .

(٢) المغنى ٣٦٨ . وانظر معجم شواهد العربية . وقد كتبت القافية فى المغنى « الخيامو » إظهاراً للإشباع .

(٣) من الآية ١٠١ من سورة الأنعام . وانظر تفسير أبى حيان ٤ : ١٩٤ .

والشام : النقوش . وفى بعض حواشى المفصّل : صُلب وشام : نبتانِ ، يصفها بخشونة ذلك الموضع .

وترجمة جرير تقدّمت فى الشاهد الرابع من أوّل الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٢] :

٧٠٨ (ومِنَّا الذى اختِيرَ الرِّجالَ سَماحةً)

٦٧٣

على أنَّ (الرجال) منصوبٌ بنزع الخافض ، والأَصل : من الرجال ، وهو المفعول الثانى المقيَّد بحرف الجرّ لاختار ، فإنَّه يتعدَّى إلى الأَوَّل بنفسه ، وإلى الثانى بحرف الجرِّ . والمفعولُ الأَوّل هنا نائب الفاعل ، وهو الضمير العائد إلى الذى فى اختير .

وهذا الحذفُ كثير الاستعمال ، ولهذا قال الشارح المحقِّق :« وكذا[٣] يحذَف من المفعول الثانى » . والإشارة لقوله سابقاً .

وأمَّا كثرة الاستعمال ، قال سيبويه فى باب الفاعل الذى يتعدَّاه فعله إلى مفعولين : إن شئت اقتصرتَ على المفعول الأَوّل ، وإن شئت تعدّى إلى الثانى ، ومن ذلك : اخترت الرِّجالَ عبدَ الله . ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ واختار مُوسَى قَوْمه سبعين رجلا[٤] ﴾ ، وسمَّيتُه زيدًا . ومِنَهُ قولُ الشاعر :

---

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٢) فى كتابه ١ : ١٨ . وانظر المقتضب ٤ : ٣٣٠ والأصول ١ : ٢١٥ ومجالس العلماء ١٩٣ وابن الشجرى ١ : ١٨٦ ، ٣٦٤ وابن يعيش ٥ : ١٢٣ / ٨ : ٥٠ ، ٥١ ، والهمع ١ : ١٦٢ والأشباه والنظائر ١ : ٢٨٥ وديوان الفرزدق ٥١٦ .

(٣) ط : «كذا» ، وأثبت ما فى ش وشرح الرضى ٢ : ٢٥٤ .

(٤) الآية ١٥٥ منسورة الأعراف .

* أستغفر الله ذنبًا لستُ مُحصِيَه[١] *

وقال عمرو بن معديكرب :

* أمرتك الخيرَ فافعَلْ ما أُمِرْتَ به[٢] *

وهذه أفعالٌ توصل بحروف الإضافة ، فتقول : اخترت من الرجال ، وسميته بفلان ، كما تقول : عرفتُه بهذه العلامة ، وأستغفِر الله من ذلك . فلمَّا حذفوا حرف الجرّ عمل الفعلُ . وليس أستغفر الله ذنبًا وأمرتك الخيرَ أكثرَ فى كلامهم جميعًا ، وإنَّما يتكلَّم به بعضُهم . فهذه الحروفُ كان أصلُها فى الاستعمال أن تُوصلَ بحروف الإضافة . ومنه قول الفرزدق :

مِنَّا الذى اختِير الرِّجــالَ سمــاحةً
وجُودًا إذا هبَّ الرِّياحُ الزَّعازعُ . ا هـ .

صاحب الشاهد

والبيت مطلعُ قصيدةٍ للفرزدق تقدَّم أبياتٌ منها قبل هذا بشاهد . قال صاحب المصباح :سَمَح بكذا يسمَحُ ، بفتحتين ،سُمُوحاًوسَمَاحاًوسَماحة : جاد وأعطى ، أو وافقَ على ما أُرِيدَ منه . و (الجود) : الكرم . وروى بدله : (وخِيراً) بكسر المعجمة ، وهو الكرم . (والزَّعازع) : جمع زَعزَعٍ كجعفر ، وهى الريح التى تهبُّ بشدة . وعنى بذلك الشِّتاءَ ، وفيه تقلُّ الألْبانُ ، وتُعدَم الأزواد ، ويبخَل الجَواد . فيقول : هو جوادٌ فى مثل هذا الوقت الذى يقلُّ فيه الجود . وسماحةً وجوداً مصدران منصوبان على المفعول لأجله ، كأنه قيل : اختير من الرِّجال لسماحته وجُوده .

---

(١) عجزه : رب العباد إليه الوجه والعمل *

(٢) عجزه : فقد تركتك ذا مال وذا نشب *

ويجوز أن يكونا تمييزين أو حالين ، أى سَمْحًا وجَوَادًا[1] . قاله ابن خلف. ولم يذكر ابن المستوفى غير الأخيرين .

وقال ابن السيد (فى أبيات المعانى) : ونصب سماحةً على المصدر ممَّا دلَّ عليه اختير ، لأنَّه لا يُختار إلاَّ الكرام . وأراد بقوله : « ومنا الذى اختِير » أباه غالبًا ، وكان جواداً .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد السبعمائة[2] :

٧٠٩ (خَرجْتُ إلى أقطاعِهِ فى ثيــابه

على طِرْفهِ من داره بحُســامِه)

على أنَّه يجوز أن يَجتَمِع على فعلٍ واحد عدّةٌ من حروف الجرّ إذا كانت مختلفة ، فإنَّ الفعل الواحد قد يتعدَّى بعدّةٍ من حروف الجرِّ على مقدار المعنى المرادِ من وقوع الفعل ، لأنَّ هذه المعانىَ كامنةٌ فى الفعل ، وإنَّما يُظهرها حروفُ الجر ، فإنَّك إذا قلتَ : خرجتُ فأردت أن تبيِّن ابتداءَ خروجك قلت : خرجت من الدار . فإنْ أردتَ أن تبيِّن انتهاءَهُ قلت : إلى المسجد . وإن أردت أن تبين ظَرفَه قلت : فى ثيابى . وإن أردتَ أن تبيِّن أنه مقارنٌ للاستعلاءِ قلت : على الفرس . وإن أردت أن تبيِّن الملابسة والصُّحبة : قلت بحسامى . ويجوز أنْ يكون بعضُ هذه المجرورات فى موضع الحال .

٦٧٤

وهذا البيت يوجد فى بعض النسخ قبل قوله :« وإلى اثنين كأعطى وعلم » بسَطرٍ ، بعد قوله : خرجتُ من الكوفة إلى البصرة لإكرامك .

(١) ط : « جوداً » ، صوابه فى ش .

(٢) الأشباه والنظائر ٣ : ١٧٦ ، وديوان المتنبى ٢ : ٢٧٩ .

صاحب الشاهد

والبيت من مقطوعةٍ عدّتها ستة أبيات ، للمتنبِّى ، قالها لما ودَّعَ سيفَ الدولة بنَ حمدان ، وأراد التوجُّهَ إلى أقطاعه التى أقطعه إيَّاها .

قال ياقوت الحموى (فى معجم البلدان) : السَّبْع هو بلفظ العدد : قريةٌ بباب حلب كانت إقطاعًا للمتنبِّى من سيف الدولة . وإياها عنى بقوله :

أسير إلى أقطاعه . . . البيت

وأوّله الثابتُ فى جميع نسخ ديوانه ، هو كما أنشده ياقوت بلفظ : « أسيرُ » .

والأبيات هذه وشرحها للواحدىّ :

أبيات الشاهد

(أيا راميًا يُصْمِى فُــؤادَ مَرَامه تُرَبِّى عِداهُ ريشَها لسِهامِه)

الإصماء : إصابة المقتل فى الرَّمى . والمعنى أنَّه إذا طلب شيئًا أصاب خالصَ ما طلبه ، كالرامى يصيب فؤادَ ما يطلبه بِرمْيِه . وقولهُ : تُرَبِّى عِدَاهُ ، مثلٌ ، وذلك أنَّ السِّهام إنَّما تنفُذ بريشها ، وأعداؤه يجمعون العُدَد والأموال له ، لأنَّه يأْخذها فيتقوَّى بها على قتالهم ، فكأنَّهم يربُّون الرِّيش لسهامه ، حيث يجمعون المال له . فالرِّيش مَثَل الأموال والسِّهامُ مَثَل له [١] .

(أسير إلى أقطاعه فى ثيابه) البيت ، يريد أنَّ جميع ما يتصرَّف فيه من ضروب مملوكاته إنَّما هو من جهته وإنعامه . وكأنَّ هذا تفصيلُ ما أجمله النابغةُ فى قوله :

وما أغفلتُ شكرى فانتصِحْــنى وكيفَ ومِن عطائك جُلُّ مالِى [٢]

(١) فى شرح العكبرى وكذلك فى شرح الواحدى ٥٧٦ — ٥٧٧ : « فالريش مثل لأموالهم »
(٢) ديوان النابغة ٦٥ من مجموع خمسة دواوين ، وشرح العكبرى للمتنبى ٢ : ٢٨٠ .

وقد فصَّله النابغة أيضاً فقال :

وإنّ تلادى إن نظرتُ وشِكَّتِى   ومُهرى وما ضُمَّت إليه الأَناملُ[١]

حِبَاؤكَ والعِيسُ العِتــاقُ كأنَّها   هِجانُ المَهَا تَردِى،عليها الرَّحائلُ[٢]

وهذا كما قال أبو نواس :

* وكلُّ خيرٍ عندنا من خَيْره[٣] *

(وما مَطَرتْنيه مِنَ البيض والقنا   ورُوم العِبِدَّى هاطلاتُ غمــامِهِ)

الروم : جمع رومىّ ، كما يقال زنج وزنجى . والعِبِدَّى : العبيد . يعنى وما أنعم علىّ من أنواع نعمه ، من الأسلحة والعبيد الروميَّة .

(فَتًى يهَبُ الإقليمَ بالمال والقُرَى   ومن فيــه مِن فُرسانه وكرامِه

ويجعــلُ ما خَوَّلتُه من نوالــهِ   جزاءً لمــا خَوَّلتُه من كــلامِهِ)

أى يُجازِينى بنواله إذا مدحتُه بما استفدتَه من الأدب من كلامه .

(فلا زالت الشمسُ التى فى سمائِه   مُطالِعَةَ الشَّمسِ التى فى لثامِهِ)

أى لا زالت شَمْسُ السَّماءِ تطالع وجهَه الذى هو كالشمس . وأضاف السماءَ إليه مبالغةً فى المدح، كما قال الفرزدق :

(١) ديوان النابغة ٦١ ، وشرح العكبرى ٢ : ٢٨٠ . وفى الديوان : « إن ذكرت » . وفى الديوان وشرح العكبرى : « وما ضمت إلى الأنامل » . و « ضمت » على هذه الرواية بالبناء للفاعل .

(٢) فى الديوان : « تحدى » بمعنى تساق ، كما نص عليه فى شرحه و « العيس » بالنصب عطف على تلادى ، وبالرفع على الاستئناف وتقدير الخبر بعده ، أى حباؤك .

(٣) كذا فى النسختين . والذى فى التبيان للعكبرى ٢ : ٢٨٠ وديوان أبى نواس ٢٠٦ :

* وكل خير عندنا من عنده *

لكن فى الديوان : « عندهم » . وقبله فى الديوان :

أنعت كلبا أهله من كده   قد سعدت جدودهم بجده

* لنا قَمَراها والنُّجومُ الطَّوالعُ[١] *

وقال ابن جنى : أَضاف السَّماءَ إليه لإشرافها عليه ، كما قال الآخر :

إذا كوكبُ الخرقاءِ لاحَ بسُحرةٍ   سُهيلٍ أذاعَتْ غَزْلَها فى القَرائبِ[٢]

أَضاف الكوكب إليها لجِدِّها فى عملها عند طلوعه .

تم الجزءُ الثالث ويليه الجزءُ الرابع ، أوّله أفعال القلوب .

(١) صدره فى الديوان ٥٠٩ ، وانظر الخزانة ٤ : ٣٩١ :
* أخذنا بآفاق السماء عليكم *

(٢) ط : « أزاعت » ، صوابه فى ش . ويروى : « أشاعت » ، ويروى : « فى الغرائب » وانظر ابن يعيش ٣ : ٨ والمحتسب ٢ : ٢٢٨ والمقرب ١ : ٢١٣ والعينى ٣ : ٣٥٩ واللسان (غرب) . وهو الشاهد ١٧٦ فى الخزانة ٣ : ١١٢ .

أفعال القلوب

أول الجزء الرابع من التقسيم القديم

أَنشد فيها ، وهو الشاهد العاشر بعد السبعمائة[١] :

٧١٠ (تَعَلَّمْ أَنَّ بعد الغَىِّ رشدًا)

على أَنَّ (تعلَّمْ) التى بمعنى اعلمْ أَمرًا ، لا تنصب المفعولين بل تَردُ الاسميّةُ مصدَّرة بأَنَّ السَّادةِ مع معموليها مسدَّ المفعولين . ويقلُّ نصبها للمفعولين ، كقول زياد بن سَيّار الجاهلىّ :

تَعلمْ شِفاءَ النَّفسِ قَهْرَ عــدوِّها فبالغ بلطفٍ فى التحيُّل والمَكْرِ[٢]

صاحب الشاهد

وهذا المصراع من قصيدةٍ طويلة جدًّا للقُطامىِّ ، وقبله :

أبيات الشاهد

وأَمَّــا يومَ قلتُ لعبــد قيسٍ كلامًا لا أُريد به خِــداعــا[٣]

تعــلَّمْ أَنّ بعــد الغَــىّ رشــداً وأَنَّ لهــذه الغُبَرِ انقشــاعا[٤]

ولــو تُستَخْبَرُ العلمــاءُ عنّــا ومَن شهدَ الملاحمَ والوِقــاعا[٥]

بتَغْلِبَ فى الحروب أَلم يــكونوا أَشــدَّ قبائلِ العــربِ امتناعا

وتقدَّم، فى الشاهد الثالث والأَربعين بعد المائة، ما تقدّم من أَول القصيدة إِلى هذه الأَبيات مع ترجمته[٦] .

---

(١) همع الهوامع ١ : ٧٥ وديوان القطامى ٤٠ .

(٢) شذور الذهب ٣٦٢ والمغنى ٥٩٤ والعينى ٢ : ٣٧٤ والتصريح ١ : ٢٤٧ والهمع ١ : ١٤٩ والأشمونى ٢ : ٢٤ .

(٣) فى الديوان : « ما أردت به خداعا »، وفى الديوان نسخة الشنقيطى: « ما أريد له خداعاً » .

(٤) فى الديوان : « لهذه الغمم » .

(٥) فى الديوان نسخة الشنقيطى : « ولو يستخبر » بالياء .

(٦) الخزانة ٢ : ٣٦٣ — ٣٧٢ .

وتقدَّم أَيضاً إيرادُ أَبيات بعد هذه الأَبيات في الشاهد التاسع والتسعين بعد الخمسمائة[١] .

وقوله : « وأَمَّا يوم قلتُ لعبد قيس » ، هو أَخو القطامي .

وقوله : (تعلمْ أَنَّ بعد الغي) إلخ الغُبَر : جمع غُبْرة وهي القَتَمة ، يريد ما أَظلَّ[٢] من الأُمور الشِّداد المظلمة . والانقشاع : الانكشاف .

وأَورد اللَّبْلِيّ المصراعَ الثاني (في شرح الفصيح) برواية :

* وأَنَّ لتالك الغُبَرِ انقشاعا *

وقال : (تالك) بكسر اللام لغة في تلك ، في الإشارة إلى المؤنَّثة البعيدة . ويريد القطامي بهذا تسليةَ أَخيه ، فإنَّ بني أَسد كانوا أَوقعوا ببني تغلب في نواحي الجزيرة ، والقُطامِيُّ منهم ، فأَسره بنو أَسدٍ وأَرادُوا قتلَه ، فحال زُفر بن الحارث الكلابي بينه وبينهم ، وحَماه وكساه ، وأَعطاه مائة ناقة كما تقدَّم . ٤ : ٣

وقوله : « ولو تُستخبَر العلماءُ » إلخ هو بالبناء للمفعول. والملاحم: جمع مَلحمة ، وهي موضع الحرب . والوِقاع : المُواقَعة .

وقوله : « بتغلب » أَي عن تغلب ، كقوله :

* واسأَلْ بمَصْقلة البكريِّ ما فعلا[٣] *

أَي عن مَصقلة . وتغلب : قبيلةُ القطامي ، وهو تغلب بن وائل .

---

(١) الخزانة ٨ : ١٣٦ — ١٣٨ .
(٢) ط : « ما أطل » ، صوابه في ش .
(٣) للأخطل في ديوانه ١٤٣ وسيبويه ٢ : ٢٩٩ . وصدره :
* دع المغمر لا تسأل بمصرعه *

ثم أخذ بعد هذا يذكُر مآثر قومِه فى الجاهلية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد السبعمائة[١] :

٧١١ (اللهَ مُوفٍ للنَّاسِ ما زَعَما)

على أنَّ (زعم) قد يستعمل فى التحقيق .

رأيت (فى شرح الكتاب للسيرافى) :الزَّعْمُ : قولٌ يقترن به اعتقاد ، وقد يصحُّ ذلك أو لا يصحّ . فأمّا قول الجعدى:

(نودِىَ قُمْ واركبَنْ بأَهــلِكَ إِ نَّ اللهَ مُوفٍ للنَّـــاسِ ما زَعَما)

فقيل الزَّعم ههنا بمعنى القول، وقيل بمعنى الضَّمان. ومنه قول عمرو ابن شأْس :

تقولَ هَلكنا إنْ هلكتَ، وإنّمـــا على الله أرزاقُ العباد كما زعَمْ[٢]

قيل معناه كما ضَمِن ، وقيل كما قال . وشاهد الزَّعمِ بمعنى القول قول أَبى زُبيد :

يالَهْفَ نفسىَ إنْ كان الذى زَعمــوا
حَقًّا ، وماذا يردُّ اليومَ تلهيــفى[٣]

أى الذى قالوه . وذلك أنَّه سمع من يقول : حُمل عثمان على النعش إلى قبره . وهذا ليس فيه معنى ظنٍّ ولا ضمان . ا هـ .

---

(١) ديوان النابغة الجعدى ١٣٦ واللسان (زعم ١٥٧) .

(٢) همع الهوامع ١ : ١٤٩ واللسان (زعم) .

(٣) ديوان أبى زبيد ١٢٠ والتصريح ١ : ٢٥ واللسان (أمر ٩٢ نجف ٢٣٦) ، وجمهرة ابن دريد ٢ : ٤١٧ .

وقال ابن برى (فى حاشية الصحاح) : الزعم يأْتى فى كلام العرب على أربعة أَوجه : يكون بمعنى الكفالة والضَّمان ، شاهده قول عمر بن أَبى ربيعة :

قلتُ : كَفِّى لكِ رهنٌ بالرضا وازعُمى يا هِند قالت : قد وجبْ[1]

وقال النَّابغة يصف نوحاً :

نُودىَ قُم واركبَنْ بأَهلك . . . . . . البيت

زعم هنا فُسِّر بمعنى ضَمن ، وبمعنى قال ، وبمعنى وَعَد . ويكون بمعنى الوعد ، قال عَمرو بن شأْس :

وعاذلةٍ تخشى الردى أَن يصيبَنى
تَرُوح وتغدو بالملامة والقَسَمْ

تقول هلكنا إن هلكتَ . . . . البيت

زعم هنا بمعنى وَعدَ ، وبمعنىقال . ويكون بمعنى القول والذِّكر . قال أَبو زبيد الطائى :

يا لهف نفسى إن كان الذى زعموا ..... البيت

المعنى : إن كان الذى قالوه حَقًّا ، لأَنَّه سمع من يقول : حُمل عثمانُ على النعش إلى قبره .

وقال المثقِّب العبْدىّ :

---

(١) رواية الديوان ٣٧٨ لهذا البيت وما قبله :

قلت حلا فاقبلى معذرتى ما كذا يجزى محب من أحب
إن كفى لك رهن بالرضا فاقبلى يا هند ، قالت : قد وجب

وكــلامٍ سيِّئٍ قــد وُقِــرَتْ أُذنى عنه وما بى من صَمَمْ[(١)]
فتصــامَمت لــكى مــا لا يَرى جاهلٌ أنِّى كما كانَ زعَمْ[(٢)]

ويكون بمعنى الظنّ ، قال عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود :

فذُقْ هجرها إن كنت تزعمُ أنَّه رشادٌ ، ألاَ يا رُبَّما كذَبَ الزَّعْمُ[(٣)]

فهذا البيت لا يحتمل سوى الظن ، وبيت عمر لا يحتمل سوى الضَّمان ، وبيت أَبى زُبيدٍ لا يحتمل سوىالقول ، وما سوى ذلك على ما فسَّر .

وبيت النابغة رُوِىَ لأُميّة بن أَبى الصلت،وبيت عمرو بن شأْس روى لمضرِّس . ا هـ . ٤

وما أَورده الشارح قطعة من قوله :

نودِىَ قُمْ واركَبَنْ بـأَهلك إِ نَّ الله . . . . إلخ .

و (زعم) فيه على ما فسَّروه متعدٍّ إلى مفعول واحد ، وهو الضمير المحذوف العائد إلى ما الموصولة .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للنابغة الجعدى الصَّحابى ، أَوّلُها :

(الحمــد لله لا شريكَ لــه مَنْ لم يَقُلْها فنفسَه ظَلَمــا)

فالأَلف فى قوله « زعما » للإطلاق . قال ابن خالويه (فى كتاب ليس) :

---

(١) ديوان المثقب ٢٣٠ : « عنه أذناى »،وفى ط : « أذنى منه »، وأثبت ما فى ش واللسان (زعم) وأساس البلاغة (وقر) والمفضليات ٢٩٤ . وأوله فى أساس البلاغة : « كم كلام سيئ » .
(٢) فى الديوان والمفضليات : « فتعزيت خشاة أن يرى » . وفى اللسان (خشى) : « فتعديت خشاة أن يرى ظالم » ، وفيه تحريف .
(٣) فى اللسان (زعم ١٥٧) : « قد كنت تزعم أنه رشاد » .

قال بعض المفسِّرين: إن الزعم زامِلة الكذب[١] . وليس فى كلام العرب وأشعارهم زعم محمودًا إلاَّ فى بيتين ، قال أُميَّة بن أَبى الصَّلت ، وقيل للنابغة الجعدى ، فى قصيدةٍ أَوّلها :

نودىَ قُمْ واركبَنْ . . . البيت .

فهذا على الحقّ . وسمعت الزَّاهد[٢] يقول : زعم فى هذا البيت بمعنى قال ووعد ، كما يقال : زعم الشافعى ، أى قال . ا هـ .

نسبة أخرى

والقصيدة التى هى لأُميَّة بن أَبى الصَّلت طويلة ذكر فيها صنع الله وعظم قدرته . وقبله :

آبيات الشاهد

(عَرفتُ أَنْ لن يفوتَ الله ذو قِدَمٍ
وأَنَّه من أَميرِ السَّوءِ ينتقمُ[٣]

المُسْبِحُ الخُشْبَ فوقَ الماءِ سخَّرها
خِلالَ جِريتها كأَنَّها عُوَمُ

تَجرى سفينةُ نوحٍ فى جوانبه
بكلِّ مَوجٍ مع الأَرواح تقتحمُ

نُودِىَ قم واركبَنْ بأَهلك إ
نَّ الله مُوفٍ للناس ما زَعَمُوا[٤]

(١) أصل الزاملة البعير يستظهر به الرجل ، يحمل عليه طعامه ومتاعه . وهذا النص بأكمله ليس موجوداً فى النسخ المطبوعة من كتاب ابن خالويه .

(٢) الزاهد هذا هو أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم المطرز اللغوى ، غلام ثعلب . ولد سنة ٢٦١ . وتوفى سنة ٣٤٥ . بغية الوعاة وإنباه الرواة ٣ : ١٧١ – ١٧٧ وفيه بيان مراجع ترجمته .

(٣) ذو قدم ، أى من عمر طويلا . وفى الديوان ٥٧ : « وأنه من عبيد السوء » .

(٤) وكذا فى الديوان . وقد أدرك مصحح طبعة بولاق أن هذا البيت من بين أخواته ينتمى إلى المنسرح ،والقصيدة كلها مبنية على البسيط .

مشحونةٌ ودُخـانُ المَوجِ يرفعُهـا
مَلأَى وقد صُرِّعَتْ من حَولها الأُمُمُ[(١)]
حَتَّى تسوَّت على الجُـودىِّ راسيةً
بكلِّ مـا استُودِعَتْ كأنَّها أُطُـمُ)

قال شارح ديوانه : يقال سَبح الرَّجلُ وأَسْبَحَـه الله . والعُوَم : جمع العُومة ، كأنَّها حية تكون بعُمان . والعامَة : شبه الطَّوف إلاَّ أنَّه أصغر منه ، يُركَب فيه البحرُ . فى جوانبه : جوانب الماء . ومشحونة : مملوءة ، يقال اشحَنْ سفينَتك ، أى املأها . والجودىُّ فيها سوقٌ يقال له سوق الثَّمانين ، لثمانين رجلاً كانوا مع نوحٍ فى السفينة. والأُطُم بضمتين : القصر ، والجمع آطام .

وترجمة أُمية تقدَّمت فى الشاهد السادس والثلاثين[(٢)] .

قال ابن خالويه . وقصيدة النابغة :

(يا مـالكَ الأَرضِ والسماءِ ، ومَنْ يَفْرَقْ من الله لاَ يَخَفْ أَثَمَـا[(٣)]
إِنِّى امـرؤٌ قد ظَلمتُ نفسِى وإِ لاَّ تعفُ عَنِّى أُغْلَى دَمًا كَثَما[(٤)]
أُطرَح بالكافرين فى الـدَّرَكِ ا لأَسفَلِ يا ربِّ أَصطلى الضَّرَما[(٥)]

---

(١) فى الديوان : « يدفعها » بالدال .

(٢) الخزانة ١ : ٢٤٧ .

(٣) ديوان الجعدى ١٣٥ ، ١٣٤ حيث وردت فيه الأبيات الثلاثة الأولى بعد الأبيات الثلاثة الأخيرة على خلاف هذا الترتيب . و الأثم ، بالتحريك : لعله مقصور الأثام كسحاب ، وهو جزاء الإثم . ولم أجد له سنداً .

(٤) عنى ، ساقطة من ش ثابتة فى الديوان . وأغلا ، كتبت فى النسختين والديوان بالألف فى آخرها . والكثم : الغليظ ، من قولهم : حمأة كاثمة وكثمة : غليظة .

(٥) بالكافرين ، أى معهم . والدرك الأسفل : أقصى القعر .

يأيُّها النــاسُ هــل تَرونَ إلى فارسَ بادَتْ وخَرَّ من دَعَمــا[١]

أمسَــوْا عبيــدًا يرعَوْنَ شــاءَكم

كــأنَّمــا كــان مُلكُهم حُلُمــا[٢]

رأَوْا سَبَا الحاضِــرينَ مأْرِبَ إذْ

يَبْنــونَ من دُون سَيْــلهِ العَــرِما) اهـ.

* * *

وأنشد بعده :

(ولَقَدْ نَزَلتِ فــلا تظُنِّى غيرَهُ مِنِّى بمنزلة المُحَبِّ المُــكْرَمِ)

على أنّ (ظنَّ) يقلُّ فيها نصب المفعول الواحد ، فإنَّ معناه هنا لا تظنِّى شيئًا غير نزولك . وصحة هذا المعنى لا تقتضى[٣] تقدير مفعول آخر .

وفيه ردٌّ للنحويين ، فإنّهم قالوا : المفعول الثانى لظن محذوفٌ اختصارًا لا اقتصاراً .

وبه استشهد شُرَّاح الألفية وقالوا : تقديره : فلا تظنِّى غيره واقعاً ، أو حقًّا . وجملة (فلا تظنِّى غيره) معترضةٌ بين نزلت وبين متعلَّقِهِ ، وهو منِّى .

وهذا البيت من معلَّقة عنترة ، وتقدم شرحه فى الشاهد الموفى المائتين[٤] .

* * *

---

(١) فى الديوان : « وخدها رغما » . رغم : ذل . وخر : سقط .

(٢) كذا والرواية المعروفة كما فى الديوان : « أو سبأ الحاضرين مأرب » .

(٣) ط : « لا يقتضى » .

(٤) الخزانة ٣ : ٢٢٧ — ٢٢٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد السبعمائة[١] :

٧١٢ (بأَىِّ كتابٍ أَمْ بأَيَّةِ سُنَّةٍ تَرَى حُبَّهمْ عارًا علىَّ وتَحَسِبُ)

على أَنَّه قد حذف مفعولاً (تحسب) للقرينة ، والتقدير : وتحسِب حبَّهم عارًا علىّ .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند قول حَكيم بن قَبِيصة[٢] :

فما جَنَّةَ الفِردوسِ هاجــرتَ تبتغى
ولكنْ دعاك الخُبزُ أَحسَبُ والتَّمْرُ[٣]

نصب جنَّة الفردوس بتبتغى ، وهى حال من التاءِ فى هاجرتَ . وجاز تقديم ما انتصب بتبتغى لجواز تقديم الفعل نفسِه ، حتَّى كأَنه قال : فما مبتغيًا جنَّة الفردوس هاجرتَ ، على حدِّ قوله تعالى : ﴿ خُشَّعاً أَبصارُهُمْ يَخْرُجونَ من الأَجْداث[٤] ﴾ ولم يعمل أَحسَب على اللفظ ، وأَراد مفعوليهَا فحذفَهما ، كبيت الكُميت :

بأَىِّ كتاب ... البيت

أَى وتحسب ذاك كذلك . ولايحسن أَن تجعلها هنا لَغْوًا ، مِن قِبَلِ أَنَّها لم تقع بين المبتدأ وخبره ولا بعدهما ، نحو: زيد قائم أَحسب ،

(١) المحتسب ١ : ١٧٣ والمقرب ١ : ١١٦ والعينى ٢ : ٤١٣ والتصريح ١ : ٢٥٩ والهمع ١ : ١٥٢ ويس ١ : ١٦١ والهاشميات ٣٨ .

(٢) ط : « قيصة » ، صوابه فى ش ، والحماسة ١٨٢٥ بشرح المرزوقى وإعراب الحماسة الورقة ٢٤٥ .

(٣) فى النسختين : « دعاك الخبز والتمر أحسب » ، صوابه ما أثبت من الحماسة وإعرابها . وقبل البيت :

لعمــر أبى بشر لقــد خانه بشر على ساعة فيهــا إلى صاحب فقر

(٤) الآية ٧ من سورة القمر .

وإنَّما كاناعتبارُ عملها أَو إلغائها هناك، لأَنَّها لو كانت عاملةً لعملت فيهما ، وأَمَّا ههنا فلا سبيلَ إلى الخبز والتَّمر ونحوهما . ا هـ.

وقوله : (بأَى كتاب) متعلق بقوله (ترى) .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلةٍ للكميت بن زَيدٍ الأَسَدى ، ، مدح بها آلَ النبي صلى الله عليه وسلم . وبعدَه :

أبيات الشاهد

(إذا الخيلُ وَارَاها العَجاجُ وتحتَه
غُبارٌ أَثارتْه السَّنابكُ أَصهَبُ[1]
فمالى إلاَّ آلَ أَحمدَ شِيعةٌ
ومالى إلاَّ مَشْعَبَ الحقِّ مَشعبُ[2])

وَارَاها : غَطَّاها . والمَشْعَب : الطريق .

وتقدَّمت مع ترجمته فى الشاهد الثانى بعد الثلثمائة[3] .

* * *

وأنشد بعده :

(لا تَخَلْنا على ،غَرَائِك إنَّا طالمَا قد وشَى بنا الأَعداءُ[4])

على أَنَّه قد حذف المفعول الثانى من تخلْنا ، وتقديره كما قال الشارح المحقق : لا تخلْنا أَذلَّة على إغرائك الملك بنا .

والبيت من معلَّقة ابن حِلِّزة، تقدَّمَ شرحُه مع ترجمته، فى الشاهد الثامن والأَربعين من أَوائل الكتاب[5] .

* * *

(١) هذا البيت لم يرد فى ديوانه ولا فى الهاشميات .
(٢) ويروى : « إلا مذهب الحق مذهب » . انظر معجم شواهد العربية .
(٣) الخزانة ٤ : ٣٠٧ — ٣٢٠ .
(٤) وروى : « على غراتك » بالتاء كما سبق فى الجزء الأول .
(٥) الخزانة ١ : ٣٢٤ — ٣٢٦ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد السبعمائة[١] :

٧١٣ (كذاك أُدِّبْتُ حتَّى صــار من خُلُقى
إنِّى وجدتُ مِــلاكُ الشِّيمة الأَدبُ)

على أنَّ وجدت قد أُلغِىَ عن العمل مع تقدُّمه ، وهو ضعيفٌ وقبيح.

وخرَّجه الشارح المحقِّق تبعًا لسيبويه على تقدير لام الابتداء ، أو على تقدير ضمير الشأْن تبعًا لابن جنى ، فتكون وَجَد عاملةً على التقديرين. أَمَّا على الأَوَّل فتكون معلَّقة عن العمل فى اللفظ بلام الابتداء المقدَّرة ، ويكون ما بعدها من المبتدإ والخبر فى محل نصبٍ على أنَّهما سادَّان مسَدَّ مفعولَىْ وَجَد . وأَمَّا على الثانى فيكون ضمير الشأْن المحذوف هو المفعولَ الأَوّل ، والجملة بعده فى محل المفعول الثانى .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة[٢]) : أراد : وجَدته مِلاكُ الشِّيمة الأَدب ، كقولك : ظننته زيدٌ منطلق ، أى ظننت الأَمرَ والشَّأْنَ زيد منطلق ، إلاَّ أنَّه حذف الضميرَ فى وجدت للضَّرورة ، كما حُذِف أيضًا فى بيت الكتاب :

إنَّ مَنْ لام فى بنى بنتِ حَسَّا نَ . . . . البيت

أراد: إنَّه من لامَ . أَلا ترى أَنَّ مَنْهنا شرط ، فلا ينصبها ما قبلها كالاستفهام . وعلى هذا تقول : ظننت أَبوك أَخوك ، أى ظننته . فاعرفه . ا هـ .

---

(١) المقرب ١ : ١١٧ والعينى ٢ : ٤١١ والتصريح ١ : ١٥٨ والهمع ١ : ١٥٣ والأشمونى ٢ : ٢٩ ، والحماسة ١١٤٦ بشرح المرزوقى برواية « الأدبا » .

(٢) إعراب الحماسة الورقة ١٦٧ .

والفرق بين الإلغاء والتعليق أنَّ الأوّل : إبطال العمل لفظًا ومحلًّا والثانى : إبطاله لفظًا لا محلًّا لمجىء ماله صدر الكلام . وكأَنَّ العينىَّ لم يفرق بينهما ، لقوله : ألغى عملُ وجدتُ لكون لام الابتداءِ مقدَّرة[1] ، والصواب عُلِّق وجدت عن العمل لفظًا ، لكون لام الابتداء مقدَّرة . ولا يخفى أن هذا التخريجَ على كلام ابن جنّى يكون من باب غَسْل الدَّم بالدم . والصَّحيح أنَّ حذف ضمير الشَّأْن لا يختصُّ بالشعر . ومنه الحديث : « إنَّ مِن أَشدِّ النَّاسِ عذابًا يومَ القيامةِ المصوِّرون[2] » ، وحكاية الخليل : إنَّ بك زيدٌ مأْخوذ .

ولم يورد ابن عصفور هذا (فى كتاب الضرائر) .

والبيت أورده أبو تمام (فى الحماسة) مع بيت قبله ، ونسبه إلى بعض الفَزاريِّين ، وهو :

أَكْنيهِ حين أُناديهِ لأُكرمَــه ولا أُلقِّبهُ والسَّوءَةُ اللقبُ

لكن روايته بنصب القافيتين ، ولا تحتاج إلى ما ذكر من التوجيه ويكون اللقب على روايته مفعول أُلقِّبه. والسَّوْءَةُ منصوبةٌ أيضاً. قال ابن جنى : نصب السَّوءَة لأَنَّهُ جعلها مفعولاً معه ، أى لا أُلقِّبه مع السوءَة اللقبا ، مقترناً بالسَّوءَة[3] . أَلا ترى أنّك تجد هذا المعنى فى المفعول معه ، تقول : قمت وزيدًا ، فتجد معناه قمت مقترناً بزيد . ا هـ .

قال ابن الناظم ؛ تقديم المفعول معه على مصحوبهِ ، الجمهورُ على منعه ، وأَجازه أَبو الفتح (فى الخصائص) واستدلَّ بقوله :

(١) ما بعده إلى « مقدرة » التالية ساقط من ش .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب (اللباس) من حديث عبد الله ، وكذا أخرجه مسلم فى (اللباس) عن ابن عمر ، والنسائى فى (الزينة) عن أحمد بن حرب من حديث عبد الله . وانظر الألف المختارة ٧٥٦ .

(٣) فى إعراب الحماسة : « أى مقترناً بالسوءة » .

* جمعت وفحشًا غِيبةً ونميمة[1] *

وقول الآخر :

* ولا أُلقِّبه والسَّوءةَ اللَّقَبا *

على رواية نصب السوءة واللقب ، أراد : ولا أُلقِّبه اللَّقَبَ والسوءة أى مع السَّوءة ، لأنَّ من اللقب ما يكون لغير سَوءة ، كتلقيب الصِّدِّيق عتيقًا لعَتاقة وجهه ، فلهذا قال الشاعر : ولا أُلقِّبه اللقب مع السوءة ، أى إنْ لقَّبته لقَّبته بغير سوءة . قال الشيخ – يعنى والده – ولا حجَّة لابن جنى فى البيتين ، لإمكان جعل الواو فيهما عاطفةً قدِّمت هى ومعطوفها ، وذلك فى البيت الأوَّل ظاهر ، وأمَّا فى البيت الثانى فعلى أن يكون أصله ولا أُلقِّبه اللقبَ وأسوءُه السَّوءة ، ثم حذفَ ناصب السَّوءة كما حذف ناصب العُيون من قوله :

* فزجَّجن الحواجبَ والعيونا[2] *

ثم قدَّم العاطف ومعمول الفعل المحذوف . ا هـ.

وأمَّا على رواية رفع القافية فالسَّوءة مرفوعةٌ على الابتداء واللقبُ الخبر ، والجملة حال من الهاء . والسوءة بالفتح : اللَّفظة القبيحة . وقال العينى على رواية نصب القافيتين : ويجوز أن يكون انتصاب السوءة على المعنى ، يعمل فيه معنى لا أُلقِّبه ، فيكون على هذا من باب :

---

(١) هو الشاهد ١٨٠ من الخزانة ٣ : ١٣٠ . وعجزه :

* ثلاث خلال لست عنها بمرعوى *

(٢) للراعى فى ديوانه ١٥٦ . وانظر معجم الشواهد . وصدره :

* إذا ما الغانيــات برزن يوماً *

والرواية المعروفة : « وزججن » ، لكن هكذا ورد فى النسختين .

يا ليتَ بعلكِ قد غَـدَا متقلِّدًا سيفًـا ورُمْحا[١]

٧ وإن رُفِعَ فارتفاعه يجوز أن يكون بالابتداء ويكون الخبر مضمرًا ، كأنه قال : والسوءة ذاك . يعنى إن لقَّبْته والفحْشُ فيه . ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره اللَّقبا ، يكون مصدرًا كالجمَزَى . ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنَّه قال : لا أَلقِّبه اللقبا ، وهو السوءة . ا هـ .

وهذه الاحتمالات لا فائدة فيها سوى تسويدِ الورق . على أنَّ اللَّقبا بالألف مقصورًا غير موجود .

وقوله : « أَكنيهِ حينَ أُناديهِ » العربُ إذا أرادت تعظيمَ المخاطب خاطبَتْه بالكُنية وعدلَتْ عن التصريح باسمه . وصفَ الشاعرُ نفسَه بحُسن العشرة مع صاحبه .

وقوله : (كذاك أُدِّبت[٢]) هو بالبناء للمفعول ، والكاف هنا اسمٌ مفعول مطلق ، أى أُدِّبت تأْديبًا مثلَ ذلك ، والإشارة إلى البيت الأوَّل . وحَتَّى ابتدائية كقوله تعالى: ﴿ حتَّى عَفَوْا[٣] ﴾ ،واسم صارَ الضميرُ المستتر فيها العائدُ إلى الأَدبِ المفهوم من أُدِّبت . (ومن خُلقِى) خبر صار . وقوله : (إنِّى وجدتُ) بكسر الهمزة استئناف ، أرسلَه مثلا . وقال العينى : الكاف للتشبيه ، أى كمثل الأدب المذكور . وحتى للغاية بمعنى إلى . ومِنْ متعلِّق بصار . وقوله (أنِّى وجدت) بفتح الهمزة فاعل صار . هذا كلامه ، وفيه خللٌ من وجوه .

---

(١) لعبد الله بن الزبعرى فى الكامل ١٨٩ ، ٢٠٩ والمقتضب ٢ : ٥١ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) فى النسختين : « كذلك أدبت » ، صوابه ما أثبت ، لئلا ينكسر الوزن .

(٣) الآية ٩٥ من سورة الأعراف .

قال الجوهرى : مِلاَك الأَمر ومَلاكُه ، أى بالكسر والفتح : ما يقوم به . والشِّيمة ، بالكسر : الخُلق. والأَدبُ الذى تَعرفه العربُ، هو ما يحسُنُ من الأَخلاقِ وفعلِ المكارم ، مثل ترك السَّفَهِ ، وبَذْل المجهود ، وحُسْن اللقاء .

والنَّصب والرفعُ فى قافيتى البيتين رواهما ابن جنى والطَّبرسى ، مِن شُرّاح الحماسة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد السبعمائة[1] :

٧١٤ (أَرجُو وآمُلُ أَن تَدْنُو مَوَدَّتُها
وما إِخالُ لَدَيْنَا مِنْكِ تنويلُ)

على أَنَّه قد أَلغى (إِخال) عن العمل مع تقدُّمه .

وقال ابن هشام (فى شرح بانت سعاد) : وجه إِلغاءِ إِخال هنا عدمُ تصدُّرها ، فإِنَّ حرف النفى لمَّا تقدَّمها أَزال عنها التصدُّر المحض ، فسهَّل إِلغاءَها كما سهَّل إِلغاءَ ظننت تقدُّمُ متى وإِنِّى فى : متى ظننت زيدٌ منطلق ، وقولِ الحماسى :

* إِنِّى وجدت مِلاكُ الشِّيمة الأَدبُ[2] *

أَو يكون الإِلغاءُ على تقدير حرف النفى داخلاً على الجملة الاسمية ، وتقدير إِخال معترضةً بينهما . ا هـ .

---

(١) العينى ٤ : ٤١٢ ، والتصريح ١ : ٢٥٨ والهمع ١ : ٥٣ ، ١٥٣ والأشمونى ٢ : ٢٩ وديوان كعب بن زهير ٩ وشرح بانت سعاد ٤٠ وسيرة ابن هشام ٨٩٠ وابن سيد الناس ٢ : ٢١٠ .

(٢) انظر الشاهد السابق .

ويجوز أَن يخرَّج أَيضاً كالذى قبله إمَّا على تقدير لام الابتداء ، أَو على تقدير ضمير الشأْن ، فيكون على الأَوَّل معلَّقا عن العمل فى اللفظ ، ويكون جملة «لدينا منك تنويل» فى موضع المفعولين . وعلى الثانى تكون عاملةً لفظاً ويكون مفعولها ضميرَ الشأْن المحذوف ، أَى ما إخاله ، وجملة لدينا منك تنويل فى موضع المفعول الثانى . وقد تقدَّم الفرق بين الإلغاء والتعليق[1] . ويظهر كونُ التعليق هو العملُ فى محلٍّ الجملة من عطف شىءٍ على الجملة المعلَّقة ، فإنَّه يُعرب بإعرابها المحلِّى ، كقول كُثَيِّر :

وما كنتُ أَدرِى قبـــل عَزَّةَ ما البـــكا
ولا مُوجعـــاتِ القلبِ حتَّى تولَّتِ

فعطف موجعاتِ بالنصبِ على محلِّ ما البكا ، وهذا على تقدير اسميَّةِ ما . فإنْ كانت حرفًا زائدًا فأَدرِى بمعنى أَعرِف ، والبكا مفعوله ، ولا يكون ممَّا نحن فيه .

قال ابن هشام (فى المغنى) : رأَيت بخط الإمام بهاءِ الدين بن النحَّاس: أَقمتُ مدَّة أَقول : القياسُ جواز العطف على محلِّ الجملة المعلَّق عنها بالنصب . ثم رأَيته منصوصاً . ا هـ .

وممن نصَّ عليه ابن مالك ، ولا وجه للتوقُّف فيه مع قولهم إنّ المعلَّق عاملٌ فى المحلّ . ا هـ .

وخرَّجها ابن إياز على الإعمال من غير تعليق بتكلُّف ، بجعل ما موصولة اسمية . حكاه عنه أَحمد بن محمد بن الحداد البَجَلى

(١) انظر ما سبق فى ص ١٤٠ .
(٢) ديوان كثير ٩٥ ، والعينى ٢ : ٤٠٨ ، والمغنى ٤١٩ .

البغدادى (فى شرح قصيدة بانت سعاد) ، وكان تاريخ شرحه فى بغداد سنة أربع وعشرين وسبعمائة . قال فى شرحه[(١)] : وقال ابن إياز[(٢)] الرومى: يجوز فيه وجهٌ آخر ، وهو أن تكون ما موصولة وموضعها رفعٌ بالابتداء ومفعول إخال الأوّل محذوف ، وهو العائد إلى ما ، ومنكِ المفعول الثانى ، وتنويل خبر المبتدأ . انتهى كلامه .

قلت : (ولدينا) فى هذا الوجه والذى قبله ، وهو تقدير ضمير الشأن: ظرفٌ لإخالُ . ومعنى البيت على هذا الوجه : إنّ الذى أظنّه وإخاله من وصالها المقدّر يجرى عندى مجرى الوصل المحقّق ، من فرط المحبّة .

وقد أبان التِّهامى عن هذا المعنى فبالغَ وأحسنَ بقوله :

أهتزُّ عنـــد تمنِّى وصْلِها طَربًا ... ورُبَّ أُمنيَّةٍ أحلَى من الظَّفَـــرِ[(٣)]

وابنُ الخيَّاط الدِّمشقى عكَس هذا المعنى وردَّه على معتقِدِه ، بقوله :

أُمنِّى النَّفسَ وصـــلاً من سُـــعادِ ... وأين من المُنى دَرْك المُـــرادِ[(٤)]

وهذا قولُ من لا يقنع بدون الوصال ، ولا يسوِّف نفسَه بالمحال . وأين هوَ من قناعة الآخر بالنَّيِّر[(٥)] ، حين بالغ بقوله :

ألستُ أرى النجم الذى هو طالعٌ ... عليها وهذا للمُحبِّين مَقْنَـــعُ

(١) ط : « شارحه » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

(٢) ابن إياز هو الحسين بن بدر بن إياز . ولى مشيخة النحو فى المستنصرية . وقال الشرف الدمياطى : رأيته شاباً فى زى أولاد الأجناد يقرأ النحو على سعد بن أحمد البينانى . وقال أبو حيان: ابن إياز أبو تعاليل . توفى سنة ٦٨١ . بغية الوعاة ٢٣٢ .

(٣) ديوان التهامى ٤١ . وبعده :

تجنى على وأجـــنى من مراشفهـــــا ... فى الجنى والجنايات انقضى عمـــرى

(٤) ط : « من سعادا » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح .

(٥) يعنى النجم المضىء .

انتهى كلام البغدادى .

وهذا البيت (من قصيدةِ بانت سعادة المشهورة) فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أَورد الشارح بيتًا آخر منها فى حروف الشرط فى أَواخر الكتابِ . وقد اعتَنى بشرحها أَجِلَّةُ العلماء ، والذى يحضُرنى من شروحها الآنَ شرحُ أَبى العباس الأَحول مع شرح جميع ديوانه ، وهو عندى بخطِّه . وشرحُ أَبى عبد اللهِ نِفطَويه النَّحوى . وشرحأَبى بكر بن الأَنبارى ، وهو شرحٌ صغيرٌ قليل الجدوى . وشرح البغدادى المذكور ، وشرح ابن هشامٍ الأَنصاريِ ، وهما أَجلُّ الشُّروح . لكنَّ شرح البغدادِى أَكثر استنباطًا لمعانى الشعر ، وأَدقُّ تفتيشًا للمزايا والنُّكَت . وشرح ابن هشام أَوعَى منه للمسائل النحويَّة وتفسير الأَلفاظ اللغويّة ، وكلٌّ منهما فى حجم الآخر ، ، وعصر تأْليفهما متقارب .

وهذا البيت لم يردْ فى رواية نِفطويه ، ورواه أَبو العبّاس الأَحولُ كذا :

أَرجُو وآمُل أَن يَعْجَلْنَ فى أَبَدٍ   ومالهنَّ طَوَالَ الدهر تعجيـــلُ

وعليه لاشاهد فيه . قال الأَحول : فى أَبد : فى دهرٍ . ويروى :

* ومالنا عندهنَّ اليوم تعجيلُ *

أَى لا يُعجِّلن وصلنَا فى الرواية الأُولى . يقول : آملُ وأَرجو وما أظنُّ ذلكِ يكون أَبداً . انتهى كلامه .

وضبط بخطِّه «يَعْجَلْنَ» بفتح الياءِ والجيم، على أَنَّه مبنى للفاعل . وطَوَالَ بفتح الطاءِ على أَنَّه ظرف بمعنى طُولَ الدَّهر ، ولكن لم يتقدَّم لضمير جمع المؤنث مرجع . فإِنْ قلنا إِنّ المرجع سعاد ، وإِنّ جمع الضمير

للتعظيم ، وردَ أنَّ إرجاع ضمير الجمع إلى الواحد إنَّما هو فى التكلُّم والخطاب ، وقد ورد تعظيمُ الغائب قليلا . قال البيضاوى ، فى تفسير قوله تعالى: ﴿ مِنْ فِرْعَون ومَلَئِهِم [1] ﴾ من سورة يونس : والضمير لفرعون، وجَمَعَه على ما هو المعتاد فى ضمير العُظَماء . لكن استَشْكله شُرَّاحه . قال سَعْدىّ : أىُّ قدْرٍ لفرعونَ عند الله حتّى يعبَّر عنه بصيغة التعظيم . نعم لو كان هذا من كلام مَنْ يعظِّم فرعونَ لكان له وجه .

٩٠

وكذا قال الكازرونى .

وأورد البغدادى [2] هذه الرِّواية [3] وقال : الضمير فى يَعْجلْن ولهنَّ لمواعيدها فى البيت الذى قبله ، وهو :

كانَتْ مَواعِيدُ عرقوبٍ لها مَثَلًا

وما مواعيدُها إلاَّ الأَباطيلُ

ويَعْجَلن من العَجلة ، وهو خلاف البُطءِ ، يقال عاجَله وأَعجله ، إذا سبَقَه . وعَجِل هو يعجل من باب فرح . والأَبد : الدَّهر . يقول : أَرجو أَن تَسبِق مواعيدُها ويُسْرِع إنجازها فى دهرٍ من الدُّهور ، ولا يحصل ذلك . والرواية الأُولى أَشهر . اهـ .

ورواه ابن سيِّد الناس (فى سيرته) ، تبعاً لسيرة ابن هشام :

أَرجُو وآمُل أَن يَعْجَلْن فى أَمَدٍ وما لهنَّ إخالُ الدَّهرَ تعجيلُ

وقوله : (أَرجو وآمُل) الخ أَرجو معفاعله المستتر جملةٌ استئنافيَّة ،

---

(١) الآية ٨٣ من سورة يونس .

(٢) هو شارح بانت سعاد ، أحمد بن محمد بن الحداد ، السابق الذكر .

(٣) ط : « فى هذه الرواية » ، صوابه فى ش .

لا تعَلُّقَ لها [١] بما قبلها ، وهو البيت الذى نقلناه . وآمُل معطوف عليه ، وهو بمعناه ، وحَسُنَ العطفُ لتغاير اللفظين ، وعطف المترادفين لا يكون إلّا بالواو . وقال البغدادىّ : وبعضهم فَرَق بينهما بأَنَّ الرجاءَ توقُّع حُصولِ مطلوب فى المستقبل مع خوفِ عدمِ وقُوعه . والأَمل : طلبُ حصولِ ما يَغلِب وقوعُه فى ظنّ الطالب لتعلُّقه به ، وإنْ لم يقارنْه خوفُ عَدَمِ الوُقوع . وقال صاحب المصباح : أَمَلْتُه أَملاً من باب طَلَب ، وهو ضدُّ اليأْس . وأَكثر ما يُستعمَل الأَملُ فيما يُستبعَدُ حصوله . قال :

* أَرجو وآمُلُ أَن تَدنُو مودَّتُها *

ومَن عزم على سفرٍ إلى بلدٍ بعيد يقول : أَمَلْتُ الوصولَ ، ولا يقول طمِعت إلاَّ إذا قرُب منها ، فإنَّ الطمع لا يكون إلاَّ فيما قُربَ حصولُه . وقد يكون الأَمل بمعنى الطَّمع . والرَّجاءُ بين الأَمَل والطمع ، فإنَّ الرَّاجىَ [٢] قد يَخافُ أَن لا يحصل مأْمولُه ، فلهذا يستعمل بمعنى الخوف . فإنْ قوِىَ الخوفَ استُعمِل استعمال الأَمل ، وعليه بيت كعب ، وإلاَّ استُعمِل بمعنى الطَّمع ، فأَنا آملٌ وهو مأْمول . وأَمَّلته تأْميلا مبالغةٌ وتكثير ، وهو أَكثر استعمالاً من المخفَّف . ا هـ .

وفى المجلس الثامن والخمسين (من أَمالى ابن الشجرىِّ البغدادى) أَنَّه استُفْتِىَ عَن مسائل ، منها : هل يأْمل ومأْمول وما تصرَّف منها جائز ؟ فأَجاب عنها أَوَّلا الحسنُ بن صافى المكنَّى أَبا نزار ، المتلقِّب بملك النحاة بأَنَّ أَمل يأْمُل لا يجوز ، لأَنَّ الفعل المضارع إذا كان على يفعل بضم العين كان بابه أَنَّ ماضيَه على فعَل بفتح العين ، وأَمَل لم أَسمعْه فعلاً

(١) ط : « لا تتعلق لها » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « الرجاء » ، صوابه فى المصباح وش مع أثر تصحيح فيها .

ماضياً . فإن قيل : فقدِّرْ أَنَّ يأْمُل مضارع ولم يأْت ماضيه ، كما أَنَّ يذر ويدَعُ كذلك . قلت : قد عُلِم أَنَّ يذر ويدع على هذه القضيَّة قد جاءا شاذَّين ، فلو كان معهما كلمة أُخرى شاذَّة لنُقِلتْ نقلَهما[1] ولم يجز أَن لا تنقل . وما سمعنا أَنَّ ذلك ملحقٌ بما ذكرنا ، فلا يجوز يأْمُل ولا مأْمول ، إِلَّا أَن يُسمِعَنى الثقةُ أَمَل خفيفة الميم . كتبه أَبو نزار النحوى .

قال ابن الشجرىّ : وأَجاب عنه الشيخ أَبو منصور موهوب بن أَحمد : وأَمَّا أَمل يأْمُل ، فهو آمل ، والمفعول مأْمول . فلا ريبَ فى جوازه عند العلماء وقد حكاه الثِّقات ، منهم الخليل وغيره ، والشاهد عليه كثير . قال بعض المعمَّرين[2] :

المــرءُ يأْمــل أَنْ يعيـ ... شَ وطولُ عيْشٍ قد يضرُّه

وقال الآخر[3] :

ها أَنا ذا آمُل الخلودَ وقَدْ ... أَدرَكَ عَقْلِى ومَوْلِدِى حُجُرا

وقال كعب بن زهير :

* والعفو عند رسول الله مأْمُولُ *

وقال المتنبى ، وهو من العلماء بالعربيَّة :

* حُرِموا الذى أَمَلُوا[4] *

كتبه موهوب بن أَحمد .

(١) فى النسختين : « لم تنقل نقلهما » ، صوابه من أمالى الشجرى ٢ : ١١٧ .
(٢) هو النابغة الجعدى ، ديوانه ١٩١ . وانظر معجم الشواهد .
(٣) هو الربيع بن ضبع . المعمرين ٧ ونوادر أبى زيد ١٥٩ .
(٤) يبدو أنه صدر بيت له ، فإنى لم أجده فى قوافى اللام .

وكتب على هامش الأَمالى هنا أَبو اليُمْن الكندى البغدادى : قد جاءَ أَمَل مخفَّفاً ماضياً فى شعر ذى الرمة ، وهو قوله :

إذا الصيفُ أَجلَى عن تَشَاءٍ من النَّــوَى
أَمَلْتُ اجتماعَ الحىِّ فى صيفِ قابِلِ[1]

ولا غَرْوَ أَن لا يحضر الشاهدُ للإِنسان وقتَ طلبه .

وهذا البيت ذكره أَبو حنيفة الدينورى (فى كتابه فى الأَنواءِ) ، وذكره ابن جنى (فى الخاطريات) . وهو فى ديوان ذى الرمة مشهور. اهـ.

وأَجاب ابن الشجرى بقوله : وأَمَّا قوله فى أَمَل وآمُل، أَنَّهما لايجوزان عنده ، لأَنَّه لم يُسمع فى الماضى منهما أَمَل خفيف الميم ، فليت شعرى ما الذى سَمِع من اللغة ووَعاه حتَّى أَنكر أَنْ يفوتَه هذا الحرف ، وإنَّما يُنكِر مثلَ هذا مَن أَنعم النظر فى كتب اللغة كلِّها[2] ، ووقف على تركيب أَمل[3] (فى كتاب العين للخليل) ، و (كتاب الجمهرة لابن دريد) ، و (المجمل لابن فارس) ، و (ديوان الأَدب للفارابى) ، و (كتاب الصحاح للجوهرى) ، وغير ذلك من كتب اللغة . فإِذا وقفَ على أُمَّهاتِ كتبِ هذا العلم التى استوعبَ كلُّ كتاب منها اللُّغةَ أَو مُعظمَها ، فرأَى أَنَّ هذا الحرف قد فات أُولئك الأَعيان ، ثم سمِع قول كعب بن زهير :

---

(١) التشائى : التفرق والاختلاف . ومنه قوله :
لعمــرى لقــد أبقــت وقيعــة راهط لمــروان صدعاً بيننــا متشائيــا
وفى ط : « عن شتاء » ، وفى ش : « تناء » ، وصواب الرواية من الديوان ٤٩٤ .
ورواية الديوان أيضاً : « أملنا » بضمير الجماعة .
(٢) ط : « فى كتب العربية كلها » ، وأثبت ما فى ش وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٢٢ .
(٣) هذا رسم ش وأمالى ابن الشجرى ، ورسمت فى ط : « أمل » .

* والعفو عند رسول الله مأْمولُ *

سلَّم لكعب وأذعَنَ له صاغرًا ، فكيف يقول من لم يتولَّج سمعَه عشرةُ أسطرٍ من هذه الكتب التى ذكرتُها : لم أَسمع أَمَل ، ولم أُسلِّم أَنْ يقال مأْمول . وأَمَّا قوله : إنَّه لا يجوز يأْمُل ولا مأْمول إِلَّا أن يُسمِعنى الثقة أَمَل ، فقولُ من لم يعلم بأنَّهم قالوا فقير ولم يقولوا فى ماضيه فَقَر ولم يأْت فعلُه إِلَّا بالزيادة ، أَفتُرَاهُ يُنكر أن يقال فقير ، لأَنَّ الثقة لم يُسمعه فَقَر ؟ ! ولعلَّه يجحد أَن يكونوا نطقوا بفقير وقد ورد به القرآن فى قوله جل ثناؤه : ﴿ إنِّى لمَا أنزلتَ إلىَّ من خير فقيرٌ[١] ﴾. وهل إنكار فقير إِلَّا كإنكار مأْمول ، بل إنكار فقير عنده أَوجب ، لأَنَّهم لم يقولوا فى ماضيه إلا افتقر ، ومأْمول قد نطقوا بماضيه بغير زيادة. انتهى كلام ابن الشجرى .

وقد نقل ابن هشام (فى شرح هذه القصيدة) السؤال والجوابين باختصار ، ثم قال : ومن الغريب أَنَّ هذين الإمامين لم يستدلاًّ على مجىء آمل بالبيتين فى هذه القصيدة ، أَحدهما البيت الشاهد ، وثانيهما قوله :

* وقال كلُّ خليلٍ كنتُ آمُله[٢] *

بل تكلَّف ابن الجواليقى وأنشد قولَ شاعرٍ آخر .

وقول ابن الشجرى إنَّه لم يسمع فقر اعتمد فيه على كلام سيبويه والأَكثرين . وذكر ابنُ مالكٍ أَنَّ جماعة من أَئمة اللغة نقلوا مجىء

---

(١) الآية ٢٤ من سورة القصص .

(٢) عجزه كما فى ديوان كعب وشرح بانت سعاد ٧١ :

* لا أُلفينك إنى عنك مشغول *

ويروى : « لا أُلهينك » .

فقرُ وفَقِرَ، بالضم والكسر ، وأَنَّ قولهم فى التعجب ما أَفقَره مبنىٌّ على ذلك، وليس بشاذٍ كما زعموا . ا هـ .

وقوله : (أَن تدنو) سكنت الواو للضرورة، أَو أُهملت أَنْ حَملًا على «ما المصدريَّة ، وهى مع مدخولها فى تـأْويل مفرد منصوب ، تنازعه الفِعلان ، فأُعمل الثانى وحذف مفعول الأَوّل كما هو الأَولَى عند البصريين . و (مودَّتها) فاعل تدنو ، والضمير لسعاد . والمودّة : مراعاة الصُّحبة .

١١

وقوله : (وما إخال) الواو للاستئناف، وكسْرُ همزَة إخال فصيحٌ استعمالًا شاذٌّ قياسًا ، وفتحها لغة أَسد .وقوله: (لدينا منكِ تنويل) قال البغدادى : تنويل مبتدأٌ ولدينا خبره ، ومِنك : حال من تنويل ، وكان صِفتَه فلمَّا تقدَّمه صار حالاً منه . ومِنْ فيه لابتداءِ الغاية . ولدى: ظرف مكان غير متمكِّن بمنزلة عندَ ، لا يُجَرُّ إِلَّا بمن . وتنويل : تفعيل من النَّوال ، وهو العطاءُ ، وكأَنَّه كَنى به عن وصلها . وفى منكِ التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . ا هـ .

وجوَّز ابن هشام ارتفاع تنويل بـأَحد الظَّرْفين ، لاعتماده على النَّفى ، وتكون جملة إخال معترضةً كقوله :

* ما خِلتُنى زلتُ بعدَكم ضَمِنًا[1] *

ولم يبيِّن ما موضع الظرف الآخر من الإعراب، وجوَّز أَيضاً أَن يكون كلٌّ منهما أَو كلاهما خبراً عنتنويل، والمسوّغ إمّا تقدُّم النفى[2] ، أَو

(١) فى النسختين : « ظمأ » ، صوابه فى شرح ابن هشام لبانت سعاد ٤٢ والعينى ٢ : ٣٦٨ والتصريح ١ : ٢٤٩ ، واللسان (ضمن ١٢٩) . وعجزه :
* أشكو إليكم حموة الألم *
والضمن كالزمن بكسر الميم، وزناً ومعنى .
(٢) ط : « ما تقدم النفى » ، صوابه فى ش .

تقدُّم الخبر . وإذا قدِّر الظرفان خبرين قدِّر لكلٍّ منهما متعلِّق يخصُّه . وإذا قدِّر الخبر الأول فالظرف الثانى إمَّا متعلق به أو بمتعلَّقه المحذوف على الخلاف المشهور فى أَنَّ العمل للظرف أو للاستقرار . وإمَّا حالٌ فيتعلَّق بمحذوف ، وصاحبُ الحال إمَّا الضمير المستتر فى الظرف الأوّل ، لأَنَّ الصحيح أَنْ الظرف يتحمَّل ضميراً منتقِلاً إليه من الاستقرار المحذوف . وإمَّا نفس التنويل ، وعامله على هذا الاستقرارُ المقدَّر لا الابتداءُ ، لأَنَّ الحال إنَّما يعمل فيها الفعل أو شبهه أو معناه . وإذا قدر الخبر الظرف الثانى كان الظرف الأَوَّل متعلِّقاً به ، وجاز تقديمه عليه للاتِّساع فى الظَّرف .

كعب بن زهير

وكعب بن زهير صحابىٌّ تقدَّم نسبه فى ترجمة والده فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة[1].

وقال ابن عبد البر (فى الاستيعاب) : كان كعبُ بن زهير شاعراً مُجوِّداً كثير الشعر ، مقدَّماً فى طبقته هو وأخوه بُجير ، وكعبٌ أَشعرُهما ، وأَبوهما زهير فوقَهُمَا . قال خلفٌ الأَحمر : لولا قصائدُ لزُهير ما فضَّلته على ابنه كعب . ولكعبٍ ابنٌ شاعر اسمه عُقبة ولقَبُه المضرَّب ، لأَنَّه شبَّب بامرأَةٍ فضربه أَخوها بالسَّيْف ضَرَباتٍ كثيرة ، فلَم يَمُتْ . وله ابنٌ أَيضاً يقال له العوَّام ، شاعر .

ومما يُستجاد لكعب قوله :

لو كنتُ أَعجبُ من شىءٍ لأَعجَبَنى
سَعْىُ الفتى وهو مخبوءٌ له القَـــــدَرُ[2]

---

(١) الخزانة ٢ : ٣٣٢ .
(٢) ديوان كعب ٢٢٩ ، والشعراء ١٥٢ ، ومجموعة المعانى ٥ .

يسعَى الفتى لأُمــــور ليسَ يُدرِكُها
فالنَّفس واحــــــدةٌ والهمُّ منتشرُ
والمــــرءُ ما عاش ممــــدودٌ له أَملٌ
لا تنتهى العينُ حتَّــى ينتهــى الأَثرُ

ومما يُستجاد له أَيضًا :

إِنْ كنتَ لا ترهَبُ ذمِّــى لِمَــا
تعــرِفُ من صَفحى عن الجــاهِلِ[1]
فاخشَ سُــكوتى إِذْ أَنا منصِتٌ
فيــك لمسمــوعِ خَنــا القــائل
والسَّــــامعُ الــذمِّ شــريكٌ له
ومُطعــم المأْكـــولِ كــالآكل
مَقــالةُ السَّــوْءِ إِلى أَهْلِهــــا
أَســــرعُ من مُنحــدِرٍ ســائلِ
ومن دعَــــا النَّـــاسَ إِلى ذمِّــه
ذمُّـــوه بالحـــقِّ وبالبــاطــل

١٢ وسببُ إِسلام كعبٍ وخبرُ هذه القصيدة مذكورٌ فى كتب السِّيَر والأَخبار ، لا سيَّما فى شرحَيْها للبغدادى وابن هشام .

---

(١) هذه الأبيات لم ترد فى ديوانه . ونسبت فى الأغانى ١٢ : ١٠ ولباب الآداب لأسامة ٣٦٠ ورسائل الجاحظ ١ : ٣٥٥ إلى العتابى . ووردت فى الحيوان ١ : ١٥ وجمع الجواهر ٤ بدون نسبة . ووردت نسبتها إلى كعب هنا نقلا عن شرح بانت سعاد لابن هشام ٣ . ونسبت إلى محمد بن حازم الباهلى فى زهر الآداب ٤٩٧ .

وملخصَّه على ما نقله البغدادىُّ عن أَبى عمرو بن العلاء : أَنَّ زهيرًا قال لبنيه : إِنِّى رأَيتُ فى منامى سبباً دُلِّىَ من السماءِ إلى الأَرض ، فمددت يدى لأَتناولَه ففاتَنى ، فأَوَّلته بالنبىِّ الذى يُبعَثُ فى هذا الزَّمان وأَنِّى لا أُدركُه ، فمن أَدرَكَه منكم فليؤمنْ به . فلمَّا بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم آمن بُجَير بن زُهير ، وأَقام كعبٌ على الكفر والتَّشبيب بنساءِ المسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن وَقَع كعبُ ابنُ زهير فى يَدِى لأَقطعَنَّ لِسانه » .

وكتب كعب أَبياتاً أَرسلها إلى بُجير يوبِّخه على إسلامه ، فكتب بجير إلى كعب : إِنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أَهدر دمَك ، فإِنْ أَسلمْتَ ولقِيتَه مُسْلماً طَمِعت لك فى النَّجاة ، وإِلَّا فإِنِّى أَحسَبُك لا تنجو ! فأَسلم كعبٌ وقدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَنشدَهُ هذه القصيدة ، فأَمَّنه النبىُّ صلى الله عليه وسلم وأَجازَه بُرْدَتَه الشَّريفة التى بيعَتْ بالثَّمن الجزيل ، حتَّى بيعت فى أَيَّام المنصور الخليفة بمبلغ أَربعين أَلفَ دِرْهم ، وبقيت فى خزائن بنى العبَّاس إلى أَن وصَلَ المُغُول وجرى ما جرى . والله أَعلمُ بحقيقة الحال .

* * *

وأَنشد بعده :

(إِنَّ من يدخُلِ الكنيسةَ يومًا يَلْقَ فيها جَاذِرًا وظِبـــاءَ)

على أَنَّ اسم إِنَّ ضمير الشأْن ، حذف لضرورة الشعر ، والتقدير إِنَّه من يدخل إلخ .

وهذا البيت قد تقدَّم شرحه فى الشاهد الثامن والسبعين[1]

* * *

(١) الخزانة ١ : ٤٥٧ – ٤٦٢ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد السبعمائة[1] :

٧١٥ (ولستم فاعِلين إخالُ حَتَّى ينالَ أَقاصِىَ الحَطَبِ الْوَقُودُ)

على أَنَّ إِخال الملغاة وقعت مُعترَضًا بها بين اسمِ الفاعل وهو فاعِلِينَ ، وبين معموله وهو حتَّى ، فإنَّها جارَّة بمعنى إلى متعلِّقة به . وينالَ منصوب بـأَنْ مضمرة بعدها .

صاحب الشاهد

والبيت من أَبياتٍ ستَّة لعَقيل بن عُلَّفة ، أوردها أَبو تمام (فى الحماسة) ، وهى :

أبيات الشاهد

(تَناهَوْا واَسْأَلوا ابنَ أَبى لبيدٍ
أَأَعتَبه الضُّبارمة النجيدُ[2]
ولستم فاعِلِينَ إخال حتَّى
ينالَ أَقاصىَ الحطب الوقُودُ
وأَبغَضُ مَن وضَعت إلىّ فيه
لسانى ، مَعشرٌ عنهم أَذودُ
ولستُ بسائلٍ جاراتِ بيتى
أَغُيّابٌ رِجالُكِ أَم شهودُ
ولست بصادرٍ عن بيت جارى
صُدورَ العَيْر غَمَّره الورودُ
ولا مُلْقٍ لذى الودَعاتِ سَوطى
أُلاعبُه وريبتَهُ أُريدُ[3])

---

(١) الحماسة ٤٠١ بشرح المرزوقى و ١ : ٣٧٧ بشرح التبريزى ، واللآلى ١٨٥ .
(٢) فى هذا البيت إقواء فى التصريع . وانظر العمدة ١ : ١١٦ .
(٣) فى السمط : « ولا ألقى » . ويروى : « لألهيه » . ويروى : « وربته أريد » أى ربة ذى الودعات ، يعنى أمه .

(فى شرح التبريزى) : البيتان الأخيران لابن أبى نُمير القَتَّالى ، من بنى مُرّة ، جاء بهما أبو تمام ضَلَّةً فى هذه الأبيات وليستا منها . وكذا قال أبو عبيد البكرى (فى اللآلى شرح أمالى القالى) نقلا عن أبى [الفضل[1]] الرياشى.

قوله : «تناهَوْا واسألوا» الخ ، كلاهما فعل أمر من النَّهى والسُّؤال. والضُّبارمة ، بضمّ المعجمة بعدها موحَّدة ، هو الجرئ على الأعداء. ويسمَّى الأسد ضُبارمة . ويقال: هو الأسَد الوثيق الخلْق الكثيرُ اللَّحْم . والنَّجيد : ذُو النجدة ، وهو البأْس والشِّدَّة . وأعتَبه بمعنى أرضاه . وليس يريد الرِّضا ، ولكن يريد : هل جازيتُه بما فعَل لى ؟ لأنَّه لمَّا جنى عليه فكأنَّه استدعَى شرَّه كما يَستدعِى الرَّجلُ العُتبَى من صاحبه . يقول : كفُّوا عمَّا أنتم عليه من تهييج الشرّ ، واسألوا هذا الرجلَ هل أرضاهُ الأسدُ القويُّ الشَّديدُ لمَّا تحكَّك به ، وهل وفَّاه ما استحقَّه عليه ، كابن أبى لبيد ، كان أجدرَ منهم بأن ينال البُغية منه ، لشدَّة شكيمته وقوّتهِ فأخفق. يقول : سلوه عن وِتْره عنده هل نقضَه؟ ثم ليَنْهكُم ذلك عن الجَراءة على مثلى .

١٣

وقوله :« ولستم فاعلين » الخ ، حذف مفعول فاعِلِين ، وهو ما دلَّ عليه فى البيت قبله « تناهَوْا » كأنَّه قال : ولستم فاعلين التَّناهىَ . والوُقود بالضم : إيقاد النار ، وبالفتح : الحطب . والأقصى : الأبعد. وهذا مثَلٌ تمثَّل به فى انتهاء الشر . يقول : لستم متناهين عمَّا أكرهُه منكم حتَّى يعمَّكم الشرُّ ويبلغَ البلاءُ أقصى المبلغ ، فيتعدَّى من الأقارب إلى الأباعد ، ومن السَّقيم إلى البرىء . وذكرَ الحطبَ والوقودَ هنا مثلاً لتفاقم الشَّرِّ واتِّساع المكروه .

(١) ساقطة من النسختين ، وهو العباس بن الفرج الرياشى ، تلميذ المازنى فى النحو وأستاذه فى اللغة ، وروى عنه المبرد وابن دريد . توفى مقتولا سنة ٢٥٧ . إنباه الرواة ٣ : ٣٦٧ – ٣٧٣ وبغية الوعاة ٢٧٦ .

وقوله : « وأَبغَضُ من وضَعْتُ» إلخ ، فيه تقديمٌ وتأْخير ، وأَصله : وأَبغض مَن وضعت لسانى فيه إلىَّ معشرٌ أَذُودُ عنهم ، أَى أَبغض الأَشياءِ إلىَّ أن أَهجُوَ معشرى الذين يلزمنى الذبُّ عنهم ، فمن هنا نكرة موصوفة ، وصفته الجملة التى هى وضَعْتُ لسانى فيه ، وقد فصل بينهما بقوله « إلىَّ » وهو أَجنبىٌّ منها . وهذا فى الصِّفة أَقربَ منه فى الصِّلة .

وقوله : « ولست بسائل » إلخ ، كنى فى البيت عن عِفَّته . يقول : لا أُكلِّم جارتى لأَنِّى أَصونها عن الكلام . ويجوز أَن يكون تعريضاً للذى يهجوه ، أَى لا أَغتنم الخلوة لجارات بيتى فأَتطلَّب غيبةَ رجالهنَّ عنهنّ .

وقوله : « ولست بصادر » إلخ، يقول : إذا دعانى الجارُ إلى بيته يكرمنى ببرِّه لا أَصدُر عن بيته والطمعُ فى مالِه بحاله ، كما يصدر العَيْر عن الماءِ وقد غمَّره الورود . والتَّغْمير[1] كالتصريد ، وهو شربٌ دون الرىّ ، ومنه الغُمَر للقَدَح الصَّغير . وقيل فى غمَّره إنَّه بمعنى أَرواه من الغَمْر وهو الماءُ الكثير ، فيكون المعنى : لا أَتهالك على طعامه كالمنهوم الخسيس الهمَّة ، لكنَّنى آكلُ أَكلاً كريماً . والمعنى الأَوَّلُ أَوجَه . وقيل : معناه إنِّى لا أُصدُر عن بيته ونفسى تدعونى إلى صاحبة البيت ، لأَنِّى رجعتُ مسرعًا حين علمتُ بمكان جارى عنه[2] ، كما يفعل العَير إذا أَحسَّ بالقانص .

وقوله : « ولا مُلْقٍ لذى الوَدَعات » إلخ ، الوَدَعة : الخَرَزة تُعلَّق فى عُنُق الصبى ، أَى لا أَشغَل الصَّبىَّ ذا الودعات بسوطى[3] وأَنا أُريد

(١) ط : « والتغمر » ، صوابه فى ش .
(٢) كذا فى النسختين ؛ فيكون المعنى رجعت مسرعاً عن البيت .
(٣) ط : « بصوطى » ، صوابه فى ش .

ربيته ، أى ربيبة أُمِّه . ويروى : « ورَبَّتَهُ أُريد » وعلى هذا فالمراد أُمُّه لأَنَّها تَرُبُّه وتملِك أَمره . ويجوز أَن يريد بذى الودعات ابن أَمَة ويريد بربَّته مولاتَه . وجملة أُلاعبه حال .

وعَقيل بنُ علَّفة شاعرٌ إسلامىٌ فى الدَّولة الإسلامية المروانية ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد التاسع والعشرين بعد الثلثمائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٧١٦ (ولقد عَلِمتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتى إنَّ المنايا لا تَطيش سِهامُها)

على أَنَّ علِم نزِّل منزلة القسم ، فيكون جملة لتأْتينَّ جوابَ القسم الذى هو علمتُ ، وحينئذ تخرج عمَّا نحن فيه فلا تقتضى معمولاً ولا تتَّصف بعملٍ ولا تعليقٍ ولا إلغاء . ١٤

وهذا مأْخوذٌ من كلام سيبويه ؛ فإنَّه أَورد هذا البيت فى باب أَفعال القسم وقال : كأَنَّه قال : والله لتأْتينَّ ، كما قال : قد علمت لعبد الله خيرٌ منك . ا هـ .

ويجوز أَن تبقى علم هنا على بابها ، وتكون معلَّقة بلام القسَم ، فيكون جملة لتأْتِيَنَّ منيَّتى جوابًا لقسمٍ محذوف تقديره : ولقد علمت واللهِ لتأْتينَّ منيَّتى . وجملتا القسم والجواب فى موقع نصب بعلمت المعلَّق .

---

(١) الخزانة ٤ : ٤٨١ — ٤٨٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٦٥ . وانظر المغنى ٤٠١ ، ٤٠٧ وشذور الذهب ٣٥٦ ، والعينى ٢ : ٤٠٥ ، والتصريح ١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، والهمع ١ : ١٥٤ ، والأشمونى ٢ : ٣٠ .

وإلى هذا ذهب ابن الناظم (فى شرح الألفيَّة) قال : ومنها ، أى من المعلِّقات ، لام الابتداء والقسم ، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِموا لَمَن اشْتَراه مَاله فى الآخرةِ مِنْ خَلاق[1]﴾ ، وكقول الشاعر :

ولقد علمتُ لَتَأْتِيَنَّ منيتى . . . . . . البيت

وقرَّره ابن هشام (فى شرح شواهده) ، وجوَّز الوجه الأوَّلَ أيضاً فيه ، ثم قال : ويأْتى الوجهان فى الآية الكريمة أيضاً .

والسابق إلى تجويز الوجهين فى الآية والبيتِ ابنُ جِنِّى (فى سر الصناعة) قال فيه: وأما قوله تعالى: ﴿ ولقد عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراه[1]﴾ الآية فاللام فى لقد لامُ القسم ، وهو محذوف ، والتقدير : والله لقد علموا . واللام فى لمن اشتراه لام الابتداء ، ومَنْ بمنزلة الذى مبتدأٌ ، وصلته اشتراه ، وماله فى الآخرة خبره ، والجملة فى موضع نصب بعلموا ، كما تقول : قد علمت لَزَيدٌ أفضل منك ، فلام الابتداء وهمزة الاستفهام فى التعليق سواءٌ . وهذا مذهب سيبويه . وذهب غيره إلى جعل مَنْ شرطاً وجعل اللام فيه كالتى تعترض زائدةً بين القسم والمقسم عليه ، فالتقدير : والله لقد علموا لئن أحدٌ اشتراه ماله فى الآخرة من خَلاق . وفى جَعْلِ مَن للشَّرط بعضُ الضعف ، وذلك أنَّ عِلموا تقتضى مفعولها ، فإذا أوقعت القسمَ بعدَها صار التقدير : ولقد علموا أحلف بالله لئن اشتراه أحدٌ . وإذا تأدَّى الأمر إلى هذا قبُح أن تلىَ علمتُ فعلَ القَسم ، لأنَّها وأخواتِها إنَّما يدخُلْن على المبتدإ والخبر .

فإن قلت : فعلام تجيز كون مَن شرطاً وقد قدَّمتَ قُبح ذَلك ؟

---

(١) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

فالجواب أنَّ جواز ذلك على أن تجعَل علموا نفسها قَسَماً . وقد استعملتها العرب بمعنى القسم . ومن أبيات الكتاب :

* ولقد علمت لتأْتينَّ منيَّتى *

فكأنَّه قال : والله لتأْتينَّ منيتى .

فإن قلت : فإذا جعلت علموا جاريًا مجرى القسم ، وعندك أنَّ اللام فى لقد دالَّةٌ على القسم المحذوف ، فكأنَّه عندك : والله لقد علموا ، وقولك لقد علموا جارٍ مجرى القسم ، فكيف يجوز على هذا دخول القَسَم على القسَم ؟ أوَ لا ترى أنَّ الخليل وسيبويه ذهبا فى قوله تعالى : ﴿ والشَّمْسِ وضُحاها * والقَمَرِ إِذَا تَلَاها[1] ﴾ أنَّ جميعَ ما بعد الواو الأُولى من الواواتِ إنَّما هو حرف عطف ، لئلاَّ يدخل قَسَمٌ على قسمٍ فيبقى الأَوّل منهما غيرَ مجاب . فالجواب : أنَّ ذلك إنَّما جاز فى علموا من حيث كان إنَّما هو فى معنى القسم ، وليس قسماً صريحاً ، وإنَّما هو بمنزلة أَشهد لقد كان كذا . فلأَجْل هذا جاز أن تكون[2] (مَنْ) فى ﴿لمن اشتراه﴾ شرطًا ، واللام فى أَوّلها مؤكِّدة للشرط . فاعرف ذلك . ا هـ .

والبيت نسبه سيبويه (فى كتابه) للبيد ، والموجود فى معلَّقته إنَّما هو المصراع الثانى ، وصدره :

* صادَفْنَ منها غِرَّةً فأَصبنَه *

والنون من صادفن ضمير الذِّئاب ،وضمير منها ضمير البقَرة الوحشية، والهاءُ فى « أَصبنه » ضمير ولد البقرة . والمنية : الموت . وطاش السَّهم عن الرِّميَّة ، إذا وقع يمينَه أَو شِمالَه ولم يصبْه .

---

(١) الآية الأولى والثانية من سورة الشمس .

(٢) ط : « يكون » .

١٥ ولم يوجد للبيدٍ فى ديوانه شعر على هذا الرَّوىّ غير المعلَّقة . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(. . . . . وإننى قَسَمًا إليكَ مع الصُّدودِ لأَمْيَلُ)

على أنَّ (لقد علمتُ) فى البيت السابق منزَّل منزلة القسم ، فصار كقوله : « قسما » فى هذا البيت ، وهو بتقدير أُقسم قسمًا . وقوله : «لأَمْيَل» خبر مبتدإٍ محذوف ، أى لأنا أميل ، والجملة جواب القسم .

وقد تقدَّم مشروحاً فى الشاهد التِّسعين[1] . وأصله :

إنِّى لأَمنحكَ الصُّدودَ وإنَّنــى قسمًا إليكَ . . . . البيت

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٧١٧ (لقد عَلِمْتُ أىَّ يومٍ عُقْبَتِى)

على أنَّه يجوز رفع (أىّ) على الابتداء ، ونصبها على الظرفية .

قال سيبويه (فى باب مالا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذى يتعدَّى): وتقول : عرفت أَىَّ يومٍ الجمعةُ ، فتنصب على أَنَّه ظرف لا علَى عرفت . وإن لمْ تجعله ظرفًا رفعت . وبعض العرب يقول : لقد علمت أَىَّ يوم عقبتى . وبعضهم يقول : أَىُّ يوم عقبتى . ا هـ .

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٧ — ٥٥ حيث نسب البيت إلى الأحوص .

(٢) أورده سيبويه فى كتابه ١ : ١٢٢ ، وساقه مساق النثر لا الشاهد ، مسبوقاً بقوله : « وبعض العرب يقول » . وانظر المخصص ٧ : ١١٩ .

وظاهر سياقه إنَّ هذا كلامٌ لا شعر ، ولهذا لم يشرحه أكثر شُرّاح شواهده ، ولم يورده أحد منهم فى الأَبيات إلّا أبو جعفر النحاس ، وقال بعده : لا أُنشده ، قال بعضهم: أىّ حينٍ، إذا رُفِع فلأَنَّ الاستِفهام لا يفعل فيه ما قبله فيكون مبتدأً وخبره عقبتى . فإذا نصبت جعلته ظرفًا ولم يعمل فيه عَلمت . ا هـ .

يعنى أن أيًّا اكتسبت الظرفيَّة من حِين ، لإضافتها إليه .

وأَورده أَيضاً ابن السيرافى (فى شرح أَبياته) وقال : هو من رجز الراجز ، وهو :

أأَنتِ يا بَسِيطةُ التى التى هَيَّبَنِيكِ فى المَقيلِ صُحْبَتى [1]

لقد عَلِمتُ أىَّ حينٍ عُقبتى هى التى عند الهَجيرِ قالتِ

إذَا النُّجومُ فى السَّماءِ وَلَّتِ

وبَسيطة : اسم أَرضٍ بين الكُوفة وحَزْن بنى يَربوع .

قال أَبو محمدٍ الأَعرابىُّ (فى فُرحة الأَديب) : وفيها يقول عَدىّ ابن عَمرٍو الطائِى :

لولا توقُّد ما يَنفيهِ خَطْوُهُما على البَسيطةِ لم تُدرِكْهمَا الحَدَقُ [2]

---

(١) أنشد ياقوت هذا الشطر وسابقه فى رسم (البسيطة) بالتصغير ، ولكن مقتضى التفسير التالى أن تضبط بهيئة المكبر . وكذلك أنشده فى اللسان (بسط) مع تصريحه بأن اسم هذا المكان فى الرجز يحتمل التصغير والتكبير . ورواية ياقوت: « قد هيبتك فى المقيل ». ورواية ابن منظور :

ما أنت يا بسيط التى التى أنذرنيـــك فى المقيل صحبتى

قال ابن سيده : « أراد يا بسيطة ، فرخم » . فهاتان لغتان فى اسم المكان « بسيطة » بالتصغير مع التخفيف ، و « بسيطة » بالتصغير مع تشديد الياء ، ولغة ثالثة فى اللسان هى « بسيطة » بلفظ المكبر ، وأنشد أيضاً فى تلك اللغة :

إنك يا بسيطة التى التى أنذرنيك فى الطريق إخوتى

(٢) أنشد ياقوت هذا البيت فى رسم (البسيطة) المكبر ، ولعله فى صفة الأتان والعير ، أو النعامة والظليم .

وخَطَّأَ ابنَ السِّيرافى فى قوله : البسيطة : الأَرض المنبسطة الممتدَّة .

ثم رأَيت ابن خلف أَورد هذا الرجز ، وقال فى مثال سيبويه : أَمّا نصبه فعلى قولك : فى أَىِّ الأَوقات الاجتماعُ للصَّلاة؟ ورفعه جيِّد، كأَنّه قال : أَىُّ الأَيَّام يوم الجمعة ، والسَّبت مثل الجمعة . وإنَّما جاز النصبُ فى ذلك لأَنَّ الجمعة فيها معنى الاجتماع ، والأَصل فى السَّبت الراحة ، وهو فعل واقع فى اليوم . [ولو قلت: اليومَ[1]] الأَحدُ والاثنانِ، إلى الخميس لم يجز إلا الرفع . وليس للأَحد معنًى يقع فى اليوم .

ثم قال سيبويه : وبعضٌ يقول : لقد علمت أَىَّ يوم عقبتى ، أَنشدَه نصباً ، وهذا البيت من الشعر ، وقد خُلط بالكلام فى الكتاب .

والشاهد فيه نصب أَىّ على الظرف. وعُقبتى مبتدأٌ وأَىُّ حينٍ خبره، كأَنه قال : أَىّ الأَحيان اعتقابى ، يريد ركوب عُقْبته . ورفعه جائزٌ على ما قدمته . والبسيطة : الأَرض المنبسطة الممتدة . « هَيَّبَنِيكِ صُحبتى »: هيبونى من ركوبكِ والسَّير فيكِ . والهجير : الهاجرة . وولَّت النجوم يعنى النجومَ التى كانت فى أَوَّل الليل مرتفعة ، ولَّت : انحطَّت لتغيب. يريد أَنَّ له عقبتين : عُقبةٌ بالليَّل ، وعقبةٌ بالنَّهار . انتهى كلامه .

وذهب بالبسيطة إلى معناها اللغوى . وقد ردَّه أَبو محمد الأَعرابى وقال : إنَّها علمٌ لأَرضٍ بعينها ، وعلمت بالبناءِ للمعلوم والتكلم . والعُقْبة بضم العين المهملة وسكون القاف ، وهو مضاف إلى الياءِ . قال صاحب العباب: العُقبة بالضم : النَّوبة بالنون . تقول : تَمَّتْ عُقبتُك ، أَى نَوْبتك .

١٦

---

(١) التكملة من ش .

ولم أَقِفْ عليه بأَكثرَ من هذا والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامنَ عشرَ بعد السبعمائة [١] :

٧١٨ (غادَرْتُه جَزَرَ السِّباع)

وهو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(غادرتُه جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ ما بين قُلَّةِ رأْسِهِ والمِعْصمِ)

على أَنَّ (غادرَ) ملحق بصيَّر فى العمل والمعنى ، إذا كان ثانى المنصوبين معرفةً كما فى البيت .

والمشهور فى روايته : « وتركتُه جَزَرَ السِّباع » .

وقد استشهد به (فى التفسيرين [٢]) على أَنَّ ترك فى قوله : ﴿وتَرَكَهُمْ فى ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُون [٣]﴾ ، كما فى البيت .

وترك فى الأَصل يتعدَّى إلى مفعولٍ واحد لأَنَّه بمعنى طَرَح وخلَّى ، ثم ضُمِّن معنى صار ، إلَّا أن ما فى البيت متعدٍّ قطعاً إلى مفعولين ، ليكون الثانى معرفة ، بخلاف الآية فإنَّ تَرَك فيها يحتمل أَن تكون بمعنى الأَصل متعدِّية إلى مفعولٍ واحد ، ويكون «فى ظلماتٍ لا يبصرون» حالين مترادفتين كما قاله ابن الحاجب .

والبيت من معلَّقة عنترة العبسىّ . وقبله :

أبيات الشاعر

(ومُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُمَاةُ نِزَالَهُ لا مُمعنٍ هَـرَبًا ولا مُستسلمِ
جادَتْ يداىَ له بعاجِلِ طَعنةٍ بمثقَّف صَدْقِ الكعُوبِ مقوَّمِ
فشككتُ بالرُّمح الطَّويل ثيابَه ليس الكريمُ على القنا بمحرَّمِ

(١) البيت من معلقة عنترة ، ولم أجد من استشهد به فى النحو غيره .

(٢) انظر ما سبق فى حواشى ٧ : ٤٨٥ .

(٣) الآية ١٧ من سورة البقرة.

وتركته جَزَر السباع . . . .) البيت

وقوله :« ومُدجّج» أى ربَّ مدجّج ،وهو التام السّلاح ، بكسر الجيم وفتحها. والكُمَاةُ : الشُّجعان . والنِّزال : المنازلة فى الحرب . وقوله : « لا ممعن » إلخ صفة ثانية لمدجّج . والإمعان : المبالغة ، ومعناه لا يمعن هربًا فيبعُد ، ولا هو مستسلم فيؤْسر ، ولكنَّه يُقاتِل . ويقال معناه لا يفرُّ فرارًا بعيداً ، إنما هو منحرفٌ لرَجْعةٍ أو كرّة يكُرّها إذا طَرَد لِقِرنه. وأراد وصفَه بالحزْم فى الحرب. وأراد أنَّه وإن كان[1] بهذه الصِّفة ، وكان ممَّن تُكره منازلته ، فإنِّى[2] لم أَجبُنْ عنه ولا هِبْته ، ولكنِّى أقدمت عليه .

وقوله : « جادت يداى » الخ أى سبَقْته بالطَّعن ، لأَنِّى كنتُ أَحذقَ منه . والمثقَّف : الرمح المقوَّم . والصَّدْق ، بالفتح : الصُّلب . وما بين كلِّ أُنبوبتين كعب .

وقوله : « فشككت بالرُّمح » إلخ . أى انتظمت ثيابه بالرمح ، يريد أَنَّ الرِّماح مُولعةٌ بالكِرام ، لحِرصهم على الإقدام . وقيل : معناه كرمه لا يخلِّصه من القتل المقدَّر له .

وقوله : (وتركته جَزَرَ السِّباع) إلخ، الجَزَر : جمع جزرة بفتح الجيم والزاى ، وهى الشَّاة أو الناقة تنحر وتذبح . أى تركته لحمًا للسِّباع . والنَّوش: التناوُل . و (قلَّة رأسِه) : أعلاه . و (المِعْصَم) : موضع السِّوار من الذراع . وكان الوجه أن يقول : ما بين قُلَّة رأسه والقَدَم ، فلم يمكنه للقافية . ويحتمل أنَّه استعار المعصم لما فوقَ القدم من السَّاق ، لتقارُبِهما فى الخِلقة .

---

(١) ط : « وأراد أنه كان » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « وإنى » ، صوابه فى ش .

وترجمة عنترة تقدَّمت فى الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب(١)

* * *

١٧ وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد السبعمائة(٢) :

٧١٩ (سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعون غيثًا فقُلْتُ لِصَيْدَحَ انتجعى بلالاً)

على أنَّ الفعل التالى لاسم العين بعد سمع، يجوز أن لا يكون بمعنى النُّطق كما فى البيت ، فإنَّ الانتجاع التردُّدُ فى طلب العُشْب والماء ، وليس قولا ، والمسموع مطلقُ الصّوت سواءٌ كان قولاً أو حركة ، فإنَّ المشْى فيه صوتُ تحريك الأقدام . وكذا الانتجاع ، هو طلب النُّجعة ، وهى مكان المطر إذا أجدَبوا . والطَّلب إمَّا بالسُّؤال وهو قولٌ ، أو بالتردُّد ذَهابًا ومجيئًا وفيه حركات مسموعة .

والشارح المحقق مسبوقٌ بهذا الاختيار .

وقال ابن مالك (فى التسهيل): ألحقوا برأى العلميَّةِ الحُلميَّةَ وسَمِع المعلَّقةَ بعَيْن ، ولا يُخبر بعدها إلاَّ بفعلٍ دالّ على صوت . ا هـ .

وقال شيخنا الخفاجى (فى شرح درّة الغواص) و (فى أماليه) : ذهب الرضىُّ إلى أنَّه لا يشترط ذكر مسموع بعد سمع ، وأنَّ اشتراطه أكثرىٌّ . وهذا من القليل الوارد على خلافه . ا هـ .

وهذا مخالِفٌ لصريح كلام الرضىّ . وقوله (فى أماليه) إنَّ قياس سمعتك تمشى ، على سمعت أنَّك تمشى ، قياسٌ مع الفارق، لأنَّه بتقدير الباء ، وليس من هذا القبيل الذى يدخل على المبتدإ والخبر .

---

(١) الخزانة ١ : ١٢٨ .

(٢) المقتضب ٤ : ١٠ والكامل ٢٥٩ والعقد ٥ : ٣٣٣ والجمل ٣١٥ والموشح ٢٨١ ، ٢٨٢ وسر الصناعة ١ : ٢٣٦ وشرح درة الغواص ٢٢٥ والتصريح ٢ : ٢٨٢ والأشمونى ٤ : ٩٣ واللسان (صدح ٣٤٠ نجع ٢٢٥) وديوان ذى الرمة ٤٤٢ .

أَقول : مراده أَنَّ سَمِع فى المثالين متعلَّقه مطلقُ الصَّوت ، سواءٌ كان من استعمالٍ واحد أَو من استعمالين. فإِنَّ سمع فى أَكثر استعمالاته متعلَّقهُ الصَّوت ، ولا يُستعمَل[1] فى غير مسموع ؛ فإِنَّ اللفظة موضوعة له ، ولا يلزم الدَّلالة على الصَّوت وضعًا ، بل يكفى الدَّلالة عليه ولو التزاماً .

وقول الشارح المحقِّق : « بنصب الناس » فيه ردٌّ على الحريرى بإِنكاره النصب ؛ فإِنَّه قال (فى درّة الغَوَّاص) : ومن أَوهامهم فى هذا المعنى أَنَّهم ينشدون بيت ذى الرمة :

* سَمِعتُ النَّاسَ ينتجعون غيثا *

فينصبون لفظ النَّاسَ على المفعول ، ولا يجوز ذلك لأَنَّ النصب يجعل الانتجاع ممَّا يسمع ، وما هو كذلك . إِنَّما الصواب أَن يُنشَدَ بالرفع على وجهِ الحكاية . ا هـ .

وقد تبع فى هذا المبردَ ، فإِنَّه قال (فى الكامل) : قوله سمعت الناس ينتجعون غيثًا حكاية ، والمعنى إِذا حُقِّق إِنَّما هو : سمعت هذه اللفظة ، أَى قائلاً يقول : الناسُ ينتجعون غيثًا ، ومثل هذا قوله :

وَجَدْنا فى كتاب بنى تميمٍ : أَحقُّ الخيل بالرَّكْضِ المُعارُ[2]

فمعناه وجَدْنا هذه اللَّفظة . فقوله : « أَحقُّ الخيل » ابتداءٌ، والمعار خبره . وكذلك الناس ابتداءٌ وينتجعون خبره . ومثل هذا فى الكلام : قرأْتُ : الحمدُ لله رب العالمين ، إِنَّما حكيتَ ما قرأْت ، فهذا لا يجوز سواه.

---

(١) ش : « ولا تستعمل » .

(٢) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ٧٥ . وانظر معجم الشواهد .

وقد روى النصبَ فى البيت جماعةٌ ثقات ، منهم ابن السيد (فى أبيات المعانى) ، ومنهم الفارقى (فى شرح أبيات الإيضاح) ، ومنهم الزمخشرى وغيره . وقد أورده بالرفع الزمخشريُّ أيضاً فى أوّل سورة البقرة ، على أنَّ جملة الناسُ ينتجعون محكيٌّ والحكاية إمّا بقولٍ مقدَّر على مذهب مَن اشترط فى الحكاية القول ، أو بسَمِعت على خلاف . وتقديره كثير .

واعلمْ أن نحو سمعت زيدًا يقول كذا ، اختُلِف فيه : فعند الأخفش وأبى على الفارسى (فى الإيضاح) وابن مالك ، وصاحب الهادى[1] ، وجَمٌّ غفير ، أنَّه يتعدَّى إلى مفعولين : الأوَّل الذات والثانى الجملة المذكورة بعد . ١٨

قال البعلى (فى شرح الجمل) : وأمَّا سمِعَ فإنْ وليَه ما يُسمَع تعدَّى إلى مفعول واحد ، تقول : سمعت الحديث ، وسمعت الكلام . وإن وليَه مالا يسمع تعدَّى إلى مفعولين ، كقولك : سمعت زيدًا يقول كذا . ولم يُجِزْ بعضُهم سمعت زيدًا قائلا ، إلَّا أنْ يعلِّقه بشىءٍ آخر ، لأنَّ قائلاً من صفات الذات ، والذات لا تسمع . وأما قوله تعالى : ﴿ هل يَسْمَعُونَكُمْ إذْ تَدْعُونَ[2] ﴾ فعلى حذف المضاف ، تقديره : هل يسمعون دعاءكم . ولو جعل المضاف إلى الظرف مُغْنيا عن المضاف جاز . اهـ .

قال (فى شرح الهادى) : وفيه نظر ، فإنَّ الثانىَ من قولنا سمعت زيدًا يقول ، جملة ، والجملة لا تقع مفعولاً إلاَّ فى الأفعال الداخلة على المبتدإ والخبر ، نحو ظننت ؛ وسمعتُ ليس منها ، بل الحقُّ أنَّه مما

---

(١) هو عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجانى ، صاحب تصريف العزى ، المتوفى سنة ٦٥٥ . وكتابه الهادى فى النحو والصرف ، وشرحه وسمى شرحه الكافى . وقد قام بدراسته وتحقيقه محمود فجال سنة ١٣٩٨ فى رسالة دكتوراه .

(٢) الآية ٧٢ من سورة الشعراء .

يتعدَّى إلى مفعول واحد ولا يكون إلاَّ ممَّا يسمع . فإنْ عدَّيته إلى غير مسموع فلا بدَّ من قرينةٍ بعده تدلُّ على أنَّ المراد ما يسمع فيه. فإنْ قلت: سمعت زيدًا يقول ، فزيدًا مفعول على تقدير مضاف ، أي سمعت قول زيد ، ويقول فى موضع الحال . ا هـ .

وهذا النَّظر غير واردٍ ، وفى كلامهم ما يدفعه . كذا فى التسهيل ، وقد نقلنا عبارته .

فعُلم أنَّ من قال بنصبها مفعولين جعلها ممَّا يدخل على المبتدإ والخبر ، لأنَّ الحواسَّ الظاهرة لمَّا أفادت الإدراك والعلم ، إذ كانت طريقًا له ، أجرَوْها مُجرَى رأى وعلم لذلك ، فأعملوها عملَها .

وذهب بعضُهم إلى جعل الجملة حالاً بعد المعرفة ، وصفةً بعد النكرة. قال القاضى فى تفسير : ﴿ سَمِعْنا فَتًى يذكُرُهُم[1] ﴾ : صفة مصحِّحة لأن يتعلَّق به السمع ، وهو أبلغ فى نسبة الذِّكر إليه . ووجه كونه أبلغ إيقاع الفعل على المسموع منه ، وجعله بمنزلة المسموع مبالغةً فى عدم الواسطة بينهما ، ليفيدَ التركيبُ أنَّه سمعه منه بالذاتِ . وضمير هو راجعٌ إلى التعلُّق. وهذا معنى قوله فى تفسير : ﴿ سَمِعْنا مُنادِيًا يُنادِى للإيمان[2] ﴾ حيث قال : أوقع الفعل على المُسْمِع وحذف المسموع ، لدلالة وَصْفه عليه . وفيه مبالغةٌ ليست فى إيقاعه على نفس المسموع[3] .

وقال الفاضل (فى حواشى الكشاف) : فى مثل هذا يُجعل ما يُسمع صفةً للنَّكرة وحالا للمعرفة ، فأغنى عن ذكر المسموع . لكن لا يخفى أنَّه

(١) الآية ٦٠ من سورة الأنبياء .
(٢) الآية ١٩٣ من سورة آل عمران .
(٣) ش : « على النفس المسموع » ، صوابه فى ط وتفسير البيضاوى ١ : ٢٥٢ .

لا يصحُّ إيقاع فعل السَّماع على الرجل إلَّا بإضمارٍ أو مجاز ، أى سمعت كلامه . وأنَّ الأوفق بالمعنى فيما جُعل وصفاً أو حالا أن يُجعل بدلًا بتأويل الفعل ، على ما يراه بعض النحاة ، لكنه قليلٌ فى الاستعمال ، فلذا آثر الوصفيَّة والحاليَّة . اهـ .

وإنَّما كان البدل أوفقَ لأنَّه يستغنِى عن التجوُّز والإضمار ، إذ هو حينئذٍ بدل اشتمال ، ولا يلزم فيه قصد تعلُّق الفعل بالمبدَل منه حتَّى يحتاج إلى إضمارٍ أو تجوُّز ، كما فى : سُلب زيدٌ ثوبُه ، إذْ ليس زيد مسلوباً . ولم يؤوِّله أحد لأنَّه غير مقصود بالنسبة ، بل توطئةٌ لما بعده . وإبدال الجملة من المفرد جائِز نحو : ﴿ وأَسَرُّوا النَّجوَى الذين ظَلَمُوا هَلْ هذا إلاَّ بشرٌ مِثْلُكم[1] ﴾ .

وفى شرح المغنى : المحقِّقون على أنَّها متعدية إلى مفعول واحد ، وأن الجملة الواقعة بعده حال . وقال التفتازانى : أو بدل أو بيانٌ بتقدير المصدر . ويلزم عليه حذفُ أَنْ ورفْعُ الفعلِ ، وجَعْلُه بمعنى المصدر بدون سابك ، وليس مثلُه بمقيس. وهذا ليس بواردٍ لأنَّه إشارة إلىأنَّ بدل الجملة من المفرد باعتبار محصَّل المعنى ، لأنَّه سبكٌ وتقدير .

بقِى لسَمِعَ استعمالات غير ما تقدَّم ، وهى ثلاثة :

١٩ أَحدها : أن تتعدَّى إلى مسموع . وقد حقق السُّهيلى أنَّ جميع الحواسِّ الظاهرة لا تتعدَّى إلَّا إلى مفعول واحد ، نحو : سمعت الخبر ، وأبصرت الأَثر ، ومَسِست الحجر ، وذُقْتُ العسلَ ، وشمِمتُ الطِّيب .

ثانيها : تعديتها بإلى أو اللام ، وهى حينئذ بمعنى الإصغاء ،

---

(١) الآية ٣ من سورة الأنبياء .

والظاهر أنَّه حقيقة لا تضمين ، قال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : ﴿لا يسَّمَّعون إلى المَلَإِ الأَعْلَى[١]﴾. فانقلت: أىُّ فرقٍ بين سمعت فلانًا يتحدَّث ، وسمعت إليه يتحدَّث ،وسمعت حديثَه ، وإلى حديثه[٢] ؟ قلت : المعدَّى بنفسه يفيد الإدراك ، والمعدَّى بإلى يفيد الإصغاءَ مع الإدراك . قال الجوهرىُّ : استمعت له ، أى أَصغيت ، وتسمَّعت إليه ، وسمعت إليه وسمعت له . وأَمّا قوله :سمع الله لمن حَمِدَه ،فإنَّه مجاز عن القَبُول .

ثالثها : تعديتها بالباءِ، وهو معروف فى كلام العرب، ومعناه الإخبار ونَقْلُ ذلك إلى السامع . ويدخل حينئذ على غير المسموع ، وليست الباءُ فيه زائدة ، تقول: ما سمعت بأَفضلَ منه. وفى المثل: «تسمع بالمَعيدىّ خيرٌ من أَن تراه» ، قابَلَه بالرُّؤية لأَنَّه بمعنى الإخبار عنه المتضمِّن للغيبة . وقال الحماسى[٣] :

فإذا سمعتَ بهالكٍ فتيَقَّنَنَّ أَنَّ السَّبيلَ سبيلُه فتزوّدِ[٤]

وقال آخر[٥] :

صــاح هل رَيْتَ أَو سمِعْتَ براعٍ
رَدَّ فى الضَّرع ما قَرَى فى العِــلابِ

(١) الآية ٨ من سورة الصافات .

(٢) وإلى حديثه ، ساقطة من ش ، ثابتة فى ط وتفسير الزمخشرى ٢ : ٢٦٠ .

(٣) لم أعثر على هذا البيت فى حماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ، ولكنه ثانى بيتين فى الحماسة بشرح التبريزى فى أواخر باب المراثى ٣ : ١٢٤ ، وقبله :

إن المساءة للمسرة موعــــد أختان رهن للعشية أو غد

(٤) فى النسختين : « فتيقن » ، والوجه ما أثبت من الحماسة .

(٥) هو إسماعيل بن يسار . الأغانى ٤ : ١١٩ وشرح شواهد الشافية ٣١٦ . والبيت فى اللسان (رأى ٤) بدون نسبة ، وكذلك فى (علب ١١٩) ، وقال : « ويروى فى الحلاب » ، وبتلك ورد فى اللسان (حلب ٣١٩) .

وقال ربيعة بن مقروم :

وقد سمعتُ بقوم يُحمَـدُون فلم
أَسمَـعْ بمثلك لا حلماً ولا جُـودا[١]

وانَّما أَطلتُ الكلام فى هذه الكلمة لأَنَّ الشارح المحقِّق أَوجز فيها كلَّ الإِيجاز .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لذى الرُّمة ، مدح بها بلالَ بنَ أَبى بُردةَ بنِ أَبى موسى الأَشعرى . وبعده :

أبيات الشاهد

(تُناخِى عنـد خيرِ فتًى يمـانٍ
إذا النـكباءُ ناوحَتِ الشَّمـالا[٢]
ندًى وتـكرُّما ولُبـابَ لُبٍّ
إذا الأَشيـاءُ حَصَّلت الرِّجالا[٣]
وأَبعـدِهِمْ مَسافَةَ غَـوْرِ عقلٍ
إذا مـا الأَمرُ ذو الشُّبهات عالا)

وهى قصيدةٌ طويلة جداً ، وسيأْتى إن شاءَ الله بيتٌ منها أَيضاً فى أَفعال المدح والذم .

وقوله : (سمعت النَّاسُ) الخ الغيث: المطر ، وأَراد به ما يحصلُ بسببه من الكلإِ والخِصْب . و (صَيْدَح) بإِهمال الطرفين : اسم ناقةِ ذى الرمَّة . و (بلال) هو الممدوح ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الستين بعد المائة[٤] . قال المبرد (فى الكامل) : وكان بلالٌ داهية لقِنًا أَديباً .

(١) المفضليات ٢١٤ والأغانى ١٩ : ٩١ من قصيدة يمدح بها مسعود بن سالم بن أبى سلمى . وربيعة هذا من مخضرمى الجاهلية والإسلام . (٢) ديوان ذى الرمة ٤٤٢ .
(٣) فى الأساس (حصل) : « أى ميزت خيارها من شرارها » .
(٤) الخزانة ٣ : ٣٥ .

ولما سَمِع قوله « سمعت الناس » البيت قال لغلامه : مُرْ لها بقتٍّ ونَوًى. أَراد أَنَّ الرَّمة لا يُحسِن المَدْح . ا هـ .

وروى المرزبانى (فى الموشح) عن أَبى عبيدة أَنَّ بلالا قال : يا غلام اعلِفْ ناقته فإِنَّه لا يُحسن أَن يَمْدَح. فلما خرج ذو الرُّمَّة قال له أَبوعمرو وكان حاضرًا : هلاَّ قلت له إِنَّما عَنَيتُ بانتجاع الناقة صاحبَها كما قال الله عز وجل : ﴿واسأَل القَرْيَةَ التى كُنَّا فيها[1]﴾ يريد أَهلها . وهَلاَّ أَنشدْته[2] قول الحارثى :

وقفتُ على الدِّيار فكلَّمتنى ... فمــا مَلَكت مدامعَها القَلوصُ[3]

يريد صاحبها ، فقال ذو الرمة : يا أَبا عَمرو ، أَنت مفردٌ فى عِلْمك ، وأَنا فى علمى وشعرى ذو أَشباه . ا هـ .

وقال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : ولما أَنشد هذا الشعرَ بلالاً قال : يا غلامُ مُرْ لصيدحَ بقتٍّ وعلف، فإِنَّما هى انتجعَتْنا. وهذا من التعنُّت الذى لا إِنصافَ معه ، لأَنَّ قوله انتجعى إِنَّما أَراد نفسَه . ومثله فى كتاب الله تعالى : ﴿ واسأَل القريةَ التى كُنَّا فيها والعِيرَ التى أَقبَلْنا فيها[4] ﴾ ،وإِنَّما أَراد أَهل القرية وأَهل العِير .

وقوله : « إذا النكباءُ» إلخ قال المبرد (فى الكامل): النكباءُ: الريح التى تأْتى من بين ريحين، فتكون بين الشمال والصَّبا، أَو الشَّمال والدَّبور، أَو الجنوب والدَّبور ، أَو الجَنوب والصَّبا . فإِذا كانت النَّكباءُ تناوِحُ

(١) الآية ٨٢ من سورة يوسف .
(٢) ط : « وقد أنشدته » ، صوابه من ش والموشح ٢٨٢ .
(٣) ط : « القلوصا » ، صوابه فى ش والموشح .
(٤) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

الشَّمال فهى آيةُ الشتاءِ . ومعنى تُناوِح تُقابِل ، يقال تناوَحَ الشَّجرُ ، إذا قابَلَ بعضُه بعضاً . وزعم الأَصمعىُّ أَنَّ النائحة بهذا سمِّيت ، لأَنَّها تقابل صاحبتَها . اهـ .

يريد ذو الرمة أَنَّه يُعْطِى فى هذا الوقتِ الذى هو الجدبُ والقحطُ ويُبْس وجهِ الأَرض .

وقوله : « ندًى وتكرُّماً » تمييز لقوله : خَيْر فتًى . وحَصَّلت بمعنى ميَّزت الشَّريف من الوضيع .

والمسافة : الغاية . وعال : غلب . وذو الشبهات : ما اشتبه ولا يُهتدَى له .

وترجمة ذى الرمة تقدَّمت فى الشاهد الثامن من أول الكتاب[١] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد السبعمائة[٢] :

٧٢٠ (إذا أَقبلت قُلْتَ دُبّاءَةٌ)

على أَنَّ (دُبّاءة) ليست وحدها محكيَّة بالقول ، بل هى خبر مبتدإٍ محذوف ، أَى هى دبَّاءة ، والمجموع هو المحكىّ .

وهذا صدرٌ ، وعجزه :

(من الخُضْر مغموسةٌ فى الغُدُرْ)

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لامرئ القيس فى وصف فرس . وقبله :

أبيات الشاهد

(لهـا حافرٌ مثـلُ قَعْبِ الوَلِيـ ـدِ رُكِّبَ فيه وَظيفٌ عَجِرْ

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) المعانى الكبير ٦٠ ، ١٦٧ وتصحيف العسكرى ٢٢٣ والعمدة ٢ : ٢٠ ومجالس العلماء ٩٥ وديوان امرئ القيس ١٦٦ .

لهـا ثُنَن كخـوافى العُقـا ... بِ سُودٌ يفِينَ إذا تزبئرّ[١]

لهـا ذنبٌ مثلُ ذيلِ العروس ... تَسُدُّ به فرجَهـا من دُبرْ

لهـا متنتـانِ خظاتَا كمـا ... أَكَبَّ على سـاعدَيه النَّمِرْ

لهـا كَفَلٌ كصَفـاة المَسِيـ ... ـلِ أبرزَ عنهـا جُحَافٌ مُضِرّ

لهـا مَنخِرٌ كوِجـارِ السِّباع ... فمنـه تُـريح إذا تنبهـرْ

وعينٌ لهـا حَدْرةٌ بَـدْرة ... وشُقَّت مآقيُّهـا من أُخُـر[٢]

إذا أَقبلتْ قُلتَ دُبَّـاءَةٌ ... من الخُضْر مغموسةٌ فى الغُدرْ

وإن أَدبرتْ قلتَ أُثفيَّـةٌ ... مُلَمْلَمَةٌ ليس فيهـا أُثرْ[٣]

وإن أَعرضَتْ قلتُ سُرعوفةٌ ... لها ذنبٌ خَلْفَها مُسْبَطِـرّ)

قوله: « مثل قعب الوليد » إلخ ، القَعب بفتح القاف: قدح من خشَب مقعَّر . وحافر مقعَّب مشبَّه به . والوليد : الصبي . يريد أَنَّ جوف حافرها واسع . وبيَّنَه عوفُ بن عطيَّة بقوله :

لها حافرٌ مثلُ قَعْب الوليـ ... ـدِ يتخذ الفَأْر فيه مَغَارا[٤]

والمَغار بالفتح : المَسْكن . والوظيف من الحيوان : ما فوق الرُّسغ إلى الساقِ، وبعضهم يقول: مُقدَّم الساق . وعَجِر ، بفتح المهملة وكسر الجيم، قال فى الصحاح : ووظيف عجرٌ، بكسر الجيم وضمها ، أَى غليظ .

---

(١) فى الديوان ١٦٣ : « يفئن » بالهمز ، وفسره بقوله : « يعنى يرجعن بعد ازبئرارهن إلى مواضعها » . ثم قال : « ويروى : يفين ، بلا همز ، من الوفاء » .

(٢) فى الديوان ١٦٦ : « شقت مآقيهما » بالخرم والإضافة إلى ضمير المثنى .

(٣) الأثر ، بضمتين وبضمة واحدة : الأثر من الجراح ونحوها . ولم يفسره البغدادى .

(٤) المفضليات ٤١٤ وسمط اللآلىء ٦٣٣ .

وقوله: « لها ثنن » الخ هو جمع ثُنَّة بضم المثلثة وتشديد النون ، وهى الشعراتُ التى فى مؤخر رُسغ الدابة . ويَفِينَ غير مهموز، أى يكثُرن. ٢١
يقال وَفَى شعره، إذا كثُر. يقول: ليست بمنجردة لا شعرَ عليها . وتزبئِرُّ تنتفش. والخوافى : ما دون الرِّيشات العَشْر من مقدَّم الجناح .

وقوله: « لها ذنب مثل ذيل » إلخ دُبر كلِّ شىءٍ: خَلْفُه، وهو هنا حشْوٌ يغنى عنه ذكر الفَرْج . وقال الآمدى عند قول البحترى :

ذنَبٌ كما سُحِب الرِّداءُ يذبُّ عن
عُرف ، وعرفٌ كالقِناعِ المُسْبَلِ[1]

هذا خطأٌ من الوصف ، لأَنَّ ذنب الفرس إذا مسَّ الأَرضَ كان عيبًا ، فكيف إذا سَحبَهُ . وإنَّما الممدوح من الأَذناب ما قَرُب من الأَرض ولم يمسَّها ، كما قال امرؤ القيس :

كميتٍ إذا استدبَرْتَه سَدَّ فرجَه
بضافٍ فُويقَ الأَرضِ ليسَ بأَعزلِ

والأَعزل من الخيل : الذى يقع ذنبُه فى جانب ، وهو عادةٌ لا خِلقة ، وقد عِيب قولُ امرئِ القيس :

لها ذنب مثلُ ذيل العــروس . . . . البيت

وما أَرى العيب يلحقه ، لأَنَّ العروس وإن كانت تسحب أَذيالَها ، وكان ذنبُ الفرس إذا مسَّ الأَرض عيبًا ، فليس بمنكر أَنْ يشبَّه به الذَّنب وإن لم يبلغ إلى أَنْ يمسَّ الأَرض؛ لأَنَّ الشىء إنَّما يُشبه الشىء إذا

---

(١) ديوان البحترى ١٧٤٦ تحقيق الصيرفى والموازنة ١٨٦ . وفى ط : « يذب عن عوف » ، صوابه فى ش وديوان البحترى والآمدى .

قاربه ، فإذا أشبَهَهُ فى أكثر أحوالِه فقد صحَّ التشبيه . وامرؤ القيس لم يَقصِد أنْ يشبِّه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط ، وإنَّما أراد السُّبوغ والكثرةَ والكثافة . ألا ترى أنَّه قال « تسدُّ به فرجَها من دبر » . وقد يكون الذنَبُ طويلاً يكاد يمسُّ الأرض ولا يكون كثيفًا فلا يسدُّ فرج الفرَس . فلما قال تسدُّ به فرجَها علمنا أنَّه أراد الكثافة والسُّبوغ مع الطُّول . فإذا أشبه الذَّنبُ الذَّيلَ من هذه الجهة وكان فى الطول قريبًا منه فالتشبيه صحيح ، وليس ذلك بموجبٍ للعَيب ، وإنَّما العيب فى قول البحترى : « ذنَبٌ كما سُحِبَ الرِّداءُ » . فأفصحَ بأَنَّ الفرس يسحَب ذنبه .

ومثل قول امرئ القيس قولُ خِداش بن زُهير :

لها ذنبٌ مثل ذيلِ الهَـدِىِّ إلى جُؤْجُـؤٍ أيِّدِ الزَّافـرِ[1]

والهدىّ : العروس التى تُهدَى إلى زوجها . والأيِّد : الشَّديد . والزَّافر : الصَّدر ، لأنَّها تزفِرُ منه ، فشبَّه الذنَّبَ الطويلَ السَّابغَ بذيل الهَدِىّ وإنْ لم يبلغْ فى الطُّول إلى أنْ يمسَّ الأرض . اهـ .

وقوله : « لها متنتان » إلخ ، قال ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) ، عند قول أبى دُوَاد :

ومَتْنانِ خَظَـاتانِ كزُحلوفٍ من الهَضْبِ[2]

يقال لحمه خَظَا بَظَا ، إذا كان كثيرَ اللحم صُلْبَه . والزُّحلوف : الحجر الأملس . قال امرؤ القيس : « لها متنتان خظاتا » ، البيت . يقال هو خاظِى البَضيع ، إذا كان كثير اللَّحمِ مُكتنِزَه . وقوله خَظَاتا ، فيه قولان :

(١) المعانى الكبير ١٤٩ .

(٢) ديوان أبى دواد ٢٨٨ والمعانى الكبير ١٤٥ والخيل لأبى عبيدة ١٥٨ والأصمعيات ٤١ .

أحدهما : أنَّه أَراد خطاتان ، كما قال أَبو دُوَاد ، فحذف نون التثنية . يقال مَتْنٌ خَظَاةٌ ومتنةٌ خظاة . والآخر : أَنَّه أَراد خَظَتا ، أَى ارتفعتا ، فاضطُرَّ فزاد أَلفًا . والقول الأَوَّل أَجوَد . وقوله « كما أَكبَّ على ساعديه النَّمر » ، أَراد: كأَنَّ فوق مَتنها نمرًا باركًا ، لكثرة لحم المتن . ا هـ .

ولا يخفى أَنَّ هذا لا وجهَ له ، والصَّوابُ ما قاله ثعلب ، أَى فى صلابة ساعد النمر إذا اعتمد على يده .

وقوله : « لها كفل » إلخ الصَّفاةبالفتح : الصَّخرة الملساءُ . والمَسِيل : مجرى السيل ، شبَّه كفلَها فى ملاسته بصفاةٍ فى مَسيل أَبرزها السَّيل وكشَفَ ما كان عليها من التُّراب . والجُحافُ ، بضم الجيم بعدها مهملة : السَّيل الشديد . والمُضِرّ : الذى يضرُّ بكلِّ شيء يمرُّ عليه ، أَى يهدِمُه ويقلَعُه . ٢٢

وقوله : « لها منخر كوِجار» الخ الوِجار بفتح الواو وكسرها بعدها جيم : جُحْر الضب ، شبَّه [به[1]] منخرها لسعَته . وتُريح : تستنشق الرِّيح تارةً وتُرسلها ، من أَرَاحَ . والبُهْر بالضم : ضِيق النَّفَسِ عند الجَرْى والتَّعب .

وقوله : « وعَين لها حَدْرة » الخ بفتح الحاءِ وسكون الدال المهملتين ، فى الصحاح : وعينٌ حَدْرة ، أَى مكتنزة صُلبة . وعينٌ بَدْرة أَى تبدُر بالنَّظر ، ويقال تامَّة كالبَدْر . وأُخُر بضمتين ، فى الصحاح : وشقَّ ثوبه أُخُرًا ومن أُخُر ، أَى من مؤخَّره . وأَنشد البيت .

---

(١) التكملة من ش .

وقوله : (إذا أَقبلتْ قلتَ دُبَّاءة) هى بضم الدال وتشديد الموحَّدة بعدها أَلف ممدودة . قال أَبو حنيفة (فى كتاب النبات) : الدُّبَّاءُ : القَرْع ، واحدهُ دُبَّاءة وقَرْعة . وأَنشد البيت ، ثم قال : وإنَّما شبَّهها بالدُّبَّاءة لدقَّة مقدَّمها وفَعَامة مؤَخَّرها . وقيل كذلك خَلْق الإِناثِ من الخيل. وهذا فى الإِناث والذكور سواءٌ، يستحبٌّ من الخيل أَن تَطُول[1] وتكون مآخيرها أَعظم من مقاديمها . وامرؤُ القيس وإن كان وصَف فرسًا أُنثى هذا الوصفَ فقد وصف ابنُ مُقْبِلٍ ذكرًا من الخَيْل[2] . ا هـ .

وقال المرزوقى (فى شرح الفصيح) : يشبِّهون إناثَ الخيل بالدُّبَّاءِ ، وهى القَرْع ، والسُّلَّاءِ وهو الشَّوك ، لأَنَّها يُستحَبُّ منها دقَّة المقدَّم وكثافة المؤخَّر ، وعلى هذا خِلقة القَرْع والشَّوْك. وأَنشد البيت ثم قال : ويستحَبُّ من الذُّكور غِلَظ المقدَّم ودقَّة المؤخر ، ولهذا يشبِّهونها بالذِّئابِ لكونها زُلاًّ جمع أَزَلّ . ا هـ .

وقال ابن قتيبة (فى أَبيات المعانى) : يقول : كأَنَّها من بريقها قرعَةٌ ، وليس يريد أَنَّها مغموسة فى الماءِ ، ولكنَّه أَراد أَنَّها فى رىٍّ ، فهو أَشدُّ لملاَستها . وهذا كقولك : فلانٌ مغموس فى الخَير . وقال بعضهم : إناث الخيل تكون فى الخِلْقة كالقرعة ، يدِقُّ مقدَّمها ويعظُم مؤخَّرها . ا هـ.

وقال العسكرى (فى كتاب التصحيف) عند قول امرئ القيس :

* مَداكَ عروسٍ أَو صَرايةَ حنظلِ *

---

(١) ط : « لطول أعناقها » ، صوابه فى ش .

(٢) لم يذكر بيت ابن مقبل . وقد وجدته فى ديوانه ٩٩ والمعانى الكبير ٦١ ، وهو :

كأن دباءة شد الحزام بها في جوف أهوج بالتقريب والحضر

وبعده :

غوج اللبان ولم تعقد تمائمه معرى القلادة من ربو ولا بهر

رواه الأَصمعىُّ : «صَراية» الصاد مفتوحة غير معجمة وتحت الياء نقطتان، وهى الحنظلة الخَضْراءُ، وقيل هى التى اصفرَّت، لأَنَّها إذا اصفرَّت بَرَقت، وهى قبل أن تصفرَّ مغبرَّة. قال: ومثله.

* إذا أَقبلت قلتَ دُبَّاءَة[١] *

أى من بريقها[٢]، كأَنَّها قرعة. اهـ.

والأُثفيَّة : الحجر الذى يُنصَب عليه القِدْر. والسُّرعوفة، بضم المهملتين، قال الصاغانى (فى العباب) : هى الجرادة، ويشبَّه بها الفرس. وأَنشد هذا البيت.

وقد أَورد ابن رشيق (فى العمدة) هذه الأَبياتَ الثلاثةَ الأَخيرة فى باب التقسيم، قال: زعم الحاتمى أَنَّ أَصحَّ تقسيمٍ وقَع لشاعرٍ قولُ الأَسْعَر الجُعْفىّ يصف فرساً[٣] :

أَمَّا إذا استقبلتَه فكأَنَّه ... بازٍ يُكفكِف أَنْ يَطِيرَ وقد رأَى

أَمَّا إذا استدبرتَه فتسُوقُه ... ساقٌ قَمُوصُ الوَقْع عاريةُ النَّسا

أَمَّا إذا استعرضتَه مُتَمَطِّرًا ... فتقول: هذا مثلُ سِرحان الغَضَا

---

(١) الذى فى التصحيف : « إذا أعرضت » .

(٢) فى أصل التصحيف : « من يرفقها » ، وما هنا صوابه لا ما كتبه المحقق: « من يرا [ها يظنها] » .

(٣) فى النسختين : « الأشعر » بالشين المعجمة ، وهو تحريف يقع كثيراً فى الكتب القديمة ، صوابه بالسين المهملة . والأسعر لقب له ، واسمه مرثد بن أبى حمران الجعفى ، وهو شاعر جاهلى ، لقب بالأسعر لقوله :

فلا يدعنى قومى لسعد بن مالك ... لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب

المؤتلف ٤٧ والسمط ٧٤ والاشتقاق ٤٠٨ والمزهر ٢ : ٣٤٨ واللسان والتاج (سعر) . وسعر النار والحرب يسعرهما سعراً ، وأسعرهما إسعاراً ، وسعرهما تسعيراً : أوقدهما وهيجهما . وانظر الأصمعيات ١٤٠ – ١٤٣ .

واختاره أيضًا قدامة ، وليس عندى بأفضل من قول امرئ القيس إلّا بشرف الصفات[1] :

إذا أقبلت قلتَ دُبَّاءةٌ الأبيات الثــــلاثة

٢٣ ولو لم يكن إلاَّ بنسْق هذا الكلام بعضِه على بعض ، وانقطاع ذلك بعضِه من بعض . اهـ .

وتقدمت ترجمة امرئ القيس فى الشاهد التاسع والأربعين من أول الكتاب[2]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد السبعمائة[3] :

٧٢١ (تنادَوْا بالرَّحيلُ غدًا وفى تَرْحالِهِمْ نفسِى)

على أنَّ جملة (الرَّحيلُ غداً) من المبتدإ والخبر محكيَّة بقولٍ محذوف عند البصريين ، والتقدير : تنادوا بقولهم : الرحيلُ غداً . وعند الكوفيِّين محكيَّة بتَنَادَوْا ، فإنَّه يجوز عندهم الحكاية بما فى معنى القول ؛ فإنَّ تنادَوْا معناه نادَى كلٌّ منهم الآخَرَ ورفع صَوتَه بهذا اللفظ ، وهو : الرَّحيل غدًا .

وهذا البيت أنشده ابن جنى (فى سرّ الصناعة) وقال : أجاز أبو على فى الرحيل ثلاثة أوجه : الجرُّ ، والرفــع والنَّصب على الحكاية . فكأنَّهم قالوا : الرحيل غدًا ، أو نرحل الرحيل غدًا ، أو نجعل الرّحيل[4] غَدًا ، أو أجمعوا الرَّحيل غدًا . فحكى المرفوع والمنصوب . اهـ .

(١) فى ط : « إلا شرف الصفات » ، صوابه فى ش والعمدة .

(٢) الخزانة ١ : ٣٣٠ .

(٣) المحتسب ٢ : ٢٣٥ وسر الصناعة ١ : ٢٣٦ والمقرب ١ : ٢٩٣ ودرة الغواص ١٠٩ والأشباه والنظائر ٤ : ١٦٦ .

(٤) فى النسختين : « ترحل الرحيل غداً ، أو تجعل الرحيل غداً » بالتاء فى الفعلين ، صوابهما بالنون كما أثبت من سر الصناعة .

ونقله القاسِم بن على الحريرى (فى درَّة الغوَّاص) عن ابن جنى ولم يَزده شيئًا[١] . والتَّرحال : مصدرٌ جاء على التَّفعال بالفتح ، بمعنى الترحُّل. والنَّفْس بسكون الفاء .

ولم أَقف على هذا البيت بأَكثرَ من هذا . والله أعلم .

ومثله ما أنشده الزمخشرى (فى الكشاف) ، قول الشاعر :

رجْلانِ من ضبَّة أَخبرانا إِنَّا رأَينا رجلا عريانا[٢]

قال : إِنَّا بالكسر بتقدير القول عندنا، وعندهم يتعلَّق بفعل الإِخبار.

* * *

وأَنشد بعده :

(جاءُوا بِمَذْقٍ هل رأَيتَ الذِّئبَ قَطّْ)

على أَنَّ جملة (هل رأَيت الذئب قَطّْ) محكيَّة بقول محذوف ، تقديره بمذقٍ مقول فيه : هل رأَيت الخ .

وقد تقدَّم شرحُه فى الشاهِد السادس والتسعين من أوائل الكتاب[٣]

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[٤] :

٧٢٢ (أَجُهَّالاً تَقُولُ بنى لُؤَىٍّ لعَمْرُ أبيك أَمْ مُتجاهِلِينا)

---

(١) ط : « ولم تزده شيئاً » ، والوجه ما أثبت من ش .

(٢) أنشده فى الخصائص ٢ : ٣٣٨ شاهداً على إسكان ضمة الجيم فى « رجلان » . وانظر معجم الشواهد .

(٣) الخزانة ٢ : ١٠٩ – ١١٢ .

(٤) فى كتابه ١ : ٦٣ . وانظر المقتضب ٢ : ٣٤٩ وابن يعيش ٧ : ٧٨ وشذور الذهب ٣٨١ والعينى ٢ : ٤٢٩ والتصريح ١ : ٢٦٣ والهمع ١ : ١٥٧ والأشمونى ٢ : ٣٧ وملحقات ديوان الكميت ٣ : ٣٩ .

على أنَّه فصل بالمفعول الثانى بين الهمزة وبين تقول .

قال سيبويه : واعلم أنَّ قلت إنَّما وقعت فى كلام العرب على أنْ يحكَى بها ، وإنَّما يُحكَى بعد القول ما كان كلامًا لا قولا ، نحو : قلت زيد منطلق ، لأنَّه يحسن أن تقول زيد منطلق ، وتقول : قال زيدٌ إنَّ عَمْرًا خيرُ النَّاس . وكذلك ما تصرَّف من فِعْله ، إلاَّ تقول فى الاستفهام شبَّهوها بتظنّ ولم يجعلوها كيظُنّ وأظنّ فى الاستفهام ، لأنَّه لا يكاد يُستفْهَمُ [المخاطَبُ[1]] عن ظنِّ غيره ، ولا يُستفهَم هو إلاَّ عن ظنه . فإنَّما جُعلت كتظنّ كما أنَّ ما كليس فى لغة أهل الحجاز ما دامت فى معناها ، فإذا تغيَّرتْ عن ذلك أو قُدِّم الخبرُ رجعَتْ إلى القياس وصارت اللُّغات فيها كلغة بنى تميم . ولم تُجعَل قلتُ كظننت ، لأنَّها إنَّما أصلُها عندهم أن يكون ما بعدها محكيًّا ، فلم تدخل فى باب ظننت بأكثر من هذا . وذلك قولك : متى تقول زيدًا منطلقًا ، وأتقول[2] عمرًا ذاهباً وأكلَّ يومٍ تقول عمرًا منطلقاً ، لا تفصل بها كما لم تفصل فى أكلَّ يومٍ زيدًا تضربه . وتقول : أأنت تقول زيدٌ منطلق ، رفعتَ لأنَّه فُصِل بينه وبين حرف الاستفهام ، كما فُصِل فى قولك : أأنت زيدًا مررت[3] به ، فصارت بمنزلة أخواتها ، وصارت على الأصل، كما قال الكميت :

٢٤

أَجُهَّالاً تقولُ بنى لؤىٍّ . . . . البيت

(١) التكملة من سيبويه .

(٢) ش : « وأقول » ، صوابه فى ط .

(٣) فى سيبويه : « أأنت زيد مررت به » برفع « زيد ». وهما وجهان جائزان ، والأرجح عند الفصل الرفع .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

أَمَّا الرَّحيلُ فدونَ بَعْدِ غدٍ فمتى تقولُ الدَّارَ تجمَعُنا[١]

وإن شئتَ رفعت بما نصبتَ فجعلته حكاية . وزعم أبو الخطّاب وسألتُه عنه غير مرّة . أنَّ ناساً يُوثق بعربيتهم ، وهم بنو سُليم، يجعلون باب قلت أجمع مثلَ ظننت . انتهى كلام سيبويه .

قال الأعلم : الشاهد فيه على أنّه أعمل تقولُ عملَ تظنُّ لأنَّها بمعناها ولم يُرِدْ قولَ اللِّسان ، وإنَّما أراد الاعتقادَ بالقلب . والتقدير : أتقول بنى لؤى جهّالاً ، أى أتظنُّهم كذلك وتعتقدُه فيهم ؟ فبنِى لؤىّ المفعول الأوّل ، ومتجاهلينا المفعول الثانى . وأراد ببنى لؤىٍّ جُمهور قريش كلِّها.

وهذا البيتُ من قصيدةٍ يفخَر فيها على اليمن ، ويذكرُ فضلَ مُضَرَ عليهم فيقول : أتظنُّ قريشًا جاهلين أو متجاهلين حين استعملوا اليمانيِّين فى ولاياتهم ، وآثَرُوهم على المُضَريِّين ، مع فَضْلهم عليهم. والمتجاهل: الذى يستعمل الجهل وإنْ لم يكن من أهله . ا هـ .

وقال ابن المستوفِى : أنشدهُ سيبويه للكُميت ، ولم أره فى ديوانه. والذى فى ديوان شعره :

أَنُوّاماً تقول بنى لؤىٍّ لَعمرُ أبيك أم متناومينا
عَن الرَّامى الكِنانةَ لم يُرِدْها ولكن كاد غَيرَ مُكايَدينا

يقول : أتظنُّ أنَّ قريشًا تغفُل عن هجاءِ شعراءِ نزار ، لأنَّهم إن هجَوْا مُضَرَ والقبائل التى منها هؤلاءُ الشعراءُ فقد تعرَّضوا لسبِّ قريش ، فَهُم[٢]

(١) ديوان عمر ٣٩٤ ، والعينى ٢ : ٤٣٤ .
(٢) ط : « فيهم » ، صوابه فى ش .

بمنزلة من رمَى رجلاً فقيل : لم رميته ؟ فقال : إنَّما رميت كنانته ولم أَرمِه ، وكان غرضُه أَن يصيبَ الرَّجل . فيقول : من هجا بنى كنانة وبنى أَسد ومن قُرب نسبُه من قريش فقد تعرَّض لسبِّ قريش . يحرِّض الخلفاءَ عليهم والسُّلطان . ا هـ .

وقول سيبويه : وإن شئت رفعتَ بما نصبتَ فجعلته حكاية ، قال المازنى : غلط سيبويه فيه ، لأَنَّ الرفع بالحكاية ، والنَّصبَ بإعمال الفعل. وأُجيب بأَنَّ مراده : وإن شئت رفعت فى الموضع الذى نصبت ، أَو أَنَّ الباءَ زائدة فى المفعول .

وأَقول : هذه القصيدة تقدَّم أَبياتٌ منها فى عدَّة مواضع ، وأَوَّل ما مرَّ فى الشاهد السادسَ عشر من أَوائل الكتاب مع ترجمة الكميت(١) وتقدَّم هناك سببُ نظْمها . وهَجَا فيها الأَعورَ الكلبىَّ فإنَّه هجا مضر ومدحَ أَهل اليمن .

وتقدَّم بيتٌ منها فى الشاهد الرابع والعشرين(٢) .

وقوله : (لعمر أَبيك) مبتدأٌ مضاف ، وخبره محذوف أَى قسمى ، وجواب القسم محذوف أَيضاً ، والتقدير : أَجهّالاً تقول بنى لؤى أَو متجاهلين ، لعمر أَبيك لتخبرنِّى . إلاَّ أَنَّه قدم القَسَم واعترض به بين الفعل ومفعوله ، وحذف الجواب لدلالة الاستفهام عليه ، إذْ معلومٌ أَنَّ المستفهِم يطلب من المستفهَم منه أَن يخبره عمَّا استفهمه [عنه(٣)] .

* * *

---

(١) الخزانة ١ : ١٣٩ — ١٤٧ .
(٢) الخزانة ١ : ١٧٨ — ١٨١ .
(٣) التكلة من ش .

الأفعال الناقصة

أنشد فيها ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد السبعمائة[١] :

٧٢٣ (فصِرْنا إلى الحُسْنَى ورَقَّ كلامُنا
ورُضْتُ فذلَّتْ صعبةً أَىَّ إذلالِ)

على أَنَّ (صار) تامّة ونا فاعلها، أى رجعنا وانتقلنا . يقال: صار الأَمرُ إلى كذا، أى رجَع . والحسنى إمّا اسمُ مصدرٍ بمعنى الإحسان ، وإمّا صيغة مؤنَّثِ أَحسن ، أى إلى الحالة الحسنى . و (رقَّ) بمعنى لطُف. و(رُضْتُ) فعل وفاعل مِن رُضت الدابة رياضة : ذلَّلتُها . وصَعبةً مفعول رضت . وذلَّت من ذلَّت الدابة ذِلًّا بالكسر : سَهُلت وانقادت ، فهى ذلول . وذلَّلتها بالتثقيل فى التعدِية وكذلك أذللته بالهمزة. وقوله (أَىَّ إذلالِ) مفعول مطلق ، عامله رُضْتُ . قال الزجاج عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كتابَ الله عَليكم[٢] ﴾ : منصوب على التوكيد ، محمولٌ على المعنى ، لأَنَّ معنى ﴿ حُرِّمت عليكم أمَّهاتُكُمْ[٣] ﴾ : كتبَ الله عليكم هذا كتابًا، كما قال الشاعر :

* ورُضْتُ فذلَّتْ صعبةً أىَّ إذلال *

لأَنَّ معنى رُضت أذللت . اهـ .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لامرئ القيس تقدّم بعضٌ منها فى الشاهد الثالث من أَوّل الكتاب ، وبعضٌ منها فى التاسع والأَربعين. وقبله :

(١) المقتضب ١ : ٧٤ والمحتسب ٢ : ٢٦٠ وديوان امرئ القيس ٣٢ .
(٢) الآية ٢٤ من سورة النساء .
(٣) الآية ٢٣ من سورة النساء .

(فلمَّا تنازَعْنا الحديثَ وأَسْمَحَتْ

هَصَرتُ بغُصْنٍ ذى شَماريخَ مَيَّــالِ)

وتنازعنا : تجاذبنا . وأَسمحَتْ : وافقَتْ على ما أُريد منها . وهَصَرتُ : جذبت وأَمَلْت . والباءُ فى « بغصن » زائدة فى المفعول . وأَراد بالغصن قامتَها. والشَّماريخ، إمَّا جمعشِمراخ بالكسر، وإمَّا جمع شُمروخ كعصفور، فإنَّهما يجمعان على شماريخ ، وهو ما يكون فيه الرُّطَب .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأَربعين[1]

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد السبعمائة[2]:

٧٢٤ (أَيقَنْتُ أَنِّى لامَحَا لَةَ حيثُ صارَ القَوْمُ صائرْ)

على أَنَّ (صار) فيه تامَّة ، أَى أَيقنت أَنى منتقل حيث انتقل القوم . فصائرٌ خبر أَنَّ ، وصار بمعنى انتقل ، والقومُ فاعله .

و (لامَحالة) بفتح الميم :لا تغيير ولا تبديل، وأَنِّى بفتح الهمزة.

أبيات الشاهد

و (أَيقنت) جوابُ لمَّا فى البيت قبله ، وهو :

(فى الذَّاهبينَ الأَوَّلِيــ نَ من القُرونِ لنا بَصائرْ

لمَّــا رأَيتُ مَــوارِدًا للمــوتِ ليس لها مَصادرْ

ورأَيتُ قــومى نحوها يَمضِى الأَصاغرُ والأَكابرْ

لا يرجــعُ الماضى إلَــ ىَّ ولا مِنَ الباقين غابرْ

أَيقنت أَنِّى . . . .) البيت

(١) الخزانة ١ : ٣٢٩ – ٣٣٥ .

(٢) البيان ١ : ٣٠٩ والأغانى ١٤ : ٤٠ .

والقرون : جمع قرن بالفتح ، قال الزجاج : هو أهل كلِّ مدّة كان فيها نبيٌّ أو طبقة من أهل العلم ، سواءٌ قلَّت السِّنونَ أو كثُرَتْ . والموارد : جمع مورد ، وهو محلُّ الورود ، أى الإتيان . والمصادر : جمع مصدر ، وهو موضع الصُّدور ، أى الانصرافُ والرُّجوع . وغابر ، بالمعجمة : اسم فاعل من غَبر بمعنى مَكث وبقِىَ ، وبمعنى مضى أيضًا فهو ضدّ .

صاحب الشاهد

وهذه الأبياتُ لقُسِّ بن ساعدة . روَى أهلُ السِّيَر والأخبار ، بسندٍ متَّصل إلى ابن عبَّاس ، أنَّه قال : قدم وفدُ إيادٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيُّكم يعرف القُسَّ بنَ ساعدة الإياديّ ؟ قالوا: كلُّنا نعرفه يا رسولَ الله . قال : فما فعل ؟ قالوا : هلَك . قال : ما أنساهُ بعكاظَ على جملٍ أحمر وهو يقول : أيُّها الناس ، اجتمِعوا واسمَعوا وعُوا . مَنْ عاش مات ، ومَن مات فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آت. إنَّ فى السماءِ لخبرًا ، وإنَّ فى الأرض لَعِبرًا . مهادٌ موضوع ، وسَقفٌ مرفوع ، ونجومٌ تَمُورِ ، وبِحارٌ لا تغور . أقسَمَ قُسٌّ قسمًا حَتْما ، لئن كان فى الأمر رضًا ليكونَنّ سَخَطًا . إنَّ لِلّهِ لدِيناً هو أحبُّ إلىَّ من دينكم الذى أنتم عليه . مالى أرى النَّاسَ يذهبون ولا يرجعون ؛ أرضُوا بالمقام فأقاموا ، أم تُركوا فناموا !

٢٦

ثم قال : أيُّكم يروى شعره ؟ فأنشدوه :

فى الذاهبين الأوَّليـــ نَ من القرونِ لنا بصائرْ

إلى آخر الأبيات الخمسة .

وتقدَّمت ترجمة قُسٍّ فى الشاهد الثانى والتسعين من أوائل الكتاب[١]

* * *

(١) الخزانة ٢ : ٨٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد السبعمائة[١] :

٧٢٥ (غدَا طاويًا يعارِضُ الرِّيح هافياً)

على أنَّ ابن مالك قال : (غَدَا) فعلٌ تامٌّ يكتفى بفاعله ، والمنصوب بعده حالٌ كما فى البيت .

قال (فى التسهيل) : والأَصحُّ أَن لا يُلحق بها غدَا وراحَ .

قال شارحه ابن عقيل : خلافًا للزمخشرى وأَبى البقاء ، فالمنصوب بعدهُما حالٌ لا خبر ، لالتزام تنكيره ، ومنه قوله عليه السلام : «تَغدُو خِماصًا وتَرُوح بِطانًا[٢]» . وبحثَ معه الشارح المحقِّق. وهذا صدرٌ وعجزه :

(يَخُوتُ بأَذنابِ الشِّعاب ويَعْسِلُ)

صاحب الشاهد — والبيت من القصيدة المشهورة بلاميَّة العرب ، للشَّنفَرَى ، وقد تقدَّم شرح أَبياتٍ من أَوّلها مع ترجمته فى باب الاستثناء ، وفى باب الجمع. وقبله :

أبيات الشاهد — (أُديمُ مِطالَ الجُوع حتَّى أُميتَــه
وأَضربُ عنه الذِّكر صفحاً فأَذهَلُ

وأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرضِ كى لا يرى له
علىَّ من الطَّول امرؤٌ متطـوِّلُ

ولولا اجتنابُ الذَّامِ لم يُلْفَ مشــربٌ
يعــاشُ به إلَّا لدىَّ ومَــأْكَلُ

ولــكنَّ نفسا مُرّة لا تقيم بــى
على الــذَّام إلَّا ريثَمَـا أتحــوّلُ

(١) لامية العرب وشروحها .

(٢) فى نهاية ابن الأثير واللسان (خمص ، بطن) : « كالطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً » . أى تغدو بكرة وهى جياع ، وتروح عشاء وهى ممتلئة الأجواف .

وأطوِى على الخُمْص الحَوَايا ، كما انطوَتْ
خُيوطَةُ مــاريٍّ تُغــارُ وتُفتَــلُ
وأَغدو على القُوتِ الزهيدِ كما غدا
أَزلُّ تَهَاداه التنــائفُ أطحــلُ
غدا طــاويا . . . . .) البيت

قوله : « أُدِيم مِطَالَ الجوع » إلخ المطال : مصدر ماطَله بمعنى مطله يمطُله مَطْلا ، من باب قتل ، إذا سوّفه بوعد الوفاءِ مرّةً بعد مرّة . وضرب عن كذا وأضرب عنه أيضًا : أعرض عنه تركًا أو إهمالاً . وصفحتُ عن الأمر : أعرضت عنه وتركته . وذَهَل عن الشيء يَذْهَل ، بفتحتين ، ذُهولاً بمعنى غفل ، وقد يتعدّى بنفسه فيقال ذَهلته ، والأكثر أن يتعدى بالألف فيقال : أَذْهَلنِى فلانٌ عن الشيء . وقال الزمخشرى : ذَهَل عن الأمر : تناساه عمداً وشُغِل عنه . وفى لغة : ذَهِل يَذهَل من باب تعب . وجملة أُديمُ مستأْنفة ، وحتَّى بمعنى إلى متعلقة بأُديم . وأَضرب معطوفة على أُديم ، وأَذهَل معطوف على أضرب لا على أُديم ، لأَنَّ الفاءَ للترتيب والتعقيب . والذِّكر مفعول أَضرِب وصفحًا تمييز ، أو مصدرٌ فى موضع الحال ، أى معرضاً . يقول : أَقوَى على ردِّ نفسى عما تهوَى وأَغلبُها ، وأَذهَلُ عن الجوع حتى أنساه .   ٢٧

وقوله : « وأَستَفُّ ترب » إلخ ، يقال سَفِفت الدواءَ وغيره من كلِّ شيء يابسٍ أَسَفُّهُ ، من باب تعب ، سفًّا ، هُو أكله غير ملتوت . وهو سَفُوفٌ مثل رسول . واستففت الدواءَ مثل سَفِفته . والطَّول : مصدر طالَ على القوم يَطُول من باب قال ، إذا أَفْضَلَ عليهم . وتطوّل : تفضَّل . وكىْ إمّا بمعنى اللام حرف جر وأن مضمرة ، أو بمعنى أنْ واللام مقدّرة . وفاعل

يرى امرؤ ، وله متعلقة بيرى ، ومفعول يرى محذوف أى شيئًا ، ومن الطّوْل بيانٌ له ، وقيل نعت له . وعند الأَخفش المفعول هو الطّول ومن زائدة ، وعلىَّ متعلق بيرى . ولا يجوز أن يتعلق بالطّوْل ، لأَنَّ المصدر لا يتقدّم معمولُه عليه . ويجوز عند الشارح المحقّق تعلُّقه به لأَنَّه ظرف.

وقوله : « ولولا اجتناب الذّام » الخ ، الذام : العيب ، يُهمز ولا يهمز. ويُلْفَ: يُوجَد ، يتعدّى إلى مفعولين أَصلهما المبتدأُ والخبر . ومَشربٌ نائب الفاعل ، وهو المفعول الأَوّل فى الأَصل ، ويعاش به صفته . ولدىَّ ظرف بمعنى عندى ، وهو متعلق بمحذوف على أَنَّه المفعول الثانى ووقع الحصر فيه . ومأْكل معطوف على مَشرب ، أَى لم يوجد مَشربٌ يُعاش به ومأْكلٌ كذلك إلاَّ حاصليْن لدىَّ .

وأَخطأَ معرب هذه القصيدة[1] فى قوله : « ويعاش به نعتٌ لمشرب ، والتقدير : إلاَّ هو لدىَّ ، محذوفُ المبتدإ للعلم به ، ولدىَّ خبره ، ومأْكل معطوف على هو . ا هـ .

وخطؤه من وجهين ظاهرين للمتأَمِّل .

وقوله : « ولكنّ نفسًا » إلخ ، لكنّ هنا للتأْكيد ، فإنَّ ما بعدها مؤكِّد لما قبلها من الصِّفات ، وخبرها محذوف تقديره لى . ومُرّة صفة نفس بمعنى أَبيَّة كالمُرَّة ، فى أَنَّ كلاًّ منهما ممتنع على مُتناوِله . وروى : « حُرّةً » بدل مُرّة . وجملة لا تقيم بى صفة ثانية لنفس ، أَو استئنافيّةٌ جوابُ سؤال مقدّر .

---

(١) لم يعين البغدادى اسم هذا المعرب هنا وكذلك فيما سيأتى فى ص ٢٠٨،٣١ ، ٥٤٥ بولاق .

وزعم مُعرب هذه القصيدة أنَّ الجملة خبر لكنَّ . وتقيم ، من الإقامة فى المكان وهو اللَّبْث فيه ، والباءُ فى بى للمصاحبة على أنَّها فى موضع الحال . وقال مُعرب هذه القصيدة : بى متعلِّق بتقيم ، والمعنى تقيمنى فهو مفعول به . ا هـ .

وهذا لا وجه له . وعَلى متعلِّقةٌ بتقيم . والاستعلاءُ هنا معنوىٌّ نحو : ﴿لهُمْ عَلَىَّ ذَنْبٌ﴾[1] ، ويجوز أن تكون للمصاحبة. ورَيْثَ فى الأَصل مصدرُ راث ، أَى أبطأَ ، استعمل هنا للظرف الزَّمانىّ ، أَى إلاَّ بمقدار تحوُّلى . فما مصدريّة ، وقيل ما زائدة ، وقيل كافَّة . وقيل نصب ريثَ على الحال .

وقوله : « وأَطوى على الخُمْص » إلخ ، الخمص بالضم : مصدر خَمُصَ الرجلُ خُمْصًا فهو خميص ، إذا جاع ، مثل قَرُب قُرْباً فهو قريب . كذا فى المصباح . وقيل: الخُمص بالضم : الضمر ، وبالفتح : الجوع . وعلى هنا للمصاحبة ، متعلق بأَطوِى . والحوايا مفعول أَطوى ، جمع حَوِيَّةٍ ، وهى فعيلة بمعنى مفعولة ، وهى الأَمعاءُ فى الجوف . والخُيوطة : جمع خيط ، والتاءُ لكثرة الجمع نحو : حجار وحجارة. وقال التبريزى : أَتى بالهاء للتأْنيث ؛ إذْ كان بمعنى الجماعة . والمارِىّ : الفتَّال ، وهو الذى يَفتِل الحبال. وتُغارُ : يُحكم فتْلُها . يقال أَغار الفَتْلَ، أى أَبرمَه وأَحكمه . ومرادهُ تُفتَل وتغار . ولا يضرُّ التأْخير ، فإنَّ الواو لاتدلُّ على الترتيب. وقوله : « كما انطوت» الكاف نعتٌ لمصدرٍ محذوف، وما مصدرية. ومصدر انطوت الانطواءُ ، وليس بمصدر أَطوِى ، وإنَّما المعنى أَطوى الحوايا فتنطوى كانطواءِ خُيوط الفَتَّال .

---

(١) الآية ١٤ من سورة الشعراء .

وقوله : « وأَغدو على القوت » إلخ . غدا غُدُوًّا من باب قعد : ذهب غُدوة ، وهى ما بين صلاة الصبح وطُلوع الشمس ، هذا أَصله ثم كثُر حتى استُعمل فى الذَّهاب أَىَّ وقت كان . كذا فى المصباح . والغداة والغُدْوة واحد ، كما فى القاموس . وعلى هنا للتعليل بمعنى اللام ، كقوله تعالى : ﴿ ولتُكبِّروا الله على مَاهَدَاكم[١] ﴾ . والزهيد : القليل الذى يُزهَد فيه . والكاف نعت لمصدر محذوف ، أَى غدوًّا كَغُدُوِّ الأَزلّ ، والأَزلُّ : الذِّئب الأَرسح ، بالمهملات ، أَى القليل لحم الفخذين . والأَزَلّ لا ينصرف للوصف ووزن الفعل ، وكذلك أَطحَل . والذئب الأَزلُّ : الخفيف الوركين ، وهذه صفةٌ لازمة له . قال التبريزى : الأَزلُّ : الأَرسح ، وبه يوصف الذئب . ومن أَمثالهم :

* لا أُنْسَ فى الذئب الأَزلِّ الجائعِ *

وقال بعضهم : قلت لأَعرابىٍّ : ما الأَرسح ؟ فقال : الذى لا أستَ له . ووصف رجلٌ فارسًا فقال : قاتله الله ، أَقبل بِزُبْرَةِ الأَسَدِ ، وأَدبَرَ بعَجُز ذِئب . وذلك أَنَّه يُحمَد من الفارس أَن يكون أَشعَرَ الصَّدر ، وأَن يكون ممسوحَ الاست كالذئب .

والتنائف : جمع تَنوفة ، وهى الفلاة . ومعنى تهاداه : تتَّخذه هديَّة ، كلَّما خرج من تنوفة ودخل فى أُخرى . وهو مضارعٌ محذوف من أَوله التاءُ ، وأَصله تتهاداه . ويجوز أَن يكون ماضياً ، وإنَّما لم يقل تهادته[٢] بالتأْنيث لأَنَّ التنائف مؤنَّث مجازىّ ، وجملة تهاداه صفة أَزلّ ، وكذلك

---

(١) الآية ١٨٥ من سورة البقرة . أما الآية ٣٧ من الحج ففيها : « لتكبروا الله على ما هداكم » ، غير مسبوقة بالواو .

(٢) ط : « تهاديه » ، صوابه فى ش .

أَطحلُ. وذئبٌ أَطحَلُ وشاةٌ طحلاءُ. والطُّحلة بالضم : لونٌ بين الغُبرة والسَّواد ببياض قليل. وقال التِّبرِيزى : الأَطحل : الذى لونه لون الطِّحال.

وقوله : «غدا طاويًا» إلخ، غدا يحتمل أن يكون بمعنى ذهَب غُدوة، ويحتمل أن يكون بمعنى دخَل فى الغُدوة، ويحتمل أن يكون بمعنى ذهب أىَّ وقتٍ كان مجازًا، من باب استعمال المقيَّد فى المطلق. فغدا على هذه الوجوه تكون تامّة، وطاويًا يكون حالا من ضمير غدًا الراجع إلى أزلّ. ويحتمل أن يكون بمعنى يكون فى الغُدْوة، فيكون غَدَا من الأَفعال الناقصة، وطاويًا يكون خبرها، وغدا معفاعلها المستتر استئنافيّة منقطعة عمّا قبلها، ويجوز أَن تكون الجملة صفة أُخرى لأَزلّ، أو حالاً منه بتقدير قَدْ. وطاويًا يحتمل أَن يكون من طوى المتعدِّية المتقدّمةِ، أى طاوياً أحشاءه على الجوع، فالمفعول محذوف بقرينة ما قبله، يقال طوى الشىء طَيًّا فهو طاوٍ. ويحتمل أَن يكون من طَوِىَ يَطْوَى طَوًى من باب فرح، أَى جاع، فهو طاوٍ وطوٍ وطَيَّانُ، والأُنثى طَيًّا وطاوية. وبهذا يضمحل قول المُعرب : وليس من قولك طوِىَ يطوَى إذا جاع، لأَنّ الاسم منه طوٍ مثل عَمٍ وشجٍ، مع أَنَّه قال قبل هذا : وطاويًا يجوز أن يكون من طوَى المتعدِّية. فنقض بكلامه الأَخير ما قدَّمه.

وقال التبريزى : يقول غدا طاويًا، وطوَاه من الجوع، كأَنَّه طَوى أَمعاءه عليه، يقال رجل طاوٍ وطَيَّان والأُنثى طاوية وطَيًّا[1]، والمصدر الطَّوَى، وهو خُمْص البطن من أىّ شىءٍ كان.

هذا كلامه، ولا يخفى أَنَّه تخليط بين المعنيين.

---

(١) ط : «وطياء» فى هذا الموضع وتاليه، صوابه فى ش.

« ويعارض الريح » أى يستقبلها فى عَرْضها ، ويصادِمُها ؛ ومنه المعارضة بمعنى المخالفة . و« هافيا » يحتمل أن يكون من هفا الطائر بجناحِه يهفو ، أى خفَق وطار . ويحتمل أن يكون من هفا الظبى يهفو ، إذا اشتدَّ عدْوُه ، ومصدره الهُفُوّ على فعول . ويحتمل أن يكون من الهَفْو وهو الجُوع ، يُقال رجل هافٍ أى جائع . وقال التبريزى : هافيًا : يذهب يمينًا وشِمالا من شدَّة الجوع. ويَخُوت ، بالخاءِ المعجمة والتاءِ المثناة أى يختل ويختلس ، يقال خات البازى واختات أى انقضَّ على الصَّيد ليأْخذه . وقال الفراءُ: يقال ما زال الذئبُ يختات الشاة[1] بعد الشَّاة ، أى يختلها فيسرقُها . وإنَّهم يختاتون اللَّيل ، أى يسيرون ويقطعون الطريق . فجملة يعارض ويخوت وهافيًا ، أَخبارٌ أُخَر لغدا إن كانت ناقصة ،أو أحوال من ضمير طاويا[2] ، أوأحوالٌ متداخلة ،أو الجملتان صفتان للنكرة قبلهما . وتجوز هذه الأَوْجُه كلُّها ما عدا الأَوّل ، إن كانت غدا تامّة ، ويجوز حينئذ أيضًا أن يكون[3] طاويًا مع ما بعده أحوالًا من الضمير فى غدا .

٢٩

والباءُ فى قوله : « بأَذناب » بمعنى فى . وأذناب : جمع ذَنَب بفتحتينِ ، وذنب كلّ شيءٍ : مؤخَّره . وذِنابة الوادى ، بالكسر : الموضع الذى ينتهى إليه سَيْله ، وكذلك ذَنَبُه ، وذِنَابته أكثر من ذَنَبه . و« الشِّعاب » بالكسر : إمَّا جمع شِعب بالكسر أيضاً ، وهو الطَّريق فى الجبل ، وإمَّا جمع شُعبة بالضم ، وهو المسيل الصغير. وقال التبريزى : الشِّعاب : مسايلُ صغارٌ. وأَذنابها : أواخرها . ويَعسِل معطوف على يَخُوت ، بكسر السين من باب فرح . فى

(١) فى النسختين : « يختال » ، صوابه ما أثبت . وانظر اللسان (خوت) .
(٢) ش : « طاوى » ، وأثبت ما فى ط .
(٣) ش : « تكون » .

الصحاح : والعَسْل والعَسَلان : الخَبَب . يقال عَسَل الذئب يَعسِل عَسْلاً وعَسَلانا ، إذا أعنق وأسرع . وكذلك الإنسان . والذئب عاسل والجمع العُسَّل والعواسل . وعسلَ الرُّمحُ عَسَلاناً : اهتزَّ واضطرب ، والرمح عَسَّال. وقال التبريزى : ويَعسِل ، إذا مَرَّ مرًّا سهلا فى استقامة . ومن ذلك يقال للرمح عَسّال ، إذا تتابع عند الهزِّ ولم يكن كزًّا . ومتعلِّق يَعسِل محذوفٌ يدلُّ عليه ما قبله[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد السبعمائة[٢] :

٧٢٦ (يَرُوح ويَغْدُو داهنًا يتكَحَّلُ)

على أنَّ (يروح ويغدو) وإن كانا بمعنى يدخلُ فى الرَّواح والغداة فهما تامَّان ، والمنصوب حال . وإن كانا بمعنى يكون فى الرَّواح والغداة فهما ناقصان .

وقد تقدَّم الكلام على يغدو . وأمَّا الرَّواح فقد قال صاحب الصحاح : والرَّواح : نقيض الصَّباح ، وهو اسمٌ للوقت من زوالِ الشَّمس إلى الليل . وقد يكون مصدرَ قولك راح يروح رَوَاحاً ، وهو نقيض قولك : غدا يغدو غدُوًّا . اهـ .

قال أبو سهل الهَرَوىّ : الصواب الرَّواح : نقيض الغدُوّ . وقال صاحب المصباح : راح يروحَ روَاحًا ، وتروَّح مثله ، يكون بمعنى الغدوّ ، وبمعنى الرُّجوع. وقد طابق بينهما فى قوله تعالى: ﴿ غدوُّها شَهرٌ ورَوَاحُها شَهر ﴾ أى ذهابها ورجوعها . وقد يتوهَّمُ بعض الناس أنَّ الرَّواح لا يكون

---

(١) أى ويعسل بأذناب الشعاب .

(٢) لامية العرب وشروحها .

إِلَّا فى آخر النهار ، وليس كذلك ، بل الرَّواح والغدوّ عند العرب يُستعملان فى المسير أىّ وقتٍ كان ، من ليلٍ أو نهار . قاله الأزهرىُّ وغيره . وعليه قوله عليه السلام : « من راح إلى الجمعة أوّلَ النَّهار[1] فله كذَا » ، أى مَنْ ذهَب . ا هـ .

فقوله يروح إن كان بمعنى يرجع فى الرَّواح أو يرجع مطلقا أى فى أى وقت كان ، من باب استعمال المقيَّد فى المطلق مجازًا ، أو يدخل فى هذا الوقتِ الذى هو الرَّواح ، فالفعل تامٌّ . وإن كان بمعنى يكون فى الرَّواح فالفعل ناقص ؛ لقوله[2] يروح ويغدو . وإن كانا تامَّين فداهنًا حالٌ من فاعل أحدِهما ، وهو ضميرٌ مستتر ، وتكون حال الآخَر محذوفة . والأَوْلى أن يكون حالًا من فاعل يغدو . ولا يقدَّر ليروح حال . وداهن : اسم فاعل من الدَّهن ، يقال دَهنت الشعر وغيره دَهْنا من باب قتل . والدَّهن : استعمال الدُّهن بالضم ، وهو ما يُدهَن به من زيت أو طِيب . وجملة « يتكحَّل » حال أيضًا إمَّا من فاعل يغدو ، وإمَّا من فاعل داهناً . ويجوز أن يكون صفة لداهنًا . وإن كانا ناقصين فداهنًا خبر يَغْدو ، ويكون خبر يروح محذوفاً ، وجملة يتكحل إمَّا خبر بعد خبر ، أوحال من ضمير داهن ، أو صفة له . ويجوز أن يكون داهناً خبر يروح ، وجملة يتكحَّل خبر يغدو ، فلا حذف . وهذا أولى على تقدير النقص .

ويجوز أَنْ يكون أحد الفعلين تامًّا والآخَر ناقصاً . فتأَمَّلْ .

وهذا المصراع عجزٌ وصدرُه :

(ولا خالفٍ دارِيَّة متغزِّل)

---

(١) فى المصباح : « من أول النهار » .

(٢) ش : « فقوله » ، صوابه فى ط .

صاحب الشاهد

وهذا البيت أيضًا من لاميَّة العرب . وقبله :

أبيات الشاهد

(ولستُ بمهيافٍ يعشِّى سَوامَهُ مُجدَّعةً سِقْبانُها وهى بُهَّلُ
ولا جُبَّاٍ أكهَى مُرِبٍّ بعِرْسِه يُطالِعها فى شأنه كيفَ يفعلُ
ولا خَرِقٍ هَيْقٍ كأنَّ فؤادَه يظلُّ به المُكَّاءُ يعلو ويَسفُلُ
ولا خالِفٍ داريَّةٍ متغزِّلٍ يروح ويغدُو داهنًا يتكحَّلُ)

قوله : « ولست بمهياف » إلخ. قال التِّبريزى : المهياف الذى يَبعُد بإبله طلبَ الرَّعى على غير عَلَم ، فيُعْطِشها ويُسىءُ بها . و (فى العباب) : قال الأصمعىُّ : رجلٌ مهياف: سريع العَطَش. وأنشد هذا البيت . (وفيه أيضاً) : وقال الليث : المهياف الذى قد هافت إبلُه . ويعشِّى سَوامَه : يُطعمها عَشاءها ، والعَشاءُ : الطَّعام بعينه ، وهو خلاف الغَداء ؛ وكلاهما بالفتح والمد . والسَّوام : المال الراعى ، اسم جمع لسائمة . ومجدَّعة بالجيم والدال المهملة : اسم مفعول من جدَّعت الصبىَّ تجديعاً ، إذا أسأْتَ غِذاءه. ويقال جَدَعته بالتخفيف من باب منع . وفيه لغةٌ أُخرى أجدعت الصبىَّ إجداعاً . وجَدِع الصبىُّ من باب فرح ، إذا ساءَ غذاؤه . وقيل المجدَّعة هنا : المقطَّعة أَطراف الآذان ليُصرَف عنها العَين . وقال التِّبريزى : والمجدَّع : السيِّئ الغِذاءِ ، والأَصل فيه أن يطرح الراعى ولدَ الناقة على الضَّرع لتدرَّ الناقة ، فإذا مَصَّ شيئًا واجتمع اللبنُ نحَّاه وحلَب اللبن . والسِّقبان بالكسر : جمعُ سَقْب بالفتح . فى الصحاح : السَّقب : الذكر من ولَد الناقة ، ولا يقال للأُنثى سَقْبَةٌ ولكنْ حائل[1] . والضمير المؤنث يرجع إلى السَّوام . قال التبريزى : وروى ثعلب : « سَقْباتُها » بجمع المؤنث السالم . والمحفوظ الأَول .

(١) هذا قول ، وفى قول آخر أن الأنثى سقبة ، كما فى اللسان والقاموس ، وفيهما أيضاً أن الجمع سقبان بضم السين .

و « بُهّل » : جمع باهل . فى العباب : وناقة باهلٌ: لاصرارَ عليها . وأنشد هذا البيت . وقال التّبريزى : البهَّل : جمع باهلةٍ وباهل ، وهى المخَّلاة لا يتعهَّدها راعيها . ويقال بَهَلَ الرجلُ ، إذا مضَى لا قيِّمَ عليه . وأبهلته ، إذا تركتَه مخلًّى . والباهلة أيضا : التى لا صِرار عليها ، لتَرضَعها أَولادُها فتكون أَسمَن وأحسن . والباءُ فى قوله « بمهياف » زائدة فى خبر ليس . ويعشٍّى صفة له ، وسوامَه مفعول يعشِّى ، ومجدّعة حال سببيّة لسوامَه . وسِقبانها نائب فاعل مجدَّعة ، وجملة وهى بُهَّل حال من سوامَه. وصَفَ الشَّنْفَرَى نفسَه بالجلادة وحُسن التعهُّد لمالِهِ وجودةِ القيام عليه . ٣١

وقوله : « ولا جُبّأٍ أكهى » إلخ . الجُبَّأُ ، بضم الجيم وفتح الموحَّدة المشددة بعدها همزة ، على وزنُ سُكَّر : هو الجبَان ، والخائفُ . والأَكهَى بالقصر ، قال التبريزى : هو الكَدِر الأَخلاق الذى لا خيرَ فيه . وقال ثعلب : هو البليد ، مثل الكَهَام . والمُرِبّ : اسم فاعل من أَرَبَّ بالمكان أى لزمَه وأقام فيه ، والعِرس ، بالكسر : الزَّوجة . يقول : لست أُسيءُ الرِّعْية ولا أَجبُن ، ولا أقيمُ مع النساءِ وأُشاورهنَّ فى أُمورى . وجُبَّإٍ بالجر معطوف على مهياف ، ولو عُطف بالنصب على موضعه لجاز . وأكهى ومُربّ وصفان لجبّإٍ . قال المُعْرب : الباءُ فى بعرسه بمعنى فى ، أىْ مقيم فى بيت عرسه . ويجوز أن تكون بمعنى علَى ، أى مقيم على عرسه . وجملة يطالعها حال من الضمير فى مُرِبّ، وفى شأْنه متعلِّق بيطالعها .

وقوله : « ولاَ خَرِقٍ هَيْقٍ » إلخ. هذا أيضًا بالجر معطوف على مهياف . والخَرِق بفتح المعجمة وكسر المهملة بعدها قاف ، قال الزمخشرى : هو المَدْهوشُ من الخوف . والهَيْق ، بفتح الهاءِ وسكون المثناة التحتية ، هو الظَّليم ، أى النعام فى نِفاره عند حدوثِ مروِّع . والمُكَّاءُ ، بالضم

والتشديد والمد : طائر ، أى كأَنَّ فؤاده على جناحِ طائر . وهذا تحقيق لجُبْنه وتحيُّره .

وقوله : « ولا خالفٍ داريَّة » ، هذا أيضاً بالجرّ للعطف على مهياف . والخالف ، بالخاءِ المعجمة : من لا خير فيه . وداريَّةٍ بالجر صفة لخالف ، وهو المقيم فى داره لا يفارقه . والتاءُ زائدة للمبالغة . والدارىّ أيضًا : العطَّار ، منسوب إلى دَارِينَ : فُرضة بالبحرين ، فيها سوقٌ كان يحمل إليها مسكٌ من ناحية الهند . قال الزمخشرى : ويحتملهما كلامُه ، لأَنَّ العطَّار يكتسب من رِيح عطره فيصير بمنزلة المتعطِّر ، فالمعنى لست ممَّن يتشاغل بتطييب بدنه وثوبه ، أَو يلازم زوجته فيكتسب من طِيبها . والمتغزِّل : الذى يغازل النِّساءَ . فى الصحاح : مغازلة النساءِ : محادثتهنّ ومُراوَدتهنّ . تقول : غازلتُها وغازلتْنى ، والاسم الغَزَل . وتغزَّل ، أَى تكلَّف الغزل . وجملة يروح صفة متغزّل أَو حال من ضميره .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد السبعمائة [١] :

٧٢٧ (بتَيهــاءَ قَفْرٍ والمطــىُّ كأَنَّهـا
قَطَا الحَزْن قد كانَتْ فراخًا بُيوضُها)

على أَنَّ (كان) فيه بمعنى صار .

والتَّيهاءُ : المفازة التى لا يُهتَدى فيها ، فَعْلاءُ من التِّيه ، وهو التَّحيُّر . يقال تاهَ فى الأَرض يتيه تَيْهاً وتَيهَاناً ، أَى ذهبَ متحيِّراً . والقفر : المكان الخالى . يصف المطىَّ بِسُرعة السَّير ، كأَنَّها [٢] بمنزلة قَطًا تركت

(١) المعانى الكبير ٣١٣ وأسرار العربية ١٣٧ وابن يعيش ٧ : ١٠٢ والأشمونى ١ : ٢٣٠ واللسان (عرض ٤٩) وديوان ابن أحمر ١١٩ .
(٢) ط : « فإنها » ، صوابه فى ش .

بيُوضًا صارت أفراخًا، فهى تمشى بسرعة إلى أفراخها . ومعنى كانت : صارت ، لأنَّ البُيوضَ صارت أفراخًا ، لا أنَّها كانت فراخًا . والقطا : طائر سريعُ الطَّيَران . والحَزْن بفتح المهملة وسكون المعجمة : ما غلُظ من الأرض ، وهو ضدُّ السَّهل، وأضاف القطا إليه لأنَّه يكون قليلَ الماء ، فتكون قطاه أكثَرَ عطشاً ، فإذا أراد الماءَ كان سريعَ الطَّيَران . قال الأصمعى ، ونقله ابن قتيبة (فى كتاب أبيات المعانى) : أراد أنَّها شربت من الغُدُر فى الرَّبيع ، فإذا فرَّخت ودخلَتْ فى الصَّيف احتاجت إلى طلب الماءِ على بُعْدٍ ، فيكون أسرعَ لطيرانها . وإنَّما تفرِّخ بيضَها إذا جاءَ الحرّ . فأراد أن يخبر عنْ سُرعة طيرانها عند حاجتها إلى الماءِ[1] .

٣٢

ووجب تقدير كان بصار هنا ليصحَّ المعنى ، ولو قدِّر بكان لفسد ، لكونه محالا .

ومثله قول شَمْعلة بن أَخْضَر ، من شعراء الحماسة :

فخرَّ على الأَلاءَة لمْ يُوسَّـدْ وقد كان الدِّماءُ له خِمارا[2]

قال ابن جنى (فى إعرابه للحماسة) : كان هنا بمنزلة صار . أنشد أبو علىّ : بتيهاءَ قفر والمطىُّ ...... البيت ، أى صارت . وهذا وجهٌ من وجوه كانَ خفىٌّ . اهـ .

ومثله قول رؤبة :

* والرأْسُ قد كان له قَتيرُ[3] *

---

(١) هذا النص مخالف لألفاظه فى المعانى الكبير ، ولا يعدو أن يكون ترجمة وتعبيراً عن ألفاظ ابن قتيبة .

(٢) الحماسة ٥٦٧ بشرح التبريزى، والمؤتلف ١٤١ .

(٣) ديوانه ١٧٤ وابن يعيش ٧ : ١٠٣ . ويروى : « شكير » .

أى صار .

وبقى وجهٌ آخر لم يرتضه الشارح المحقِّق ، ولهذا لم يذكره ، وهو أن تكون كان على بابها ويُدَّعَى القلب فى الكلام ، ويكون الأصل : قد كانت فراخُهَا بيوضًا ، كقول الآخر :

. . . . كمـــا كان الزِّناءُ فريضةَ الرَّجْمِ[1]

أراد : كما كان الرَّجم فريضةَ الزنى .

وما اختاره الشارح المحقِّق هو مذهب ثعلبٍ ، وأبى على ، وابن جِنِّى ؛ وهو الجيِّد ؛ لأنَّ القلب لا يُصار إليه إذا وُجد وجهٌ آخر .

وأما قوله : (بيوضها) فقد رواه ثعلب بضم الباء . ومَشَى عليه (فى الإيضاح) مستشهدًا به على أنَّه جمع بيض ، كبيت وبيوت ، وخالفه (فى التذكرة) وجزمَ بأَنَّ بيوضها بفتح الباء بمعنى ذات البيض ، واستبعد رواية الضم ، وقال : فإنْ قلت ما تنكر أن يكون بُيوضها بضم الباء ؟ فالقول فى ذلك أنَّه يبعد وإنْ كانوا قد قالوا التُّمور ، لاختلاف الجنس ، لأنَّ البيض هنا ضربٌ واحد وليس بمختلف ، فلا يجوز أن يجمع . وهذا الاستبعاد مبْنِىٌّ على أنْ يكون جمعَ بَيض ، والصَّحيح أنه جمع بيضة ، كما أنَّ مُئُونًا جمع مَأْنة وهى السُّرَّة وما حولها ، لا أنَّه جمع بَيْض لعدم الاختلاف المسوِّغ للجمع . وهذا أولى من الطَّعن فى رواية ثعلب .

ويؤيِّد روايتَه قولُ بعض بنى نُمير :

يُضِلُّ القطا الكُدرىُّ فيها بُيُوضَهُ ويَعوِى بها من خيفة الهُلْكِ ذيبُها[2]

---

(١) للنابغة الجعدى فى ديوانه ١٣٥ ، وانظر معجم الشواهد . والبيت بتمامه :

كانت فريضة ما أتيت كما كان الزناء فريضـــة الرجم

(٢) فى ط : « ويعدى بها » ، صوابه فى ش .

وقول الجعدى :

* لهن أَداحىٌّ به وُبيُوضُ[1] *

فإنْ قال قائل: هذا جعل بيوضاً جمع بيضة، كما جعل سِخالًا جمع سخلة، ومُئُونًا جمع مأْنة . فالجواب أن نقول : إنَّما جعل سِخالاً جمع سخلة لا سخل، وإن كان باب كلٍّ واحدٍ منهما أن لا يكسَّر ، لأَنَّ امتناع التكسُّر فى أَسماءِ الأَجناس أَقوى . أَلاَ ترى أَنَّ أَسماءَ الاجناس كلَّها لا يجوز تكسير شىءٍ منها بقياس . وقد نصَّ على ذلك سيبويه فى باب جمع الجمع . والآحادُ المخلوقة كلُّها يجوز تكسيرها بقياس ، فيما عدا هذا الباب ، فكانَ جعلُ سِخال جمع سخلة أَوْلَى من جعلها جمع سَخل لذلك . وأَما بُيُوض فالذى أَوجَبَ عليه أَن يجعلها جمع بَيْض لا بيضة أَنَّه رأَى أَن فُعولا فى جمع فَعْل مقيس، نحو فَلس وفلوس ؛ وفُعول فى جمع فعلة، نحو بَدْرة وبُدُور، غير مقيس، فيرجُح عنده جَعلُ بيوض جمع بيض لذلك . ومن ذلك صخور وتمور وأَشباهه . وليس كذلك فِعال فإنَّه جمع لفعلةٍ وفَعْلٍ بقياس ، نحو جِنَان وكِلاب . وجعل مُئُونًا جمعَ مأْنة لمَّا لم يُسمع مَأْن . وأَمَّا على قول أَبى علىٍّ فلا بدَّ من تقدير مضاف ، والتقدير : كانت بيوضها ذات أَفراخ ، ولا قلبَ فى الكلام حينئذ ، كما فى صورة جَعْلِ كان بمعنى صار مع رواية الباء . وإنَّما يدَّعى القلب فى صورة جَعْلِ كان على بابها مع رواية ضمّ الباءِ . ٣٣

والقطا: ضربٌ من الطَّير ، وهو نوعان : كُدرىٌّ وجُونىّ . فالكُدرىّ غُبر الأَلوانِ رُقْش الظُّهورِ والبُطون ، صُفْر الحلوق ، قِصارُ الأَذناب .

(١) لم يرد فى ديوان النابغة الجعدى .

والجُونىُّ سُود البطون سُود بطونِ الأَجنحةِ والقوادم ، بيض الصُّدور غُبْر الظُّهور ، وفى عنق كلٍّ واحد منها طَوْقانِ : أَصفر وأَسود .

وقوله :(بتيهاءَ قَفر) الجارّ يتعلَّق بقوله : « والعيس تجرى غُروضها » فى بيت قبله .

صاحب الشاهد

والبيت من أَبيات لابن أَحمرَ ، وهى :

أبيات الشاهد

(لعَمْرِى لئن حَلَّتْ قُتَيْبة بلدةً شــديدًا بمال المقْحَمِين عَضيضُها
فللّهِ عينَا أُمِّ فَرعٍ وعَبْــرةٌ تُرقرِقُها فى عَيْنهـــا أَو تُفِيضُهـــا
أَلا ليتَ شعرى هل أَبيتنَّ ليلةً صحيحَ السُّرى والعِيسُ تجرى غروضُها
بتيهـــاءَ قَفْـــرٍ والمطىُّ كأَنَّها قَطَا الحزْنِ قد كانت فراخًا بيُوضُها)

وفى شرحها : قتيبة : بطنٌ من باهلة . والمُقْحَمون : الذين أَقحمتهم السَّنة ، وهى القُحْمة بالضم ، أَى القحط . وعَضيضها : عضُّها . وصَحيح السُّرى ، أَى غير جائرٍ عن القَصْد، فيكون أَسرعَ لقصده لصحّة سراه . فتمنَّى أَنيصحَّ سُراه ويستقيمَ ليعجل إلى مقصِده . وغُروضها : أَنساعها. أَى إِنَّها قد أُضمرت حتى قد كانت ،أَى قد صارت . بيوضُها : جمع البيض . انتهى .

ومعنى البيت أَنَّ المطىَّ براها السَّير وحملَها على المتاعب، حتَّى صارت كالفراخ فى الضَّعف والهُزال ، بعد ما كانت قويَّةً سِمانًا كالدَّجاج البَيُوض ، بإِضافة الفراخ إِليها . انتهى .

وهذا كلامُ مَن لم يقف على الرواية . والتى فى عامة نسخ شعره :

أُريهمْ سُهيلاً والمطىُّ كأَنهـــا قَطَـــا الحـــزن . . . . إلخ

قال شارحه : قوله أُريهم سُهيلاً، يعنى أَصحابه وإن لم يجرِ له ذكر، لدلالة الحال عليه ، أَى يريهم مَطْلِعَه الذى ببلاد أَحبابه التى يقصدها ، فهو يتمنى أَن يصحَّ سُراه إلى مَقصده ليريَهم مطلعَ سُهيلٍ ببلاد أَحبابه[١] وتكون[٢] المطىُّ على الحال التى وَصَفها من قَلق غُروضها وأَنساعها، لحثِّه إيَّاها على السُّرى الذى أَهزلها[٣] فقلقَت أَنساعها[٤]. وشبَّهها بسُرعة القطا التى فارقتْ فراخَها لتحمل إليها الماءَ فتسقيَها ، فهو أَسرعُ لطيرانها . ودَلَّ كلام الشاعر على أَنَّه أَراد : يريهم سهيلاً من آخِر الليل ، لأَنَّ القطا إنَّما تصير كما ذكر فى الصَّيف . وطلوع سُهيل بالحجاز يكون عند فتور الحرّ ، فى عِشرِى آب[٥] من شهور الروم .

وقوله : (والمطىُّ كأَنَّها) حال من فاعل تجرى فى البيت المتقدّم، على الرواية الأُولى ، وصاحب الحال فى الرواية الثانية ضمير الجمع فى أُريهم سهيلا . والعامل أَرى ، كقولك : جئتك والشمس طالعة . وقوله : (قد كانت) إلخ حالٌ من القطا ، والعامل ما فى كان من معنى التَّشبيه. و (فراخًا) خبر مقدم لكان ، و(بيوضها) اسمها المؤخر .

وابن أَحمر شاعر إِسلامىٌّ مخضرم ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الستين بعد الأَربعمائة[٦] .

* * *

---

(١) الكلام من « أحبابه » السابقة إلى هنا ساقط من ش .

(٢) ش : « وتقول » ، صوابه فى ط .

(٣) ش : « التى هزلتها » . والسرى تذكر وتؤنث ، بل لم يعرف اللحيانى فيها إلا التأنيث .

(٤) ط : « فتقلقلت » ، صوابه فى ش .

(٥) ط : « فى عشر آب » . والمراد فى اليوم العشرين من آب .

(٦) الخزانة ٦ : ٢٥٧ – ٢٥٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد السبعمائة[١] :

٧٢٨ (سَرَاةُ بنى أَبى بكر تَسَامَى على كانَ المَسَوَّمةِ العِرابِ)

على أنَّ (كان) فيه زائدة بين الجار والمجرور .

وزيادتها عند الشارح قسمان :

٣٤ أحدهما : زيادة حقيقيَّة ، تزاد غير مفيدةٍ لشيءٍ إلاَّ محضِ التوكيد ، يكون وجودُها فى الكلام وعدمُها سواءً ، لا تعمَل ولا تدلُّ على معنى .

ثانيهما : زيادةٌ مجازيَّة ، تدلُّ على معنًى ولا تعمل .

ومثَّل للأوَّل بهذا البيت وبالآية الشريفة[٢] ، وبقولهم : لم يوجد كان مثلُهُم . ومثَّل للثانى بما كان أَحسن زيدًا ، وبقولهم : إنَّ من أفضلهم كان زيدًا ، وبالبيت أيضا ، فجعله متردِّداً بينهما .

وما ذكره أحدُ مذاهبَ ثلاثة :

الأوَّل : مذهب ابن السَّرَّاج ، واختاره ابن يعيش ، قال : والذى أراه أَنْ تكون زائدةً دخولُها كخروجها ، لاعملَ لها فى اسمٍ ولا خبر ، ولا هى لوقوع شيءٍ . وإليه ذهب ابن السَّرَّاج ، قال (فى أصوله) : وحقُّ الزائد أن لا يكون عاملاً ولا معمولا ، ولا يحدثَ معنًى سوى التأْكيد . ويؤيِّد ذلك قوله تعالى: ﴿كيف نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فى المَهْدِ صَبِيًّا﴾ أنَّ كان فى

---

(١) سر الصناعة ١ : ٢٩٨ والأزهية ١٩٧ وابن يعيش ٧ : ٩٨ ، ١٠٠ والضرائر ٧٨ ورصف المبانى ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢١٧ ، ٢٥٥ والعينى ٢ : ٤١ والتصريح ١ : ١٩٢ ، والهمع ١ : ١٢٠ والأشباه والنظائر ٢ : ٣١١ والأشمونى ١ : ٢٤١ ، ويس ١ : ١٩١

(٢) يعنى قوله تعالى : « من كان فى المهد صبيا » ، وهى الآية ٢٩ من سورة مريم . وانظر شرح الرضى ٢ : ٢٧٢ .

الآية زائدة ، وليست الناقصة ، إذ لو كانت الناقصة لأفادت الزمان ، ولو أفادت الزمان لم يكن لعيسى عليه السلام فى ذلك مُعجزة ، لأَنَّ الناس كلّهم فى ذلك سواءٌ ، فلو كانت الزائدة تفيد معنى الزّمان لكانت كالناقصة ، فلم يكن للعدول إلى جعلها زائدةً فائدة . ومن مواضع زيادتها قولهم : إنَّ من أَفضلهم كان زيدا ، فكان مزيدةٌ لضرب من التأْكيد ، إذ المعنى أَنَّه فى الحال أَفضلُهم وليس المراد أَنَّه كان فيما مضى ، إذ لامَدْحَ فى ذلك . ولأَنَّك لو جعلت لها اسماً وخبرًا لَكَانَ التقدير : إن زيدًا كان من أَفضلهم ، وكنت قد قدَّمت الخبر على اسم إنَّ وليس بظرف ، وذلك لا يجوز . وقولُ الشاعر :

* على كانَ المسَوَّمةِ العِــرابِ * . . . البيت

كان فيه زائدة . وعند هذا القائِلِ دَلالتُها على الزَّمان يستدعى كونَها ناقصة .

الثانى : مذهب السيرافى ، قال : لسنا نعنى أَن دخولها كخروجها فى كلِّ معنى ، وإنما نعنى بذلك أَنَّها ليس لها عمل ، ولا هى لوقوع شىءٍ مذكور ، ولكنَّها دالَّة على الزمان الماضى[1] وفاعلها مصدرها ، وذلك كقولك : زيد كان قائم ، تريد كان ذلك الكون ، وقد دلَّت على الزمان الماضى ، ولو خلا منها الكلامُ لوجب أَن يكون ذلك فى الحال . وقول الشاعر :

* على كان المسوَّمةِ العِرابِ *

كان ذلك الكونُ . وإذا قدِّر هذا التقدير كانت كان واقعة لوقوع شىءٍ مذكور ، وهو ذلك الكون .

---

(١) الكلام بعده إلى كلمة « الماضى » التالية ساقط من ش .

ثالثها : قال ابن يعيش : ذهب قومٌ إلى أنَّ كان زيدت على وجهين : أَحدهما أَنْ تُلغى عن العملِ مع بقاءِ معناها ، والآخر أَن تلغَى عن العمل والمعنى معاً . وإنما تدخلُ لضربٍ من التأْكيد . والأَوّل نحو قولهم : ما كان أَحسن زيدًا ، المراد أَنَّ ذلك كان فيا مضى ، مع إلغائها عن العمل ، ومعناه ما أَحسن زيدًا أَمس ، فهى فى ذلك بمنزلة ظننت ، إذا أُلغيت بطل عملها لا غير ، نحو قولك : زيد ظننتُ منطلق . أَلا تَرى أَنَّ المراد : فى ظنِّى . وأَما الثانى فنَحو قوله :

* على كانَ المسوَّمةِ العِرابِ[1] *

ومنه قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فى الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ . ولو أُريد فيها المضىُّ لم يكن لعيسى عليه السلام فى ذلك معجزة، لأَنَّه لا اختصاصَ له بِذَلكَ الحكمِ دونَ سائر الناس .

وقوله : (سَرَاة بنى أَبى بكر) الخ، قيل هو جمع سَرِىّ ، وقيل اسمُ جمع له ، وهو الشَّريف . قيل : ويحتمل أَن يكون بالضم ، جمعَ سارٍ كقضاة جمع قاض . و (تَسامى) أَصله تتسامى بتاءَين ، من السموِّ ، وهو العلوّ . و (المسوَّمَة) : الخيل التى جُعلت عليها سُومةٌ بالضم ، وهى العلامة ، وتُركت فى المرعى . (والعِراب) : الخيل العربيَّة ، وهى خلاف البراذين. والمعنى أَنَّ ساداتِ بنى أَبى بكر يركبون الخيولَ العربيَّة . وروى: (المطهَّمة) بدلَ المسوَّمة ، وهو التامُّ الخِلقة من كلِّ حيوان . وروى: (جيادُ بنى أَبى بكر) إلخ ، وهو جمع جَواد، وهو الفَرَسُ السَّريع العَدْو . والمعنى على هذه الروايةِ أَنَّ خيل هؤلاءِ تفضلُ على خيول غيرهم .

٣٥

(١) ش : « وعليه » ، وما أثبت من ط يوافق ابن يعيش .

وقال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : السَّرِىُّ : ذو السخاءِ والمروءَة ، وروى : (جياد) فإن كان جمع جيِّد فهما متقاربان ، أو جواد، فالممدوح خيلهم ، والمعنى حينئذ : على المسوَّمة العِراب من جيادِ غيرهم .

وهذه الرواية وهذا التفسير أَظهر ، إذ ليس بمعروف تفضيلُ النَّاس على الخيل ؛ وكأَنه فهِمَ أَنَّ تَسامَى بمعنى التفاضُل ، وليس كذلك كما ذكرنا .

ثم قال : وتَسامَى إمَّا مضارع ، أَو ماضٍ على حدِّ : الركْب سارَ . ويؤيّده أَنه روى : « تسَامَوْا » . ورَوَى الفرّاءُ : « المطهَّمةِ الصِّلاب » ، أَى ذوات الصَّلابة أَى الشِّدَّة .

وهذا البيت مع شُهرته وتداوله لم أَقفْ على خَبر له . والله أَعلم .

تتمـــة

ذهب ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) إلى أَنَّ زيادة كان فى الشعر، وأَنَّها تكون دالَّة على المضىّ دائماً . وكلاهما خلاف المرضىّ . قال : ومنها زيادة كان للدلالة على الزَّمان الماضى ، نحو قول الفرزدق :

* فى الجاهليةِ كان والإِسلامِ [(١)] *

وقول الآخر ، أَنشده الفارسى :

فى غُرَفِ الجنَّةِ العُليا التى وجَبتْ   لهم هناك بسَعْيٍ كان مشــكورِ [(٢)]

يريد : بسَعى مشكور ، وقول الآخر ، أَنشده الفراء :

* على كان المسوَّمةِ العرابِ *

---

(١) هو الشاهد التالى لشاهدنا هذا ، وصدره :
* فى لجة غمرت أباك بحورها *

(٢) البيت للفرزدق فى ديوانه ١٦٥ والضرائر ٧٧ .

وقول غيلان بن حُرَيث :

* إلى كِناسٍ كانَ مستعيدِهِ[١] *

يريد إلى كِناسٍ مستعيدِهِ . وقول امرئ القيس ، فى الصَّحيح من القولين :

أَرى أُمَّ عمرٍو دمعُها قد تحــدَّرا   بكاءً على عمرٍو وما كان أَصبَرَا[٢]

يريد : وما أَصبر ، أَى وما أَصبرها .

وقد تزاد فى سَعَة الكلام ، ومنه قول قيس بن غالب البدرىّ[٣] : «ولدت فاطمة بنتُ الخُرشُب الكمَلة من عبس ، لم يوجَدْ كان مثلُهم» . إلاَّ أَنَّ ذلك لا يحسُن إلاَّ فى الشعر . وإنما أَوردت زيادتها فى فعلٍ دون زيادة الجملة لأَنَّها فى حال زيادتها غير مسندة إلى شىءٍ . وسبب ذلك أَنَّها لما زيدت للدَّلاله على الزمان الماضى أَشبهت أَمسِ ، فحكم لها بحكم أَمس . هذا كلامه .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد السبعمائة[٤] :

٧٢٩ (فى لُجَّةٍ غمَرَتْ أَباك بحورُها   فى الجاهليّةِ كان والإسلامِ)

على أَنَّ (كان) زائدة بين المتعاطفين لا عملَ لها ، ولا دلالةَ على مضىّ .

---

(١) مجاز القرآن ٢ : ٧ . ونسب فى مجاز القرآن ٢ : ١٤٠ إلى العجاج .

(٢) ديوان امرئ القيس ٦٩ .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) ضرائر ابن عصفور ٧٧ والأشمونى ١ : ٢٤٠ وديوان الفرزدق ٨٥٠ والنقائض ٢٦٤ .

أَمَّا الأَوّل فظاهر . وأَمّا الثّانى فلأَنَّ المعنى أَنَّ الغَمْر ثابتٌ فى زمن الجاهليَّة وفى زمن الإسلام ، لاأَنَّه كان فى الجاهليَّة وانقطع ؛ لأَنَّ المعطوف يأْبَى هذا المعنى . وكذا (كان) فى قولهم : لم يوجد كان مثلُهم ، فإنَّها لو كانت دالَّةً على المضىّ لاقتضى أَنَّه يوجد مثلهُم الآن . وهذا خلافُ المقصود .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ للفرزدق هجا بها جريرًا . وقبله يخاطبه :

أبيات الشاهد

(أَشْبَهْتَ أُمَّك إِذْ تعارض دارمًا ... بأَدِقَّةٍ متقاعسِينَ لئـامِ

وحسِبتَ بحرَ بنى كليب مُصدِرًا ... فغرِقتَ حين وقعْتَ فى القَمقامِ

٣٦ فى حومة غمرت أَباك بحورها) . . . . . إلخ .

قوله : « أَشبهت أُمَّك » إلخ ، يريد: أَشبه عقلُك عقلَ أُمّك حين تُفاخر بكليب دارمًا . وكليب : رهط جرير ، ودارم : فخذٌ شريف من قبيلة تميم . وأَدِقَّة : جمع دقيقٍ ، يريد به الضّعيف الضئيل . والمتقاعس : المتأَخّر عن المجد والشّرف . ولئام : جمع لئيم .

وقوله : « وحسبت بحر » إلخ ، ويروى : « وحسبت حَبْل بنى كليب » يقول : ظننت أَنَّ بنى كليب ينجّونك مما قد وقعتَ فيه حين تعرَّضتَ لى . ومُصْدِر : اسم فاعل من أَصدرته ، بمعنى رَجَعته . والقَمقام : البحر .

وقوله : (فى لُجَّةٍ غمرَت) إلخ ، اللُّجَّة : معظم الماء . وروى بدله : (فى حَوْمة) بمعناه . قال شارح المناقضات : «حَومَة الماءِ : مجتمعُه ومُعظمُه [1]» ، وهو بدل من القمقام . و (غَمَرَت) : غطَّت . والغَمْر : الماءُ الكثير . وقد غمره الماءَ يغمُره ، أَى عَلاهُ . و (البحر) : الماءُ الكثير ، وكلُّ نهرٍ عظيم . (والجاهلية) : الزمان الذى كثُر فيه الجُهّال ، وهى ما قبل

(١) الذى فى النقائض ٢٦٤ : « مجتمعه وكثرته » .

الإسلام . وقيل أيَّام الفَتْرة . وقد تُطلَق على زمن الكفر مطلقًا ، وعلى ما قبل الفتح .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد السبعمائة[٢] :

٧٣٠ (بَدَا لك فى تِلْكَ القَلُوصِ بَدَاءُ)

على أن(بَدَاءُ) فاعل بدا ، وهو مصدرٌ بمعنى اسم الفاعل ، والتقدير : بدا لك رأىٌ بادٍ ، ولمَّا كان ظاهر هذا الشعرِ على طِبْق « ثَبَتَ الثُّبوتُ » بجعل المصدر فاعلاً لفعله ، وهو مما لا معنًى له ، أجابَ عنه بما ذكر .

ولا يخفى أنَّه تكلُّف . والجيِّد ما قاله أبو على (فى كتاب الشعر) قال : أُضمر البداءُ فى قوله تعالى : ﴿ثم بَدَا لَهُمْ من بَعْدِ مارأَوُا الآياتِ ليَسجُنُنَّه[٣]﴾ لأنَّ البداءَ الذى هو المصدر قد صار بمنزلة العِلم والرأى. ألا ترى أنَّ الشاعر قد أظهره فى قوله :

لعلَّك والموعودُ حَقٌّ لِقــاؤُه بَدَا لكَ فى تلك القَلوصِ بَــدَاءُ[٤]

وكذلك صنع ابن الشجرىّ فى الآية والبيت ، وقال : أَلسُنُ العرب متداوِلة فىقولهم : بدا لى فى هذا الأَمرِ بَدَاءٌ ، أى تغيَّر رأْيى عما كان عليه . ويقال فلانٌ ذو بَدَوات ، إذا بدا له الرّأْىُ بعد الرأى. انتهى .

---

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٢) الأغانى ١٤ : ١٥١ وأمالى القالى ٢ : ٧١ والخصائص ١ : ٣٤٠ وابن الشجرى ١ : ٣٠٦ والروض الأنف ١ : ١٧١ والمغنى ٣٨٨ وشذور الذهب ١٦٧ ، والتصريح ١ : ٣٦٨ ، والهمع ١ : ٣٤٧ ، واللسان (بدا ٧١) .

(٣) الآية ٣٥ من سورة يوسف .

(٤) فى النسختين : « حقاً لقاؤه » ، صوابه بالرفع كما فى معظم المراجع . وفى الخصائص : « صدق لقاؤه » . وفى الروض الأنف : « حق وفاؤه » .

وقد وقع هذا التركيب (فى سِيرة ابن هشام) ونصُّه : قال ابن إسحاق : ظنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْ قد بدَا لِعمِّهِ بَدَاءٌ .

قال السُّهيلى (فى الروض) : أَى ظهرَ له رأى ، فسمِّى بَدَاءً لأَنَّه شىءٌ يَبدُو بعدما خَفِى ، والمصدر البُدُوّ[1] ، والاسم البَداء . ولا يقال فى فى المصدر بدا له بُدُوٌّ، كما لا يقال ظهر له ظهور بالرفع ، لأَنَّ الذى يظهر ويبدو ههنا هو الاسم نحو البَداء . ومن أَجل أَنَّ البدُوَّ هو الظُّهور كان البَداءُ فى وصف البارى سبحانه محالاً ، لأَنَّه لا يبدو له شىءٌ كان غائباً عنه. والنَّسخ للحُكْم ليس بِبدُوّ[2] كما توهَّمه جماعةٌ من الرافضة واليهود ، وإنَّما هو تبديل حُكْم بحكم ، بقدَر قدَّره ، وعلم قديم عَلِمه . وقد يجوز أَن يقال بدا له أَنْ يفعل كذا ويكون معناه أَراد . وهذا من المجاز الذى لا سبيل إلى إطلاقه إلاَّ بإِذن من صاحب الشرع ، وقد صحَّ فى ذلك ما خرَّجه البخارى فى حديث الثلاثة : الأَعمى والأَقرع والأَبرص[3] ، وأَنَّه عليه السلام قال : « بدَا لِلهِ أَن يَبْتَلِيَهُمْ » . فبدا ههنا بمعنى أَراد .   ٣٧

وابن أَعْيَنَ ومن اتَّبعه يُجيزون البَداءَ على الله[4] ، ويجعلونه والنَّسخَ

---

(١) فى الروض الأنف : « والمصدر البدء والبدو » . والبدو ، يقال بالفتح ، ويقال بضم الباء والدال مع تشديد الواو .

(٢) ط : « يبدو » ، صوابه فى ش والروض .

(٣) انظر الحديث وتخريجه فى الألف المختارة من صحيح البخارى . وهو الحديث رقم ٤٦٥ .

(٤) الذى فى الروض : « وذكرنا الرافضة لأن ابن أعين ومن تبعه منهم يجيزون البداء على الله » . وابن أعين هذا هو زرارة بن أعين الكوفى ، مولى بنى أسعد بن همام ، وكان رئيس الشميطية أتباع أحمر بن شيط . انظر الحيوان ٢ : ٢٦٨/٧ : ١٢٢ . وكان أحمر بن شميط هذا من أمراء المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى كان يقول بالبداء أيضاً . وعندما انهزم أصحاب المختار وقتل أميرهم أحمر بن شميط رجع فلولهم إلى المختار وقالوا له : ألم تعدنا بالنصر على عدونا ؟ فقال : إن الله تعالى كان قد وعدنى ذلك لكنه بدا له . الفرق بين الفرق ٣٦ . فالقول بالبداء عند هؤلاء الإمامية انتقل من المختار إلى أتباعه وأتباع أتباعه ، وفى جمهرة ابن حزم ٥٩ أن عبد الله بن محمد =

شيئًا واحدا . واليهود لا تجيز النسخ ، يحسبونه بداءً . ومنهم من أجاز البَداء .

صاحب الشاهد

وروى الأَصبهانى (فى الأَغانى) أَنَّ رجلا وعَدَ محمد بن بشيرٍ الخارجىَّ بقَلوصٍ ، وهى الناقة الشابّة ، ومَطَله ، فقال فيه يذمُّه ويمدح زيدَ بنَ الحسن بن على بن أَبى طالب :

أبيات الشاهد

(لعلَّكَ والموعودُ حقٌّ لقاؤُه ... بَدَا لك فى تلك القَلوصِ بَداءُ[1]

فإِنَّ الذى أَلقَى إذا قال قائلٌ ... من الناس: هلْ أَحسَسْتَهَا لَعَنَاءُ[2]

أَقول الذى يُبدِى الشَّماتَ وإِنَّها ... علىَّ وإِشمات العدوِّ سواءُ[3]

دعوتُ وقد أَخلفتَنِى الوعدَ دَعوةً ... بزيدٍ فلم يَضْلِل هناكَ دُعاءُ[4]

بأَبيضَ مثلِ البدر عَظَّمَ حقَّه ... رجالٌ منَ آلِ المصطفَى ونساءُ[5])

فبلغت هذه الأَبياتُ زيد بنَ الحسنِ ، فبعث إليه بقلوصٍ من جياد إبله ، فقال يمدحُه :

إذا نزلَ ابنُ المصطفى بَطْنَ تَلعةٍ ... نفى جَدبَهَا واخضرَّ بالنبت عودُها[6]

وزيدٌ ربيعُ النَّاسِ فى كل شَتوةٍ ... إذا أَخلفَتْ أَنواؤُها ورُعُودها

=ابن على بن الحسين ، وهو الملقب بالأفطح ، كانت له شيعة تدعى إمامته ، منهم زرارة بن أعين الكوفى ، محدث ضعيف ، فقدم زرارة المدينة فلقى عبد الله فسأله عن مسائل من الفقه فألفاه فى غاية الجهل ، فرجع عن إمامته ، فلما انصرف إلى الكوفة أتاه أصحابه فسألوه عن إمامه وإمامهم ، وكان المصحف بين يديه ، فأشار لهم إليه وقال لهم : هذا إمامى ، لا إمام لى غيره !

(١) فى الأغانى ١٤ : ١٥١ : « حق وفاؤه » .

(٢) فى الأغانى : « هل للواعدين وفاء » .

(٣) فى الأغانى :

أقول لمن تبدى الشمات وقولها ... على به بين الأنام عناء

(٤) فى الأغانى : « وقد أخلفتنى الرأى » .

(٥) لم يرد هذا البيت فى الأغانى .

(٦) الأغانى : « بالغيث عودها » .

حَمولٌ لأَشتــات الدِّياتِ كَأَنَّه سراجُ الدجى إذ قارنتْه سعودها[(١)]

انتهى .

وقوله : (لعلك والموعود) إلخ ، أورده ابن هشام (فى المغنى) فى الجملة المعترضة من الباب الثانى ، على أَنَّ قوله (والموعود حق لقاؤه) جملة اعتراضية بين ما أَصلُه المبتدأُ وبين خبره .

وأَحسستَها : استفدتَها . وأَحسست الشىء : وجدت حِسَّه . وقوله لَعَناءُ خبر إِنَّ الذى أَلقى . يقول: إن قلتُ للسائل الشامت إِنِّى أَفَدْتُها فقد كذبت ، وكذبى وإشماتُ العدوِّ سواءُ .

وقوله : « بزيد » الباءُ زائدة ، أَى ناديته مرَّة . وجملة وقد أَخلفتَنى الوعد اعتراضيَّة .

محمد بن بشير

وقائل هذه الأَبيات محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل الخارجى ، من بنى خارجة بن عَدْوان بن عمرو بن قَيْس بن عيلان بن مضر ، ويكنى أَبا سليمان . وهو شاعرٌ فصيح حجازىٌّ من شعراءِ الدولة الأَمويّة ، وكان منقطعًا إلى [أَبى[(٢)]] عبيدة بن عبد الله بن ربيعة القُرشى ، أَحد بنى أَسَد بن عبد العُزَّى . وله ترجمةٌ طويلة فى الأَغانى .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد السبعمائة [وهو من شواهد س[(٣)]] :

---

(١) الأغانى : « لأسنان الديات» . وفى النسختين هنا : « إذ قاربته » ، وأثبت ما فى الأغانى .

(٢) التكلة من الأغانى .

(٣) التكلة من ش . وانظر سيبويه ١ : ٢٨٩ والمقتضب ٤ : ١١٦ والجمل ٦٢ والأزهية ١٩٧ والمغنى ٢٨٧ والعينى ٢ : ٤ والتصريح ١ : ١٩٢ والأشباه والنظائر ١ : ٤٩ ، ٦٩ والأشمونى ١ : ٢٤٠ وديوان الفرزدق ٨٣٥ .

٧٣١ (فكيف إذا مَرَرْتُ بدارِ قَومٍ وجيرانٍ لنا كانوا كِرامِ)

على أنَّ (كان) فيه ناقصة كما ذهب إليه المبرّد ، الواو اسمها ، ولنا خبرها ، وليست زائدة كما قال سيبويه : وقال الخليل : إنَّ من أفضلهم كان زيدًا على إلغاء كان . وشبَّهه بقول الشاعر :

فكيف إذا رأيت ديار قوم وجيرانٍ لنا كانوا كِرامِ اهـ .

قال الأعلم : الشاهد فيه إلغاء كان وزيادتها ، توكيدًا وتبيينًا لمعنى المضىّ ، والتقدير : وجيران لنا كرام كانوا كذلك . وقد ردَّ المبرد هذا التأويل وجعل قوله «لنا» خبرًا لها ، والصحيح ما ذهبَ إليه الخليل وسيبويه من زيادتها ، لأنَّ قوله لنا من صلة الجيران ، ولا يجوز أن تكون خبرًا لكان إلاَّ أن تريد معنى المِلك ، ولا يصح المِلْك ههنا ، لأنَّهم لم يكونوا لهم مِلْكاً ، إنَّما كانوا لهم جيرة . انتهى .

٣٨

ولا يخفى أنَّ هذا تعسُّفٌ منه ، ولا فرق بين قولك : جيران لنا وبين كانوا لنا ، فإنَّ الواو فى كانوا ضمير الجيران ، واللام للاختصاص لا للمِلك .

وقد نسب الزجاج (فى تفسيرهِ) زيادة كان فى البيت إلى المبرد ، ونقل عنه غلطةً لم يغلطها أصاغر الطلبة ، قال عند قوله تعالى: ﴿ إنَّه كانَ فاحشةً ومَقْتًا[1] ﴾ : قال محمد بن يزيد : جائزٌ أن تكون كان زائدة فالمعنى على هذا إنَّه فاحشة ومقت . وأنشد فى ذلك قول الشاعر :

فكيف إذا حللتَ ديارَ قومٍ وجيرانٍ لنا كانوا كرامِ[2]

(١) الآية ٢٢ من سورة النساء .

(٢) فى المقتضب : « إذا رأيت ديار قوم » .

وهذا غلطٌ من أَبى العباس لأَنَّ كان لو كانت زائدةً لم تنصب خبرها[١] . انتهى .

وهذا نقلٌ شاذٌّ ، وكلهم أَجمعوا على أَنَّ زيادة كان ى البيت إنَّما قال به سيبويه . لكنَّ الزجاج تلميذ المبرد ، وهو أَدرى بمذهب شيخه . والله أَعلم .

وتجويز المبرد زيادة كان فى الآية مع نصب خبرها خطأٌ ظاهر[٢] .

قال ابن السِّيد (فى أَبيات المعانى) : وكان أَبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد يمتنع من زيادة كان فى البيت ، ويقول : : إنَّما تلغى إذا كانت مجرَّدة لا اسمَ لها ولا خبر ، وأَما فى البيت فالواو اسمها ، ولنا الخبر ، وكرام صفة لجيران. وقد ردَّ الناس هذا وقالوا : يجوز أَن تكون[٣] الواو حرفًا دالاً على الجمع يؤكَّد به الجيران ، كالواو فى أَكلونى البراغيثُ . وهذا مذهبُ كثيرٍ من البصريِّين وبعض الكوفيين . ولأَنَّه يقدَّر بلنا التأْخير ، وهو صفة لجيران وقد حلَّ محله من حيث تبع الموصوف ، ولا حاجةَ تدعو إلى انتزاعه من موضعه وتقديره مؤخَّراً . وهذا حجة أَبى على . انتهى .

أَقول : هذا التوجيه ضعيفٌ جداً ، فإنَّ القول بحرفيَّة واو الجمع انَّما هو إذا كان بعدها جمع مرفوع كما ى المثال ، وأَمَّا إذا لم يأْتِ بعدها جمعٌ مرفوع فلم يقل أَحدٌ إنَّها تأْتى حرفًا دالاً على الجمع . والصواب

(١) هذا تجن من الزجاج على المبرد ، فإن المبرد إنما حكى قول النحويين ، من زيادة كان ، ولم يرتضه ، بل رد عليه قائلا : « وهو عندى على خلاف ما قالوا من إلغاء كان ، وذلك أن خبر (كان) (لنا) ، فتقديره : وجيران كرام كانوا لنا . انظر المقتضب ٤ : ١١٧ وما نقله البغدادى فيما سيأتى عن ابن السيد .

(٢) انظر الحاشية السابقة .

(٣) ش : « يكون » .

ما وجَّه به الشارح المحقق ، وهو أَنَّ كان زِيدت مع الفاعل لأَنَّه كالجزء منها ، لأَنَّهم قالوا : والفاعل كالجزء من الفعل .

واستدلَّ صاحب اللباب على أَنَّهما كالكلمة الواحدة باثنى عشر وجهاً ، منها زيادة الفعل مع الفاعل فى نحو هذا البيت . قال شارحه (الفالى[1]) : تقريره أَنَّهم حكموا بأَنَّ «كانوا» زائدة وإن كان الفعل وهو «كان» وحده زائدًا ، ولكنْ لما كان الفاعل كالجزء لم يَفُكُّوهُ عن الفعل ، فحكموا بزيادتهما جميعاً . انتهى .

وأبو على لم يجعل الواو فاعل كان ، وإنَّما جعلها ضميرًا مؤكِّداً للضمير المستتر فى الظرف الواقع صفة لجيران ، أَعنى قوله لنا ، قال : لنا فى موضع الصِّفة لجيران، وفيه ضميرهم مستتر على ما عُهِد من حكم الجارِّ والمجرور إذا وقع صفة ، والضمير المتَّصل بكان تأْكيد له ، ولم يكنْ بُدٌّ من اتصاله لأَنَّه لايقوم بنفسه . واستدلَّ على ذلك بقول الشاعر[2] :

نحنُ بغــرسِ الوَدِىِّ أَعلمُنَا　　　مِنَّا بطَعْنِ الكُماةِ فى السَّدَفِ

قال : فنَا من أَعلمُنَا لا حاجة إليه ، لأَنَّ أَعلم أَفعل ، وأَفعل إمّا أَن يضاف ، وإما أَنْ يتصل بمن ويُمنَع[3] من إضافته . وإذا كان كذلك فلابدَّ من تخريج يصحُّ عليه الاعراب ، وذلك أَنَّه تأْكيد للضَّمير فى منَّا . ولقوَّةِ تناوله قدَّموه ليدلُّوا على شدَّةِ اتصاله . وإذا جاز ذلك فى أَعلم [مع[4]] ما بعده كان فى كان أَولى وأَحسن .

هذا كلامه ، ونقله عنه اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) .

---

(١) فى النسختين : « القالى » بالقاف ، تصحيف سبق التنبيه عليه فى مواضع كثيرة .

(٢) هو سعد القرقرة ، أو قيس بن الخطيم . وانظر معجم الشواهد .

(٣) فى النسختين : « يمنع » ، والوجه إثبات الواو قبلها .

(٤) التكملة من ش .

٣٩ وقد جمع ابن هشام (فى شرح الشواهد) جميعَ ما للعلماءِ من التخاريج فى هذا البيت قال :

« لنا » قيل خبر مقدَّم ، ثم اختلف على قولين :

أَحدهما : أَنَّه خبر مبتدأ ، والأَصل لنا هم ، ثم زيدت كان بينهما فصار لنا كان هم ، ثم وصل الضمير إصلاحًا للَّفظ ، لأَنَّه لا يصحُّ وقوعه منفصِلا إلى جانب فعلٍ غير مشتغل بمعمول .

والثانى : أَنه خبر لكان وأَنَّها ناقصة ، وهو قول المبرِّد وجماعةٍ ، وعليه فالجملة صفةٌ لجيران، وتقدَّمت على الصفة المفردة ، والأَكثر فى الكلام تقديم المفردة .

وقيل لنا صفَةٌ لجيران ، ثم اختُلِف على قولين أَيضاً :

أَحدهما : أَنَّ كان تامة والضمير فاعل ، أَى وُجِد . ورُدَّ بأَنَّه لا فائدة فى الكلام على هذا القول .

والثانى : أَنَّها زائدة ، ثم اختلف فى الاعتذار عن الضمير على قولين: أَحدهما أَنَّ الزيادة لا تمنع العمل فى الضمير كما لم يمنع إلغاءُ ظنَّ عملَها فى الفاعل مطلقًا . قالهُ[1] ابنُ السِّيد وابنُ مالِك . وفيه نظر ، لأَنَّ الفعل الملغَى لم ينزَّل منزلة الحروف حتَّى لا يليق الإِسناد إلى الفاعل ، وإِنَّما هو فعلٌ صحيح وُضِع لقصد الإِسناد . والثانى: أَنَّ الأَصل: كان هم،على أَنَّ الضمير توكيدٌ للضمير المستتر فى لنا ، ثم زيدت كان بينهما ، ووُصل الضميرُ للإِصلاح . انتهى .

---

(١) ط : « قال » ، صوابه فى ش .

وقد لخَّصه (فى المغنى) فى بحث لعلّ .

وقوله: على تقدير كونها تامّة مع فاعلها أنَّه لا فائدة فى الكلام[١] — ممنوع ، فإنّها صفة لجيران بمعنى ثبتوا وحَصَلوا . وما أورده أوّلاً من أنَّ الأَصل لنا هم ، ثم زيدت كان بينهما ، فاتَّصل بها الضمير ، هو قول صاحب الكشّاف ، قال فى قوله تعالى : ﴿ وإنْ كانت لكبيرةً[٢] ﴾ : وقرأ اليزيديُّ : (لكبيرةٌ) بالرفع ، ووجهها أن تكون كان مزيدة ، كما فى قوله : «وجيران لنا كانوا كرام» الأَصل: وإن هى لكبيرة ، كقولك : إنْ زيدٌ لمنطلق ، ثم وإنْ كانت لكبيرة . انتهى .

قال أَبو القاسم على بن حمزة البصرى اللغوى (فى كتاب التنبيه على أغلاط أَبى زيادٍ[٣] الكلابى فى نوادره): روى أَبو أَحمد عبد العزيز بن يحيى بن أَحمد بن عيسى بن يزيد الجُلودى ، فى أَخبار الفرزدق ، بإسنادٍ متَّصل ذكره، أنَّ الفرزدقَ حضرَ عند الحسَن البصرى ، فأَنشده :

أَقولُ إذا رأَيتُ ديارَ قومى وجيرانٍ لنـــا كانوا كرامِ

فقال له الحسن : كرامًا يا أَبا فراس . فقال الفرزدق : ما ولدَتْنى إلاَّ مَيْسانية ، إنْ جازَ ما تقولُ يا أَبا سعيد . قال : وأُمُّ الحسن من مَيْسان. فهذا ردُّ الفرزدق عن نفسه . وقد أَصاب ، وتقدير قوله : وجيران كرام كانوا لنا . انتهى .

---

(١) انظر ما مضى فى الصفحة السابقة س ١١ — ١٢

(٢) من الآية ١٤٣ من سورة البقرة : « وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله » .

(٣) ط : « أبى زيد » ، صوابه فى ش . واسمه يزيد بن عبد الله بن الحر بن همام بن دهن ابن ربيعة بن عمرو بن نفاثة . انظر حواشى الحيوان ٦ : ١٢٨ . قال ابن النديم ٦٧ : قدم بغداد أيام المهدى حين أصابت الناس المجاعة ، ونزل قطيعة العباس بن محمد ، فأقام بها أربعين سنة ، وبها مات . وكان شاعراً من بنى كلاب بن عامر . وأقول : إن هذا القسم من التنبيهات قد باد فيما باد من نصوص التنبيهات .

وميسان : قريةٌ من قرى العراق . يريد إنِّى لم أكنْ من العرب العَرْباءِ بل من المولَّدين إنْ صحَّ ما لحَّنتنى فيه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للفرزدق يمدح بها هشام بنَ عبد الملك ويهجو جريراً ، وأوَّلها :

أبيات الشاهد

(ألسْتُمْ عائجين بنا لَعَنَّا نَرَى العَرصَاتِ أو أثَرَ الخيامِ
فقالوا إنْ عَرَضْتَ فأَغنِ عَنَّا دُموعاً غير راقئةِ السِّجامِ (١)
فكيفَ إذا مررتُ بدار قوم وجيرانٍ لنا كانوا كرامِ (٢)
أُكفكفُ عَبْرَةَ العينين مِنِّى وما بعدَ المدامع من لِمامِ (٣))

قوله : « ألستم عائجين » إلخ ، الهمزة للاستفهام التقريرى، وروى « هَلَ انْتَم » بدله . وعائجون : جمع عائج ، اسم فاعل من عُجت البعير أَعُوجُه عَوْجاً ، إذا عطفْتَ رأسَه بالزِّمام . والباءُ فى بنا بمعنى مع . وروى العينى فقط : « عالجون » باللام ، وقال : أى داخلون فى عالج ، وهو اسم موضع . ولم أره لغيره . وليس فى الصحاح عالَجَ بمعنى دخل فى عالج . ولَعَنَّا أى لعلَّنا . ولعَنَّ لغة فى لعَلَّ . وعَرصة الدار : ساحتها ، وهى البقعة الواسعة التى ليس فيها بناءٌ ، وسمِّيت عَرصةً لأنَّ الصِّبيان يَعرِصون فيها، أى يلعبون ويَمْرحون .

٤٠

وقوله: « إنْ عرَضْتَ » كذا رواه محمد بن المبارك (فى منتهى الطلب من أشعار العرب) : قال صاحب الصحاح : وعَرَض الرجلُ ، إذا أتى

---

(١) فى ديوان الفرزدق ٨٣٥ : « فقالوا إن فعلت » .
(٢) فى الديوان : « فكيف إذا رأيت ديار قومى » وفى النقائض ١٠٠٤ : « وكيف إذا رأيت ديار قوم » .
(٣) فى الديوان : « من ملام » . وفى النقائض : « من كلام » .

العَرُوض، وهى مَكَّة والمدينة وما حولَهُمَا . قال :

* فيا راكبًا إمَّا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ[١] *

وقول الكميت :

* فأَبلغ يزيدَ إنْ عَرَضْتَ ومُنذِرًا[٢] *

يعنى إنْ مررت به . انتهى .

وما هنا يحتمل كلاًّ منهما . وروى أَيضًا : « إن فعلتَ » بدلَه ، أى فعلت العَوْج وهو عَطْفُ رأس الناقة بالزمام . وقوله : « فأَغنِ عَنَّا » هو أَمرٌ من قولهم : أَغنيت عنك ، أَى أَجزأْت مَجزأَةً . يريد أَنَّ أَصحَابَه لم يوافِقوه على عطفِ الزِّمام. وقوله : « دموعاً » أَصله بدموع ، فلما حذفت الباءُ نصب. وراقئة بالهمز ، من رقأَ الدمع رَقْئًا ورُقوءًا ، إذا سكَن. والسجام : مصدر سجَمَ الدمع سُجُومًا وسِجَامًا ، أَى سال .

وقوله : (فكيف إذا مررتُ) إلخ ، كيف استفهام وفيها معنى التعجُّب ، وهى هنا ظرف ، والعامل فيها فعلٌ محذوف دلَّ عليه الكلام ، وهو أَكون ، وهو مقَّدر بعدها ، لأَنَّ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله . والتقدير : على

---

(١) صدر بيت مشترك بين شاعرين أحدهما عبد يغوث بن وقاص الحارثى الجاهلى ، وبيته :

فيا راكبا إما عرضت فبلغن ... ندامای من نجران أن لا تلاقيا

والآخر مالك بن الريب المازنى ، وبيته :

فيا راكبا إما عرضت فبلغن ... بنى مالك والريب ألا تلاقيا

(٢) عجزه ، كما فى اللسان (عرض ٣٥ نمس ١٣٠) وتكملة الصاغانى ٣ : ٤٤١ ،

* وعميهما والمستسر المنامسا *

وانظر ديوان الكميت ١ : ٢٤٥ . وفى التكملة :

« هكذا وقع : وعميهما على التثنية . والصواب : وعمهما على التوحيد . ويزيد هو يزيد بن خالد بن عبد الله . ومنذر هو منذر بن أسد بن عبد الله . وعمهما هو إسماعيل بن عبد الله . والمستسر هو خالد بن عبد الله » .

أيِّ حال أكون إذا مررت بدار قوم إلخ ، وجواب إذا محذوف لدلالة ما تقدَّم عليه ، وهو العامل فيها . كذا قال اللخمى .

وقال ابن هشام : كيف ظرفٌ لأُكفكف[1] . وفيه نظر . والتاءُ فى مررتُ للمتكلِّم ، بدليل لنا ، وأُكفكف . وروى بدله : « رأيتُ » . وقوله : أُكفكف : أَحبس . والعَبْرة ، بالفتح : الدَّمعة . واللِّمام بكسر اللام بعدها ميم . كذا فى منتهى الطلب ، والمشهور « من ملام » .

وترجمة الفرزدق تقدمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[3] :

٧٣٢ (كأَنَّ سبيئةً من بيتِ رأْسٍ   يكون مزاجُها عَسَلٌ ومـــاءُ[4])

على أنَّ أبا البقاءِ جوَّز زيادة (يكون) بلفظ المضارع ، وادَّعى أنَّها هنا زائدة على رواية رفع مزاجُها على المبتدإ وعسل خبرها .

وكذلك قال ابن السِّيد (فى أبيات المعانى) : تكون[5] زائدة لا اسمَ لها ولا خبر ، فيكون قوله (مزاجُها عسلٌ) جملةً من مبتدإٍ وخبر . وقد عطف ماءُ على الخبر فرفع .

---

(١) ش : « كيف لأكفكف » ، صوابه فى ط .

(٢) الخزانة ١ : ٢١٧ — ٢٢٣ .

(٣) فى كتابه ١ : ٢٣ . وانظر سيرة ابن هشام ٨٢٩ والروض ٢ : ٢٨٠ والكامل ٧٣ والمقتضب ٤ : ٩٢ والأصول ١ : ٧٣ ، ٧٤ والجمل ٥٨ والمحتسب ١ : ٢٧٩ وابن يعيش ٧ : ٩١ ، ٩٣ وتسهيل الفوائد ٣٦ والمغنى ٤٥٣ ، ٦٩٥ والهمع ١ : ١١٩ والأشباه والنظائر ١ : ٢٧١ ، وديوان حسان ٣ .

(٤) ط : « كأنه » ، صوابه فى ش وسائر المراجع .

(٥) كذا فى النسختين ، وهى رواية صحيحة فى البيت ستأتى فى الصفحة التالية .

وذهب ابن الناظم أيضًا (فى شرح الألفيَّة) إلى أنَّ زيادتها بلفظ المضارع نادر ، كقول أُمِّ عَقيل رضى الله عنه :

أنتَ تكونُ ماجدٌ نبيلُ إذا تهُبُّ شَمْأَلٌ بليلُ[1]

وارتضاه ابنُ هشام (فى شرح شواهده)، لكنّه أنكر زيادتها (فى المُغنى)، قال : ويروى برفعهنَّ ، أى برفع « مزاجُها عسل وماءٌ » على إضمار الشأْن . وأمّا قول ابن السِّيد: إنَّ كان زائدة ، فخطأٌ؛ لأنَّها لا تزاد بلفظ المضارع بقياس ، ولا ضرورة لدعوَى ذلكَ هنا . انتهى .

٤١ وهذا التخريج مشهور ، وذكره[2] ابن خلفٍ وغيره ، فيكون اسمها ضميرَ الشأْن والأَمر، وجملة « مزاجها عسل » من المبتدإ والخبر خبرها . وذكر ابن هشامٍ اللَّخمى تخريجًا آخر بعد ذلك ، قال : اسم يكون ضمير سَبيئة ، وجملة «مزاجُها عسلٌ» فى موضع الخبر ، أَوْ إنّ[3] خبرَها مقدَّم عليها ، وهو قوله من بيت رأْس ، وجملة تكون من بيت رأْس صفة لسَبيئة ، وجملة مزاجها عسل صفة ثانية لها . قال : وعلى هذين القولين يقال « تكون » بالتاءِ . والسابق إلى هذا التخريج ابنُ السِّيد (فى أَبيات المعانى) .

ثم قال : والأَحسن أَن تَقول[4] على هذا الوجه: تكون بالتاءِ؛ لأَنَّ السُّلافة مؤنثة ، ولو قلت بالياءِ جاز ، لأَنَّ التأْنيث غير حقيقى ، وليس بالجيِّدِ .

(١) العينى ٢ : ٣٩ والتصريح ١ : ١٩١ والهمع ١ : ١٢٠ والأشمونى ١ : ٢٤١ وأم عقيل بن أبى طالب هى فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أم جميع ولد أبى طالب . انظر جمهرة ابن حزم ١٤ وما سيأتى .

(٢) ش : « ذكره » بدون سبق للواو .

(٣) ط : « وإن » ، صوابه فى ش .

(٤) ط : « يقول » ، وأثبت ما فى ش .

أَقول : إذا أُسند الفعل إلى ضمير المؤنث المجازى » فالتأْنيث واجبٌ إلاَّ فى الضَّرورة ، وإنَّما جواز التأْنيث فى الإسناد إلى ظاهره .

وأَما بيت أُمّ عقيل فلم أَر من خرَّجه . وأَقول بعون الله تعالى : إنَّ اسمَ تكون ضمير المخاطَب المستتر فيها، وخبرها محذوف ، وماجدٌ خبر أَنت ، والتقدير : أَنت ماجد نبيل تكونُه ، أَو تكون ذاك ، والجملة اعتراضيَّة بين المبتدأ والخبر .

وأُمُّ عَقِيل هى أُمُّ على بن أَبى طالب رضى الله عنهما ، واسمها فاطمة بنت أَسَد بن هاشم بن عبد مناف .

وهذا الرجز كانت ترقِّص به عَقِيلاً لمَّا كان طفلا . وقبله :

إنَّ عَقِيـــلا كاسمه عَقِيـــلُ وبِيَبِى الملفَّفُ المحمـــولُ

وآخره :

* يُعطى رجالَ الحىِّ أَو يُنِيلُ *

وعَقيل كلِّ شىءٍ:أَفضلُه . وبَيبى : بِـأَبِى ، أَى يفدَّى بـأَبِى أَو مفدًّى به.

ورواه الأَزدى (فى كتاب الترقيص) :

أَنتَ تكونُ السيِّدُ النَّبيلُ إذا تهُبُّ الشمْأَلُ البَليلُ[1]

ورواية سيبويه فى البيت المتقدّم بنصب مزاجَها ، على أَنَّه خبر مقدم ، ورفع عسَل على أَنَّه اسمٌ مؤخَّر . وإنْ شاءَ الله يأْتى الكلامُ عليها فى آخر الباب .

---

(١) ط : « شمأل بليل » ، وأثبت ما فى ش .

وروى أيضاً برفع مزاجها ونصب عسَلٌ على الاسم والخبر ، ويكون ارتفاع ماءٌ بفعل محذوف تقديره: ومازَجَها ماءٌ ، لأَنَّ الشيءَ إذا خالط شيئًا فقدخالطه ذلك الشيءُ أَيضاً . وهذه روايةُ أبى عثمان المازنى ومختارُه، نقله عنه ابن السِّيد وابنُ خلف وغيرُهما .

وخبر كأَنَّ المشدَّدة فى بيتٍ يليه ، وهو :

(على أَنيابها أَو طَعْمَ غَضٍّ   من التُّفَّاحِ هَصَّرَهُ اجتنــاءُ)

فقوله « على أَنيابها » هو الخبر . والأَنياب أَربعة أَسنان : ثنتان من يمين الثنايا: واحدة من فوق وواحدة من أَسفل ، وثنتان من شِمالها كذلك . شبَّه طَعم ريقِها بطعم خَمرٍ قدمُزِجت بعَسلٍ وماءٍ ، أَو بطَعْم تُفَّاح غضٍّ قد اجتُنِيَ . فطعمَ بالنصب معطوفٌ على سبيئة . وهَصَّره : أَمالَه . والاجتناءُ : أَخْذُ الثَّمر من الشجر . ويروى بدله: «جِناءُ» بكسر الجيم ، وهو الثمر بعينه .

والبيت الثانى ثابتٌ فى ديوان حسَّان ، وهو عندى نُسخةٌ قديمةٌ تاريخ كتابته سنة أَربع وثلاثين وثلثمائة .

وكذا رواه من تكلَّم فى شعره. وقد أَنكره السهيلى (فى الروض) وقال: قوله: « كأَنَّ سبيئة » خبر كأَنَّ فى هذا البيت محذوف ، تقديرُهُ : كأَنَّ فى فيها[1] . ومثلُه فى النكرات حَسَن[2] كقوله :

* إنَّ محَلاً وإنَّ مرتحلَا[3] *

---

(١) فى الروض ٢ : ٢٨٠ : « كأن فى فيها خبيئة » .
(٢) فى الروض : « ومثل هذا المحذوف فى النكرات حسن » .
(٣) صدر بيت للأعشى فى ديوانه ١٥٥ . وعجزه :
* وإن فى السفر ما مضى مهلا *

أَى إنَّ لنا مَحلًّا . وكقول الآخَرِ[١] :

٤٢ * ولكنَّ زنجياً طويلاً مشافرُه[٢] *

وزعم بعضهم أَنَّ بعده بيتًا فيه الخبر ، وهو « على أَنيابها » البيت . وهو مصنوعٌ لا يشبه شعر حسّانٍ ولا لفظَه . انتهى .

والسبيئة : فعيلة بمعنى مفعولة ،وهى الخمر التى تُسبَأُ ، أَى تُشترى بالهمز . قال المبرد (فى الكامل) وأنشد البيت : يقال سبأْت الخمر سبئًا ، إذ اشتريتَها . والسابئُ : الخمَّار . قال ابن السِّيد : إنَّما السابئُ مُبتاع الخمر لا بائِعُها . وهذا منعه غلط . وفى القاموس : سبأَ الخمرَ كجعل، سبئًا وسِباءً ومَسْبأً : شرَاها كاستبأَها . وبيَّاعها السَّبَّاءُ . والسبيئة ، ككريمة : الخمر . ثم قال فى المعتلّ: سَبَى العدوَّ : أَسرَه . والخمرَ سبيًا وسِباءً ، ووَهِم الجوهرى : حملَها من بلد إلى بلد . انتهى .

والجوهرى قيَّد السَّبءَ بشرائها للشُّرب . قال : فأَمَّا إذا اشتريتها لتحملَها إلى بلدآخر قلت :سَبيتُ الخمر. فشراؤها للتِّجارةيكونعنده بالياء .

وردَّ عليه الصفدى (فى نفوذ السهم ، فيما وقع للجوهرى من الوهم). قال : هذا تحكُّم منه ، ودَعْوَى بلاد ليل . وقول ابن هَرْمة :

---

(١) هو الفرزدق من قصيدة فى الأغانى ١٩ : ٢٤ يهجو بها أيوب بن عيسى الضبى. وليست فى ديوانه .

(٢) صدره :

* فلو كنت قيسياً إذن ما حبستنى *

وهو الشاهد ٨٧٩ فيما سيأتى . وروى : « فلو كنت ضبياً عرفت قرابتى » .

خَـــودٌ تعـــاطيكَ بَعْدَ رَقْدتِهـــا إذا تلاها العيون مهدؤهـــا[١]

كأْسًا بفيهـــا صَهباءَ مُعْرَقَـــةً يَغلو بأَيدى التِّجـــارِ مَسبَؤُها

يشهد بخلاف هذا الفرق الذى أبداه[٢] . ولا يجوز سبيت الخمر بالياء إلَّا على قول من يرى تحويل الهمزة . انتهى .

وروى: « كأَنَّ سُلافة » ، والسلافة: الخمر ، وقيل خلاصة الخمر ، وقيل ما سال من العِنب قبل العصر ، وذلك أَخلَصُها . واشتقاقُها من سَلفَ الشيءُ ، إذا تقدَّم. وروى أيضاً : « كأَنَّ خبيئة » ، وهى الخمر المخبَّأَة المَصُونة المضنونُ بها . وقوله : (من بيتِ رأْسٍ) متعلِّق بمحذوف على أَنَّه صفةٌ أُولى لسبيئة ، وجملة (يكون) إلخ صفة ثانية لها ؛ كأَنَّه قال : سبيئةً مشتراةً من بيت رأْسٍ ممزوجةً بعَسلٍ وماءٍ . وبيت رأْس : موضع ، قال ابن السيد (فيما كتبه على كامل المبرد) : قال عبيد الله[٣] ابن عبد الله[٤] بنُ خُرْداذَبه : بيت رأْس : اسمُ قرية بالشام من ناحية الأُردنّ ، كانت الخمورُ تُباع فيها ، وبه ماتت حَبَابة[٥] جارية يزيد بن

(١) فى ديوان ابن هرمة ٤٩ واللسان والتاج « سبأ » : « إذا يلاقى العيون » . وما فى شرح شواهد المغنى يطابق ما هنا .

(٢) هكذا فى النسختين بالهمز . أبدأه : ابتدعه .

(٣) ش : « أبو عبيد الله » ، صوابه فى ط . وهو الجغرافى المشهور أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه ، صاحب كتاب المسالك والممالك الذى نشره دى غويه سنة ١٣٠٦ فى ليدن . وكان خرداذبه مجوسياً أسلم على يد البرامكة ، فتولى أبو القاسم هذا البريد والخبر بنواحى الجبل . الفهرست ٢١٢ ودائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٤٩ .

(٤) ويقال « ابن أحمد » أيضاً .

(٥) حبابة هذه بتخفيف الباء . وفيها يقول يزيد :

أبلغ حبابة أســـقى ربعهـــا المطـــر ما للفـــؤاد ســـوى ذكراكم وطر

الأغانى ١٣ : ١٥٤ . ويقول القعقاع بن خليد العبسى مخاطباً لابن هبيرة :

هـــل فقـــد ماتت حبابـــــة سامنى بنفسك يقـــدمك الذرى والكواهل

أغرك أن كانت حبابـــــــة مـــــرة تميحك فانظر كيف ما أنت فاعل

ابن الأثير ٥ : ٩٩ — ١٠٠ ، وكان ابن هبيرة يهدى لها ويبرها تملقاً منه ليزيد .

عبد الملك ، فمات يزيدُ بعد بضعَ عشرةَ جزعًا عليها . انتهى . وقيل :
بيتٌ : موضع الخمر ، ورأسٌ : اسمٌ للخمَّار . وقَصد إلى بيت هذا الخمَّار
لأنَّ خمره أَطيبُ الخمر . وقيل الرأس هنا بمعنى الرّئيس ، أى من
بيت رئيس . قال اللخمى : وهذا أَحسن الأَقوال ؛ لأَنَّ الرؤساءَ إنَّما
تشرب الخمر ممزوجةً . وإنَّما اشترط أَن يمزُجَها لأَنَّها خمرٌ شاميّة
صَليبة ، فإن لم تُمزَجْ قتلتْ شاربَها . وخصَّ العسلَ والماءَ لأَنَّ العسل أَحلى
ما يخالطها ، وأَنَّه يذهبُ بمرارتها ، وأَمَّا الماءُ فيبرِّدها ويليِّنها . وقيل :
إنَّما عنَى شرابَ الرُّؤساءِ والملوك على قول من جعَلَ رأْسًا : بمعنى رئيس ، لأَنَّها
إذا مُزِجَتْ لا يشْرَبُها إلاَّ الرؤساءُ وأَشرافُ النَّاس ، كراهيةَ أَن تُخرجَهم
عن عقولهم . أَلا ترى إلى قول عدىّ بن زيد :

رُبَّ ركبٍ قد أَناخُوا حولنَا يَشرَبون الخمرَ بالماءِ الزُّلالْ [1]

وقد عابت على جذيمةَ الأَبرشِ أُختُه شُربَ الخمرِ صِرفًا لأَمرٍ لحِقَها
من ذلك ، فقالت له :

ذاكَ من شُربِك المُدَامةَ صِرفًا وتَمَادِيك فى الصِّبا والمُجُونِ

وقد مدح الله خمرَ الجنَّة لمَّا لم يكن الشاربُ يَزْوِى وجهَه لها ،
٤٣ فقال عزَّ من قائل: ﴿وأَنهارٌ من خمرٍ لَذَّةٍ للشاربِين [2]﴾ ، أى إنَّ الشارب
إذا شَرِبَها لم يقطِّب وجهَه ، ولم تُخرجْه عن عَقله .

وبيتُ حَسَّان مع ما بعده مأْخوذٌ من قول امرئ القيس ، وإن كان
فى قول امرئ القيس زيادةٌ أَحْسَنَ فيها ما شاءَ ، وأَتبع دَلْوَه فى الإجادة
الرِّشاءَ ، فقال :

---

(١) ديوان عدى بن زيد ٨٢ . وانظر تخريجه فيه .
(٢) الآية ١٥ من سورة محمد .

كأَنَّ المُـدامَ وصَوبَ الغَمامِ   وريحَ الخُزامَى ونَشْرَ القُطُرْ[١]
يُعَـلُّ به بَـرْدُ أَنيابِهـا   إِذَا طـرَّبَ الطـائِرُ المستَحِرْ

والزيادة التى زادها قوله « إذا طرَّب الطائر المستحِر » يعنى عند تغيُّر الأَفواه . فشبَّه حسان ريقَ هذه المرأةِ بخمر ممزوجةٍ بعسل وماءٍ ، أو بطعم غَضٍّ من التُّفَّاح .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لحسانَ بن ثابت قالها قبلَ فتح مكَّة ، مدح بها النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهجا أَبا سُفيان ، وكان هجا النبى صلى الله عليه وسلم قبل إِسلامه ، وهى هذه :

أبيات الشاهد

(عَفَتْ ذاتُ الأَصابعِ فالجِواءُ   إلى عَذراءَ مَنزِلُها خَـلاءُ[٢]
ديارٌ من بنى الْحَسحاسِ قَفرٌ   تُعفِّيهـا الرَّوامسُ والسَّمـاءُ
وكانت لا يزال بهـا أَنيسٌ   خِـلالَ مُروجها نَعَمٌ وشـاءُ
فدَعْ هذا ولكن مَنْ لِطَيْفٍ   يُؤرِّقنى إذا ذَهَبَ العِشـاءُ
لِشَعثاءَ التى قـد تيَّمَتْهُ   فليس لقلبـهِ منها شفـاءُ
كأَنَّ خبيئةً من بيتِ رأْسٍ   يكون مزاجَها عسَلٌ وماءُ[٣]
إذا ما الأَشرِباتُ ذُكِرن يومًا   فهنَّ لطيِّبِ الـرَّاحِ الفِـداءُ
نُولِّيهـا المـلَامةَ إنْ أَلَمْنـا   إذا مـا كان مَغْثٌ أَو لِحاءُ
ونشربُها فتتركُنا ملوكًـا   وأُسدًا ما يُنَهْنِهُنا اللقـاءُ
عَدِمنـا خَيلنَا إن لم تَرَوْهـا   تُثِير النَّقعَ مَوعِدُهـا كَـدَاءُ

(١) ديوان امرئ القيس ١٥٧ — ١٥٨ .
(٢) ديوان حسان ٣ — ١٠ ، والسيرة ٨٢٩ — ٨٣٠ .
(٣) فى الديوان : « كأن سبيئة » . وبعد هذا البيت فى الديوان فقط :
عـلى أنيابهـا أو طعم غض   من التفـاح هصره الجنـاء

يُبارِينَ الأَسِنَّةَ مصغِياتٍ على أكتافها الأَسَلُ الظِّماءُ[1]
تظلُّ جيادُنا مُتَمَطِّراتٍ تُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النِّساءُ
فإمّا تُعرِضوا عنّا اعتمرنا وكانَ الفتحُ وانكشَفَ الغِطاءُ
وإلاَّ فاصبِرُوا لجِلادِ يومٍ يُعِين اللهُ فيه مَن يَشاءُ[2]
وقال اللهُ: قد يَسَّرتُ جندًا همُ الأَنصارُ عُرْضَتُها اللِّقاءُ
لنا في كلِّ يومٍ من مَعَدٍّ قِتالٌ أو سِبابٌ أو هِجاءُ
فنُحْكِمُ بالقوافي مَنْ هجانا ونَضرِبُ حين تختلطُ الدِّماءُ
وقال اللهُ :قد أرسلتُ عبدًا يقولُ الحقَّ إنْ نَفَعَ البَلاءُ
شَهِدتُ به وقومي صدَّقوه فقلتم ما نُجيب وما نشاءُ
وجِبريلٌ أَمينُ اللهِ فينا ورُوح القُدْسِ ليسَ له كِفاءُ[3]
أَلا أَبلِغْ أَبا سفيانَ عنّي مُغَلْغَلَةً فقد بَرِحَ الخَفاءُ[4]
بأَنَّ سيوفنا تركَتْكَ عبدًا وعبدُ الدار سادتُها الإِماءُ
هجوتَ محمدًا فأَجبتُ عنه وعند اللهِ في ذاك الجَزاءُ[5]
أَتهجوه ولستَ له بكفءٍ فشرُّكُما لخيرِكُما الفِداءُ
هجوتَ مُبارَكًا بَرًّا حنيفًا أَمينَ اللهِ شيمتُه الوفاءُ
أَمَنْ يهجو رسولَ اللهِ منكمْ ويَمدحُهُ وينصُرُهُ سَواءُ
فإِنَّ أَبي ووالدَهُ وعرضي لِعرضِ محمّدٍ منكم وِقاءُ
لساني صارمٌ لا عيبَ فيه وبَحري لا تكدِّرُه الدِّلاءُ)

٤٤

---

(١) في الديوان : « يبارين الأعنة مصعدات » . وفي السيرة : « ينازعن الأعنة مصغيات » .
(٢) في الديوان : « يعز الله فيه » .
(٣) موقع هذا البيت في كل من الديوان والسيرة قبل بيت : « وقال الله قد أرسلت عبدا » .
(٤) في الديوان : « فأنت مجوف نخب هواء » .
(٥) في السيرة : « وأجبت عنه » .

وهذه رواية ابن هشام (فى السيرة) . وفى الديوان ثلاثة أبيات أُخَر من آخرها زيادة على هذا .

قال ابن هشام : قالها حسّان قبلَ يومِ الفتح . ويروى: « لسانى صارمٌ لا عتبَ فيه» بالتاء . وبلغنى عن الزُّهرى أنَّه قال : لمَّا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النِّساءَ يلطِّمن الخيلَ بالخُمُر تبسَّم إلى أبى بكر . انتهى .

وقوله : « عفَتْ ذاتُ الأَصابع » إلخ عفت بمعنى درست . وذات الأَصابع : موضعٌ بالشام . والجِواءُ بكسر الجيم كذلك . قال السهيلى : وبالجواءِ كان منزلُ الحارث بن أبى شَمِر . وكان حسَّانُ كثيرًا ما يرِدُ على ملوك غَسَّانَ بالشام يمدحُهم ، فلذلك يذكر هذه المنازل . وعَذْراءُ ، قال السكرى (فى شرح ديوان) : قريةٌ على بريدٍ من دمشق ، وبها قَتَلَ معاويةُ حُجْرَ بنَ عدىٍّ وأصحابَه .

وقوله : « ديارٌ من بنى الحَسحاسِ » ، بمهملات ، قال السكرى : الحسحاس بن مالك بن عدىّ بن النجار . وقال السُّهيلى : بنو الحسحاس حىٌّ من بنى أسد . قال السكرى : والرَّوامس : الرياح التى تَرمِسُ الآثارَ وتغطِّيها . وقال السهيلى : يعنى بالسَّماءِ المطر . والسَّماءُ لفظٌ مشتركٌ يقع على المطر وعلى السماءِ التى هى السَّقفُ . ولم نعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله :

إذا سقطَ السَّماءُ بأَرضِ قومٍ رَعيناهُ وإنْ كانوا غضابا[1]

لأنَّه يحتمل أن يريد مطر السماء ، فحذف المضاف ، ولكن إنَّما عرفناه من قولهم فى جَمعِهِ : سُمِىٌّ وأَسمِيَة ، وهم يقولون فى جمع السَّماءِ سماوات ، فعلمنا أنَّه اسم مشترك بين شيئين .

---

(١) لجرير فى ديوانه ١٧ .

وقوله: « وكانت لا يزالُ بها » إلخ خلالَ ظرفٌ بمعنى بَيْنَ، خبرٌ مقدَّم . ونَعَمٌ مبتدأٌ مؤخَّر . قال السهيلى : النَّعَم : الإبل ، فإذا قيل الأَنعام دخل فيها البقرُ والغنمُ ، . والشَّاءُ والشَّوِىُّ : اسمٌ للجميع ، كالضَّأْن والضَّئين ، والإبل والأَبيل ، والمَعْز والمعيز . فأَما الشَّاةُ فليست من لفظ الشاء ، لامُ الفعل منها تاءٌ .

وقوله: « فدع هذا » إلخ ، الطَّيف : الخيال . ويؤرِّقنى: يُسْهرنى. فإنْ قيل : كيف يسهره الطيفُ والطيف حُلمٌ فى المنام ؟ فالجواب أَنَّ الذى يؤرِّقه لوعةٌ يجدها عند زواله ، كما قال الطائى[1] :

ظَبىٌ تقنَّصتُه لمـَّا نَصبتُ له ... من آخر الليـل أَشْراكًا من الحُلُمِ
ثمَّ انثنى وبِنَا من ذِكره سَقَمٌ ... باقٍ وإن كان معسولاً من السَّقَمِ[2]

وقوله: « لشعثاءَ التى» إلخ، شعثاءُ: بنت سَلاَّم بنِ مِشْكم اليهودىّ . وبيت

* على أنيابها أَو طَعمَ غَضٍّ *

إلخ لم يورده ابن هشام (فى السيرة) ، ولهذا أَنكره السُّهيلى .

وقوله : « نُولِّيها الملامةَ » إلخ، يقال، أَلامَ، إذا أَتى بما يُلامُ عليه[3]. يعنى إن أَتينا بما نُلامُ عليه صرفنا اللَّوم إلى الخمر، واعتذرنا بالسُّكر. والمَغْث ، بفتح الميم وسكون الغين المعجمة بعدها مثلثة : الضَّربُ باليد. واللِّحاءُ : المُلاحَاة باللسان ، يروى أَنَّ حسان مرَّ بفِتيةٍ يشربونَ الخمرَ

٤٥

(١) هو أبو تمام . ديوانه ٢٦٨ من قصيدة فى مدح مالك بن طوق التغلبى .
(٢) فى الديوان : « ثم اغتدى » و « وإن كان مغسولا » .
(٣) ط : « بالملام عليه » ، وأثبت ما فى ش .

فى الإسلام فنهاهم فقالوا : والله لقد هَمَمْنَا بتركها فزيَّنَها لَنا قولُك :

ونشربها فنتركنا ملوكًا . . . . البيت

فقال : والله لقد قلتُها فى الجاهليَّة ، وما شربتُها منذ أسلمت :

ولذلك قيل : إنَّ بعض هذه القصيدة قالها فى الجاهليَّة وقال آخرَها فى الإسلام .

وقوله : « عدِمْنا خيلَنا » إلخ النقع : الغُبارُ . وكَدَاءُ بالفتح والمد : الثَّنيَّة التى فى أَصلها مقبرةُ مكةَّ ، ومنها دخل الزُّبير يومئذ ودخل النبىُّ صلى الله عليه وسلم من شِعْب أَذَاخِر .

وقوله : « يبارين الأَسنَّة » ، إلخ مباراتها الأَسنَّة : أَن يُضجع الرجلُ رُمحَه ، فكان الفرسُ يركض ليَسبق السِّنان . والمُصْغِيات : المَوَائل المنحرِفاتُ للطَّعن . والأَسَل: الرِّماح . ورواية ابنِ هشام : « ينازعن الأَعنَّةَ مُصغياتٍ » .

وقوله : « تظلُّ جيادُنَا » إلخ المُتَمَطِّرات : الخوارج مِن جُمهورِ الخيل . قال ابن دريد (فى الجمهرة) : كان الخليل يروى: « يُطَلِّمُهنَّ بالخُمُر النِّساءُ » ، وينكر يلطِّمهنّ، ويجعله بمعنى ينفُضْن النِّساءُ بِخُمُرهنَّ ماعليهنَّ من غبارٍ أَو نحوِ ذلك[1] . قال : والطَّلْم : ضَرْبُك خُبزة المَلَّة بيدِكَ لتنفضَ ما عليها من الرَّمادِ . والطُّلمة : الخُبْزة .

---

(١) الكلام بعد «يلطمهن» إلى هنا لم يرد فى نسخة الجمهرة المطبوعة . انظر الجمهرة ٣ : ١١٦ . ولكنه فى نقل الروض الأنف ٢ : ٢٨١ وفيه : «ينفض النساء» بدل : « ينفضن النساء » التى وردت على لغة أكلونى البراغيث .

وقوله: « فنُحكِمُ بالقَوافى »، أَحكمَه: كفَّه ومَنعَه. ومنه سمِّى القاضى حاكِمًا لأنَّه يمنع الناس من الظُّلم. قال جرير:

أَبَنِى حنيفةَ أَحكِمُوا سُفهاءَكمْ إنِّى أخافُ عليكمُ أن أغضَبا(١)

وقوله: « ألا أَبلِغْ أَبا سفيانَ عنِّى » إلخ المُغلغَلة: الرِّسالة الذاهبة إلى كلِّ بلدٍ، مِن تغلغَلَ، إذا ذهب. وروى غير ابن هشام مصراعه الثانى كذا:

* فأنتَ مجوَّفٌ نَخِبٌ هَواءُ *

والنَّخِب، بفتح النون وكسر المعجمة: الجَبَان.

وقوله: « هجوتَ محمدًا »، قال اللخمى: قال ابن دريد: أخبرنا السَّكَن بن سعيد، عن عبَّاد بن عبَّاد، عن أَبيه قال: لما انتهى حَسَّانٌ إلى هذا البيت قال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم: « جزاؤك على الله الجنَّةُ يا حسَّان ».

ولمَّا انتهى إلى قوله.

* أَتهجوه ولستَ له بكفءٍ *

قال مَنْ حضَر: هذا أَنصَفُ بيت قالته العرب.

ولمَّا انتهى إلى قوله: فإنَّ أَبِى ووالده وعرضى » قال صلى الله عليه وسلم: « وقاكَ الله يا حَسَّان حَرَّ النار ».

---

(٣) ديوان جرير ٥٠ واللسان (حكم)، والكامل ٤٤٣. وبعده:

أبنى حنيفة إننى إن أهجكم أدع اليمامة لا توارى أرنبا

وقوله : « فشرُّكما لخيركما الفداءُ » ، قال السُّهيلى :

فى ظاهر هذا اللفظِ شناعةٌ[1] لأنَّ المعروف أن لا يقال هو شرُّهما إلاَّ وفى كليهما شَرٌّ[2] . وكذلك شرٌّ منك[3] ، ولكنَّ سيبويه قال : تقول مررت برجل شرٍّ منك ، إذا نقَصَ عن أن يكون مثلَه . وهذا يدفع الشَّناعة عن الكلام الأوَّل . ونحوٌ منه قَولُه عليه السلام : « شرُّ صفوفِ الرِّجالِ آخرُها » ، يريد نقصانَ حَظِّهم عن حظِّ الصفِّ الأَوَّل ، كما قال سيبويه . ولا يجوز أن يريد التفضيل فى الشَّرّ . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد السبعمائة[4] :

٧٣٣ (فَلَا وأَبِي دَهْمَاءَ زالَتْ عَزيزَةً)

على أنَّه قد فصل بالجارّ والمجرور ، أعنى الجملة القَسميَّة ، وهو « وأبى دهماءَ » بين لا النافية وبين زالت .

وهذا الفصل شاذٌّ . وإليه ذهب ابن هشام (فى المغنى) ، إلاَّ أنَّه لم يقيِّده بالشذوذ ولا بالقِلةِ . وكأنَّه مطَّرِدٌ عنده . قال (فى بحث الجملة المعترِضة) : ويفصَل بين حرف النفى ومنفيِّهِ ، كقوله[5] : ٤٦

* ولا أُراها تَزالُ ظالمةً *

(١) فى الروض : « بشاعة » .
(٢) فى النسختين : « كلاهما شر » ، والوجه ما أثبت من الروض .
(٣) فى النسختين : « شر مثله » ، صوابه من الروض .
(٤) المقرب ١ : ٩٤ والضرائر ١٥٦ والمغنى ٣٩٣ والهمع ٢ : ١٥٦ .
(٥) لابن هرمة فى ديوانه ٤٨ ومعانى القرآن ٢ : ٥٤ ، ١٥٤ والكامل ٣٨٠ ، ٦٨٠ . وعجزه :

* تحدث لى نكبة وتنكؤها *

ويروى : « تحدث لى قرحة » و « تظهر لى قرحة » .

وقوله :

* فلا وأَبِى دَهْماءَ زالت عزيزةً *

قال شارحه ابن المُلاَّ الحلبي : ويجوز أن تكون لا ردًّا وحرفُ النفى محذوفًا ، ولا اعتراض . انتهى .

وقد ردَّ الشارح المحقق هذا الجوازَ فقال : وليس مِمَّا حُذِف منه حرف النّفى إلخ .

ومراده الرَّدُّ على الفرّاءِ ، فإنَّه ذهب فى موضعين (من تفسيره) إلى أَنَّ حرفَ النفى منه محذوف :

الأَوّل فى سورة يوسف عند قوله تعالى : ﴿ تالله تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ[1] ﴾ قال : أَى لا تزال تذكر يوسف . ولا قد تُضمَر مع الأَيمانِ ، لأَنَّها إذا كانت خبرًا لا يضمر فيها لا ، لم تكن إلاَّ بلام . أَلا ترىأَنَّك تقول : والله لآتينَّك . ولا يجوز : والله آتيك ، إلاَّ أَنْ تكون تريدُ لا . فلما تبيَّن موضعُها وفارقت الخبر أُضمِرت . قال امرؤ القيس :

فقلت يمينَ اللهِ أَبرحُ قاعدًا . . . . البيت[2]

وأَنشدنى بعضُهم :

فلا وأَبِى دَهْمــاءَ زالتعزيزة على قومِها ما فَتَّل الزَّندَ قادحُ

يريد : لا زالت .

---

(١) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٢) عجزه فى ديوانه ٣٢ ومعانى الفراء :

* ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى *

والموضع الثانى فى سورة الكهف ، عند قوله تعالى : ﴿ وإذْ قال موسى لفَتَاهُ لا أبرحُ[١] ﴾ قال : لا يكون[٢] تزال وأبرح وأفتأُ إلّا بجحْد ظاهر أو مضمر . فأمّا الظاهر فقد تراه فى القرآن: ﴿ ولا يزالونَ مُختلِفِين[٣] ﴾ . والمضمر فيه الجحدُ قولُ الله تعالى : ﴿ تفتَؤُ ﴾ معناه لا تفتؤ . ومثلهُ قول الشاعر :

فلا وأبى دَهمــاءَ زالتْ عزيزة . . . . البيت

وكذلك قول امرئ القيس :

فقلت يمينَ الله أبرحُ قاعدًا . . . . البيت . انتهى

وقد جعله ابن عُصفور من باب حذف النّافى ، وهو ما ، لكن روى صدره على خلاف هذا ، قال : ومنه حذف ما النافية وهو قليلٌ جدًّا وهو قوله :

لعمر أبى دَهماءَ زالت عزيزةً على قومها ما فَتَّلَ الزَّندَ قادحُ

يريد : ما زالت عزيزة . انتهى .

وكذا رواه المرادى (فى شرح التسهيل) وخرَّجه . إلاَّ أنّه قال : أى لا زالت عزيزة . انتهى .

وقوله : (فلا وأبى دهماءَ) الخ الفاءُ فى التقدير داخلة على واو القَسَم ، أى فوَ أبى دهماءَ لا زالت عزيزة. أقسَمَ الشاعرُ بوالدِ هذه المرأة . فأبى مضافٌ إلى دهماءَ وهى اسم امرأة ، واسم زالت الضَّميرُ الراجع إلى دهماءَ ، وعزيزة خبرها ، وهى من العِزَّة بالعين المهملة وبالزاءِ المعجمة ، وجملة

(١) الآية ٦٠ من سورة الكهف .
(٢) ش : « لا تكون » ، وأثبت ما فى ط ومعانى القرآن .
(٣) الآية ١١٨ من سورة هود .

لا زالت جواب القسم ، وعلى قومها متعلّق بعزيزة ، وما مصدريّة ظرفية. وقتّل بالفاء بعدها مثناة فوقية ، روى بشدّها وتخفيفها ، وهو فعلٌ ماض ، والزّندَ مفعوله ، وقادح فاعله .

وقد ذكر أبو حنيفة الدِّينَوَرىُّ (فى كتاب النبات) صِفةَ الزّند والزّندة ، وكيفيَّةَ الفَتْل ، فلا بأس بإيراده هنا ، قال :

أَفضلُ ما اتُّخذِت منه الزِّناد شَجَرَتَا المَرْخ والعَفَار ، بفتح العين المهملة بعدَها فاءٌ ، فتكون الأُنثى وهى الزَّندة السُّفلى مَرْخا ، ويكون الذَّكر وهو الزند الأَعلى عَفَارًا . أَخبرنى بعضُ علماءُ الأَعراب أَنَّ العَفَار شجرٌ يشبه صغارَ شجر الغُبَيراءِ ، منظرُه من بعيدٍ كمنظره . وأَمَّا المَرْخ فقد رأَيتُه يَنبُت قُضبانًا سَمْحة طِوالاً لاورقَ لها . ولفَضْل هاتين الشجرتين فى سُرْعة الوَرْى ، وكثرةِ النار ، سارَ قولُ العرب فيهما مثلاً ، فقالوا : « فى كلِّ الشَّجر نار ، واستمجَدَ المَرْخ والعَفَار[1] » ، أى ذهبا بالمجد فكان الفضلُ لهما . ولذلك قال الأَعشى :

٤٧ زنادُك خيرُ زناد الملـــو كِ خالط فيهن مَرْخٌ عَفَارا[2]

ويختار أَن تكون الزّندة من المَرْخ ، والزّندُ من العَفَار .

ومن فضيلة المرخ فى كَثْرة النار وسُرعة الورى ، ما ذكرَ أبو زيادٍ الكِلابىُّ فإنَّه قال : ليس فى الشجر كلِّه أَورَى زِنادًا من المَرْخ ، قال : وربَّما كان المرخ مجتمعًا ملتفًّا وهبَّت الريح فحكَّ بعضُه بعضاً فأَورَى ، فاحترق الوادى كلُّه . ولم نر ذلك فى شىءٍ من الشجر .

---

(١) الحيوان ٤ : ٤٦٦ والعقد ٣ : ٣٢ وجمهرة العسكرى ٢ : ٩٢ وفصل المقال ٢٠٢ والميدانى ٢ : ١٨ والزمخشرى ٢ : ١٨٣ واللسان (عفر ٢٦٦) .
(٢) ديوان الأعشى ٤١ .

ثم بعد أن ذكر الأشجار التى تتّخذ منها الزِّناد قال : وصِفَة الزَّندة : عود مُربَّعٌ فى طول الشِّبر أو أكثر ، وفى عَرض إصبع أو أشفّ ، وفى صفحاتها فُرَضٌ ، وهى نُقَرٌ ، الواحدة منها فُرْضة ، وتجمع فِراضاً أيضاً . والزَّند الأَعلى نحوُها غير أنَّه مُستدير وطرفه أدقُّ من سائِره . فأَما وصفُ الاقتداح بها فإنَّ المقتدِح إذا أَراد أنْ يقتدح بالزِّناد وضع الزندة ذاتَ الفِراض بالأَرض ، ووضع رجلَيه على طرفَيها ، ثم وضع طَرَف الزَّند الأَعلى فى فُرضةٍ من فِراض الزَّندة ، وقد تقدَّم فهيَّأ فى الفُرضة مجرى للنار إلى جهة الأَرض بحزٍّ ، وقد حزَّه بالسِّكِّين فى جانب الفُرضة ، ثم فتل الزَّندَ بكفِّه كما يُفتَل المِثقب ، وقد أَلقى فى الفُرضة شيئًا من التُّراب يسيرًا يبتغى بذلك الخُشْنة[1] ، ليكون الزَّند أَعمَلَ فى الزَّندة ، وقد جَعَل إلى جانب الفرضة عند مُفضَى الحَزِّ ، رِيَةً[2] تأْخذ فيها النَّار ، فإذا فُتِل الزَّند لم يلبث الدُّخَان أَن يظهرَ ثم تتبعه النار[3] فتنحدر فى الحزِّ ، وتأْخذ فى الرِّيَة . وتلك النَّار هى السِّقْط . انتهى كلامُه باختصار كثيرٍ .

وقد صحَّف بعضُهم قوله : « ما فَتَّل الزندَ قادح » ورَوَى : « ما قِيلَ للزَّنْدِ قادح » ، على أنَّه فعل مجهول من القَوْلِ . وجَرّ الزند باللام .

وهذا البيت لم أَقفْ له على تتمة ولا قائلٍ . والله أَعلم .

* * *

---

(١) الخشنة ، بالضم : الخشونة . يقال خشن خشنة وخشانة وخشونة ومَخشنة .

(٢) الرية من الورى ، كالعدة من الوعد . ورت النار ترى ورياً ورية حسنة . وقد كتبت الكلمتان فى الأصل كلمة واحدة برسم « الحزورية » ، وإنما هما كلمتان .

(٣) كتبت « تتبعه » فى ش بنقطتين فوق التاء الأولى ، ونقطتين تحتها ، لتقرأ بالقراءتين جميعاً .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد السبعمائة[١] :

٧٣٤ (تَنْفَكُّ تَسْمَعُ ما حَيِيـ ـتَ بهالِكٍ حَتَّى تَكُونَه)

على أنَّ حرف النفى محذوف ، والتقدير : لا تنفك .

وظاهره أنَّ حذف النافى أىَّ حرفِ نفى كانَ ، يجوز حذفُه من هذه الأَفعال ، سواءٌ وقعت جوابَ قسم كالآية والبيتِ الذى بعدَه[٢] ، أَم لا كهذا البيت ، فإِنَّه لم يتقدَّمه شىءٌ . وهو الظاهر أَيضا من كلام الزمخشرى (فى المفصَّل) ، ومن كلام ابن هشام (فى شرح الشواهد) . لكنَّ ابن يعيش قيَّد حَرف النفى بكونه لا ، وأَنَّهُ لا يحذف من هذه الأَفعال إِلَّا إذا وقعَتْ جوابَ قسم . قال : إنَّ حرف النفى قد يحذف فى بعض المواضع ، وإنَّما يسوغ حذفُه إذا وقع فى جواب القَسم ، وذلك لأَمْن اللَّبس ، كقوله :

تزالُ حِبالٌ مُبرماتٌ أُعِدُّها . . . . البيت[٣]

ولا يجوز أَن يحذف من هذه الحروف غير لا ، لأَنَّه لا يجوز حذف لم وما ، لأَنَّ « لم » عامِلةٌ فيما بعدها ولا يجوز أَن تُحذَف وتعمل ، وكذلك « ما » قد تكون عاملةً فى لغة أَهل الحجاز . انتهى .

ويؤخذ منه أَنَّه لا يجوز حذف إنْ أَيضًا ؛ لأَنَّها قد تعمل عمل ليس .

وفى كلامه نظر : أَمَّا أَوَّلاً فَلِأَنَّه قد مثَّل بهذا البيت تبعًا لصاحب المفصَّل ، وتنفكُّ فيه ليس جوابَ قسم .

---

(١) الإنصاف ٨٢٤ وابن يعيش ٧ : ١٠٩ والعينى ٢ : ٧٥ والهمع ١ : ١١١ .
(٢) أى بعد هذا الشاهد وهو الشاهد ٧٣٥ .
(٣) هو الشاهد التالى ٧٣٥ .

وأمّا ثانيًا فلأنّ الكلام فى حروف النفْيِ الدّاخلةِ على الأفعال، وما الحجازية داخلة على المبتدإ والخبر ، فأين هذا من ذاك ؟ وهل هو إلاّ اشتباه .

وقد تبعه المرادى (فى شرح التسهيل) فى الثانى قال : وينقاس الحذف فى المضارع جوابَ قسم ، وشذّ فى الماضى جوابَ قسم ، كقوله : ٤٨

* لعمر أبى دهماءَ زالت عزيزة *

أى لا زالت . وشذّ فى المضارع غيرَ جواب ، كقوله :

وأبرحُ ما أدامَ الله قومِى   بِحمدِ الله مُنتطِقا مُجِيدا[1]

أى لا أبرح ، وقيل لا حذفَ ، والمعنى : أزول عن أن أكون منتطقاً مُجيدًا ، أى صاحبَ نطاق وجَوادٍ ، ما أدام الله قومى ، فإنّهم يَكفُونَنى ذلك . انتهى .

ودعوى عدم الحذف تعسُّفٌ وقع فى أشدَّ ممَّا فرّ منه[2] .

وأغربُ من قول المرادى ما ذهب إليه ابن عصفور ، من أنّه ضرورة ، قال : ومنه إضمار لا النافية فى غير جواب القسم ، كقوله :

تنفكّ تسمعُ ما حييتَ . . . .البيت . انتهى .

فللّهِ درُّ الشّارحِ المحقِّقِ ما أجودَ اختياره ، وما أرْصَنَ سَبْكَه .

وقوله: (تنفكُّ تسمع) إلخ ، جملة تسمع مع فاعله الضمير خبرُ لا تنفكُّ ، وما مصدرية ظرفية . و(حَيِيتَ) بالخطاب ، أى مدّة حياتك.

---

(١) لخداش بن زهير فى معجم الشواهد .

(٢) فى النسختين : « فى أشد ما فر منه »، والوجه ما أثبت .

ولا وجه لقول بعض أفاضل العجم (فى شرح أبيات المفصل) : وقوله ما جييتَ بيانٌ لقوله تنفك تسمع، وتأكيدٌ له . انتهى

و(بهالكٍ) متعلق بتسمع على تقدير مضاف ، أى بخَبرِ هالك . وسَمِع هنا ليست مما يتعدَّى لمفعولين ، وتعدِّيها بالباءِ أَحد استعمالاتها كما تقدَّم ، كقولهم : « تسمع بالمُعَيْدىِّ » . ويجوز أن تكون الباءُ زائدةً فتكون متعدِّية إلى مفعول واحد ، كقولك : سمعت الخبر . وهذا أيضاً أحد استعمالاتها . و (حتَّى) حرف جر بمعنى إلى ، والهاءُ فى (تكونه) ضمير الهالك . والأكثر فى خبر كان إذا كان ضميرًا أن يكون منفصلا . وهذا من القليل .

وقد استشهد صاحب اللباب لقلَّته بهذا البيت . قال ابن هشام : أى لا تزال تسمع : مات فلانٌ، حتَّى تكونَ الهالكَ . والخطابُ لغير معيَّن ، مثلُه فى :«بشِّرْ مالَ البخيل بحادث أَو وارث ». وتسمع خبرٌ ، والباءُ [وحتَّى[1]] متعلِّقتان به ، وماظرف له ، والهاءُ من(تكونه)راجعةٌ للهالك باعتبار لفظِه دونَ معناه ، لأَنَّ السَّامع غير المسموع . ومثله مسألة التنازع : ظنَّنى وظننت زيدًا قائماً إيَّاه . وقد غَمَضَ هذا المعنى على ابن الطَّراوة فمنع المسألة ، وخالف الأئمة . وبعده :

(والمرءُ قد يرجُو الرَّجـا ء مؤَمِّلاً والموتُ دونَـه)

وكان أَبو بكر الصديق رضى الله عنه كثيرا ما يتمثَّل بهما . انتهى . وكذا رواه العينى .

والذى رواه ابن المستوفى وغيره :

* والمرءُ قد يرجو الحياة *

(١) التكملة من ش .

ومؤمِّلا حال من ضمير يرجو . وقال العينى : مؤمِّل إن كان اسم فاعلٍ فهو حالٌ من المرء ، وإن كان اسمَ مَفعول فهو مفعول ليرجو. هذا كلامه . فتأمَّله .

ودونَ هنا بمعنى أَمامَ أَو خَلْف ، لأَنه من الأَضداد . وجملة « والموت دونه » حالٌ إمّا من ضمير مؤمّل ، أَو من ضمير يرجو .

والبيتان نسبهما أَبو عُبيدٍ القاسم بن سَلاَّم (فى كتاب الأَمثال) لِخَليفة بن بَرَاز[1] ، وهو جاهلى . وقد أَخذ البيتَ بعضهُم فقال :

صاحب الشاهد خليفة بن براز

يُقال فلانٌ ماتَ فى كـلِّ ساعةٍ ويوشك يومـاً أَن تـكونَ فلانا

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد السبعمائة[2] :

٧٣٥ (تزالُ حِبالٌ مُبرَماتٌ أُعِدُّها لها ما مَشَى يوماً على خُفِّهِ جَمَلْ)

على أَنَّ (تزال) جواب قسم وحذف منه حرف النفى. أَى لا تزال. والقسم فى بيت قبله ، وهو : ٤٩

(حَلَفتُ يمينًا يا ابنَ قُحفان بالذى تكفَّل بالأَرزاقِ فى السَّهلِ والجبَلْ

تزال حبـالٌ مبـرماتٌ . . . . البيت

فأَعطِ ولا تبخَـلْ إذا جاءَ سائلٌ فعندِى لها عُقْلٌ وقد زاحَتِ العِلَلْ)

وروى أَيضاً :

* وتُقسِمُ ليلى يا ابنَ قُحفان بالذى *

---

(١) انظر فصل المقال ٦٤ حيث أنشد البيت الشاهد منسوباً إليه برواية : « وتزال تسمع » . وفى القاموس (برز) : « وكسحاب : اسم » .

(٢) ابن يعيش ٧ : ١٠٩ والحماسة ١٧٢٧ بشرح المرزوقى وسمط اللآلئ ٦٣١ وفصل المقال ٦٤ .

إلخ . فجملة لا تزال بتقدير لا ، جواب القسم الذى هو تقسم ليلى .
ومُبرَمات : محكمات . وأُعِدّها : أُهيِّئها . وضمير لها للإبل فى شعرٍ قبل هذا يأْتى آنفاً . وما مصدرية ظرفية . وجَمَل فاعل مَشى وسكّن للقافية . وعُقُل : جمع عِقال ، وهو ما يربط به رُكبة البعير . وزاحت، بإعجام الأَوّل ، بمعنى زالت .

صاحب الشاهد

وكان مِن حديث هذه الأَبياتِ ما رواه أَبو تمام (فى الحماسة) : أَنَّ سالم بن قُحفان جاءَ إليه أَخو امرأَتهِ زائرًا فأَعطاه بعيرًا من إبله وقال لامرأَته : هاتى حَبلاً يَقرِن به ما أَعطيناه إلى بعيره . ثم أَعطاه بعيرًا آخر وقال مثل ذلك ، ثم أَعطاه مِثلَ ذلك، فقالت : ما بقِى عندى حَبل ! فقال : « علىَّ الجمالُ وعليكِ الحبالُ » . وأَنشأَ يقول :

أبيات الشاهد

لقد بكَرتْ أُمُّ الوليـد تَلومُنِـى ... ولم أَجْتَرمْ جُرْماً فقلت لها مَهْلاَ[1]
فلا تَعْذِلينى بالعطاءِ ويَسِّـرى ... لـكلِّ بعيرٍ جاءَ طالبهُ حَبْـلاَ
فإِنِّىَ لا تبكى عَلَىّ إِفَالُهـا ... إذا شَبِعَتْ من روضِ أَوطانها بَقْلاَ
فلم أَرَ مثلَ الإِبْلِ مالاً لمُقْتَـنٍ ... ولا مثلَ أَيَّامِ الحُقوقِ لها سُبْلاَ

فرمَت إليه خِمارَها وقالت : صيِّرْه حبلاً لبعضها . وأَنشأَت تقول :

حلفت يميناً يا ابن قحفان .... الأَبيات الثلاثة . انتهى .

ولم يتكلم الخطيب التّبريزى بشىءٍ (فى شرحه) على هذه الأَبيات.

والإِفال : أَولاد الإِبل . قال ابن المستوفى فى قوله :

* فإِنِّىَ لا تبكى علىّ إفالُها *

---

(١) انظر الحماسة ١٥٨١ ثم ١٧٢٦ بشرح المرزوقى ؛ فقد أنشدت الأبيات فيها مرتين مع خلاف فى الترتيب والنص .

قولين : أحدهما أنَّ الإبل بَهَائمُ لا تَهتَمُّ بى إذا مِتّ ، بل تَربَعُ وتَشْبَع . والثانى : موتى عندها وأنا أنحرُها أحبُّ إليها ، فلعلَّه يأُخذها من لا ينحرها ، ولا يغمُّهما موتِى لأنّى جوادٌ . انتهى .

وقال أبو عبيد البكرى (فيما كتبه على أمالى القالى) : إنَّ هذا مأخود من قول ضَمْرة بن ضمرة :

أرأيتَ إنْ صَرخَتْ بليلٍ هامَتِى   وخرجت منها بالياً أثــوابى[1]
هل تَخمِشن إبلى علىَّ وجوهها   وتُعصِّبنَّ رءُوسَها بسِـلابِ[2]

والسِّلاب : عصائب سُود . يقال امرأة مسلِّبة ، إذا لبست السَّوادَ حداداً .

سالم بن قحفان

وسالم بن قُحفان بضم القاف وسكون المهملة بعدها فاءٌ ، لم أقف له على خبرٍ ، ولا على زوجته ليلى . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[3] :

(حَرَاجيجُ ما تَنفكُّ إلاَّ مناخةً   على الخَسْف أو نَرمِى بها بلدًا قَفْرا)

على أنَّه خُطِّئَ ذو الرمَّة فيه ، لأنَّ ما تنفكُّ وأخواته بمعنى الإيجاب من حيث المعنى ، لايتَّصل الاستثناءُ بخبرها ، كما بيَّنه الشارح المحقق . ٥٠

(١) السمط ٦٣١ ، ٦٦١ . وفى ط : « إن سرحت بليل همتى » ، صوابه فى السمط فى الموضعين . وفى ش مع أثر تصحيح ، ويروى : « صدحت » .

(٢) فى السمط : « أو تعصبن رءوسها » .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٢٨ . وانظر معانى الفراء ٣ : ٢٨١ والمحتسب ١ : ٣٢٩ والموشح ٢٨٦ ، ٢٨٧ وابن الشجرى ٢ : ١٢٤ وابن يعيش ٧ : ١٠٦ والضرائر ٧٥ ، والإنصاف ١٥٦ والمغنى ٧٣ والهمع ١ : ١٢٠ ، ٢٣٠ والأشباه والنظائر ٣ : ٧٠ والأشمونى ١ : ٢٤٦ ويس ١ : ١٨٥ ، وديوان ذى الرمة ١٧٣ .

وذكر عنه جوابين :

أَحدهما: أَنَّ تنفك تامَّةٌ ومناخةً حال ، وعلى الخسف متعلق بمناخة ، ونرمى معطوف على مُناخة .

وثانيهما : أَنَّها ناقصة ، وعلى الخسْف خبرها ، ومناخة حال . وذكر ما وردَ على هذا الجواب .

والمخطئ هو أَبو عمرو بن العلاءِ[١] . قال المرزُبانى(فى كتاب الموشح): أَخبرنى محمد بن يحيى ، حدثنا الفَضْل بن الحُباب ، حدَّثنا بكر بن محمد المازنى ، حدَّثنا الأَصمعى ، سمعتُ أَبا عمرِو بنَ العلاءِ يقول : أَخطأً ذو الرمة فى قوله :

حَرَاجيجُ مُا تنفكُّ إلاَّ مُناخَـةً . . . . البيت

فى إدخاله إِلَّا بعد قوله « ما تنفك » .. قال الصُّولى : وحدَّثنا محمد ابن سـعيد الأَصمّ ، وأَحمد بن يزيد ، قالا : حدثنا يزيدُ المهلبيُّ عن إسحاق الموصلِىِّ أَنَّه كان يُنشد هذا البيت لذى الرمة :

* حراجيجُ ما تنفكُّ آلاً مناخة *

والآل : الشَّخص . ويحتجُّ ببيته الذى ذكر فيه الآلَ فى غير هذه القصيدة ، وهو قوله :

فلم نَهبِطْ على سَفَوانَ حتَّى طَرَحْنَ سِخالَهنَّ وصِرنَ آلا[٢]

وعلى هذا يكون « آلا » خبر تنفكُّ ، ومناخة صفته ، وأَنَّث الصِّفة

---

(١) الكلام بعده إلى « العلاء » التالية ساقط من ش .

(٢) وكذا فى الموشح ، وفى ضرائر ابن عصفور : « فما بلغت بنا سفوان » ،و : « فصرن آلا». والبيت فى ديوان ذى الرمة ٤٣٩ برواية :

فـلم نهبط علـى سفـوان حتى طرحـن سخالهـن وإضـن آلا

لأنَّ الشخص ممَّا يؤنَّث ويذكَّر . فرواية « إلاَّ » بالتشديد غلطٌ من الرَّاوى لا من القائل . ويردُ عليه أنَّ ذا الرمّة لما قرأ البيتَ عند أبى العلاء غلَّطه فيه بما ذكره النحويُّون .

وقال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : إنَّ ذا الرمَّة لمَّا عِيبَ عليه قوله ما تنفكُّ إلاَّ مناخة فَطِنَ له فقال : إنَّما قلت : « آلاً مُناخة » أى شخصاً .

وكذا قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) قال ابن الأَنبارىّ (فى الإنصاف) : الآل : الشَّخص . يقال هذا آلٌ قد بدا ، أى شخصٌ . وبه سُمِّىَ الآلُ ؛ لأنَّه يرفع الشخوص أَوَّلَ النهار وآخِرَه .

وبه يضمحلُّ توقُّف ابنِ المُلاَّ الحلبى (فى شرح المغنى) ، فى قوله : بقِىَ شىءٌ ، وهو أنَّ صاحب القاموس على تبحُّره لم يذكُرْ مجىءَ الآل بمعنى الشَّخص[1] . انتهى .

وخرَّجه المازنى (كما قال ابن يعيش) على زيادة إلاَّ ، وتبعه أبو على (فى القَصْريَّات) وقال : إلاَّ ههنا زائدة ، لولا ذلك لم يجزْ هذا البيت ، لأنَّ تنفكُّ فى معنى تزال ، ولايزال[2] لا يُتكلَّم به إلاَّ منفيًّا عنها . انتهى.

ونسب ابن هشام (فى المغنى) هذا التخريجَ إلى الأَصمعىِّ وابن جنِّى ، قال : وحملَ عليه ابنُ مالكٍ قولَه :

* أرى الدَّهر إلا منجنونًا بأَهلِه[3] *

وإنما المحفوظ : « وما الدَّهر إلَّا » . ثُمَّ إنْ ثبتَتْ روايتُه فتتخرَّج على

---

(١) هذا غير صحيح ، فإن صاحب القاموس ذكر الآل بمعنى الشخص فى مادة (أول) .

(٢) ش : « ولا تزال » بالتاء .

(٣) مجهول القائل كما فى معجم الشواهد . وعجزه :

* وما صاحب الحاجات إلا معذبا *

أنَّ أرى جوابٌ لقسم مقدَّر ، وحذفت لا كحذفها فى : ﴿ تاللهِ تَفتؤُ ﴾[١] ودلَّ على ذلك الاستثناءُ المفرَّغ . انتهى .

ولم يذكر ابن عصفورٍ غيرَه وغير احتمال التَّمام ، لكنَّه جعله من الضَّرائر . قال : ومنها زيادة إلاَّ فى قوله :

أرى الدَّهرَ إلاَّ منجنونًا . . . . البيت

هكذا رواه المازنى ، يريد : أرى الدهر منجنونًا . وكذلك جَعَلها فى قول الآخر :

ما زالَ مُذْ وجفَتْ فى كلِّ هاجـرةٍ بالأشعثِ الْوَرْدِ إلَّا وهو مَهمومُ[٢]

يريد : هو مهموم ، فزاد إلاَّ والواوَ فى خبر زال .

وفى قول الآخَر :

وكلُّهمُ حـاشاكَ إلاَّ وجـدتُه كعَينِ الكذوب جَحْدُها واحتفالُها[٣]

يريد : وكلُّهم حاشاك وجَدْته .

وفى قول ذى الرمة :

حراجيج ما تنفكُّ إلَّا مُناخةً . . . . البيت

يريد : ما تنفكُّ مناخة .

---

(١) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٢) لذى الرمة فى ديوانه ٥٨٤ ، واللسان (شعث ٤٦٦) . وجفت : أسرعت ، يعنى الرياح . وجفت الرياح بالأشعث ، أى جرت ذيلها عليه . والأشعث الورد هو الصفار ، وهو شوك البهمى إذا يبس ، وإنما اهتم الحمار لما رأى البهمى هاجت ، وقد كان رخى البال وهى رطبة . من شرح الديوان واللسان . ويروى : « فى كل ظاهرة » ، وهى ما ارتفع من الأرض .

(٣) وكذا ورد بدون نسبة فى معانى الفراء ١ : ١٤٠ .

ويحتمل أن يُجعَل زال وتنفكُّ تامّتين وتكون إلاّ داخلةً على الحال.

وكذلك تُجعل إلاَّ فى قوله : ٥١

* وكلُّهمُ حاشاكَ إلاَّ وجدتُه *

إيجابًا للنفى الذى يُعطيه معنى الكلام ، أى ما مِنهم أحدٌ حاشاك إلّا وجدتُه . وعليه حَمله الفرّاءُ . وأمَّا « أرى الدهر إلاَّ منجنونًا » فلا تكون إلاَّ فيه إلاَّ زائدة . انتهى .

وقد رأيتَ تخريجَ ابنِ هشام بيتَ المنجنون .

وأوّل مَنْ ذهب إلى أَنَّ تنفك فى بيت ذى الرمة تامَّةٌ هو الفرّاءُ (فى تفسيره)، عند قوله : ﴿ لم يكنِ الذين كفروا مِنْ أهلِ الكتابِ والمُشْرِكِين مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البيِّنة[1] ﴾ : قد يكون الانفكاك على جهةِ يَزال ويكون على الانفكاك الذى تعرفه . فإذا كانت على جهة يزال فلا بدَّ لها مِن فعل وأن يكون معها جَحد ، فتقول : ما انفككت أذكرك ، تريد: مازلت أذكرك . فإذا كانت على غير معنى يزال قلت : قد انفككت منك ، وانفكَّ الشيء من الشيء ، فيكون بلا جَحْدٍ وبلا فعلٍ . وقد قال ذو الرمة :

قلائص لا تنفكُّ إلاَّ مُناخةً . . . . البيت

فلم يدخل فيها «إلّا» إلاَّ وهو ينوى بها التَّمامَ وخلافَ يزال ، لأنَّك لا تقولُ : ما زلت إلاَّ قائما . انتهى كلامه .

ونسبه ابن الأَنبارى (فى الإنصاف) إلى الكسائِىّ ، قال : وهذا الوجهُ رواه هِشامٌ عن الكسائى .

---

(١) الآية الأولى من سورة البينة .

وبما ذكرنا يُعلَم أنَّ قول المُرادى (فى شرح التسهيل) : وخرَّجه قومٌ منهم على أنَّها ناقصة ، خلافُ الواقع . وتنفكُّ على هذا مطاوع فَكَّه ، إذا خلَّصه أو فصَله .

قال الزمخشرى (فى حواشى المفصل) : وفى تصحيح البيت وُجَيهٌ ، وهو أن يريد لا تنفك عن أوطانها ، أى لا تنفصل عنها ، إلاَّ ولها بعد الانفصال هاتان الحالتان : إمَّا الإناخة على الخَسْف فى المراحل ، أو السَّيرُ فى البلد القَفْر . انتهى .

وبهذا يظهر قول الشارح المحقِّق : مناخةً حال ونَرمِى معطوف عليه.

وقال ابن عقيل والمُرادى (فى شرحَيْهما للتسهيل) : كأنَّه قال : ما تتخلَّص أو ما تنفصِل عن السَّير إلاَّ فى حال إناختها على الخسف ، وهو حبسُها على غير عَلَف . يُريد أنَّها تُناخ مُعدَّةً للسَّير عليها ، فلا تُرسَل من أجل ذلك فى المرعى. وأوْ بمعنى إلى،وسكَّن الياءَ للضَّرورة.انتهى.

والوجه الأوَّل أوجَهُ . و (الخَسْف) بفتح المعجمة : النَّقيصة ، يقال رَضِىَ بالخَسْف ، أى بالنَّقيصة . وبات على الخَسْف أى جائعاً . وربطت الدَّابةَ على الخَسْف، أى على غير عَلَف . و (على) بمعنى مَع . وقال الشارح المحقق : جعل الخَسْف كالأرض التى يُناخ عليها ، كقوله :

* تحيَّة بينهِمْ ضربٌ وجيعُ[1] *

يريد أنَّ الإناخة إنَّما تكون على العَلْف ، فجعل الخسف بدلاً منه ، كما جُعِل الضربُ الوجيع بدلاً من التحية . و (نرمى) بالنون مع البناء للمعلوم ، ويروى (يُرمَى) بالمثناة التحتية مع البناء للمفعول . و (بها)

(١) لعمرو بن معديكرب ، وهو الشاهد التالى برقم ٧٣٧ .

نائب الفاعل ، وبلدًا ظرف للرَّمى ، وهو بمعنى المكان والأَرضِ لا بمعنى المدينة . و (الحُرجوج) كعصفور : النَّاقة الضامرُ[1]، قاله أَبو زيد .
وقد روى (مُناخةٌ) بالرفع أَيضًا . قال ابن المستوفى : قال أَبو البقاءِ : رُوى مُناخةٌ بالرفع على أَنَّه خبر مبتدإٍ محذوف ، وموضع الجملة حال ؛ وبالنَّصب على الحال ، وتكون تنفكُّ تامة .

وكَذَا رواه ابنُ الأَنبارىٍّ (فى الإِنصاف) .

وأَمَّا التخريج الثانى من التخريجين اللذين ذكرهما الشارح المحقِّق فهو للأَخفش أَبى الحسن سَعيدِ بن مَسْعَدَة المجاشعى ، قال (فى كتاب المعاياة) : أَراد : لا تنفكُّ على الخسف أَو نرمى بها بَلَدًا قَفْرًا إلاَّ وهى مناخةٌ ؛ لأَنَّه لا يجوز لا تنفكُّ إلا مناخة ، كما لا تقول : لا تزال[2] إلَّا مناخة . انتهى .

٥٢ وقد تبعه على هذا جماعةٌ منهم الزَّجاج . قال ابنُ جنِّى فى بعض أَجزائه : وقد قال فيه بعض أَصحابنا قولاً ، أُرَاهُ أَبا إسحاق ، ورأَيت أَبا علىٍّ قد أَخَذَ به ، وهو أَن يُجعَل خبر ما تنفكُّ الظَّرفَ ، كأَنَّه قال : ما تنفك على الخَسف ، ونصب [مناخة[3]] على الحال ، وقدّم إلاَّ عن عن موضعها . وقد جاءَ فى القرآن والشِّعر نَقْلُ إلاَّ عن موضعها . انتهى .

ومنهم أَبو البقاءِ ، قال : يجوز أَن تكون تنفكُّ الناقصةَ ، ويكون على الخَسْف الخبر ، أَى ما تنفكُّ على الخسف إلَّا إذا أُنيخت . وعليه المعنى . انتهى .

---

(١) كذا فى النسختين . يقال ناقة ضامرة وضامر أيضاً بغير هاء ، ذهبوا إلى النسب ، أى ذات ضمر ، كما قالوا : لابن وتامر . وانظر القاموس واللسان (ضمر) .
(٢) ط : « لا تزول » ، صوابه فى ش .
(٣) تكملة يفتقر الكلام إليها .

وقد ردَّه جماعةٌ منهم صاحب (اللُّباب) ، وهو محمد بن محمد بن أحمد الأَسفَرَاينى المعروف بالفاضل ، قال فيه : وخُطِّئَ ذو الرمَّة فى قوله : حراجيج لا تنفكُّ إلاَّ مناخة ، والاعتذار بجعله حالاً وعلى الخسف خبرًا ضعيفٌ ، لِمَا أَنَّ الاستثناءَ المفرَّغ قلَّمَا يجىءُ فى الإثبات ، ويقدَّر المستثنى منه بعده . وتقدير التّام فى تنفك أَحسَنُ منه . والله أَعلم . انتهى .

قال شارحه الفالىّ[1] : معناه أَنَّ الاستثناءَ المفرَّغ فى الإثبات قليل. وبَعدَ تسليمه إنَّما يأْتى إذا قدِّر المستثنى منه قبله لفظًا وههنا يقدَّر بعده ؛ لأَنَّ قوله إلاَّ مناخة مستثنى من[2] أَحوال الضمير المستترِ فى على الخسف أَى ما تنفكُّ مهانةً مظلومة فى جميع الأَحوال ، إلاّ فى حال الإناخة . وذلك غير معهودٍ فى الاستثناءِ المفرَّغ ، فإنَّ أَعمَّ العامّ فى الاستثناءِ المفرَّغ يقدَّر قبله لا بعده ، فإنَّك إذا قلت : ما ضربتُ إلا راكبًا ، فالتقدير : ما ضربت فى حالٍ من الأَحوال إلاَّ فى حال الركوب. ولذا جاز فى الإثبات نحو قرأْت إلاَّ يومَ كذا ، التقدير : قرأْت فى جميع الأَيَّام إلاَّ يومَ كذا . فالمستثنى منه يقدَّر قبل الاستثناءِ لا بعدَه . انتهى

ومنهم الشارح المحقِّق كما حرَّره .

ومنهم ابن هشام (فى المغنى) قال فيه : قال جماعةٌ كثيرة : هى ناقصةٌ ، والخبر على الخسف، ومناخة حال . وهذا فاسدٌ لبقاءِ الإشكال ، إذْ لا يقال : جاءَ زيد إلاَّ راكبًا . انتهى .

وقول أَبى البقاءِ : «وعليه المعنى» مردودٌ ؛ فإنَّ الحاليَّة سواءٌ نصبتَ مناخةً أَو رفعتَها كما رُوِىَ ، بتقدير مبتدإٍ محذوف ، والجملة حال ،

---

(١) الفالى ، بالفاء . وقد جاء فى النسختين بالقاف ، وهو تصحيف نبهت على صوابه مراراً . انظر منها حواشى ١ : ٣٣٨ .

(٢) ط : «عن» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

يكون التقدير فيها : هى مستمرَّةٌ على الخسف فى كل حال إلاَّ حالَ الإناخة ، فإنَّها تكون حينئذ ذاتَ راحة . وهذا غيرُ مرادِ الشَّاعر ، إذْ مرادُه وصفُ هذه الإبل بأنَّها لا تتخلص من تعبٍ إلاَّ إلى مثلِه ، فليس لها حالُ راحةٍ أَصلاً .

وسيبويه قد أَورد هذا البيتَ فى باب أَو التى ينتصبُ بعدها المضارع بإِضمار أَنْ ، قال : ولو رفعتَ لكان عربيًّا جائزًا على وجهين : على أَن تشرك بين الأَوَّل والآخر ، وعلى أَن يكون مقطوعًا من الأَوَّل . قال تعالى : ﴿سَتُدْعَوْنَ إلى قومٍ أُولِى بَأْسٍ شديدٍ تُقاتِلُونَهم أَو يُسلِمُون[1]﴾ إنْ شئتَ كان على الإشراك، وإن شئتَ كان على : أَوْ وهم يُسلمون . وقال ذوالرمة :

حراجيج لا تنفكُّ إلاَّ مناخة . . . . البيت

فإِنْ شئتَ كان على لا تنفكُّ نَرمِى ، أَو على الابتداءِ . انتهى .

يريد بالأَوَّل العطف على خبر تنفكُّ ، وبالثانى القَطْع .

قال النحاس : سأَلتُ عنه عليًّا ، يعنى الأَخفش الصغير ، فقال : لك أَن تجعل نرمى معطوفًا ، ولك أَن تقطعَه ، ولك أَن تقدِّر أَو بمعنى إلى أَنْ وتُسكِّن الياءَ فى موضع نصب .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلةٍ لذى الرُّمَّة ، يُقال لها أُحجيَّة العرب . وأَوَّلُها :

أبيات الشاهد

(لقد جَشَأَتْ نفسى عَشِيَّةَ مُشرف
ويَومَ لِوَى حُزْوَى فقلتُ لها : صَبْرَا[2]

تحنُّ إلى مَىٍّ كمــا حَنَّ نازعٌ
دَعَاهُ الهوى فارتَادَ من قَيدِه قَصْرا)

٥٣

(١) الآية ١٦ من سورة الفتح .

(٢) ديوان ذى الرمة ١٦٩ — ١٧٣ .

جَشأَتْ : نهضتْ . ومُشرِف وحُزْوىَ : موضعان . واللِّوى : منقطَع الرمْل . وصبرًا : اصبرى [١] . والنازع : البعير يحنُّ إلى وطنه . فارتاد من قيده قصرًا ، أى طلب السَّعة فوجده مقصوراً . ويقال : ارتاد جَدْبًا وارتاد خيرًا ، أى طلب الخِصْب فوقع على جَدْب . إلى أنْ قال :

(فيامَىّ ما أدراكِ أينَ مُناخنا
مُعرَّقَةَ الألْحِى يمانيَّة سُجْرا

قد اكتفلَتْ بالحَزْنِ واعوَّج دُونَها
ضواربُ من خَفَّان مجتابةً سِدْرا

حراجيج ما تنفك إلاَّ مناخة ...... البيت

أَنَخْنَ لتعريسٍ قليل فصارفٌ يغنِّى بنابيهِ مُطلَّحةً صُعْرا)

مُعرَّقة الألحِى : قليلة لحم الألحِى ، جمع لَحْى . وإذا كثُر لحمُ لحيها فهو عيبٌ . يقال : ناقةٌ سَجْراءُ : تضرب إلى الحمرة .

وقوله : « قد اكتفلت بالحزن » أى صَيَّرتَ الناقة الحزنَ خلفَها ، كالرَّجُل الذى يركب الكِفْل فإنَّما يركب على أقصى الكِفْل ؛ كما تقول : اكتفلت الناقةَ ، أى ركبت موضع الكِفْل مِن النَّاقة . والحزن : ما غلُظَ من الأرض . والضَّارب : منخفضٌ كالوادى . وخَفَّان : موضع . ومجتابةً سِدْرًا ، أى لابسة سدرًا [٢] . واعوَجَّ ، يعنى : الضَّواربُ لَيْسَتْ على جهةِ النَّاقة .

والحراجيج : الضُّمَّر . والخَسْف : الجوع ، وهو أن تبيتَ على غيرَ علف ، والتَّعريس : النزول فى آخر اللَّيْل . وصارفٌ : أى فبعضُها صارفٌ

(١) ش : « واصبرى صبرا » .

(٢) فى شرح الديوان أن « سدر : مكان » . وفى بعض نسخ الديوان أن المراد بالسدر هنا هو شجر النبق . انظر تحقيق عبد القدوس صالح ص ١٤١٨ .

يَصرِف بنابيه من الضُّجر والجَهْد . ومُطلَّحة : مُعْيِيَة . وصُعْر : فيها مَيَلٌ من الجَهْد والهزال .

وهذا نقلته من شرح ديوانه .

وترجمته تقدَّمَت فى الشاهد الثامن من أوّل الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٢] :

٧٣٧ (تحيَّةُ بينهِمْ ضربٌ وجيعُ).

على أنَّه جَعَل الضَّرب الوجيع كالتحيَّة ، كما جُعل الخسفُ كالأَرض التى يناخ عليها .

يريد أَنَّ الخَسْف جُعِل بدلاً من الأَرض ، كما أَنَّ الضرب جُعِل بدلاً من التحية ، ولا يريد أَنَّهما من باب التشْبيه ، فإنَّه غير صحيح فيهما ؛ فإنَّ الأَوّل ليس فيه من أَركان التشبيه غير الخسف ، ولا يقال لمثله إلا استعارة ، وإنْ كان أَصله التشبيه . فإن كان المشبه به مذكوراً والمشبه غير مذكور فهو استعارة تصريحيَّة ، وإن كان بالعكس فهو استعارة بالكناية . والخسف وإن أَمكن أَن يُجعَل من الاستعارة بالكناية ، لكنَّه لمَّا شُبِّه بما بعده عُلم أَنَّ مراده أَنَّه من باب التنويع ، كما يأْتى بيانه . وأَمَّا الثانى فهو ليس من التشبيه قطعًا ،

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٥ ، ٤٢٩ . وانظر النوادر ١٥٠ والمقتضب ٢ : ٢٠/٤ : ٤١٣ والخصائص ١ : ٣٦٨ والعمدة ٢ : ٢٢٤ وابن يعيش ٢ : ٨٠ والتصريح ١ : ٣٥٣ ويس ١ : ٣٥٣ ٣٥٤ والحماسة بشرح المرزوقى ٢٤٦ ، ٦٤١ ، ١٣٨٧ ، ١٤٨١ ، ١٧٦٥ .

إذ المعهودُ فى مثله أَنْ يشبَّه الأَوّل بالثانى لا العكس ، إذ لا يقال فى زيد أَسدٌ : إنَّ أَسدًا مشبَّه بزيد . ولم يجيزوا أَيضًا أَنْ تشبَّه التحيَّة بالضرب ، لأَنَّه من باب التنويع ، وهو من خلاف مقتضى الظاهر ، وهو ادِّعَاءُ أَنَّ مسمَّى اللفْظ نوعان : متعارَف وغير متعارف ، على طريق التخييل ، بأَنْ ينزَّل ما يقع فى موقع شىءٍ بدلاً عنه ، مَنزِلتَه بدونِ تشبيهٍ ولا استعارةٍ ، سواءٌ كان بطريق الحمل ، كقوله :

٥٤ * تحية بينهم ضربٌ وجيعُ *

أَو فى الاستثناءِ المنقطع ، كقوله :

وبلدةٍ ليس بهـا أَنيسُ إلاَّ اليعافيرُ وإلاَّ العِيسُ[(١)]

على معنى أَنيسها اليعافير . أَى إنْ كان يعدُّ أَنيسًا فلا أَنيس إلاَّ هوَ. أَو بدونهما كقوله :

غضبت حنيفةُ أَن تُقتَّلَ عامرٌ يومَ النِّسارِ فأُعْقِبُوا بالصَّيْلَمِ[(٢)]

أَى إنَّهم لمَّا طلبوا إلينا العُتبَى وضعنا لهم السَّلاح مكانها . وهذا تهكُّم . والصَّيلم : الدَّاهية .

وحيث أُطلِقَ التنويعُ فالمراد به [هذا[(٣)]] ، كما تراهم يقولون : من باب :

* تحيةُ بينِهِمْ ضربٌ وجيعُ *

---

(١) لجران العود فى ديوانه ٥٣ ، وهو الشاهد ٨٠٤ فيما سيأتى .

(٢) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ١٨٤ ، والمفضليات ٣٤٦ . وفى النسختين : « عامرا » صوابه بالرفع كما فى الديوان والمفضليات واللسان (عتب ، صلم) . ويروى أيضاً : « فأعقبوا » و « فأغضبوا » ثلاث روايات .

(٣) التكملة من ش .

فيجعلون المثالَ أَساسًا وقاعدة ، وليس من المجاز فى شىءٍ ؛ لأَنَّ طرفيه مستعملان فى حقيقتهما ؛ ولا تشبيهًا كما صرَّحوا به ، بل التَّشبيه يعكس معناه ويُفسِده .

قال الشيخ (فى دلائل الإعجاز) : اعلم أَنَّه لا يجوز أَنْ يكون سبيل قوله :

* لعابُ الأَفاعى القاتلاتِ لعابُهُ[1] *

سبيلَ قولهم : « عتابُه السَّيف » . وذلك لأَنَّ المعنى فى بيتأَبى تمام على أَنَّك تشبه شيئًا بشىءٍ لجامعٍ بينهما فى وصف . وليس المعنى فى عِتابُك السيف على أَنَّك تشبِّه عتابه بالسيف بدلاً من العتاب . أَلا ترى أَنَّه يصح أَن تقول مِدادُ قلمه قاتلٌ كسمٍّ الأَفاعى ، ولا يصحُّ أَن تقول عتابُكَ كالسَّيف، اللهمَّ إلاَّ أَن تخرُجَ إلى باب آخر وشىءٍ ليسهو غرضَهم بهذا الكلام ، فتريد أَنَّه قد عاتب عتاباً خشِناً مؤْلماً . ثم إنَّك إذا قلت السَّيف عتابك ، خرجْتَ به إلى معنىً ثالث[2] ، وهو أَنْ تزعم أَنَّ عتابَه قد بلغ فى إيلامه وشدّة تـأْثيره مبلغًا صار له السيفُ كأَنَّه ليس بسيف. انتهى .

وليس هذا من قبيل التشبيه الذى ذُكر معه ما يُحيلُ دخولَ أَداة التشبيه كقوله :

* أَسدٌ دمُ الأَسدِ الهِزبرِ خضابُه *

---

(١) عجزه فى ديوان أبى تمام ٢٥٧ ، ودلائل الإعجاز ٢٣٨ :

* وأَرىُ الجنى اشتارته أيد عواسل *

(٢) فى النسختين : « حادث » ، صوابه من دلائل الإعجاز .

فإنَّه لا سبيلَ إلى التصريح بأداة التشبيه ، لدلالة التشبيه على أنَّه دون الأَسَد ، ودلالة الوصف على أنَّه فوقَه. فالوصف مانعٌ. وأمَّا هنا فالتشبيه يَعكِس المعنى المرادَ . وأيضًا فإنَّ المقصود نفيُ ما صدَّر بِهِ ، يعنى لا تحيَّة بينهم . والتشبيه لا يفيد هذا المعنى .

وليس الشيخ أَبا عُذرةِ هذا ، بل صرَّح به النحاة ، منهم سيبويه ، وقد فصله فى باب الاستثناءِ من كتابه ، ونقله ابن عصفور وابن الطرواة قالوا : إذا كان المبتدأُ والخبر معرفتين إمَّا أَن تكون إحداهما قائمةً مقام الأُخرى ، أَو مشبَّهةً بها ، أَو هى نفسُها . فإن كانت قائمةً مقامَها كان الخبر ما تريد إثباته ، نحو قول عبد الملك بن مروان : « كان عقوبتك عَزْلَك » ، وكان زيْدٌ زهيرًا . فالعزلُ ثابتٌ لا العقوبة . والتشبيه بزهير ثابت . ولو قلتَ : كان عزلُك عقوبتَك كان معاقَبًا لا معزولا . ولو قلتَ : كان زهير زيدًا ، أَثبتَّ التشبيه لزهير بِزيد.

قال ابن الطَّراوة : وقد[1] غلط فى هذا أَجِلَّةٌ من الشُّعراءِ ، منهم المتنبِّى فى قوله :

ثيابُ كريمٍ ما يصُونُ حِسانَها إذا نُشِرَتْ كان الهباتُ صوانَها[2]

فذمَّه وهو يرى أَنَّه مدحَه . أَلا ترى أَنَّه أَثبت الصَّونَ ونفى الهبات، كأَنَّه قال : الذى يقوم لها مقام الهباتِ أَن تصان . وقد أُجيب عن المتنبى.

---

(١) فى ط : « قد غلط » مجردة من الواو .

(٢) مطلع قصيدة له فى ديوانه ٢ : ٣٩٠ يمدح بها سيف الدولة وقد أهدى له ثياب ديباج ، ورمحاً ، وفرساً ، ومهراً . قال العكبرى : « رفع ثياب على تقدير : عندى ثياب ، أو أتتنى ثياب » . وفى الشرح أيضاً : « يقول : أتتنى ثياب من كريم لا يصون الثياب الحسنة ، ولكن يهبها ، فليس لها صوان إلا الهبات ، فلا يتركها فى التخت ، بل يهبها . قال الواحدى : ويجوز أن يكون ما يصونها من منديل ونحوه يكون هبة أيضاً » .

فإذا لم يكن فى شىءٍ من أطرافه تجوُّز ولم يُقصَد التشبيه فهو حقيقة ، بجعلِ بدلِ الشىءِ القائم مقامه فردًا منه ادّعاءً. فالتصرُّف فى النسبة ، ألا ترى لو قلت إنْ كان الضرب تحيّةً فهو تحيَّتهم ، كان حقيقةً قطعًا. فجعل الغرض المقدَّر كالظاهر ، وهو نوعٌ على حِدَة ، من خلاف مقتضى الظاهر .

٥٥

وأمَّا وجه بلاغته وعلى ماذا يدلُّ ، فقد حقَّقه صاحب (الكشَّاف) فى مواضع : منها أنَّه قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿يومَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنُون[1]﴾ الآية : هو من باب :

* تحيّةُ بينهِمْ ضربٌ وجيعُ *

وما ثوابهُ إلاَّ السيف . وبيانه أن يقال : هل لزيد مال وبنون ، فتقول : ماله وبنوه سلامةُ قلبه . تريد نفىَ المالِ والبنينَ عنه ، وإثباتَ سلامةِ القلب له بدلاً عَنْ ذلك.

وقال فى موضع آخر : إنَّه يدلُّ على إثبات النفى[2] ؛ فمعنى : « ليس بها أنيسُ إلاَّ اليعافير » : أى إنَّه لا أنيسَ بها قطعًا . لأنَّه جعل أنيسها اليعافير دون غيرها . وهى ليست بأنيسٍ قطعًا . فدلَّ على أنَّه لا أنيس بها . وهو قريبٌ مما لوقلت : إن كانت اليعافير أنيسًا فإنَّها أنيس . ووجه دَلالته على إثبات النفى[3] أنَّه استعملته العرب مرادًا به الحصر ، فإنَّ الكلام قد يدلُّ عليه ، نحو : الجواد زيد ، والكرم فى

(١) الآية ٨٨ من سورة الشعراء .

(٢) ط : « ثبات النفى » .

(٣) ط : « ثبات النفى » .

العرب، وشرٌّ أهرَّ ذا ناب. ولذا ذكره النحاة فى باب الاستثناء. والحصرُ الملاحَظُ فيه جارٍ على نَهْج الاستثناء المنقطع، لأنَّه من التنويع عند الخليل. فعلى هذا وضَحَ إفادته ثَبات النفى[1] وظهرعدم التجوُّز فىمفرداته وأنَّه لا يتصوّر فيه التشبيه.

وأما قوله فى المائدة فى تفسير: ﴿بِشَرٍّ مِنْ ذلكَ مَثُوبةً[2]﴾ فإنْ قالت: المثوبة مختصَّة بالإحسان فكيف جاءت فى الإساءة، قلت: وضعت المثوبة موضعَ العقوبة على طريقة قوله:

* تحية بينهم ضربٌ وجيع *

ومنه: ﴿فبشِّرْهُم بعذابٍ أليم[3]﴾. انتهى.

فمراده أنَّ الآية من باب الإيجاز، وأنَّ فى الكلام تنويعًا مقدّراً. وهذا تفريعٌ مبنىٌّ عليه. والتقدير: إنْ نَقَمتم منهم وادَّعيتم لهم العقوبة فعقوبتهم المَثُوبة. وقد صَرَّح فى سورة مريم، وهذا دأْبه، يُجمِل فى محلّ ويفصِّل فى آخر.

وقال فى تفسير قوله تعالى: ﴿والباقياتُ الصَّالحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ ربِّك ثوابًا[4]﴾: فإن قلت: كيف قيل خيرٌ ثواباً، كأنَّ لمفاخراتهم ثوابًا حتَّى يجعل ثوابُ الصالحات خيرًا منه؟ قلت: كأنَّه قيل: ثوابهم النار، على طريقة قوله:

---

(١) اتفقت النسختان هنا على « ثبات النفى ».

(٢) الآية ٦٠ من سورة المائدة.

(٣) من الآية ٢١ من آل عمران و ٢٤ من التوبة، كما أنها الآية ٢٤ من الانشقاق.

(٤) من الآية ٤٦ من سورة الكهف و ٧٦ من مريم. والكلام بعده إلى « قلت » الثانية ساقط من ش.

* فأَعتِبُوا بالصَّيْلم *

وقوله :

* تحيّة بينهم ضربٌ وجيعُ *

ثم بُنِيَ عليه خير ثواباً . وفيه ضربٌ من التهكُّم الذى هو أَغْيَظُ للمتهدَّد من أن يقال له : عقابُك النار . انتهى .

والمُراد أَنَّ بعضَ التَّنويع قد يُستعْمَل فى مقامِ التهكُّم . وقد صرح به ابن فارس (فى فقه اللغة الصاحبى[1]) فى باب ما يجرى مجرى التهكُّم والهُزء ، فقال : ومن هذا الباب أَتانى فقرَيته جَفاءً ، وأَعطيتُه حِرْمانًا . وقولُ الفرزدق :

* قريناهُم المأْثورةَ البيضَ[2] * انتهى .

وقد يستعمل بدونه كما فى قوله : ﴿يوم لا ينفَعُ مالٌ ولا بنون[3]﴾ الاية . وفى الحديث : « من كان له إمامٌ فقراءَة الإمام قراءَةٌ له » وقد فسِّر بهذا المعنى ، ولا يمكن فيه التهكُّم .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

(وخَيلٍ قد دَلفتُ لها بخيــل   تحيَّةُ بينِهِم ضربٌ وجيــعُ)

---

(١) كذا فى النسختين . والمعروف أنه « الصاحبى فى فقه اللغة » .

(٢) كذا اقتصر ابن فارس على هذا الجزء من بيت الفرزدق . وقد وجدته فى ديوانه ٥٦٢ ، والنقائض ٥٦٥ . وهو بتمامه :

قريناهم المأثورة البيض ، قبلهــا   يثج العروق الأزأنى المثقــف

والمأثورة : السيوف التى قد صقلت حتى ظهر أثرها ، أى فرندها وحسنها الذى تراه فى السيف كأنه أرجل نمل . والأزأنى : الرماح المنسوبة إلى ذى يزن . والمثقف : المقوم بالثقاف . يريد : طاعناهم بالرماح ثم صرنا إلى التضارب بالسيوف .

(٣) الآية ٨٨ من سورة الشعراء .

و (الخيل) : اسمُ جمعٍ الفرس لا واحدَ له من لفظه ، والمراد به الفُرسان كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : « يا خيلَ الله اركبى » . وأراد بالخيل الأَوّل خيلَ الأَعداءِ ، وبالثانى خيلَه ، والضمير فى بينهم للخيلين. ودلَفْتُ : دنوت وزَحَفت ، من دلف الشيخ من باب ضَرَب ، إذا مشَى مشيًا ليِّنا . والباءُ للتعدية ، أىْ جَعلتُها دالفــة إليها . فاللام بمعنى إلى .

٥٦ وتحيّة مضاف ، وبينهِم مضاف إليه مجرور بكسر النون ، لأَنّه ظرف متصرِّف ، ولو فتح كان مبنيًّا لإضافته للمبنى .

وزعم ميربادشاه (فى حاشية البيضاوى) أَنَّ معناه إنَّ ضربهم الوجيعَ كتحيّة بينهم ، على التشبيه البليغ المقلوب . وقد بيَّنّا بُطلانه .

ووصف الضَّربَ بالوجيع مجازًا . ويجوز أَن يكون وجيع بمعنى مُوجع ، والمعنى ربَّ خيلٍ للأَعداءِ أَقبلْتُ عليهم بخيلٍ أُخرى كان التحيَّةُ بينهم ضربًا وجيعًا ، أى كان مكانَ التحية هذا النَّوعُ من الضرب .

وقد أَوردَهُ[1] سيبويه فى باب الاستثناء وقال : جَعلوا الضَّرب تحيةً كما جعلوا اتّباع الظنِّ علمهم .

وأَورده ثانيًا فى باب (أَو) وقال : العرب تقول : تحيَّتك الضَّربُ ، وعِتابُك السَّيف ، وكلامُك القتل[2] .

قال الأَعلم : الشاهد فيه جعل الضَّرب تحيَّةً على الاتِّسَاع المقدَّم ذكره . وإنّما ذكر هذا تقويةً لجواز البدل فيما لم يكن من جنس الأَوّل .

---

(١) ط : « أورد » ، صوابه فى ش .

(٢) سيبويه ٢ : ٤٢٩ .

يقول : إذا تلاقَوْا فى الحرب جعلوا بدلاً من تحيَّة بعضِهم لبعض الضربَ الوجيع .

صاحب الشاهد

وهذا البيت نسبه شُرَّاح أَبيات الكتاب وغيرُهم ، إلى عمرو بن مَعْدِ يكربَ الصَّحابى ،ولم أَره فى شعره . والعجب من شيخنا الشِّهابِ الخفاجىّ أَنَّه نسبه إليه (فى حاشية البيضاوى) وقال : هو من قصيدة مَسطورةٍ له فى المفضليات ، مع أَنه غير موجود شعرُه فى المفضليات لا من كثيره ولا من قليله .

قال ابن رشيق (فى العمدة ، فى باب السرقات الشعرية) : ومما يعدّ سَرِقًا وليس بسَرَق اشتراك اللفظ المتعارَف ، كقول عنترة :

وخيـــل قد دلفت لها بخيـل   عليها الأُسْدُ تَهْتَصِرُ اهتصارا[1]

وقول عمرو بن معد يكرب :

وخيـــل قد دلفت لها بخيل   تحية بينهِمْ ضربٌ وجيعُ

وقول الخنساءِ تَرْثى أَخاها صخراً[2] :

وخيـــل قد دلفت لها بخيل   فدارت بين كبشَيْها رحاها

وقول الأَعرابى[3] :

وخيل قد دلفت لها بخيـــلٍ   ترى فُرسانَها مِثْلَ الأُســودِ

وأَمثال هذا كثيرٌ . انتهى[4] .

(١) ديوان عنترة ١١٠ ، والعمدة ٢ : ٢٢٤ .

(٢) ديوان الخنساء ١٤٠ ، والعمدة ٢ : ٢٢٤ . وفى ديوانها : « بجول خيل » .

(٣) الذى فى العمدة : « ومثله » .

(٤) وردت هذه الأبيات فى العمدة على النسق الذى أثبته من ط . وقد سقط البيت الثانى من ش وقدم فيها البيت الأخير على الذى قبله . وورد البيت الأول لعنترة مشوهاً إذ جعل عجزه تكراراً سابقاً لعجز بيت الخنساء .

وإن يكن البيت لعمرو بن معديكرب فقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده :

(إذْ ذَهَبَ القومُ الكِرامُ لَيْسِى)

على أَنَّ (ليس) لنقصان فعليَّتها جاز ترك نون الوقاية معها . وصدره :

* عددت قومى كعَديدِ الطَّيْسِ *

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الثانى والتسعين بعد الثلثمائة[2]

* * *

وأنشد بعده :

(فأَنْتِ طَلاقٌ والطَّلاقُ إليَّةٌ)

وهذا صدر وعجزه :

* ثلاثًا ومن يَخرَقْ أَعقُّ وأَظلَمُ *

على أَنَّ جملة (والطلاق أَليَّة) من المبتدَإ والخبر اعتراضيَّة .

وتقدَّم شرحُه مفصَّلا فى الشاهد الخامس والأَربعين بعد المائتين[3]

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد السبعمائة[4] :

٥٧ ٧٣٨ (وكُونِى بالمَكارِمِ ذَكِّرِينِى)

على أَنَّه جاء خبر كان جملةً طلبيَّة . وهذا مختصٌّ بالشِّعر .

والمعنى : كونى مُذكِّرةً بالمكارم ، وليس يريد كونى بِالمكارم . يقوِّى ذلك قولُه قبلَه :

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٤٤ .
(٢) الخزانة ٥ : ٣٢٤ — ٣٢٧ .
(٣) الخزانة ٣ : ٤٥٩ — ٤٧١ .
(٤) نوادر أبى زيد ٣٠ ، ٥٨ وضرائر ابن عصفور ٢٥٨ والمغنى ٥٨٥ والهمع ١ : ١١٣ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٣٦ .

(أَلَا يا أُمَّ فارعَ لا تَــلُومِى على شىءٍ رفعتُ به سَماعِى
وكــونى بالمــكارِمِ ذكِّرِينى ودَلِّى دَلَّ مــاجِدةٍ صَنَاعِ)

فالمعنى : لا تلومينى على شىءٍ رفعتُ به صِيتى وذِكرى ، وذكِّرينى به[1] .

صاحب الشاهد

والبيتان أوردهما أَبو زيدٍ (فى نوادره) ، ونسبَهما إلى بعض بنى نَهْشَل ، وقائلهما جاهلىٌّ .

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرورة) : جعل ذكِّرينى فى موضع مذكِّرة ، وهو قبيح ، لأَنَّ فعلَ الأَمر لا يقوم مقامَ الخبر فى باب كان ، وإنما فَعَل ذلك لأَنَّ كُونى أَمرٌ فى اللفظ ، ومحصولُ الأَمر منه لها إنما وقَعَ على التذكير ، فلمَّا كان فى المعنى أَمرًا لها بتذكيره استعمل فيه لفظَ الأَمر . انتهى .

وقال السكرى (فيما كتب على نوادر أَبى زيد) : المعنى : وصِيرِى مذكِّرةً لى بالمكارم . وتقديره فى العربيّة ردىءٌ ، لو قلت : كن بغلام بشِّرنى لم يَجُزْ . وهو يريد يا أُمَّ فارعةَ ، فحذف ، وذلك شاذٌّ لأَنه ليس بمنادًى إنَّما المنادى الأُمّ . والصَّنَاع ، بفتح الصاد : الرفيقةُ الكفّ . والماجدة : الكريمة . يقول : اضبِطى دلالَكِ[2] بمنفعةٍ وصنعة ، ولاتكونى خرقاءَ لا تنفع أَهلها . انتهى .

وقال أَبو زيد : قوله سماعى ، أَى ذِكْرى وحُسْنَ الثَّناء علىّ . ودَلِّى بفتح الدال ، من دلَّتتدَلُّ ، ودَلِلْتُ أَنا أَدَلُّ ، مثل خَجِلت أَخجل . انتهى .

---

(١) كلمة « به » ساقطة من ش .

(٢) فى النوادر : « اخلطى ذلك » .

قال ابن عقيل : الدَّلُّ قريبُ المعنى من الهَدْى ، وهما من السَّكينة والوقارِ في الهيئة والمنظر[١] والشمائل وغير ذلك ، قاله أَبو عبيدة . والصَّنَاع : الماهرة الحاذقة بعمل اليدَين . وقال الأَخفش (فى حواشيه على النوادر) : قوله :كونى بالمكارم ذكِّرينى ، تقديره: كونى ممَّن أَقول له ذَكِّرنى[٢] إذا سهوت ، فجرى هذا على الحكاية ، كما قال :

* سمعتُ النَّاسُ ينتجعون غيثًا *

أَراد : سمعت قائلاً يقول : الناسُ ينتجعون ، فحَكَى . هذا كلامُه.

وقال ابن هشام (فى المغْنى) : جملة ذكِّرينى مؤوَّلة بالجملة الخبرية ، أَى وكونى تذكِّرينى[٣] . انتهى .

وإِنَّما أَوَّلَه لِما عُرِفَ من أَنَّ شرط خبر كان إذا كانت جملة أَن تكون خبرية . وقال السَّخاوى : يجوز أَن يَكون الخبر محذوفاً وذكرينى أَمرًا مستأْنفا ، أَى كونى بالمكارم مذكِّرة ذكرينى .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد السبعمائة[٤] :

٧٣٩ (قَنافِذُ هَدَّاجُونَ حَوْلَ بيوتِهِمْ بما كان إيَّاهم عَطِيّةُ عوَّدَا)

على أَنَّ (كان) فى البيت عند البصريين إِمَّا شأْنيَّة وإِمَّا زائدة ، فيكون عطيّة فى الأَوّل مبتدأً وعوّدا فعل ماض ، وأَلفُه للإِطلاق ، وفاعله ضمير عطية ، ومفعوله إِيَّاهم المتقدم على المبتدإ؛ والأَصل عَوَّدَهم ، فلمَّا

---

(١) فى النسختين : « النظر » ، والوجه ما أثبت .
(٢) فى النسختين : « ذكرينى » ، صوابه من النوادر ٣٢ .
(٣) فى النسختين : « تذكرينى » ، صوابه من المغنى .
(٤) المقتضب ٤ : ١٠١ والتسهيل ١٠٧ والعينى ٢ : ٣٤ والهمع ١ : ١١٨ والتصريح ١ : ١٩٠ والأشمونى ١ : ٢٣٧ وديوان الفرزدق ٢١٤ والنقائض ٤٩٣ .

تقدَّم انفصل ، وجملة عوَّدهم خبر المبتدإ ، والجملة الكبرى، أعنى عطية عَوَّدهم ، فى محل نصب خبر كان ، واسمها ضمير الشأْن .

قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : يجوز أن يكون اسمُ كان ضميرًا مستترًا فيها عائدًا على ما الموصولة ، أى بسبب الأَمرِ الذى كان هو عطيّة عوَّدهم إياه ، وجملة عطيّة عودَّهم خبر كان ، وحذف العائد لأَنَّه ضميرٌ منصوب . ويجوز أَيضًا أَن يكون عطيّة اسم كان ، وتقديم معمول الخبر للضرورة . وهذا الجوابُ عندى أَولَى لاطِّراده فى نحو :

٥٨

باتَت فـؤادِىَ ذاتُ الخال سالبَةً
فالعيشُ إنْ حُمَّ لى عيشٌ من العَجَبِ[1]

إذِ الأَصل : باتت ذات الخال سالبةً فؤادى . ولا يجوز تقدير ذات مبتدأً ، لنصب سالبةً . واعتُرض على هذه الأَوجُه بأَنَّ الخبر الفعلىَّ لا يسبق المبتدأَ ، فكذا معموله. والجواب: أَنَّ المانع من تقديم الفعل خشيةُ التباس الاسميَّة بالفعلية ، وذلك مأْمونٌ مع تقدُّم المعمول . انتهى

وأَوضحه (فى المغنى) بقوله : ولانتفاءِ الأَمرين ، وهما تهيئة العامل للعمل مع قطعه، وإعمالُ الضَّعيف مع إمكان القوىّ، جاز عند البصريِّين وهِشامٍ تقديمُ معمولِ الخبر على المبتدإ فى نحو : زيدٌ ضرب عَمرًا ، وإن لم يجز تقديمُ الخبر . وقال البصريون فى نحو قوله :

* بما كانَ إيَّاهم عَطيَّةُ عوَّدَا *

إنَّ عطية مبتدأٌ ، وإيَّاهم مفعول عَوَّد ، والجملة خبر كان، واسمها

(١) مجهول القائل . وانظر العينى ٢ : ٢٨ والتصريح ١ : ١٩٠ والأشمونى ١ : ١٣٨ .

ضمير الشأْن . وقد خفيت هذه النكتة على ابن عُصفورٍ فقال : هَرَبُوا من محذور وهو أَنْ يفصلوا بين كان واسمها بمعمول خبرها ، فوقعوا فى محذورٍ آخرٍ ، وهو تقديم معمول الخبر حيث لا يتقدَّم الخبر . وقد بيّنَّا أَنَّ امتناع تقدُّم الخبر فى ذلك لمعنىً مفقود فى تقدُّم معموله[1] . انتهى .

وبهذه الأَجوبةِ يُرَدُّ على الكوفيِّين قولُهم : يجوز أَنْ يلىَ كان أَو إِحدى أَخواتِها معمولُ خبرها غيرُ الظَّرف . واحتجُّوا بهذين البيتين . قال ابن الناظم ، وبِقوله :

فأَصبحُوا والنَّوَى عالِى مُعَرَّسِهِمْ   وليس كلَّ النَّوى يُلقِى المساكينُ[2]

وقد خطَّأَه ابن هشام فيه بأَنَّه لو كان المساكين [اسما[3]] لِكانَ يجب أَن يقال يلقون أَو تلقى[4] ، وإِنَّما كان فيه عند الفريقين مسندةٌ إِلى ضمير الشَّأْن .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ للفرزدق (مذكورةٍ فى النَّقائض) ، هجا بها جريراً .

وقوله : (قنافذ هدَّاجون) : جمع قُنفذ بالذال المعجمة والمهملة، وهو حيوانٌ معروف ، يُضرَب به المثلُ فى سُرَى اللَّيل ، يقال « أَسْرَى مِنْ قُنفذ[5] » . وهو خبر مبتدإٍ محذوف ، أَى هم قنافذ . وهذا تشبيهٌ بليغ كما

(١) ش : « تقديم معموله » .
(٢) لحميد الأرقط . وانظر معجم الشواهد .
(٣) تكملة يفتقر إليها الكلام . والمعنى أن تكون المساكين اسماً لليس ويلقى خبراً لها ، وفصل معمولها وهو « كل » بينها وبين اسمها .
(٤) ش : « أو متلقى » ، صوابه فى ط .
(٥) وقالوا أيضاً : « أسرى من أنقد » ، وهو القنفذ ، لا ينام ليله أجمع . يشبه النمام لخبثه وتقلبه فى ليله . جمهرة العسكرى ١ : ٥٢٥ .

حقَّقه السَّعد التفتازانى ، لا استعارةٌ بالكناية كما توهَّم العينى ، مع اعتراضه بأَنَّه خبر مبتدإٍ كما ذكرنا . وهَدَّاجون : فعَّالون من الهَدْج ، بالإسكان ، والهَدَجانِ بالتحريك ، وهو السَّير السريع . وفعلُه كضرب. ويروى : (درَّاجُون) من دَرَج الصبىُّ والشيخُ ، وفِعلُه كدخل ، ومعناه تقارُبُ الخطو بمنزلة مشْىِ الصبىّ[1] .

وعطية : أَبو جرير . يقول : إنَّ رهط جرير كالقنافِذ ، لمشْيهم فى اللَّيل للسَّرقة والفجور ، وإنَّ أَبا جرير هو الذى عوَّدهم ذلك .

وقد هجاه الأَخطلُ بمثل هذا أَيضًا ، قال من قصيدة :

أَمَّا كليبُ بنُ يَرْبُوعٍ فليس لهـا
عنـد التفاخُرِ إيرادٌ ولا صَدَرُ[2]

مُخلَّفون ويَقْضِى النَّاسُ أَمرَهُمُ
وهم بغَيبٍ وفى عَمْياءَ ، ما شَعَـرُوا

مِثلُ القنافذ هدَّاجونَ قد بلغَتْ
نجرانَ أَو بلغَتْ سوءَاتِهِمْ هَجَرُ[3]

وترجمة الفرزدق قد تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أَوائل الكتاب[4]

* * *

(١) رواية النقائض : « قنافذ دراجون خلف جحاشهم لما كان » .

(٢) فى ديوان الأخطل ١٠٩ : « فليس لهم عند التفارط » . والتفارط : التقدم فى طلب الماء . ومنه الحديث : « أنا فرطكم إلى الحوض » .

(٣) فى الديوان :

على العيارات هداجون قد بلغت نجران أو حدِّثت سوءاتهم هجر

والعيارات : جمع عير ، وهو الحمار .

(٤) الخزانة ١ : ٢١٧ .

٥٩ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[(١)] :

٧٤٠ (ما دامَ فيهنَّ فَصِيلٌ حَيًّا)

على أنَّه يجوز فى باب كان الإخبار عن النَّكرةِ المحضة إذا حصلت الفائدةُ كما هنا ، فإنَّ قوله فصيلٌ اسم دام ، وحيًّا خبرها ، وحصلت الفائدةُ من تقديم فيهنَّ وهو متعلِّق بالخبر ، ولو حذفت فيهنّ انقلَبَ المعنى ، لأَنَّك إذا قلت ما دام فصيلٌ حيًّا فالمراد أَبدًا ، كما تقول : ما طلعَتْ شمس ، وما ناح قُمرىّ . فلمَّا لم تتمَّ الفائدة إلاَّ به حُسنَ تقديمهُ لمضارعته الخبرَ فى الفائدة .

ومثله قوله تعالى: ﴿ ولم يكن له كُفُوًا أَحَدٌ[(٢)] ﴾ فإنَّ قوله له وإن لم يكن خبرًا فإنَّه به يتم المعنى ، لأَنَّ سقوطَها يُبطِلُ معنى الكلام ؛ لأَنَّك لو قلت : لم يكن كفوًا أَحـــد ، لم يكن له معنى، فلمَّا أَحوجَ الكلامُ إلى ذكر «له» صار بمنزلة الخبر الذى لايُستغنَى عنه، وإن لم يكن خبرًا . ولم يكن بمنزلة قوله : ما كان فيها أَحدٌ خيرًا منك ، لأَنَّك لو حذفت فيها كان كلامًا صحيحاً .

وهذا البيت أَورده سيبويه فى باب الإخبار عن النكرة بالنكرة وأَمثلته فى كان وأَخواتها؛ قال فيه: وتقول : ما كان فيها أَحدٌ خيرًا منك ، وما كان أَحدٌ مثلُك فيها، وليس أَحدٌ فيها خيرٌ منك، إذا جعلتَ

(١) فى كتابه ١ : ٢٧ . وانظر النوادر ١٩٤ والمقتضب ١ : ٩٤ وابن يعيش ٤ : ٧/٣٣ : ٩٦ ، ١١٥ وشرح أدب الكاتب للجواليقى ٦٥ واللسان (جلذ ١٣ دوم ١٠٨ هيا ٢٥٣) .

(٢) الآية ٤ من سورة الإخلاص .

فيها مستقَرًّا ولم تجعله على قولك : فيها زيد قائم ، أَجريت الصِّفة على الاسم . فإن جعلته على قولك : فيها زيد قائم ، نصبتها ، تقولُ : ما كان فيها أَحدٌ خيرًا منك ، وما كان أَحدٌ خيراً منكِ فيها ، إلّا أَنَّك إذا أَردت الإلغاء فكلَّما أَخَّرتَ الذى تُلغيه كان أَحسن . وإذا أَردت أَن يكون مستقَرًّا مكتفىً [به [1]] فكلَّما قدَّمته كان أَحسن ، لأَنَّه إذا كان عاملاً فى شىءٍ قدَّمته ، كما تُقدِّم أَظنّ وأَحسَب . وإذا أَلغيتَه أَخَّرته ، كما تؤخِّرهما ، لأَنَّهما ليسا يعملان شيئًا . والتقديم ههنا والتأْخير ، والإِلغاءُ والاستقرار ، عربىٌّ جيِّدٌ كثير . فمن ذلك قوله عزَّ وجلّ : ﴿ولم يكنْ له كُفُوًا أَحد﴾ . وأَهل الجفاء يقولون : ولم يكن كفؤًا له أَحد ؛ كأَنَّهم أَخَّروها حيث كانت، غير مستقرة . قال الشاعر :

(لتقرُبِنَّ قَــــرَبًا جُلذيًّا مــا دامَ فيهنَّ فصيلٌ حيَّا
وقد دَجَا اللَّيلُ فَهِيًّا هِيًّا)

انتهى كلام سيبويه .

قال ابن يعيش : سيبويه يسمِّى الظرف الواقعَ خبراً : مستقَرًّا ، لأَنَّه يقدّر باستقَرّ وإن لم يكن خبراً سمَّاه لغْواً . وتقديم الظرف وتأْخيره إذا كان مستقَرًّا جائزٌ عنده ، وإنَّما يُختار تقديمُهُ . فإن قيل : فما تصنع بقوله سبحانه : ﴿ ولم يكن له كُفُوًا أَحد ﴾ قُدِّم الظرف مع أَنَّه لغو ؟ قيل : لمَّا كانت الحاجةُ ماسَّةً والكلامُ غيرَ مستغنٍ عنه ، كأَنَّه خبرٌ مقدَّم لذلك . أَلا ترى أَنَّ قوله تعالى : ﴿ اللهُ الصَّمَدُ ﴾ مبتدأٌ وخبر . وقوله : ﴿ ولم يكن له كُفُوًا أَحدٌ ﴾ معطوف عليه ، وما عُطِف على الخبر

(١) التكملة من ش وسيبويه . لكن فى سيبويه : « تكتفى به » .

كان فى حكم الخبر ، فلذلك لم يكن من العائد فى قوله له بُدٌّ، لأَنَّ الجملة إذا وقعت خبرًا افتقرت إلى العائد . قال : وأَهل الجفاءِ يقولون : ولم يكن كُفؤًا له أَحد[1]. أَراد بأَهل الجفاءِ الأَعرابَ الذين لم يبالوا بخطِّ المصحف ، ولم يَعلموا كيف هُو . فأَمَّا قوله :

* ما دام فيهنَّ فصيلٌ حيًّا *

فإِنَّه قدَّم الظرف ههنا وإن لم يكن مستقَرًّا ، فإِنَّه متعلِّق بالخبر وذلك لجواز التقديم عنده[2] مع أَنَّه قد تدعو الحاجة إليه ولا يسوغ حذفه ، إذ حذفُه يغيِّر المعنى[3] ، ويصير بمعنى الأَبد ، كقولك : ماطلعت الشمس . فلمَّا كان المعنى متعلِّقاً به صار كالمستقَرِّ فقدَّمه لذلك . انتهى.

٦٠

وقد أَورد الشارح المحقِّق هذا الكلامَ فى آخر البحث (فى الحروف المشبَّهة بالفعل) وقال : يجوز الإِخبار عن النكرة فى باب إنَّ وفى باب كان ، بالنكرة والمعرفة .

وجوَّزه أَبو حيَّان فى الأَوَّل دونَ الثَّانى ، قال (فى تذكرته) : نَصبُ إنَّ وأَخواتِها للنَّكرات لا ينحصر ، وقد أُخبر بالمعرفة ، وهذا غريب ،ولا يجوز فى الابتداءِ ولا فى كان. حكى سيبويه : إنَّ قريباً منك زيد ، وإنَّ بعيدًا منك زيد . وأَنشد سيبويه :

* وإنَّ شفاءً عَبرةٌ مُهَرَاقةٌ[4] *

---

(١) ط : « ولم يكن له كفواً أحد » ، صوابه فى ش وابن يعيش . وانظر الصفحة السابقة . وبعده فى ابن يعيش : « فيؤخرون الجار والمجرور لقوة التأخير فى الملغى عندهم » .

(٢) ط : « وذلك يجوز التقديم عنه » ، ش : « وذلك يجوز التقديم عنده » ، صوابه من ابن يعيش ٧ : ١١٥ .

(٣) ابن يعيش : « إذ لو حذف تغير المعنى » .

(٤) لامرئ القيس فى معلقته ، وتمامه :

* وهل عند رسم دارس من معول *

وحَكى : إنَّ أَلفًا فى دراهمك بيضٌ ، وإنَّ بالطريق أَسدًا رابضٌ .

وجاز عندى أَن يكون المعرفة خبرًا عن النكرة هنا لمَّا كان المعنى واحداً ، وأَنَّه لما كان فضلةً فكأَنَّه غير مسند إليه ، فجاز تنكيره ، ولمَّا كان الخبر مرفوعًا صار كأَنَّه مسند إليه فكان معرفة .

وذكر الجرمىُّ هذه المسأَلة (فى الفرخ) وقال : إنَّه يبتدأُ بالنكرة ويخبر بالمعرفة عنها فى هذا الباب . وقال : جائزٌ ذلك ، لأَنَّهم لا يقدِّمون خبر إنَّ كما يتَّسعون فى ذلك ، فَأَعْطَوْا إنَّ ما منعوا فى كان . وقد منَعُوا خبر كان ، ومنعوا أَن يكون خبرها معرفة واسمها نكرة ، فأَعطَوْا كلَّ واحد منهما ما مُنِعَه صاحبُه . انتهى .

والشارح تابعٌ فى ذلك لابن مالك . وكثرةُ السَّماع يشهدُ لصحَّة قولهما .

صاحب الشاهد

وهذه الأَبيات الثلاثة نسبَها ابنُ السِّيرافى وابنُ خلف لابن ميَّادة . وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد التاسعَ عشرَ من أَوائل الكتاب[١] .

وقوله : « لتقرُبِنَّ » قال ابن السيرافى : هو جوابُ قسمٍ محذوف ، وهو بضم الراءِ وكسر الباءِ . قال الجوهرى : قَرَبْت أَقْرُب قرابة ، مثل كَتَبت أَكتب كتابة ، إذا سرتَ إلى الماءِ وبينك وبينه ليلة . والاسم القَرَب بفتحتين . وقال الأَصمعى : قلت لأَعرابىٍّ : ما القَرَب ؟ قال : سيرُ الليل لورِدِ الغد . قلت : ما الطَّلَق ؟ قال : سير اللَّيل لورد الغِبّ . وقال : أَقرب القومُ فهم قاربون ، ولا يقال مُقْربون . قال أَبو عبيد : هذا الحرف شاذ .

(١) الخزانة ١ : ١٦٠ .

أقول : قد سُمع ثلاثيُّهُ فلا شذوذ . وقال أَبو الحسن الأَخفش : لتقرُبِنَّ: لَترِدِنّ . وليلة القَرَب : ليلة الورد . وهذا خطابٌ لناقته . يقول: لتسيرِنَّ إلى الماءِ سيرًا حثيثًا[1] . والجُلْذِيّ بضم الجيم وسكون اللام بعدها ذال معجمة ، ومعناه السَّريع الشديد ، فهو وصفُ القَرَب . وقيل منادًى مرخَّم . جُلذيّةَ : اسم ناقته . والضمير فى فيهن عائد على الإبل ، ودلَّ عليه سياق الكلامِ وذِكرُ النَّاقة ، فأَضمر وإن لم يَجْرِ لها ذِكر . والفصيل: ولد الناقة ، وإنَّما ذكره لأَنَّ ناقته من جملة الإبل يسوقها إلى الماءِ سَوقاً حثيثاً . فيقول : لا أَعذِرك ما دام فيهنَّ فصيلٌ يطيق السَّير . ودجَا اللَّيلُ: أَظلم . وهَيًّا هِيًّا زجرٌ لها وتصويتٌ حتَّى تسير ، أَى مبادرةً . وليس منه فعل، وهى مكسورة الأَوّل . وقد حكيت بالفتح . قاله ابن خلف . [وقوله[2]] : وليس منه فعلٌ، يناقضه قول الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : يقال هَوى يهوِى هَيًّا وهُويًّا وهَوَيانا ، إذا سقَط . وأَنشد هذا الرجز[3] ثم قال : يريد اهوِى واعجَلى . انتهى .

ومقتضاه أَنَّه بالفتح لا بالكسر ، وأَنَّه مصدرٌ لا اسمُ فعل ، إلاَّ أَن يكون هذا هو الأَصل ثم نُقِل إلى اسم الفعل .

* * *

٦١ وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأَربعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[4] :

(١) ط : « حبيباً » ، صوابه فى ش . (٢) تكملة يفتقر إليها الكلام .

(٣) رواية الرجز فى شرح الجواليقى :

لتقربن قربا جلديا ما دام منهن فصيل حيا
فقد دنا الليل فهيا هيا

ولا ريب أن « جلديا » بالدال المهملة تصحيف .

(٤) فى كتابه ١ : ٢٨٤ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٩١ والمنصف ٣ : ٤٠ وسر الصناعة ١ : ٢٥٨ وأسرار البلاغة ١٦٠ والمغنى ٣٥١ ، ٤٨٣ والهمع ٢ : ٧٧ ، ١٤٠ والأشمونى ٣ : ١٢٢ ، واللسان (هلل) . وهو من معلقة امرئ القيس .

٧٤١ (وإنَّ شفاءً عبرةٌ مُهَرَاقةٌ)

على أَنَّه يجوز أَن يُخبَر فى باب إنَّ أَيضاً عن النكرة كما هنا ، فإنَّ شفاءً وقع اسمَ إنَّ منكَّرًا ، وأُخبر عنه بَعبْرة .

قال الشارح المحقِّق : وكذا أَنشده سيبويه .

أَقول : هذا نصُّه (فى باب ما يحسُن عليه السُّكوت فى هذه الأَحرف الخمسة إنَّ وأَخواتها) ، قال : وتقول : إنَّ قريبًا منك زيدًا ، إذا جعلتَ قريبًا منك مَوضعا . وإنْ جعلت الأَوّل هو الآخر قلت : إنَّ قريبًا منك زيدٌ ، وتقول : إنَّ بعيدًا منك زيد . والوجهُ إذا أَردتَ هذا أَنْ تقول : إنَّ زيدًا قريبٌ أَو بعيدٌ منك ، لأَنَّه اجتمع معرفةٌ ونكرة . وقال امرؤُ القيس :

وإنَّ شفـــاءً عَبرةٌ مُهَـــرَاقةٌ فهَلْ عِندَ رسمٍ دارسٍ من مُعَوَّلِ

فهذا أَحسَنُ لأَنَّه نكرة . وإن شئتَ قلت : إنَّ بعيدًا منك زيدًا . وقلَّما يكون « بعيدًا منك » ظرفًا ، لأَنَّك لا تقول : إنَّ بُعدَك وتقول : إنَّ قُربَك[1] ؛ فالدُّنوُّ أَشدُّ تمكينًا فى الظرف من البُعْد . انتهى كلامه .

والرواية المشهورة فى البيت : « وإن شفائى » ، بالإضافة إلى ياءِ المتكلِّم. وهذا هو المشهور المعروف .

صاحب الشاهد

والبيت من أَوّل معلَّقة امرئ القيس ، ولم يذكر شُرَّاحُها تلك الرِّواية ، إلاَّ أَنَّ الخطيبَ التِّبريزى قال : روى سيبويه هذا البيتَ « وإنَّ شفاءً عَبرةٌ » ، واحتجَّ فيه بأَنَّ النَّكرة يُخبَر عنها بالنكرة . ويروى :

* وإن شفائى عَبرةٌ لو سَفَحْتُها *

(١) فى كتاب سيبويه : « لأنك لا تقول إن بعدك زيداً ، وتقول إن قربك زيداً » .

أى صببتُها . ولوْ للتَّمَنِّى لا جوابَ لها . والعَبرة ، بالفتح : الدَّمعة ، وجمعها عِبَر ، كَبَدْرة وبِدَر . ومُهَراقة بفتح الهاءِ ، أَى مصبوبة . قال ابن السيد (فى شرح أَدب الكاتب) : قد ذكر ابنُ قتيبة فى باب فعلت وأَفعلت هَرَقت الماءَ وأَهرقته. وقد قال مثلَه بعضُ اللغويِّين ممَّن لايُحسن التصريف ، وتَوهَّم أَنَّ هذه الهاءَ فى هذه الكلمة أَصل . وهو غلطٌ ، والصَّحيح أَنَّ هَرقْت وأَهرقت فِعلان رُباعيَّانِ معتلَّان ، أَصلهما أَرقت[1] . فمن قال هَرقت فالهاءُ عنده بدلٌ من همزة أَفعلت ، كما قالوا : أَرَحت الماشية وهَرَحتها ، وأَنرت الثوب وهَنَرتُه . ومن قال أَهرقت فالهاءُ عنده عِوضٌ من ذَهاب حركة عين الفعل عنها ، ونقلها إِلى الفاءِ ؛ لأَنَّ الأَصل أَرْيَقْتُ أَو أَرْوَقْتُ ، بالياءِ أَو بالواو ، على الاختلاف فى ذلك ، ثم نُقلت حركة الواو أَو الياءِ إِلى الراءِ ، فانقلب حرفُ العلَّة أَلفًا لانفتاح ما قبلها ثم حُذف لسكونه وسكون القاف[2] . والساقط من أَرقت يحتمل أَن يكون واوًا فيكون مشتقًا من راق الشىءُ يروق ، ويحتمل أَن يكون ياءً لأَنَّ الكسائىَّ حكى رَاق الماءُ يَريق ، إِذا انصبَّ. والدَّليل على أَنَّ الهاءَ فى هرقت وأَهرقت ليست فاءَ الفعل على ما توهَّم من ظَنَّها كذلك ، أَنَّها لو كانت كذلك للزم أَن يُجرى هَرقت فى تصريفه مُجرى ضربت ، فيقال هرقت أَهرِق هَرْقًا ، كما تقول ضَربت أَضرِب ضَربًا ، أَو مُجرَى غيرِه من الأَفعال الثلاثية التى يجىءُ مضارعُها بضمِّ العين وتجىءُ مصادرُها مختلفة . وكان يلزم أَن يُجرَى أَهرقت فى تصريفه مُجرَى أَكرمت ونحوِه من الأَفعال الرباعية المصَحَّحة ، فيقال أَهرقت أُهرِق

---

(١) ط : « أريقت » ، صوابه فى ش والاقتضاب لابن السيد ٢٢٧ .

(٢) ش : « الفاء » ، صوابه فى ط والاقتضاب ٢٢٧ .

٦٢ إهراقا ، كما تقول : أكرمت أُكرِم إكراماً . ولم تقل العرب شيئًا من ذلك ، وإنّما يقولون فى تصريف هَرَقت أهَرِيق ، يفتحون الهاءَ ، وكذلك يفتحونها فى اسم الفاعل فيقولون مُهَرِيق ، وفى اسم المفعولُ مُهَراق ، لأنّها بدل من همزةٍ لو ثبتت فى تصريف الفعل لكانت مفتوحة . ألا ترى أنّك لو صرّفت أرقت على ما ينبغى من التصريف ولم تحذف الهمزة منه لقلت فى مضارعه يُؤَرْيِق ، وفى اسم فاعله مُؤَرِيق ، وفى اسم مفعوله مُؤْرَيَقٌ . وقالوا فى المصدر : هِراقة كما قالوا إراقة . وإذا صرّفوا أهرقت قالوا فى المضارعُ أُهْرِيق وفى المصدر إهْراقة ، وفى اسم الفاعل مُهْرِيق وفى اسم المفعول مُهْراق ، فأسكنوا الهاءَ فى جميع تصريف الكلمة . فهذا يدلُّ على أنّه رباعىٌّ معتلٌّ وليس بفعل صحيح ، وأنّ الهاءَ فيه بدل من همزة أرَقت أو عوضٌ كما قلنا . قال العُدَيل بن الفُرخ[1] :

فكنت كمهريق الذى فى سِقائه ... لرقراقِ آلٍ فوقَ رابيةٍ صَلْدِ[2]

وقال ذو الرمة :

* فلما دنت إهْراقةُ الماءِ أنصَتَتْ[3] *

وقال الأعشى فى أَراكٍ :

فى أَراكٍ مَرْدٍ يكاد إذا ما ... ذرَّتِ الشَّمس ساعةً يُهْراقُ[4]

---

(١) سبقت ترجمته فى ٥ : ١٩٠ . والفرخ بضم الفاء وآخره خاء معجمة ، وفى الاقتضاب ٢٢٨ : « الفرج » ، تحريف .

(٢) فى الاقتضاب : « رابية جلد » ، وكذا فى اللسان (هرق ٢٤٦) .

(٣) تمامه كما فى الاقتضاب ٢٢٨ وديوان ذى الرمة ٦٤٥ واللسان (هرق) :

* لأعزله عنهـــا وفى النفس أن أثنى *

وهو من لغز له فى بكرة البئر من أبيات ثلاثة ، وقبله :

وجارية ليس من الإنس تستحى ... ولا الجن قد لاعبتها ومعى ذهنى

فأدخلت فيهـا قيـد شبر موفـر ... فصاحت ولا والله ما وجدت تزنى

(٤) ديوان الأعشى ١٤١ .

انتهى كلامُه ، ولجودته سقناه بتمامه .

وقوله : (فهل عِنْد رسم) إلخ ، الرَّسمُ : الأثَر . والدَّارس : المنطمِس . والفاءُ فى جواب شرط مقدَّر ، قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : ومن ذلك قول امرئ القيس :

وإنَّ شفائى عَبرةٌ . . . . البيت

فى قوله معوَّل مذهبانِ : أحدهما أنَّه مصدرُ عوَّلت بمعنى أعولت ، أى بكيت . أى فهل عند رسم دارسٍ من إعوالٍ وبكاءٍ . والآخر : أنَّه مصدر عوَّلت على كذا ، أى اعتمدت عليه ، كقولهم : إنَّما عليك مُعوَّلى ، أى اتِّكالى . وعلى أىِّ الأمرينِ حملتَ المعوَّل فدخول الفاءِ على : فهل عند رسمٍ ، حسنٌ جميل ، أمَّا على الأوَّل فكأنَّه قال : إنَّ شِفائى أنْ أسفحَ عَبرتى . ثم خاطبَ نفسَه أو صاحبيْهِ فقال : إذا كان الأمر على ما قدَّمتُ من أنَّ فى البكاء شفاءَ وجَدْىِ ، فهل من بكاءٍ أُشفى به غليلى ؟ فهذا ظاهره استفهامٌ لنفسه ، ومعناه التَّحضيض لها على البكاءِ ، كما تقول : قد أحسنتَ إلىّ فهل أشكرُك ؟ أى فلأشكرنَّك . وقد زُرتَنى فهل أُكافئك؟ أى فَلَأُكافئنَّك . وإذا خاطب صاحبيه فكأنَّه قال : قد عرَّفتُكما سببَ شفائى ، وهو البكاءُ والإعوال ، فهل تُعْوِلان وتَبْكِيان معى لأشفِىَ وَجْدِى ببكائكما . فهذا التفسير على قول من قال إنَّ معوَّلى بمنزلة إعوالى . والفاءُ عَقَدَتْ آخرَ الكلام بأوَّلِه ، لأنَّه كأنَّه قال : إن كنتما قد عَرَفتما ما أُوثره من البكاءِ فابكيا معى . كما أنَّه إذا استفهم نفسَه فكأنَّه قال : إذا كنتُ قد علمتُ أنَّ فى الإعوال راحةً لى فلا عذرَ لى فى ترك البكاءِ . وأمَّا مَنْ جعل معْوَّلى بمعنى تعويلى على كذا ، أى اعتمادى واتِّكالى عليه ، فوجه دخول الفاءِ على (فهل) فى قوله : أنَّه لما قال : إن شفائى عبرةٌ

مهراقة فكأنَّه قال : إنَّما راحتى فى البكاء ، فما معنى اتكالى فى شفاء غليلى على رسمٍ دارس لاغناءَ عنده عنّى . فسبيلى أن أُقبل على بكائى ولا أُعوِّل فى برد غليلى[1] على مالا غناءَ عنده . وهذا أيضًا معنى يُحتاج معه إلى الفاء لتربط آخر الكلام بأوَّله ، فكأنَّه قال : إذا كان شفائى إنَّما هو فى فيض دمعى فسبيلى أن لا أُعوِّل على رسمٍ دارسٍ فى دَفْع حزنى ، وينبغى أن أجدَّ فى البكاء ، الذى هو سبب الشفاء . انتهى كلامه .

٦٣

ووقع فى رواية ابن هشام « وهل » بالواو ، قال (فى المغنى ، فى بحث هل ، وفى عطف الإنشاء على الخبر من الباب الرابع) : إنَّ هل فيه للنفى ، ولذا صحَّ العطف ، إذْ لا يُعطف الإنشاءُ على الخبر .

وقد تقدَّم فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائة عن الباقلانى (فى إعجاز القرآن) أنَّ هذا البيت مناقضٌ لما قبله ، فراجعْه[2] .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأربعين[3] .

* * *

وأنشد بعده

(يكون مِزاجَها عَسَلٌ وماءُ)

على أنَّه يجوز أن يخبر فى بابىْ (كان) و(إنَّ) بمعرفة عن نكرة فى الاختيار كما هنا ، فإنَّ مزاجها رُوى بالنصب على أنَّه خبر مقدَّم وهو معرفة ، وعَسَلٌ اسم كان مؤخَّر وهو نكرة .

---

(١) رسمت فى ط « غلى لى » خطأ ، صوابه فى ش وشرح الصناعة ١ : ٢٥٩ .
(٢) الخزانة ٣ : ٢٢٤ - ٢٢٥ .
(٣) الخزانة ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

وقال الزَّمَخشريّ : لا يجوز هذا إلاَّ فى ضرورة الشعر .

وهذا مذهب ابن جنِّى ، قال (فى المحتسَب) : روى عن عاصمٍ أنَّه قرأ : ﴿وما كانَ صلاتَهم عِند البيت﴾ نصبًا ﴿ إلاَّ مُكَاءٌ وتصدِيَةٌ[١]﴾ رفعاً . ولحَّنَه الأعمش . وقد رُوِى هذا الحرفُ أيضًا عن أبانَ بنِ تغلب أنَّه قرأَهُ كذلك[٢] . ولسنا ندفع أنَّ جعلَ اسم كان نكرةً وخبرها معرفةً قبيح ، فإنَّما جاءت منه أبياتٌ شاذَّة، وهو فى ضرورة الشعر أَعْذَر[٣] ، والوجه اختيار الأفصح الأَعْرَب ، ولكنَّ وراءَ ذلك ما أَذكره . اعلم أَنَّ نكرةَ الجنسِ تُفيد مُفاد معرفتِه . ألا ترى أنَّك تقول : خرجتُ فإذا أَسدٌ بالباب ، فتجد معناه معنى قولك : خرجت فإذا الأَسدُ بالباب ، لا فرق بينهما . وذلك أنَّك فى الموضعين لا تريد أسدًا واحدًا معيَّناً ، وإنَّما تريد خرجت فإذا بالباب واحدٌ من هذا الجنس . وإذا كان كذلك جاز هنا الرفع فى« مُكَاءٌ وتصدية» جوازاً قريباً ، حتَّى كأنَّه قال : وما كان صلاتَهم عند البيت إلاَّ المكاءُ والتَّصديةُ ، أى إلاَّ هذا الجنسُ من الفعل. وإذا كان كذلك لم يجر هذا مَجرى قولك : كان قائمٌ أخاك وكان جالسٌ أباك ، لأنَّه ليس فى جالس وقائم من معنى الجِنْسيَّة الّتى تَلاقَى معْنَيا نكرتِها ومعرفتها[٤] . وأيضًا فإنَّه يجوز مع النفى من جعل اسم كان وإخواتها نكرةً ما لا يجوز مع الإيجاب[٥] ، فكذلك هذه القراءة، لمَّا

---

(١) الآية ٣٥ من سورة الأنفال ، وانظر المحتسب ١ : ٢٧٩ .

(٢) ط : « أنه قراءة كذلك » ، صوابه فى ش والمحتسب .

(٣) فى النسختين : « عذر » ، وأثبت ما فى المحتسب .

(٤) بعده فى المحتسب : « على ما ذكرنا وقدمنا » .

(٥) بعده فى المحتسب : « ألا تراك تقول : ما كان إنسان خيراً منك ، ولا تجيز : كان إنسان خيراً منك » .

دخلها النفى قَوِىَ وحَسُنَ جعلُ اسمِ كان نكرةً . هذا إلى ما ذكرنا من مشابهة نكرةِ اسم الجنس لمعرفته . ولهذا ذهب بعضُهم فى قول حسّان :

كأَنَّ سبيئةً من بيت رأْسٍ   يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ

أَنّه إنّما جاز ذلك من حيث كان عسل وماءٌ جنسين ، فكأَنّه قال : يكون مزاجَها العسلُ والماءُ . فبهذا تسهُلُ هذه القراءة ، ولا تكون من القُبح واللَّحْن [الذى[1]] ذهب إليه الأَعمش . انتهى .

وإليه أَيضًا ذهب ابن السِّيد (فى أَبيات المعانى) قال : هذا لا يجوز إلاَّ فى ضرورة الشعر ، فأَمَّا فى الكلام فلا يجوز .

وقال اللخمى : حَسَّنَ ذلكَ أَنَّ مزاجًا مضاف إلى ضميرِ نكرة . قال السِّيرافى عندما أَنشد سيبويه :

* أَظبيٌ كان أُمَّك أَم حمارُ[2] *

إنَّ ضمير النكرةَ لا تَستفيد منه إلاَّ نكرةً . أَلا ترى إذا قلتَ مررت برجلٍ فكلَّمته ، لم تكن الهاءُ بموجبةٍ تعريفًا لشخصٍ بعينه ، وإن كانت معرفة من حيث علم المخاطب أَنَّها ترجع إلى ذلكَ المنكور . انتهى .

٦٤ وقال ابن خلف : فى هذا أَربعة أَقوال : قيل هو على وجه الضرورة ، وقيل أَراد مزاجًا لها فنوى بالإضافة الانفصالَ فأَخبر بنكرة عن نكرة . وقال أَبو على : نصب مزاجها على الظَّرفِ السادِّ مسَدَّ الخبر ، كأَنه قال : يكون مستقِرًّا فى مزاجها . فإذا كان ظرفًا تعلّق بمحذوف يكون

---

(١) التكملة من المحتسب .
(٢) هو الشاهد ٥٢٤ فى الخزانة ٧ : ١٩٢ .

الناصبَ له ، وقُدِّم على عسل وماءٍ كعادتهم في الظروف إذا وقعَتْ أخباراً عن النَّكرات ، لئلا تلتبس بالصفات[١] .

ثم نقل توجيه ابن جنى . وكذا نقل اللخميُّ عنه قال : وعن أبى علىّ أنَّ مزاجها ينتصب على الظرف ، تقديره على المعنى : يكون مكانَ مزاجها عسلٌ وماءٌ .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وتأوَّله الفارسيُّ على أنَّ انتصاب المزاج على الظرفية المجازيَّة .

وزعم شارحه ابن الملاَّ أنَّ كان على تأْويل أبى علىٍّ تكون تامَّة .

وذهب الزمخشرى (فى المفصَّل) إلى أنَّ هذا ونحوه من القلب الذى شجَّع عليه أَمْنُ الإلباس .

وإليه جنح ابن هشام (فى المغنى) قال فى الباب الثامن : من فنون كلامهم القلبُ ، وأكثر وقوعه فى الشعر . وأنشد البيتَ . وقال فى الباب الرابع منه : إنَّه ضرورة . ولم يذكر القلب .

ورُوى فى البيت رفع مزاجُها ونصب عسل ورفع ماءٌ، وبِرفْع الجميع.

وقد تقدم كلّه مشروحًا مع القصيدة فى الشاهد الثانى والثلاثين بعد السبعمائة[٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(ولا يَكُ موقفٌ مِنْكِ الوَدَاعا)

(١) ط : « يلتبس بالصفات » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) انظر هذا الجزء التاسع ص ٢٢٤ – ٢٣٧ .

لما تقدَّم قبله ، من أنَّه يجوز فى الاختيار أن يُخبَر عن نكرة بمعرفة فى ذينك البابين .

قال ابن مالك (فى التسهيل) : وقد يُخبر هنا وفى باب إنَّ بمعرفةٍ عن نكرة اختياراً .

وقال (فى شرحه) : لمَّا كان المرفوع هنا مشبَّهاً بالفاعل ، والمنصوبُ مشبَّهًا بالمفعول ، جاز أن يُغْنِىَ هنا تعريفُ المنصوبِ عن تعريف المرفوع ، كما جاز فى باب الفاعل ، لكن بشرط الفائدةِ وكونِ النكرة غيرَ مَحْضة . من ذلك قولُ حسان :

* يكون مزاجَها عسلٌ وماءٌ *

وليس بمضْطرٍّ ، إذ يمكنهُ أن يقول مِزاجُها بالرفع فيجعل اسم يكون ضمير الشأن . وقولُ القطامىّ :

* ولايكِ موقفٌ منك الوَداعا *

وليس بمضطرّ ، إذ له أن يقول : ولايكُ موقفى . والمحسِّن لهذا شَبهُ المرفوعِ بالفاعل والمنصوب بالمفعول . وقد حُمِل هذا الشَّبه فى باب إنَّ ، كقول الفرزدق :

وإنَّ حرامًا أن أَسُبَّ مجاشعًا   بآبائىَ الشُّمِّ الكرامِ الخضارم[1] . انتهى .

وهذا مبنىٌّ على تفسير الضرورة بما لا مندوحةَ للشاعر عنه . وهذا

(١) ديوان الفرزدق ٨٤٤ والمقتضب ٤ : ٧٤ والهمع ١ : ١١٩ . وفى الديوان : « وليس بعدل أن سببت مقاعسا » . ورواية « مجاشعا » خطأ ، فإن « مجاشع بن دارم » من أجداد الفرزدق فى نسبه ، وهو دائم الاعتزاز به . و « مقاعس » هو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم .

فاسدٌ من وجوهٍ تقدَّم بيانُها فى شرح أوّل شاهد . وعند الجمهور هو من الضَّرورة ، ومعناها ما وقع فى الشعر سواءٌ كان عنه مندوحةٌ أم لا .

قال اللخمى : جَعْلُ موقفًا وهو نكرة اسم يَكُ ، والوداع وهو معرفةٌ الخبر ، ضرورةٌ لإقامة الوزن . وحَسَّن الضَّرورةَ فيه ثلاثةُ أوجه :

أحدها : أنَّ النكرةَ[1] قد قربت من المعرفة بالصِّفة .

والثانى : أنَّ المصدر جنسٌ ، فمُفاد نكرته ومعرفته واحد .

والثالث : أنَّ الخبر هو المبتدأُ فى المعنى .

وقال صاحب اللباب : وهما ، أى المرفوع والمنصوب بكان ، على شرائطهما فى باب الابتداء . وزعم بعضُ المنتمين إلى هذه الصَّنعة أن بناءَ الكلام على بعضِهما[2] من غير تقدير دخولٍ على المبتدإ والخبر سائغ ، بدليل قوله : ٦٥

* ولايكُ موقف منك الوداعا *

وليس بمحمول على الضرورة ، إذ لا يتمُّ المعنى المقصود إلا هكذا ، إذْ لو عرَّفهما لم يؤدِّ أنَّه لم يرخِّص أن يكون ما سوى ذلك من المواقف وَدَاعًا . ولو نكرَّهما لم يؤدِّ أنَّ الوداع قد كُرِّه إليه حتَّى صار نُصْب عينيه . ولو عرَّف الأَولَ ونكَّر الثانى لجمع بين الهُجنتين . والجواب بعد تسليم جميع ما ذكره أنَّه لو أراد إيراد هذا المعنى بطريق النفى دون النهى ، لا بدَّ أن يقول : ما موقف منك الوداع ، بعين ما ذكره . على أنَّ

(١) ط : « النكرات » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) أى بعض النكرات والمعارف دون تقيد بالنوع .

المقصود أَنْ لا يكون الوداعُ موقفًا منها[١] فيكون من باب القلب ، مثل ما فى قول الآخر :

* يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ * انتهى .

أراد بالهجنتين ترخيصَ كونِ ما سوى هذا الموقف المعيَّن موقفَ وداع ، وفواتَ النُّكتة المستفادة من تعريف الوداع . وحاصلُه أَنَّه لما اختار أَنَّ وجود شرائط المبتدإ والخبر فى هذه الأَفعال لازم، ذهب إلى أَنَّ البيتَ محمولٌ على الضَّرورة ، لأَنَّها دعت إلى القلب .

وأَجاب عن استدلال المخالف بوجهين :

الأَول : أَن يقال : لا نسلِّم أَنَّهما إن كانا معرفتين يلزم قُبح ، لأَنَّ مبناه أَنَّ اللام فى الموقف للعهد، وهو ممنوع لجواز أَن تكون للجنس ، أَى لايك جنسُ الموقف الوداع . وفيه عمومٌ سلَّمناه ، لكن لا نسلِّم أَنَّهما إن كانا منكَّرين يلزم قبح ، لأَنَّه مبنىٌّ على أَنَّ اللام فى الوداع للعهد إلى الشىءِ المكَرَّرِ عنده ، وهو ممنوعٌ لجواز كونه للجنس . سلَّمناه لكنَّه منقوضٌ بنقضٍ إجمالى ، وتوجيهه لو صحّ ما ذكرت لكان الواجب أَن يقال عند إرادة هذا المعنى بطريق النفى دون النهى : ما موقفٌ منك الوداع بعينِ ما ذكرت . لكنّ التالى باطل ، لأَنَّ تنكير المبتدإ وتعريف الخبر بعد النفى ليس حدَّ الكلام الذى يجب أَن يكون عليه الاتفاق[٢] .

الثانى : أَنَّ مقصود الشاعر أَن لا يكون موقف الوداع موقفًا من مواقِفها بأَن لا يكون وداعٌ أَصلا . وعلى هذا كان الوداع اسم كان ،

(١) ش : « على أن المقصود لا يكون الوداع موقفاً منها » .

(٢) ط : « بالاتفاق » .

والموقف خبره ، فقُلب بأَن جعل الاسم خبرًا والخبر اسما ، والقلب ممَّا[١] يشجَّع عليه عند أَمْن الالتباس .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدرُه :

(قفِى قبل التَّفرُّقِ يا ضُباعا)

صاحب الشاهد والبيت مطلعُ قصيدةٍ للقطامىّ تقدم الكلام عليه فى الشاهد الثالث والأربعين بعد المائة[٢]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[٣] :

٧٤٢ (أَسَكرانُ كانابنَ المَرَاغةِ إذْ هَجَا   تميماً بجَوْفِ الشَّام أَم مُتسَاكِرُ)

على أن سيبويه مثَّل به للإخبار عن النكرة بالمعرفة .

وهذا نصُّه : اعلم أَنَّه إذا وقع فى الباب نكرةٌ ومعرفة فالذى تُشْغَلُ به (كانَ) المعرفةُ ؛ لأَنَّه حَدُّ الكلام ، ولأَنَّهما شىءٌ واحد[٤] ، وليس بمنزلة قولك : ضرب رجلٌ زيدًا ، لأَنَّهما شيئان مختلفان ، وهما فى كان بمنزلتهما فى الابتداء . فإذا قلت : كان زيدٌ فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثلَه عندك ، وإنَّما ينتظر الخبر . فإذا قلت حليماً فقد أعلمته مثلَ ما علمت . فإذا قلت كان حليما فإنَّما ينتظر أَن تعرِّفه صاحبَ الصِّفة ، فهو مبدوءٌ به فى الفعل وإن كان مؤخَّرًا فى اللفظ . فإن قلت : كان حليم ،

(١) ط : « ما » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) الخزانة ٢ : ٣٦٧ .
(٣) فى كتابه ١ : ٢٣ ، ٣١٤ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٧٥ والمغنى ٤٩٠ والهمع ١ : ٦٧ وديوان الفرزدق ٤٨١ .
(٤) فى كتاب سيبويه : « لأنهما شىء واحد » بدون سبق للواو .

أَو رجل، فقد بَدأْتَ بنكرةٍ ، فلا يستقيم أَن تخبر المخاطَب عن المنكور.
ولا يُبدأُ بما فيه يكون اللَّبْس ، وهو النكرة . أَلَا ترى أَنَّك لو قلت كان حليماً أَو كان رجل منطلقًا ، كنتُ تُلبِس ، لأَنَّه لا يُستنكر أَن يكون إنسان هكذا . فكرِهوا أَن يبدءُوا باللَّبس ويجعلوا المعرفةَ خبرًا لما يكون فيه هذا اللَّبس . وقد يجوز فى الشعر فى ضعف من الكلام . حملَهُم على ذلك أَنَّه فعل بمنزلة ضرب ، وأَنَّه قد يُعلم إذا ذكرت زيدًا وجعلته خبرًا أَنَّه صاحب الصِّفة ، على ضعفٍ من الكلام . وذلك قول خِداش ابن زُهير : ٦٦

فإنَّك لا تُبالِي بَعْدَ حولٍ   أَظبيٌ كانَ أُمَّكَ أَم حمارُ

وقال حسَّان :

كأَنَّ سبيئةً من بيتِ رأْسٍ   يكونُ مِزاجَها عَسَلٌ وماءُ

وقال أَبو قيسِ بن الأَسلت الأَنصاريُّ :

أَلا مَنْ مُبلِغٌ حسَّانَ عنِّى   أَسحرٌ كان طبَّك أَم جُنونُ

وقال الفرزدق :

أَسكرانٌ كان ابنَ المَرَاغة إذْ هجا   تميمًا بجوف الشَّام أَم متساكِرُ

فهذا إنشاد بعضهم . وأَكثرهم ينصب السَّكران ويرفع الآخِرَ على قطع وابتداءٍ . انتهى كلام سيبويه .

وقوله : « وأَكثرهم ينصب السكران » ، أَى ويرفع ابن المراغة على أَنَّه اسم كان ويكون الخبر مقدَّماً وهو سكران . وعلى هذا لاَ قبحَ .
وقوله : « ويرفع الآخِر » هو متساكر ويكون رفعه على القطع بجعله خبرَ

مبتدإٍ محذوف ، أى أم هو متساكر ، فتكون أم منقطعة . وإذا رفع سكرانُ ونصب ابنَ المراغة ، وهذه مسألتنا ، ففيه قبحٌ لضرورة الشعر لأنَّه جعل اسم كان ضمير سكران وهو نكرة ، ويكون ابن المراغة خبر كانَ ، فيكون قد أخبر بمعرفة عن نكرة ، ويرتفع سكران حينئذ بكان محذوفة كما يأْتى بيانه ، ويكون متساكر معطوفًا عليه ، وعلى هذا أَمْ متَّصلة ، ويكون العطف من عطفِ مفردٍ على مفرد ، والجملة واحدة . وعلى الأَول جملتان .

وإنَّما قال الشارح المحقق : « وأَورد[١] سيبويه للتمثيل بالإِخبار عن النكرة بالمعرفة» ، ولم يقل : استشهَد للإِخبار ، لأَنَّ سيبويه لم يذهب إلى أَنَّ هذا جائزٌ فى الاختيار حتَّى يستشهدَ له ، وإنَّما هو قبيحٌ خاصٌّ بالشعر لم يرتَضِهِ فى الكلام . فأَوردَ هذه الأَبياتَ أَمثلةً لما استقبحَه فى الشِّعر .

وقد رُوى رفع ابن المراغة مع رفع سكران ، فيكون المعرَّف على هذا مبتدأً والمنكَّر خبراً وكَانَ زائدة .

وجوَّز ابن خلف أَن يضمر فى كان ضميرُ الشأْن . وهذا خطأٌ تبع فيه يوسفَ بنَ السيرافى (فى شرحه لشواهد سيبويه) .

قال ابن هشام : وضمير الشَّأْن يعود على ما بعده لزومًا ، ولا يجوز للجملة المفسِّرة له أَن تتقدَّم هى ولا شىءٌ منها عليه . وقد غَلط يوسف ابن السيرافى إذ قال فى قوله :

* أَسكران كان ابن المراغة إذ هجا * . . البيت

---

(١) ش : « وأورده » ، صوابه فى ط وشرح الرضى للكافية ٢ : ٢٧١ .

فيمن رفع سكرانُ وابنُ المراغة : إنّ[1] كان شأنية ، وابن المراغة وسكران مبتدأٌ وخبره ، والجملة خبر كان . والصَّواب أنَّ كان زائدة. والأشهر فى إنشادِهِ نصبُ سكران ورفع ابن المراغة ، فارتفاع متساكر على أنَّه خبر لهو محذوفاً . ويروى بالعكس فاسم كان مستتر فيها . انتهى .

٦٧ وقال أبو على (فى المسائل العسكرية) : قوله أسكرانُ رفع بفعل مضمر تكون كان تفسيراً له ، ودليلاً عليه . وحسُن الرفع فى هذا الموضع لأنَّ التقدير : أكان سكرانُ ابنَ المراغة ؟ فاستفهم عن سُكرِهِ لا عنه فى نفسه. وإذا كان كذلك كان الأَولى أن يرفع ، لأنَّ النكرة لما دخلها هذا المعنى من أنَّ القصد إنما وقع اليها ، وجب أن يكون الرفعُ ، فترفع بكان . وكذلك قول الآخر :

* أظبيٌ كان أُمَّك أم حمارُ * انتهى

ومثله لابن جنى (فى الخصائص) قال : وقد حُذِف خبرُ كان فى قوله :

* أسكرانُ كان ابن المراغة * البيت

ألا ترى أنَّ تقديره : أكان سكرانُ ابنَ المراغة ، فلمَّا حذف الفعل فسَّره بالثانى ، وابن المراغة المذكور خبر كان الظاهرة ، وخبر كان المضمرة محذوفٌ معها ، لأنَّ كان الثانية دلَّت على الأُولى . وكذلك الخبر الثانى الظاهر دلّ على الخبر الأَول المحذوف . انتهى .

وزعم ابن الملا الحلبى (فى شرح المغنى) أنَّ سكران مبتدأٌ . قال :

---

(١) ط : « وإن » ، صوابه فى ش .

وصحَّت ابتدائيَّته مع نكارته[1] لوقوعِه فى حيِّز الاستفهام ، وأنَّ جملة كان ابنَ المراغة خبره . هذا كلامه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للفرزدق هجا بها جريرًا . وأراد بابن المراغة جريراً ، وكان الفرزدق قد لقَّب أُمَّه بالمراغة ونسبها إلى أنَّها راعيةُ حَمِير . والمراغَة : الأتان التى لا تمتنع من الفحول . وإذ ظرف يتعلَّق بكان ، وفاعل هجا ضمير ابن المراغة . وأراد بتميم ههنا بنى دارم بن مالك بن حنظلة ، وهم رهط الفرزدق ، وجريرٌ من رهط كُليب بن يربوع بن حنظلة . فلم يعتدَّ الفرزدقُ برهط جرير فى تميم ، احتقاراً لهم . وأراد بجوف الشام داخلَها . وروى أبو على وابنُ جنّى وغيرُهما : « ببطن الشَّام » وهو بمعناه . وروى : « بجوِّ الشام » ، وهذا تحريف .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب[2]

* * *

وأنشد بعده :

(فإنَّك لا تُبالِي بَعْدَ حولٍ أَظبىٌ كانَ أُمَّكَ أَم حمارُ)

لما تقدَّم قبله ، فاسم كان ضمير ظبى وهو نكرة ، وأُمَّك بالنصب خبرها وهو معرفةٌ ، وظبى اسمٌ لكان المضمرة المدلولِ عليها بكان المذكورة ، وهو نكرةٌ أيضاً ، وخبر المحذوفة محذوف أيضًا مدلولٌ عليه بخبر المذكورة ، كما تقدَّم عن ابن جنى .

وقيل : ظبى مبتدأٌ وجملة كان أُمَّك خبره .

قال ابن هشام (فى المغنى) الأوَّل أولى، لأنَّ همزة الاستفهام بالجمل

---

(١) فى اللسان أن المنكر ضد المعروف ، وقد نكر نكارة .

(٢) الخزانة ١ : ٢١٧ .

الفعلية أولى منها بالاسمية . وعليهما فاسم كان ضميرٌ راجع إليه .
وقول سيبويه إنّه أخبر عن النكرة بالمعرفة واضحٌ على الأوّل ، لأنّ
ظبياً المذكور اسم كان ، وخبره أُمّك ، وأمّا على الثانى فخبر ظبى إنّما هو
الجملة والجمل نكرات ، ولكن يكون محلّ الاستشهاد قوله : كان أُمّك
على أنّ ضمير النكرة عنده نكرة[1] . انتهى .

وذهب صاحب (المفتاح) إلى أنّ تنكير المسند إليه غير موجود
بالاستقراء . وأما هذا البيت ونحوه فتنكير المسند إليه إنما هو فى ظبى
إذا ارتفعَ بالمضمر ، لا فى ضمير كان العائد عليه . وهو واردٌ على القلب ،
والأصل : أظبيًا كان أُمُّك أم حمارًا . قال : إنّ كون المسند إليه نكرة
والمسند معرفة سواءٌ . قُلنا : يمتنع عقلا أو يصحُّ عقلا ليس فى كلام العرب ،
وأمّا ما جاءَ من نحو قوله :

* ولايك موقفٌ منك الوداعا[2] *

٦٨

وقوله :

* يكون مزاجها عَسَلٌ وماءُ[3] *

وبيت الكتاب :

* أظبىٌ كان أُمّك أم حمارُ *

---

(١) فى النسختين : « أعيدت نكرة » ، صوابه من المغنى ٥٩٠ . وبعده : « لا على أن الاسم مقدم » .

(٢) هو الشاهد ١٤٣ فى الخزانة ٢ : ٣٦٧ .

(٣) هو الشاهد ٧٣٢ فى هذا الجزء الثامن ، كما سبق الاستشهاد به بعد الشاهد ٧٤١ . وما بعده من الكلام إلى « وماء » التالية ساقط من ش .

فمحمولٌ على مِنوال : عرضتُ الناقةَ على الحوض . وأَصل الاستعمال : ولايك موقفًا منك الوداعُ ، ويكون مزاجُها عسلاً وماءً ، وأَظبياً كان أُمُّك ام حماراً . ولا تظنَّنَّ بيتَ الكتاب خارجًا عما نحن فيه ، ذهابًا إلى أَنَّ اسم كان هو الضمير ، والضمير معرفة ، فليس المراد كان أُمّك ، إنّما المراد ظبيٌ ، بناءً على أَنَّ ارتفاعه بالفعل المفسَّر لا بالابتداء . ولذلك قدَّرنا الأَصل على ما ترى . انتهى .

واختار السعد (فى المطوَّل) هذا الأَخير ، فليس فيه قلبٌ لفظى وإنَّما يكون فيه قلب معنوى . قال : قيل إنَّه قلبٌ من جهة اللَّفظ ، بناءً على أَنَّ ظبي مرفوع بكان المقدَّرة لا بالابتداء ، فصار الاسم نكرة والخبر معرفة . والحقُّ أَنَّ ظبي مبتدأٌ ، وكان أُمك خبره ، فحينئذ[1] لا قَلْب فيه من جهة اللَّفظ ، لأَنَّ اسم كان ضمير ، والضمير معرفة . نعم فيه قلبٌ من جهة المعنى ؛ لأَنَّ المخبر عنه فى الأَصل هو الأُمّ . انتهى .

ويشهد للقلب ما رواه ابن خلف ، قال : وقد يُنشَد :

* أَظبيًا كان أُمُّك أَم حمارُ *

على أَنَّه جعل اسم كان معرفة وخبرها نكرة . فهذا جيِّد ، إلَّا أَنَّه كان يجب أَن ينصب حمار ، لأَنَّه معطوف على ظبي . فيجوز رفعُه على إضمار مبتدإٍ . قال المبرد (فى كتابه الجامع) : والأَجود فى هذه الأَبيات نصب الأَخبار المقدَّمة ورفع المعارف ، ورفع القوافى على قطعٍ وابتداءٍ . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من أَبياتٍ لِثَرْوانَ بنِ فَزَارة العامرىِّ الصحابى ، وقد تقدم الكلام عليها مفصّلا فى الشاهد الرابع والعشرين بعد الخمسمائة[2] .

* * *

(١) ش : « فح » بدل « فحينئذ » ، وهى كتابة رمزية اختزالية .
(٢) الخزانة ٧ : ١٩٢ – ١٩٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[١] :

٧٤٣ (أَلَا مَنْ مُبلِغٌ حَسَّانَ عَنِّى أَطِبٌّ كان سِحْرَكَ أَم جُنونُ)

لما تقدَّم قبله ، والكلام فيه كما تقدَّم .

والطِّبّ بالكسر ، قال الأَعلمَ : هو هنا العِلَّة والسَّبب ، أى أُسحِرتَ فكان ذلك سببَ هجائك أم جُنِنت . وسِحرٌ هنا مصدرُ سُحِرَ المبنى للمفعول ، وهو مضافٌ للمفعول .

صاحب الشاهد

والبيت لأَبى قيس بن الأَسلت الأَنصارى . وقد اختُلف فى إسلامه . وحَسَّان هو ابن ثابتٍ شاعرُ النبىّ صلى الله عليه وسلم . وكان أَبو قيسٍ من الأَوس ، وحسَّان من الخزرج ، وكانا يتهاجيان ، فقال أَبو قيس لحسان : أَذهَبَ عنك عقلَك بسحرٍ حتَّى اجترأْتَ على هجائِى ، أَم أَصابك جنونٌ فلم تدرِ ما صنَعْتَ . يُعْظِم فى نفسِ حَسّان ما يأْتى مِن هجاءِ الأَوس وشُعَرائِها ، ويتوعَّده بالمقارضة .

ورواه ابن دريد (فى الجمهرة) كذا :

* أَطِبٌّ كان داءَك أَم جنونُ *

وقال : الطِّبّ هنا : السِّحر . وروى أَيضاً :

* أَطِبٌّ كان شأْنَكَ أَم جنون *

وهما أَحسنُ من الرِّواية الأُولى . وبعده :

(فلستَ بزائلٍ أَبـدًا تَمنَّى بصدرك من وَحاوِحِهِ فُنونُ[٢])

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٣ ، واللسان (طبب ٤٢) .

(٢) ش : « لصدرك » .

والوحاوح بواوين ومهملتين : الحزازات .

وأَبو قيسٍ تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد السابع والثلاثين بعد المائتين[(١)] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأَربعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[(٢)] : ٦٩

٧٤٤ (إنَّما يَجْزِى الفَتَى ليسَ الجَمَلْ)

هذا عجزٌ وصدره :

(وإذا أُقْرِضْتَ قرضاً فاجزِهِ)

على أنَّ (ليس) يجوز حذف خبرها كثيرًا كهذا البيت ، أى ليس الجمل جازيًا أَو يَجزِى . وقيل إنَّ الجمَل هو الخبر ، وسكِّن للقافية ، واسمها ضمير اسم الفاعل المفهوم من يَجزى ، أى ليس الجازى الجمل ، فلا حذف فيه . وقيل : إنَّ ليس فيه عاطفة ، وقد ذكره الشارح فى لا العاطفة ، وسيأْتى الكلام عليه هناك إن شاءَ الله .

هذا ورواية البيت عند سيبويه :

* إنَّما يجزى الفتَى غَيْرُ الجَمَلْ *

وكذا رواه الطوسى فى شرح ديوان لبيد .

وأَنشده سيبويه على أَنَّ الفتى وهو معرفة قد نُعت بغير ، وهى نكرة ، والذى سوّغه أَنَّ التعريف باللام يكون للجنس ولا يخصُّ واحدًا بعينه ، فهو مقاربٌ للنكرة ؛ وأَنَّ غيرًا مضاف إلى معرفة فقاربت المعارف لذلك.

(١) الخزانة ٣ : ٤٠٩ – ٤١٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٠ . وانظر مجالس ثعلب ٥١٥ والمقتضب ٤ : ٤١٠ ، والأصول ١ : ٣٤٨ ، ٣٦٨ والأزهية ١٩٢ ، ٣٠٥ ودلائل الإعجاز ٢٩٩ والعينى ٤ : ١٧٦ والتصريح ١ : ٢٩١ / ٢ : ١٣٥ وديوان لبيد ١٧٩ .

وكذا أورده ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) قال : إنَّ غيرًا لا تدخل فى الاستثناء إلَّا فى الموضع الذى ضارعت فيه إلاَّ . أَلَا ترى أنَّك تقول مررت برجلٍ غيرِك ولا تقع إلاَّ فى مكانها ، لا يجوز أن تقول : جاءنى رجل إلاَّ زيد ، تريد غير زيد على الوصف . فالاستثناءُ هنا محال . ولكن تقول : ما يحسُنُ بالرجل إلاَّ زيدٍ أنْ يفعَل كذا ، لأنَّ الرجل جنسٌ ، ومعناه : بالرجل الذى هو غير زيد ، كما قال :

* إنَّما يَجزى الفتى غير الجمل * انتهى

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ طويلة للبيد بن ربيعةَ الصَّحابى ، وقد تقدَّم بعضُها فى الشاهد الثامن والعشرين بعد المائتين[1] . وهذه أبياتٌ منها[2] :

أبيات الشاهد

(اعقِلِى إنْ كنتِ لمَّـا تَعقِلِى ولقَدْ أَفلحَ مَنْ كان عَقَـلْ
إن تَرَىْ رأْسِىَ أَمسى واضحاً سُلِّطَ الشَّيبُ عليه فاشتعَلْ
فلقـد أُعْوِصُ بالخَصم وقـد أَملأُ الجَفْنةَ من شَحمِ القُلَلْ
ولقد تَحمَـدُ لمَّـا فارقت جارتى، والحمدُ من خير الخوَلْ
وغـلامٍ أَرسـلَتْهُ أُمُّـه بأَلوكٍ فبـذَلْنَا مـا سـأَلْ
أَو نَهَتـه فـأَتاهُ رِزقُـه فاشتوى ليـلةَ ريحٍ واجتَمْل
مِن شواءٍ ليس مِن عارضـةٍ بيدَىْ كلِّ هَضُـومٍ ذى نَزَلْ
فإذا جُوزِيتَ قـرضًا فاجزِهِ إنَّما يَجزى الفتى ليسَ الجمَلْ
أَعمِلِ العِيسَ على عِلَّاتِهـا إنَّما يُنجِحُ أَصحـابُ العمَلْ
وإذا رُمْتَ رحيلاً فارتحِـلْ واعصِ ما يأْمُرُ توصيمُ الكسَلْ

---

(١) الخزانة ٣ : ٣٦٨ – ٣٧٣ .
(٢) ديوان لبيد ١٧٧ – ١٨٠ .

إنَّ صِدقَ النَّفسِ يُزرِى بالأَمَلْ واكذِب النَّفسَ إذا حدَّثتَها
واخزُها بالبرِّ للهِ الأَجَلّْ) غيرَ أنْ لا تكذِبَنْها فى التُّقى

قوله : « اعقلى إن كنت » إلخ يخاطب عاذلتَه ، وقيل نفسه . وعقَلت الشىءَ عقلاً ، من باب ضرب ، إذا تدبَّرته . ولمَّا نافية .

وقوله : « إن تَرَىْ رأسىَ » إلخ وضَح الشَّىءُ وضوحًا ، إذا بَرَقَ بياضُه . وشبَّه انتشارَ الشَّيب باشتعال النار ، فى سُرعة الالتهاب .

٧٠ وقوله : « فلقد أُعْوِصُ » إلخ أَعْوَصَ بالخصم ، إذا لوَى عليه أَمرَه . وقال الطوسى : أُعوِصُ : أَركَب به الأَمرَ العويص ، أَى الشَّديد . ويقال أَعوِصْ به ، أَى ائْتِهِ بالعَويص[1] . ويقال : أَعوِصْ [به[2]] ، أَى احمله على العَوْصاء ، وهى الشِّدَّة . والجَفنَة ، بفتح الجيم : القَصْعة . وأَراد بالقُلَلَ الأَسنمة : جمع سَنام ، والواحدُ قُلَّة . وقُلَّة كلِّ شىءٍ : أَعلاه وأَرفعُه . يقول : إنِّى وإن شِبْتُ فإنِّى أَنفعُ وأَضرّ .

وقوله : « ولقد تَحمَد » إلخ جارتى فاعل تحمَد . والخَوَل بفتح الخاءِ المعجمة : العطيَّة .

وقوله : « وغلامٍ أَرسَلَتْه » إلخ ، الواو واو ربّ . والأَلوك ، بفتح الهمزة : الرسالة ، ومنه أَلِكْنى السَّلامَ إلى فلانٍ ، أَى أَبلِغْ عنِّى السَّلام .

وقوله : « أَو نهته فأَتاه » إلخ معطوف على أَرسلَتْه ، أَى ربَّ غلامٍ نَهتَه أُمّه عن السؤالِ مِنَّا حياءً أَوْ قُنوعا فبعثنا إليه بما اشْتَوَى واجتمل . يريد

(١) ط : « أى آتيه بالعويص » على أنه تفسير للمضارع . وإنما المراد هنا تفسير الأمر كما فى ش .

(٢) التكلة فى ش .

إنّنا نُنعِم على الفقير على كلّ حال ، سواءٌ جاءَ يطلبُ أو مُنِع من الطلب. يقال شوَيتُ اللحم ، واشتويته . وإذا شويته فنضِج قلت قد انشوى بالنون لا غير . واجتمل : اتّخذ الجَمِيل ، بفتح الجيم ، وهو الشّحم المذاب . يقال اجتمل ، أى أذابَ الشّحم . وفى الحديث : « لعن الله اليهودَ حُرِّمت عليهم الشُّحُوم فَجمَلوها فباعوها[١] » : وقال الطُّوسى : ويقال اجتمل اللحمَ أى طبخه بالشّحم ليس معه ماءٌ ، وذلك إذا قَلاه به . وقوله : « ليلة ريح » أى ليلة بردٍ من الشّتاء . وهذا غايةُ الكرم ، فإنَّ شدَّة العَرب وبُؤْسَهم فى الشتاء ، لعدم النبات .

وهذا البيت استشهدَ به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ ولهُمْ ما يَدَّعُونَ[٢] ﴾ على أنَّ يدَّعون افتعالٌ من الدُّعاء ، أى يدعون لأنفسهم ، كما فى اشتوى واجتمل ، أى شوى لنفسه وجَمَل لنفسه . ومثله (فى الصحاح) قال : اشتويت : اتّخذت شواءً . وأنشدَ هذا البيت .

وقوله : « من شواءٍ » إلخ مِن متعلقة باشتوى فى البيت المتقدِّم . قال صاحب الصحاح ، شويت اللحم شَيًّا ، والاسم الشِّواءُ . والعارضة : الناقة التى أصابها كَسرٌ أو عَرَض فنُحرت . والهَضُوم ، بفتح الهاء وضم المعجمة : الفتَى الذى يُهتَضَم مالُهُ يُقطع منه ويُكسَر . والنَّزَل ، بفتح النون والزاى : المعروف والخير .

وقوله : فإذا أُقرِضْتَ[٣] » إلخ بالبناء للمفعول ، يقال : أَقرضَنى

---

(١) من حديث جابر بن عبد الله فى البخارى (المغازى والتفسير) ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى (البيوع) وابن ماجه (التجارات) . وانظر الحديث ٦٣٨ من الألف المختارة . واللفظ فيها : « قاتل الله اليهود ، لما حرم الله عليهم شحومها جملوها ثم باعوها فأكلوها » .

(٢) الآية ٥٧ من سورة يس .

(٣) هذه الرواية غير الرواية التى أثبتت فى الأبيات السابقة والديوان ، وهى الرواية الأخرى التى أثبتها البغدادى فى أول الكلام على الشاهد .

فلانٌ، أى أعطانى قَرْضاً . والقرض : ما تُعطيه من المال لتُقْضاه [١] . والقرض هنا : ما سلف من إحسان أو إساءة . قال أُميَّة بن أبى الصَّلت :

لا تَخلِطَنَّ خبيثـاتٍ بطيِّبـةٍ واخلَعْ ثيابك منها وانْجُ عريانا [٢]

كلُّ امرئٍ سوف يُجزَى قَرْضَه حسنًا

أو سيِّئًا ومَدِينا كالـذى دَانـا

وزعم العينى أنَّ قرضاً هنا مفعول مطلق . وقال الزَّجاجُ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَنْ ذا الذى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حسَنًا [٣] ﴾ : معنى القرض فى اللُّغة : البَلَاءُ السَّيِّئُ والبلاءُ الحسَن . العرب تقول : لك عندى قرضٌ حسنٌ وقرضٌ سَيِّئٌ . وأصل القرض ما يُعطِيه الرجلُ ليجازَى عليه . وأنشد بيتَ لبيد وبيت أُمية .

وقوله : (فاجزهِ) أمرٌ من الجزاء . قال صاحب المصباح : جزَى يَجزِى مثل قضى يقضى وزنًا ومعنى . وفى الدعاءِ : جزاه الله خيرًا ، أى قضاه له وأثابه عليه ، وجَزَيت الدَّينَ : قضيتُه . ورُوِى :

* فإذا جُوزيتَ قَرضًا فاجزهِ *

قال العينى : هما بمعنى واحد . وليس كذلك ، لأنَّ الجزاءَ لا يكون إلاَّ بعدَ الإقراض ، لا على الجزاءِ .

٧١ وقوله (إنَّما يَجْزِى الفَتَى) إلخ بالبناءِ للمعلوم ، والفتى فاعله . وزعم

---

(١) ط : « لتقتضاه » ، صوابه فى ش .

(٢) ديوان أمية بن أبى الصلت ٦٣ .

(٣) الآية ٢٤٥ من البقرة ، وكذلك الآية ١١ من سورة الحديد .

العينى أَنَّه بالبناءِ للمجهول ، والفتى نائب الفاعل . وكأَنَّه لم يتصوَّر المعنى. ومعناه أَنَّ الذى يَجْزِى بما يُعامَل به من حَسَن أَو قبيح هو الإِنسان لا البهيمة . قال الزمخشرى (فى المستقصى) وقيل : الفتى السيِّد اللبيب . والعرب تقول للجاهل : ياجمل . أى إِنَّما يَجزِى اللبيبُ مِن الناس لا الجاهلُ . يُضرَب فى الحثِّ على مجازاة الخير والشر . انتهى .

وعلى هذا فيكون للجمل هنا موقع ، لا أَنَّه جاءَ للقافية فقط كما زعم الطوسى .

والجمل كنيته عند العرب أَبو أَيُّوب . قال ابن الأَثير (فى المرصَّع) كُنِّى الجملُ به لصبره على المَسِير والأَحمال ، تشبيها بصبر أَيُّوب عليه السلام[1] .

وإِلى هذا لَمَّح علىُّ بن العباس، الشهيرُ بابن الرُّومى ، فى شعر لبيدٍ وقد ضمَّنه فى شعره هاجيًا به وزيرَ المعتضِد،أَبا أَيُّوبَ سليمانَ بنَ عبدِ الله فقال :

يا أَبا أَيُّوبَ هــذِى كنيــةٌ	من كُنَى الأَنعامِ قِدمًا لَمْ تَزَلْ
ولقــد وُفِّق من كَنَّاكَهـــا	وأَصابَ الحقَّ فيهـا وعدَلْ
أَنت شِبهٌ للــذى تُكنَى به	ولِبعضِ الخلْقِ من بعضٍ مَثَلْ[2]
لستُ أَلحــاك على ما سُمتنى	من قبيح الرَّدِّ أَو مَنْع النَّفَلْ[3]
قد قضَى قولُ لبيــدٍ بيننـا	إِنَّما يَجزِى الفتى ليسَ الجملْ

(١) إلى هنا ينتهى النص فى المرصع لابن الأثير ٥٧ . وفيه : « لشبهه بصبر أيوب عليه السلام » .

(٢) ط : « من بعض بطل » صوابه فى ش وديوان ابن الرومى ١٩٠٢ .

(٣) النفل ، بالتحريك : العطية والهبة ، ومثله النافلة والنوفل . كما أن النوفل الكثير العطاء .

كم جَدَوناك لترقى فى العــلا وأَبى الله ، فلا تعْلُ هُبَــلْ[١]

ولم أَر ذكر أَيُّوبَ واشتقاقَه فى كتب اللغة المدوَّنة ، كالقاموس، والعباب ، والصِّحاح مع كثرةِ دورانِه فى الأَلسنة ، ولا فى مفردات القرآن مع أَنَّه مذكور فيه .

وفى المعرَّبات للجواليقى : قال أَبو على : وقياس همزة أَيُّوب أَن تكون أَصلاً غير زائدة ، لأَنَّه لا يخلو أَن يكون فيعولا أَو فَعْلولا . فإن جعلته فيعولا كان قياسُه لو كان عربيًّا أَنْ يكون من الأَوب مثل قَيّوم ، ويمكن أَن يكون فَعُّولا مثل سَفُّود وكَلُّوب ، وإن لم يعلم فى الأَمثلة هذا ، لأَنَّه لا يُنكَر أَنْ يجىءَ العجمىُّ على مِثالٍ[٢] لا يكون فى العربى. ولا يكون من الأَوْب وقد قلبت الواو فيه إلى الياءِ ، لأَنَّ من يقول صُيِّم فى صُوَّم لا يقلب إذا تباعدت من الطَّرف، فلا يقول إلاَّ صُوَّام . وكذلك هذه العين إذا تباعدت من الطرف وحَجز الواوُ بينه وبين الآخِر لم يجز فيه القلب[٣] . انتهى .

فأَجاز أَن يكون من مادة (أَوب) ومن مادة (أَيب) ، والمادتان مذكورتان فى القاموس ، وفى غيره الأُولَى فقط .

---

(١) إشارة إلى ما كان من قول أبى سفيان بن حرب حين ظفر يوم أحد: « اعل هبل »، أى أعل يا هبل دينك ، وقال السهيلى : « معناه زد علواً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أعلى وأجل » . انظر الحديث رقم ٥٥٢ من الألف المختارة ، والروض الأنف ٢ : ١٤٣ والسيرة ٥٨٢ جوتنجن .

(٢) ط : « على لسان » ، صوابه فى ش والمعرب للجواليقى ١٥ .

(٣) فى النسختين : « إلا القلب » ، وهو عكس المراد ، صوابه من المعرب ١٥ ، وإن كان فى بعض أصوله « إلا القلب » بزيادة « إلا » . وقد تنبه إلى هذا الخطأ الذى نبهت عليه مصحح نسخة بولاق من الخزانة .

وقوله : « أعمِلِ العِيس » إلخ أعمِلْ : أمرٌ من الإعمال ، وهو الإشغال . والعِيس : الإبل البِيض . وروى « العَنْس » بالنون ، وهى الناقة الشديدة . والعِلاَّت ، بالكسر : الحالات ، جمع عِلَّة بمعنى الحالة .

وقوله : « وإذا رُمتَ رَحِيلاً » إلخ توصيم فاعل يأمُر ،والمفعول محذوف أى يأْمره . والتوصيم ، بالصاد المهملة ، هو فى الجَسَد كالتكسير والفَتْرة ؛ ووَصَّمته الحمَّى بالتشديد ، إذا أحدثَتْ فيه فترةً وتكسيراً . وهو من الوَصْم ، وهو الصَّدع فى العُود من غير بَينونة . والوصم أيضًا : العيبُ والعار .

٧٢ وقوله : « وأكذب النفس » إلخ ، اكذِبْ فعل أمر ، والنفسَ مفعوله ، وحَدَّثتها بالبناء للفاعل . قال الزمخشرى (فى المستقصى) : هذا المصراع مَثَلٌ يضرَب فى الحثِّ على الجسارة ؛ أى حدِّثْها بالظَّفَر وبلوغِ الأَملِ إذا هممتَ بأمر ، لتنشِّطها للإقدام ؛ ولا تناغِها[1] بالخيبة فتثبِّطَها . انتهى .

وقوله : « إنَّ صِدْقَ » إلخ ، يعنى إذا حدَّثتَ نفسَك بالموت لمْ تُعَمِّر شيئًا ولم تؤثِّل مالاً ، وفسَد عليك عيشُكَ ، فأَزرى ذلك بأَملك . والإزراءُ بتقديم المعجمة على المهملة : النقص . قال بعضهم :

وإذا صدَقْتَ النَّفسَ لم تتركْ لها أملاً ويأْمُلُ ما اشتهى المكذوبُ

وأورد هذا البيت صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ ونَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ به نَفْسُهُ[2] ﴾ على أنَّ ما مصدرية ، فإنَّه يقال : حدَّث نفسَهَ بكذا ، كما يقولون حدثتْه به نفسُه[3] .

---

(١) المناغاة : المحادثة ، ومنه مناغاة الصبى . وفى النسختين هنا : « ولا تنازعها » ، صوابه من المستقصى ١ : ٢٨٩ .

(٢) الآية ١٦ من سورة ق .

(٣) ش : « فإنه يقال حدث به نفسه » فقط .

وقوله «غير أنْ لا تكذبَنْها» ، هو استثناءٌ من قوله أكذب النفس . واخزُها بالمعجمتين : أمرٌ من خَزاه يَخزُوه خَزْوًا ، إذا ساسهَ وقهره . والباءُ متعلِّقة به ، ولله متعلق بالبرّ . والأَجلُّ : أفعل تفضيل .

وترجمة لبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[١] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأَربعون بعد السبعمائة[٢] :

٧٤٥ (لم يَكُ الحقَّ على أنْ هاجَه رَسْمُ دارٍ قـد تَعَفَّى بالسَّرَرْ)

على أَنَّ حذف نون (يكن) المجزوم الملاقى للسَّاكن ، جائزٌ عند يونس . وقال السيرافى : هذا شاذّ .

والبيت أَنشده أَبو زيد (فى نوادره) مع بيت آخر بعده ، وهو :

(غيَّرَ الجِدَّةَ من عِرفانـــه خِرَقُ الرِّيح وطُوفان المَطَرْ)

وقال بعدهما : لا أَعرف بيتًا حُذفت منه النون من يكن مع الأَلف واللام غير هذا البيت . وهذا الحصر غير صحيح ، فقد سُمِع فى غيره ، قال ابن صخرٍ الأَسدى[٣] :

فإنْ لاتكُ المرآةُ أَبدَتْ وَسَـــامةً فقد أَبدت المِرآةُ جَبْهةَ ضَيغمِ

قال ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) : قالوا : لم يكن الرّجل ، لأَنَّ هذا موضعٌ تحرَّك فيه النون ، والنون إذا وليها الأَلف واللام للتعريف

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٠٤٦ .

(٢) نوادر أبى زيد ٧٧ والخصائص ١ : ٩٠ والمنصف ٢ : ٢٢٨ والهمع ١ : ١٢٢ .

(٣) اسمه الخنجر بن صخر الأسدى . وانظر تخريج هذا الشاهد فى معجم الشواهد .

لم تحذف إلاَّ أن يُضطرَّ إليه شاعر ، فيجوز ذلك على قُبحٍ واضطرار . وأَنشدَ هذين البيتين .

وكذلك ذهب إلى أنَّه ضرورةٌ أبو على (فى كتاب الشعر)، وابنُ عصفور (فى الضرائر) .

وقال ابن جنى (فى سر الصناعة) : أَنشد قطربٌ وقرأْناه على بعض أَصحابنا يرفعه إليه :

* لم يك الحقَّ سوى أَنْ هاجه * البيت

أى لم يكن الحقَّ . وكان حكمُه إذا وقعت النون موقعاً تحرَّك فيه فتقوَى بالحركة أَن لا يحذفها ، لأَنَّها بحركتها قد فارقت شَبهَ حروفِ اللِّين ، إذْ كنَّ لا يكنَّ إلاَّ سَوَاكن . وحذفُ النُّون من يكن أَقبح من حذف التنوين ونون التثنية والجمع ، لأَنَ النون فى يكن أَصلٌ ، وهى لام الفعل ، والتنوين والنون زائدتان[1] ، فالحذف فيهما أَسهل منه فى لام الفعل . وحذفُ النون من يكنْ أَيضاً أَقبح من حذف نون مِنْ فى قوله :

* غيرَ الذى قد يُقالُ مِ الكذِبِ[2] *

أَى من الكذب ، لأَنَّ يكن أَصله يكونُ ، حُذِفت منه الواو لالتقاءِ الساكنين ، فإذا حذفتَ منه النون أَيضًا لالتقاءِ الساكنين أَجحفْتَ به لتوالى الحذفين ، لا سيَّما من وجه واحد عليه . هذا قول أَصحابنا فى

٧٣

(١) هذا الصواب من ش . وفى ط : « الزائدتان » .

(٢) صدره فى اللسان (ألك) ، والخصائص ١ : ٣١١ / ٣ : ٢٧٥ :

* أبلغ أبا دختنوس مألكة *

هذا البيت . وأرى أنا شيئًا آخر غير ذلك ، وهو أن يكون جاءَ بالحقِّ بعد ما حذفَ النون من يكن ، فصار يلك ، مثل قوله : ﴿ ولم تَكُ شيئًا[1] ﴾ فلمَّا قدَّره يلك ، جاءَ بالحق بعد ما جاز الحذف فى النُّون وهى ساكنة تخفيفًا ، فبقِى محذوفًا بحاله ، فقال : لم يلك الحقُّ . ولو كان قدَّره يكنْ ثم جاءَ بالحق لوجبَ أن يكسِر نونه لالتقاءِ الساكنين .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنَّ تعليله يقتضى قياس هذا الحذف . وهذا الذى ادَّعاه لنفسه هو لشيخِهِ أبى على (فى المسائل العسكريَّة) قال فى آخرها ، بعد إنشاد البيت : إنْ قلت فيه إنَّ الجزم لحِقَه قبل لَحَاق السَّاكن واجتماعِه معَه ، فكأنَّ السَّاكنَ الثانىَ قد مَضَى فى الحرف . ونظير هذا إنشادُ مَنْ أنشَد :

* فغُضَّ الطَّرفَ إنَّك من نُميرٍ[2] *

حرَّك الساكن الأوَّل فلحقَ الساكن الثانى وقد مضى الحذف[3] بالفتح للسَّاكن الأوَّل ، فكذلك لَحِق الساكن وقد مضى الحذفُ فى الحرف . وإنْ شئت قلت إنَّ الحركة هنا كانت لالتقاءِ الساكنين لم يعتدَّ بها ، وكان الحرفُ فى نيّة سكون ، فكما كان يحذفها ساكنة كذلك يحذفُها إذا كانت فى نيَّة السكون . انتهى كلامه .

وقوله : (على أنْ هاجَه) ظرف مستقرٌّ فى موضع الخبر لكان . و (الحقّ) يطلق على معانٍ منها وهو المراد هنا : الموجودُ بحسب مقتضى

---

(١) الآية ٩ من سورة مريم .

(٢) لجرير فى ديوانه ٧٥ . وانظر معجم الشواهد . وعجزه :

* فلا كعباً بلغت ولا كلابا *

(٣) فى النسختين : « الحرف » ، وانظر ما سيأتى .

الحكمة ، أى ليس بلائقٍ بالعاشق أن يَهيج حزنَه الرسمُ الدَّاثر . وهاج هنا متعدٍّ بمعنى أثار ، والهاءُ مفعول مقدَّم ضمير العاشقِ فى بيتٍ قبله ، وهو على حذف مضاف أى هاج حُزنَه ووَجدَه . ورسمٌ فاعل هاج ، وهو أثر الدار ، وجملة (قد تعفَّى) فى موضع الصِّفة لرسم . وتعفَّى : مبالغة عفَا الرّسمُ ، أى دثَرَ ودرس . وقوله : (بالسِّرَر) ظرف مستقَرٌّ فى موضع الصِّفة لدار ، فقد وصف المضاف والمضاف إليه . والسَّرَر هنا ضبطه أبو حاتم بفتح السين والراء المهملتين[1] وقد يكسر الأَوَّل[2] ؛ وكلٌّ منهما اسم موضع . قال ياقوت (فى معجم البلدان) : قال نصر : السَّرَر بالتحريك : وادٍ يدفع من اليمامة إلى أرض حضرموت . والسِّرَر بكسر أوله ،قال السُّكَّرى فى قول أبى ذؤيب :

بآيةِ مـــا وقَفَتْ والرِّكـــا ... بُ بين الحَجُون وبين السِّرَرْ[3] :

هو موضعٌ على أربعة أميال من مكَّة حرسها الله تعالى ، عن يمين الجبل بطريق مِنًى . وكان عبد الصَّمد بن على اتَّخذ عنده مسجداً كان به شجرةٌ ، ذُكِر أنَّه سُرَّ تحتها سبعون نبيًّا ، أى قطعت سُرَرُهُم . انتهى .

وكذا قال ياقوت ناقلاً عن الأزهرى : عن ابن عمر أنَّه سُرَّ تحتها سبعون نبيًّا ، سمِّى سُرَراً لذلك .

ثم قال ياقوت : وروى المغاربة : « السُّرَر » : وادٍ على أربعة أميال من مكة عن يمين الجبل ، قالوا : هو بضم السين وفتح الراء الأُولى ، قالوا :

---

(١) انظر النوادر ٧٧ .

(٢) ط : « وقيده بكسر الأول » ، صوابه فى ش .

(٣) شرح السكرى ١١٣ .

كذا رواه المحدِّثون بلا خلاف . قال الرياشى : المحدِّثون يضمُّونه ، وهو إنَّما هو السَّرَر بالفتح . وهذا الوادى هو الذى سُرَّ فيه سبعون نبيًّا ، أى قطعت سِرَرُهم بالكسر . وهو الأَصَحّ . انتهى .

وروى : « ودَثَر » بدل قوله « بالسرر » أى دَرَسَ ولم يبق منه شىءٌ . وعلى هذا يكون معطوفًا على تعفَّى ، فيكون صفةً لرسم أيضا .

وقوله : « غيَّر الجدَّة » إلخ هذه الجملة صفةٌ لرسم أيضًا . والجِدّة بكسر الجيم : مصدر جَدّ الشىءُ يجد بالكسر جِدَّة ، هو خلاف القديم. ٧٤
والعِرفان بالكسر : مصدر عَرَفته عِرفةً بالكسر وعِرفانًا ، إذا علمتَه بحاسَّةٍ من الحواسِّ الخمس ، فهو مصدر مضاف لمفعوله ، والهاءُ ضمير الرسم ، وفاعله محذوف . وخِرَق فاعل غيَّرَ ، وهو بكسر الخاءِ المعجمة وفتح الراءِ المهملة ، أى القِطَع من الرِّيح ، جمع خِرقة . وروى الأَصمعى : « خُرُق » بضمتين جمع خَريق ، وهى الريح التى تتخرَّق فى الجبال وغيرها . و « طُوفان المطر » : كثرته . كذا قال أَبو حاتم فيما كتبه على النوادر . يقول : غيَّرت كثرةُ الرِّيحِ والأَمطار ما استجدَدْناه من معرفتنا لهذا الرسم .

حسيل بن عرفطة

والبيتان نسبهما أَبو زيد لحُسَيل بن عرفطة قال : وهو شاعر جاهلى. وحُسَيل : مصغر حِسْل ، بكسر الحاءِ وسكون السين المهملة بعدهما لام ، وهو ولد الضَّبِّ . قال أَبو العباس [1] : هو حَسِيل بفتح الحاءِ وكسر السين. وقال أَبو حاتم : وحُسَين : مصغر حسن بالنون . وغلَّطه الأَخفش فيه . والله أَعلم .

---

(١) أبو العباس هذا هو محمد بن يزيد الأزدى المبرد ، شيخ أبى الحسن على بن سليمان الأخفش .

أفعــال المقاربة

أَنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والأَربعون بعد السبعمائة[(١)] :

٧٤٦ (إذا غَيَّرَ النَّأْىُ المُحِبِّينَ لم يَكَدْ   رَسِيسُ الهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ)

على أَنَّ بعضهم قال : إنَّ النفى إذا دخَل على (كاد) تكون فى الماضى للإثبات ، وفى المستقبل كالأَفعال ، مستمسكاً بالآية وهذا البيت.

وهذا الفصل فى (كاد) هنا هو بعينه عبارة اللُّباب بتغيير كلِمِهِ . قال (صاحب اللباب) : وإذا دخل النَّفْىُ على كاد فهو كسائر الأَفعال على الصحيح ، وقيل يكون للإثبات ، وقيل يكون فى الماضى دون المستقبل ، تمسُّكاً بقوله تعالى : ﴿وما كادُوا يَفْعلون[(٢)]﴾ ، وبِقولِ ذِى الرُّمّة :

* إذا غيَّرَ الهجرُ المحبِّينَ لم يَكَدْ * .... إلخ

والجواب أَنَّه لنفى مقاربة الذَّبح ، وحصولُ الذَّبح بعدُ لا ينافيها ، ولم يُؤْخَذ من لفظ : وما كادُوا ، بل من لفظ : فَذَبَحوها . انتهى .

قال شارحه الفالى : قوله : «وإذا دخل النفى » إلخ معناه نَفْىُ مادخَل عليه ، إدراجًا له فى الأَمر العامِّ المعلوم من اللغة ، وهو أَنَّه إذا دخل النفى على فعلٍ أَفاد نفىَ مضمونه . وقيل يكون للإثبات ، أَى لإثبات الفعل الذى دخل عليه كاد فى الماضى وفى المستقبل . أَمَّا فى الماضى ، فلقوله تعالى : ﴿ وما كادُوا يَفْعلون[(٢)] ﴾، والمراد أَنَّهم قد فعلوا الذَّبح . وأَمَّا فى المضارع فلأَنَّ الشُّعراءَ خَطَّئُوا ذا الرُّمَّة فى قوله :

(١) الموشح ٢٨٣ ودلائل الإعجاز ١٨٩، ١٩٠ وابن يعيش ٧ : ١٢٤ ، ١٢٥ والتسهيل ٨٠ والعينى ٣ : ٣٧٨ والأشمونى ١ : ٢٦٨ وديوان ذى الرمة ٨٦ .

(٢) الآية ٧١ من سورة البقرة .

. . . . . لم يكد رسيسُ الهوى من حُبِّ ميَّةَ يبرحُ

وهو أَنَّه يؤدِّى إلى أَنَّ المعنى إنَّ رسيس الهوى يبرح ويَزُول وإنْ كان بعدَ طولِ عهد . فلولا أَنَّهم فَهموا فى اللغة أَنَّ النفى إذا دخَلَ على المضارع من كاد أَفاد إثباتَ الفعل الواقعِ بعده لم يكنْ لتخطئتهم وجه . وقيل : يكون فى الماضى للإثبات دون المستقبل، تمسُّكا بقوله تعالى: ﴿ وما كادوا يفعلون﴾ إذ المعنى قـــد فَعَلوا كما ذكرنا . وبِقولِ ذى الرمة : « إذا غيَّر الهجر » البيت ، إذِ المعنى : وما برِح حبُّها من قلبى . فهـــذا القائلُ تمسَّكَ بقول ذى الرمة ، والقائل الأَول تمسَّك بتخطئة الشعراءِ ذا الرمَّة . والجواب أَنَّه لنفى مُقارَبة الذَّبح ، وحصولُ الذَّبح بعدُ ، أَى بعد أَنْ نَفَى مقاربَةَ الذبح ، لا يُنافيها . ولم يؤخذ من لفظ : كادُوا ، بل من لفظ : فذبحوها .

٧٥ وهـــذا جـــوابٌ عن القولين المذكورين ، فإنَّا[1] لا نسلِّم أَنَّ النَّفى الداخل على كاد يفيد الإثبات لا فى الماضى ولا فى المستقبل ، بل هو باقٍ على وضعه[2] ، وهو نفى المقاربة. وليس ما تمسَّكوا به بشىءٍ ؛ أَمَّا فى الآية فهو أَنَّ معناه أَنَّ بنى إسرائيل ما قارَبُوا أَنْ يفعلوا للإطناب فى السُّؤالات، ولِمَا سَبَق فى قولهم: ﴿ اتتَّخِذُنَا هُزُوًا[3] ﴾ وهذا التعنُّت دليلٌ على أَنَّهم كانوا لا يُقارِبون فعلَهُ فضلاً عن نَفْسِ الفعلِ . ونَفْى المقاربة قد يترتَّب عليه الفعل وقد لا يترتَّب، وهو قوله : «وحصولُ الذَّبح بعدُ لا ينافيها ». وأَمَّا إثبات الذَّبح فَمَأْخوذٌ من الخارج، وهو قوله :﴿فذبحوها ﴾

(١) ط : « بأنا » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « وصفه » .

(٣) الآية ٦٧ من سورة البقرة .

وأمَّا البيتَ فكذلك معناه ، أنَّ حبَّها لم يقارب أنْ يزولَ فضلاً عن أنْ يزول. وهو مبالغةٌ في نفي الزوال؛ فإنَّك إذا قلت: ما كاد زيدٌ يسافر فمعناه أبلَغُ من: ما يسافر زيد ، أي لم يسافر، ولم يقرُبْ من أنْ يسافرَ أيضًا . فالبيت مستقيمٌ ، ولا وجهَ لتخطئة الشُّعراءِ إيَّاه . انتهى .

وقد بيَّنَ الشارحُ المحقِّق فسادَ هذين القولَين في آخر الباب . وقوله كغيره : « إنَّ الشُّعراءَ خطَّئُوا ذا الرمّة » المخطىءُ إنَّما هو عَبد الله بن شُبُرمة .

قال المرزُباني (في الموشح) : : حدَّثني أحمد بن محمد الجوهريُّ ، وأحمد بن إبراهيم الجمَّالُ، قالا : حدثنا الحسن بن عُلَيل العَنزي قال : حدَّثنا يزيد بن محمد بن المهلَّب بن المغيرة بن حَبيب بن أبي صُفْرة قال: حدثنا عبدُ الصَّمد [بن[1]] المعذَّل عن أبيه ، عن جدِّه غيلانَ بنِ الحكم ، قال :

قدِم علينا ذو الرُّمّة الكوفَة فوقَفَ على راحلته بالكُناسةِ ينشدنا قصيدتَه الحائيّة ، فلمَّا بلغ إلى هذا البيت :

إذا غيَّر النَّأْيُ المحبِّينَ . . . إلخ

فقال له[2] ابن شبرمة : ياذا الرمَّة ، أُراه قد بَرِحَ . ففكَّر ساعة ثم قال :

إذا غيَّر النَّأْيُ المحبِّين لم أَجِدْ[3] رسيسَ الهوى . . . . . إلخ

قال : فرجعتُ إلى أبي الحكم بن البَختَرِيّ بن المختار ، فأخبرته

---

(١) التكملة من ش والموشح .
(٢) وكذا في الموشح : « فقال له » بزيادة الفاء .
(٣) الكلام بعده إلى « لم أجد » في الصفحة التالية بالسطر ٩ ساقط من ش .

الخبر فقال : أَخْطَأَ ابنُ شُبْرمةَ حيث أَنكَرَ عليه ، وأَخطأَ ذو الرمة حيث رجَع إلى قوله . إنَّما هذا كقول الله عز وجل : ﴿ إذا أَخرَجَ يَدَه لم يَكَدْ يراها ﴾ ، أى لم يرها ولم يكد . انتهى .

وقال السيد المرتضى (فى أماليه) : روى عبدُ الصمد بن المعذَّل عن غَيلانَ عن أَبيه عن جدّه غَيلان قال : قدِم علينا ذُو الرمَّة الكوفةَ فأَنشَدَنا بالكُناسة ، وهو على راحلته ، قصيدتَه الحائيَّة التى يقول فيها :

إِذا غيَّر النَّأْىُ المحبِّين إلخ

فقال له عبدالله بن شبرمةُ : قد بَرِح يا ذا الرمَّة . ففكَّر ساعة ثم قال :

* إِذا غيّر النَّاى المحبِّين لم أَجِدْ[1] * إلخ

قال : فأَخبرتُ أَبِى بما كان من قول ذى الرمَّة واعتراضِ ابن شُبرمَة عليه ، فقال : أَخطأَ ذو الرمة فى رجوعِه عن قوله الأَوَّل ، وأَخطأَ ابنُ شبرمة فى اعتراضه عليه . وهذا كقول الله تعالى : ﴿ إِذَا أَخرَجَ يَدَه لم يَكَدْ يراها[2] ﴾ . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لذى الرمَّةِ مطلعُها :

(أَمنزلتَىْ مىٍّ سَلامٌ عليكما   على النَّأْىِ والنائى يَودُّ ويَنصَحُ)

وبعده :

(فلا القُربُ يُبْدِى مِنْ هواها مَلالةً   ولا حبُّها إن تنزَحِ الدارُ يَنزحُ[3])

---

(١) هنا ينتهى السقط الذى نبهت عليه فى الصفحة السابقة .

(٢) الآية ٤٠ من سورة النور .

(٣) ط : « من هواها ملامة » ، صوابه فى ش والديوان ٧٨ ومجموعة المعانى ٢١ . وفى الديوان أيضاً : « يدنى » موضع « يبدى » .

أَتَقْرَحُ أكبــادُ المحبِّين كلِّهمْ كما كبدِى من ذِكر ميَّة تَقْرَحُ[1])

وقوله : « إذا غيَّر النأْى » إلخ ، النأْى فاعل غيَّر ، ومعناه البُعْد . و (رسيس الهوى) : مَسُّه . و(يبرح): يزول ، وهو فعل تامٌّ لازم . و(ميّة) : اسم معشوقته . يقول : إنَّ العشاق إذا بُعدوا عمَّن يحبُّون دَبَّ السُّلوُّ إليهم ، وزالَ عنهم ما كانُوا يُقاسون ، وأَمَّا أَنا فلم يقرُبْ زوال حبِّها عنِّى ، فكيف يمكن أن يزول .

٧٦ وزاد على هذا المعنى قولَه فى هذه القصيدة :

(أرى الحُبَّ بالهِجرانِ يُمْحَى فينمَحِى وحبُّكَ ميًّا يَستجِدُّ ويَربَحُ[2])

أى يزيد الحبُّ كما يزيد الرِّبح .

وقوله : « فلا القُربُ يُبدِى » إلخ نزحت الدار : بَعُدتْ . يقول : حبُّها إن بعُدتِ الدار لم يتغيَّرْ ، هو لازمٌ ثابت .

وقوله : « أَتقْرَح » القَرح : الجُرْح .

وترجمة ذى الرمة تقدَّمت فى الشاهد الثامن من أول الكتاب[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأَربعون بعد السبعمائة[4] :

٧٤٧(ظَنِّى بهم كعَسَى وهُمْ بتَنوفةٍ يتنازعُون جوائزَ الأَمثــالِ)

على أنَّ أَبا عبيدة قال : إنَّ (عسى) تأْتى بمعنى اليقين كما فى البيت.

---

(١) هذا البيت لم يرد فى الديوان ، ونقله كارليل هنرى عن الخزانة فى حواشى الديوان، لكنه فى نسخة عبد القدوس مثبت عن بعض النسخ .

(٢) فى الديوان ٧٩ : « فيمتحى » ، وفى نسخة عبد القدوس : « فيمحى » .

(٣) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٤) ابن يعيش ٧ : ١٢٠ والأضداد للأصمعى ٣٥ وابن السكيت ١٨٨ والسجستانى ٩ وابن نبارى ١٨ ، واللسان (جوز ، عسى) ، وديوان ابن مقبل ٢٦١ .

ونقله عنه عبد الواحد أَبو الطَّيِّب اللغوى (فى كتاب الأَضداد) قال فيه : قال أَبو حاتم وقطرب : عسى تكون شكًّا مرّةً ويقينًا أُخرى ، كما قال تعالى : ﴿ عَسَى ربُّكم أَنْ يَرحَمَكم[1] ﴾ وعسى فى القرآن واجبةٌ . قال ابن عبّاسٍ رضى الله عنهما : هى واجبةٌ من الله . وكل ما فى القرآن من ذلك فهو واجبٌ من الله . قال أَبو عبيدة: ومنه قول ابن مقبِل : « ظَنِّى بهم كعَسَى » ، البيت ، أَى ظنِّى بهم كيقين . انتهى .

واعترض عليه الشارح المحقِّق بأَنه لا يعرف عسى فى غير كلام الله لليقين ، ويجوز أَن يكون معنى ظنِّى بهم كعسى ، أَى رجاءٌ مع طمع .

ويؤيِّد توقُّفَه ما ذهب إِليه ابن السِّكِّيت (فى كتاب الأَضداد) قال فيه : الظَّنُّ يقين ، والظَّنُّ شك ؛ ومن اليقين قولُ ابن مقبل :

ظَنٌّ بهم كعَسَى وهم بتنوفةٍ يتنازعون جوائزَ الأَمثـــالِ[2]

ويروى : « جوائب » أَى تجوب البلاد . يقول : اليقينُ منهم كعسى ، وعسى شك . انتهى .

فجعل اليقين للظَّنِّ[3] وعسى للشك على أَصلها . والرواية عنده : « ظنٌّ بهم كعسى »، بتنوين ظنّ من غير إِضافةٍ إِلى الياءِ . والباءُ متعلقة بمحذوف على أَنَّه صفة لظنّ ، وهو مبتدأٌ وخبره كعسى ، أَو خبره محذوف ، أَى للناس ظنٌّ بهم ، فالباءُ متعلقة بظنّ ، والكاف اسمٌ

---

(١) الآية ٨ من سورة الإسراء .

(٢) ش : « ظنى بهم » ، صواب النص فى ط وأضداد ابن السكيت . على أنه يروى أيضاً : « ظنوا بهم » كما عند الأصمعى ، و « عهدى بهم » كما فى الجمهرة ١ : ٢٣٣ .

(٣) ط : « معنى الظن » ، وأثبت ما فى ش .

صفةٌ لظنٍّ ، وجملة وهم بتنوفة حاليَّة ، وجملة يتنازعون حالٌ من ضمير الظَّرف المستقَرّ . والتَّنوفة : الفلاة . ويتنازعون : يتجاذبون . وجوائز الأَمثال ، أى الأَمثال السَّائرة فى البلاد . وبمعناه « جوائب الأَمثال » من جاب الوادِىَ أَو المكانَ يَجُوبه جَوْبًا ، إذا سلكَه وقطعَه . وأَمَّا على رواية « ظَنى » بالإضافة فهو مبتدأٌ وخبره كعسى ، أى يقينى بهم كشكٍّ فى حالِ كونِهم فى الفلاة ، إذْ لَسْتُ أعلمُ الغيب . يريد أنَّه لا يقينَ له بهم . وبهذه الرواية فسَّر أبو حاتمٍ الظنَّ فى البيت باليقين ، نقله عنه عبد الواحد المذكور ، قال (فى كتابه الأَضداد) : قال أَبو حاتم : وأما قوله تعالى: ﴿ وظنَّ أَنَّه الفِراقُ[1] ﴾ فأَظنُّه يستيقن . قال الشاعر فى الظنّ بمعنى اليقين : « ظنِّى بهم كعسى » . . . البيت . والجوائز : التى تجوز البلادَ ، أَى تقطعها . يقول : يقينى بهم كعسى . انتهى .

صاحب الشاهد ولم أَقف على تتمة هذا البيت ، وهو لابن مقبل[2] ، وهو شاعر إسلامىٌّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والثلاثين[3] .

ثم رأَيت (فى كتاب الأَضداد لأَبى بكرٍ محمد بن القاسم بن بشَّار الأَنبارى) قال : عسى لها معنيان متضادَّان : أَحدُهما الشَّكُّ والطَّمَع ، والآخَر اليقين . قال تعالى : ﴿ وعَسَى أَنْ تكْرَهُوا شيئًا وهو خَيْرٌ لكم[4] ﴾ معناه ويقينٌ أَنَّ ذاك يكون . وقال بعض المفسِّرين : عسى فى جميع

٧٧

(١) الآية ٢٨ من سورة القيامة .

(٢) ط : « لابن أبى مقبل » ، صواب هذه : « لابن أبى بن مقبل » و « أبى » فيه بهيئة التصغير . وأثبت ما فى ش فهو المعروف المتداول . وتصح رواية ط بإضافة « ابن » قبل « مقبل » . والبيت من قصيدة طويلة له فى ديوانه ٢٥٥ — ٢٦٤ .

(٣) الخزانة ١ : ٢٣١ .

(٤) الآية ٢١٦ من سورة البقرة .

كتاب الله واجبة . وقال غيره : عسى فى القرآن واجبة إلاَّ فى موضعين فى سورة بنى إسرائيل : ﴿ عسى ربُّكم أَنْ يَرحَمكُم [(١)] ﴾ يعنى بنى النَّضِير ، فما رحِمَهم ربُّهم بل قاتَلَهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأَوقع العُقوبة بهم . وفى سورة التحريم : ﴿ عَسَى ربُّه إنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَه أزواجًا [(٢)] ﴾ فما أَبدله الله بهنَّ أَزواجًا ولا بِنَّ منه [(٣)] . وقال تميم بن أُبَىّ [بن [(٤)]] مقبل فى كون عَسى إيجابا :

ظنٌّ بهم كعَسَى وهم بتَنُوفةٍ يتنازعون جَوائزَ الأَمثـالِ

أَراد : ظنٌّ بهم كيقين . ويروى : « سوائر الأَمثال [(٥)] ». ويروى : « جوائب الأَمثال » . وأَنشدنا أَبو العباس :

* عسى الكرب الذى أَمسيتَ فيه * البيت

فعسى فى هذا الباب على معنى الشك . انتهى كلامُه .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأَربعون بعد السبعمائة [(٦)] :

٧٤٨ (لا تَلْحَنِى إنِّى عَسَيتُ صائمًا)

على أَنَّ المتأَخِّرين استدلُّوا بهذا ، وبالمَثَلِ ، وهو : « عَسَى الغُوَيرُ أَبؤُساً » بوقوع المفرد منصوبًا بعد مرفوع ، على أَنَّ أَنْ والفعل فى قولهم : عسى

(١) الآية ٨ من سورة الإسراء .
(٢) الآية ٥ من سورة التحريم .
(٣) من البينونة ، والمراد الطلاق .
(٤) التكلة من ش . والذى فى أضداد ابن الأنبارى : « تميم بن أبى » فقط . وانظر ما سبق قريباً فى الحواشى .
(٥) ط : « سرائر الأمثال » ، صوابه فى ش وأضداد ابن الأنبارى .
(٦) الخصائص ١ : ٩٨ وابن الشجرى ١ : ١٦٤ وابن يعيش ٧ : ١٤ ، ١٢٢ والمقرب ١ : ١٠٠ والمغنى ١٥٢ والهمع ١ : ١٣٠ والمزهر ١ : ٢٢٨ والأشمونى ١ : ٢٥٩ وملحقات ديوان رؤبة ١٨٥ .

زيد أن يفعل ، فى موضع نصب على أنّه خبرٌ لعسى ، وهى تعمل عمل كان .

قال ابن هشام (فى شرح أبيات الناظم) : طعن فى هذا البيت عبدُ الواحد الطَّرّاح [1] (فى كتابه بغية الآمل ، ومُنْية السائل) فقال : هو بيتٌ مجهولٌ ولم ينسُبه الشُّرَّاح إلى أَحـــد ، فسقط الاحتجاج به . ولو صحَّ ما قاله لسقط الاحتجاجُ بخمسين بيتًا من كتاب سيبويه ، فإنَّ فيه أَلفَ بيت قد عُرِف قائلوها ، وخمسين بيتًا مجهولةَ القائلين. انتهى .

أقول : الشاهد الذى جُهِل قائله إنْ أَنشدهُ ثقةٌ كسيبويه وابن السَّرَّاج والمبرِّد ونحوهم فهو مقبولٌ يعْتَمد عليه ، ولا يضرُّ جهلُ قائله ، فإنَّ الثقة لو لم يعلم أنَّه من شعرِ مَنْ يصحُّ الاستدلال بكلامه لَمَا أنشَده . ومرادُ عبدِ الواحد أنَّه لم ينسُبه الشرَّاح إلى أَحدٍ ممن أنشده من الثِّقات أو إلى قائل معيَّن يُحتجُّ بكلامه .

ثم قال ابنُ هشام : وقد حرَّف ابن الشجريِّ هذا الرجزَ فأَنشده :

قُمْ قَائماً قم قائمـــا إنِّى عسيتُ صـــائما

وإنَّما قُمْ صدْرُ رَجَز آخَر يأْتى فى باب الحال ، ولا يتركَّب قوله إنى عسيتُ صائمًا ، عليه ؛ بل أَصلُه :

أَكثرتَ فى العَذلِ مُلِّحا دائما لا تُكثِرَنْ إنِّى عَسَيتُ صائما

فإنَّ معناه : أَيُّها العاذل الملحُّ فى عَذْله ، إنَّه لا يمكن مقابلةُ كلامِك بما يناسبُه من السَّبِّ ، فإنِّى صائمٌ . وهو مقتبَسٌ من الحديث : « فليقلْ

(١) فى كشف الظنون : « الطواح » بالواو .

٧٨ إنِّى صائم[١] » . ويروى « لا تَلْحَنِى » مكان « لاتُكثرنْ » ، وهو بفتح التاءِ . يقال لحيتُه ألحاه لحيًا ، إذا لُمتَه .

والشاهد فى قوله صائماً ، فإنّه اسمٌ مفرد جىءَ به خبرًا لعسَى .

كذا قالوا ، والحقُّ خلافُه ، وأَنَّ عسى هنا فعلٌ تامٌّ خبرىٌّ، لا فِعلٌ ناقصٌ إنشائىّ . يدلُّك على أنّه خبرىٌّ وقوعُه خبرًا لإنَّ ، ولا يجوز بالاتِّفاق : إنَّ زيدًا هل قام ، وأَنَّ هذا الكلامَ يقبلالتَّصديق والتكذيب. وعلى هذا فالمعنى : إنِّى رجوتُ أن أكونَ صائماً. فصائماً[٢] خبرٌ لكان، وأن والفعل مفعولٌ لعسَى . وسيبويه يُجيز حذف أَنْ والفعلِ إذا قويت الدّلالةُ على المحذوفِ . أَلَا ترى أنَّه قدَّر فى قوله : « مِنْ لَدُ شَولا[٣] »: من لدُ أن كانت شَوْلا .

ومن وقوع عسى فعلاً خبريًّا قولُه تعالى : ﴿ قال هَلْ عَسَيتم إنْ كُتِب عَليكمُ القِتالُ أَلاَّ تقاتِلُوا[٤] ﴾ ألا ترى أنَّ الاستفهام طلبٌ ، فلا يدخل على الجملة الإنشائية ، وأنَّ المعنى قد طَمِعتم أن لا تقاتلوا إنْ كُتِب عليكم القتال .

وممَّا يحتاج إلى النظر قولُ القائل : عسى زيد أن يقوم ، فإنَّك إنْ قدَّرت عسى فيه فعلاً إنشائيًّا كما قاله النحويُّون أَشكَلَ ، إذْ لايُسنَدُ

---

(١) تمام الحديث : « إذا دعى أحدكم إلى طعام وهو صائم فليقل إنى صائم » . الجامع الصغير ٦٠٨ . وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، عن أبى هريرة .

(٢) ط : « وصائماً » .

(٣) قطعة من شطر من الرجز فى سيبويه ١ : ١٣٤ ، وهو من شواهد الخزانة فيما سبق ١ : ٢٤ ، وهو بتمامه :

* من لد شولا فإلى إتلائها *

(٤) الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

فعلُ الإنشاءِ إلّا إلى مُنْشِئه وهو المتكلِّم ، كبعتُ واشتريت ، وأقسمت ، وقبلت ، وحَرَّرتُك . وأيضًا فمن المعلوم أنَّ زيدًا لم يترجَّ وإنَّما المترجِّى المتكلِّم . وإنْ قدَّرتَه خبراً كما فى البيت والآية فليس المعنى على الإخبار ولهذا لا يصحُّ تصديق قائله ولا تكذيبه .

فإنْ قلتُ : يُخلِّص من هذا الإشكال أنَّهم نصُّوا على أنَّ كان وما أشبهها أفعالٌ جارية مَجرى الأدوات ، فلا يلزم فيها حكمُ سائِر الأفعال .

قلت : قد اعترفوا مع ذلك بأنَّها مسندَة ، إذ لا ينفكُّ الفعلُ المركَّب عن الإسنادِ إلاَّ إنْ كان زائدًا أو مؤكِّداً ، على خلافٍ فى هذين أيضاً . وقالوا : إنَّ كان مسندةٌ إلى مضمون الجملة . وقد بيَّنَّا أنَّ الفعلَ الإنشائىَّ لا يمكن إسنادُه لغير المتكلم . وإنَّما الذى يخلِّص من الإشكال أنْ يُدَّعى أنَّها هنا حرفٌ بمنزلة لعلّ ، كما قال سيبويهِ والسِّيرافىُّ بحرفيَّتها فى فى نحو عسى ، أىْ[1] وعَسَاك وعَسَاه . وقد ذهب أبو بكر وجماعةٌ إلى أنَّها حرفٌ دائمًا . وإذا حملناها على الحرفيَّة زال الإشكال ، إذ الجملة الإنشائيّة حينئذٍ اسميَّةٌ لا فعلية ، كما تقول : لعلَّ زيدًا يقوم . فاعرف الحقّ ودع التقليد ، واستفتِ نفسَك وإنْ أفتاك الناس .

هذا كلام ابن هشام ، وهو خلاف مَسلك الشارح المحقِّق .

وقال ابن هشام فى شرح المثل : إنَّ عسَى للإشفاق ، والغُوَير : ماءٌ لكلب معروف . قال ابن الكلبى . وهو فى الأصل مُصَغَّر غَوْر أو غار . والأَبؤُس : جمع بُؤس ، وهو الشدّة . وأصل المثل أنَّ الزَّبَّاءَ لمَّا قتلَتْ جَذيمةَ جاءَ قصيرٌ إلى عَمرو بن عدىّ فقال : ألاَ تأْخذُ ثأْر خالك ؟ فقال:

---

(١) كلمة « أى » ساقطة من ش .

كيف السَّبيلُ إلى ذلك . فعَمَد قصيرٌ إلى أَنفِهِ فجدَعَها ، فقيل : « لأَمرٍ ما جَدَع قصيرٌ أَنْفَه » وأَتَى الزباءَ وزعم أَنَّه فرَّ إليها ، وأَنَّهم آذَوْه بسببها . وأَقام فى خدمتها مدّة يتَّجِر لها، ثم إنَّه أَبطأَ عنها فى السَّفر فسأَلت عنه ، فقيل : أَخذَ فى طريق الغُوَير ، فقالت : « عسى الغُويرُ أَبؤُسا » . ثم لم يلبثْ أَنْ جاءَ بالجِمَال عليها صناديقُ ، فى جوفها الرِّجال ، فلمَّا دخلوا البلدَ خرجوا مِن الصَّناديق ، وانضافَ إليهم الرِّجالُ الموكَّلون بالصَّناديق فقَتَلوا فى الناس قتلاً ذريعاً ، وقتلوا أَهل الزَّبّاءِ ، وأَسروها وفقئُوا عينَيها وأَتَوْا بها عَمرًا فقتلهَا . وقيل إنَّها امتصَّت خاتماً كان معها مسموماً .

٧٩ ومعنى المثل : لعلّ الشرَّ يأْتى من قِبَل الغُوير . يُضرب للرَّجُل يتوقَّع الشر من جهةٍ بعينها .

وجاءَ رجلٌ إلى عمرَ رضى الله عنه يحمل لقيطًا فقال له عمر : « عسى الغُوير أَبؤُسًا » . قال ابنُ الأَعرابىّ : عَرَّض به ، أَى لعلَّك صاحبُ اللَّقِيط . ووهِم ابنُ الخبَّاز فى أَصل المثل فقال : قالته الزَّباءُ حين أَلجأَها قَصيرٌ إلى غارها . انتهى .

وفى الصحاح : « قال الأَصمَعى : أَصله أَنَّه كان غارٌ فيه ناسٌ ، فانهارَ عليهم ، أَو أَتاهم فيه عدوٌّ فقتلهم[1] ، فصار مثلاً لكلِّ شىءٍ يُخافُ أَن يأْتىَ منه شرٌّ » .

قلت : وتكون الزّباءُ تكلَّمت به تمثُّلاً . وهذا حسَنٌ لأَنَّ الزبّاءَ فيما زعموا روميَّة ، فكيف يحتجُّ بكلامها ، وقد يقال : وجهُ الحجّة أَنَّ العرب تمثَّلتْ به بعدَها .

واختُلِفَ فى ناصب أَبؤُسًا ، فعند سيبويه وأَبى على أَنَّه (عَسَى) ،

---

(١) فى الصحاح (غور) : « فقتلوهم » .

وأَنَّ ذلك من مراجعة الأُصول . وقال ابن الأَعرابي : (يصيرُ) محذوفةً.
وقال الكوفيون : التقدير : أَنْ يكونَ أبؤسًا ، كقوله :

* لعمر أَبيك إِلاَّ الفرقدان[1] *

ومنع سيبويه أن يكون إضمارٌ فيه لأَنَّ فيه إضمار الموصول ، وقدَّر إلاَّ صفة . وقيل التقدير : يكون أبؤساً ، وفيه مجيءُ الفِعل بعد عسى بغير أَنْ ، وإضمارُ كان غير واقعةٍ بعدَ أداة تطلب الفعل . وقيل التقدير: عسى الغوير يأْتي بأَبؤس ، وفيه ترك أَنْ وإسقاط الجارِّ توسُّعاً . ولكن يشهد له قولُ الكميت :

قالوا أَساءَ بنو بكر فقلتُ لهم عسى الغويرُ بإِبآسٍ وإغوارِ[2]

وتلخَّص أَنَّ أَبؤساً خبر لعسى ، أَو لكان ، أَو لصار ، أَو مفعول به . وأَحسَنُ من ذلك كلِّه أَنْ يقدَّر يَبْأَسُ أَبْؤُسًا ، فيكونَ مفعولاً مطلقاً ، ويكونَ مثلَ قوله تعالى : ﴿ فطَفِقَ مَسْحاً[3] ﴾ أَى يَمْسَحُ مسحًا ، وقولِ أَبي دَهْبل الجمحيّ :

لأَوشَكَ صرفُ الدّهرِ تفريقَ بيننا ولايستقم الدَّهرُ والدَّهرُ أَعوج[4]

أَى لأَوشك يفرِّق بيننا تفريقاً ، ثم حذف الفعل وأُقيم المصدرُ مقامه وأُضيف إلى ظرفه .

---

(١) هو الشاهد ٢٤٠ فى الخزانة ٣ : ٤٢١ . وصدره :
* وكل أخ مفارقه أخـــوه *
(٢) ديوان الكميت ١ : ١٨٦ والمستقصى ٢ : ١٦١ واللسان (بأس ٣٢١ غور ٣٤٤) .
(٣) الآية ٣٣ من سورة ص .
(٤) ديوان أبي دهبل ٥٥ والشعراء ٦١٧ والأغانى ٦ : ١٥١ . وفى الديوان والأغانى: « يفرق بيننا » . وفى الديوان فقط : « وهل يستقيم الدهر » .

انتهى كلام ابن هشام ، وهذا خلاف ما اختاره (فى المغنى) قال فيه : الصواب أنَّهما أى البيت والمَثَل ممَّا حُذف فيه الخبر ، أى يكون أبؤساً ، وأكون صائماً ، لأَنَّ فى ذلك إبقاءً لهما على الاستعمال الأَصلى ، ولأَنَّ المرجوَّ كونُه صائماً لا نفس الصائم . انتهى .

واعتُرِض عليه بأَنَّه إنّما يكون ذلك إبقاءً على الاستعمال الأَصلى أَنْ لو جعل التقدير أن يكون وأن أكون ، لأَنَّ الأَصل فى خبر عسى أَن يكون بأَنْ ، وعدمُها قليل كما نصَّ هو عليه . وقد ذكر جميعَ أَوجهِ عسى فى الاستعمال ، ومذاهبَ النحويين فيها (فى مغنى اللبيب) .

وقول الشاعر : « أَكثرت فى العذل » إلخ ، يجوز أَن يكون بيتًا مصرَّعًا من تامِّ الرجز[1] من ضربه الأَوَّل ، وأَن يكون بيتين من مشطوره . وقد نسب إلى رؤبة بن العجاج ، ولم أَجده فى ديوان رجزه . والله أَعلم به .

* * *

وأَنشد بعده :

(لعمر أَبيك إلاَّ الفَرقَدانِ)

هذا عجز ، وصدره :

(وكلُّ أَخ مفارقُه أَخوه)

وتقدَّم شرحُه مفصَّلاً فى الشاهد الأَربعين بعد المائتين[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأَربعون بعد السبعمائة[3] :

---

(١) ط : « من تمام الرجز » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ٣ : ٢٤١ .

(٣) كامل المبرد ٢١٧ ، ٢٢٠ والشعراء ٣٥١ وتاريخ الطبرى ٤ : ٤٠٢ .

٧٤٩ (همَمتُ ولم أَفعَلْ وكِدتُ وليتَنى تركتُ على عُثمانَ تَبكى حَلائلُه) ٨٠

على أن خبر (كدت) فيه محذوف ، والتقدير : وكدت أفعل .

كذا قدَّره أبو على (فى كتاب الشِّعر) وأورد له نظيرًا . والمراد : هممت بقتله ولم أفعله وكدت أقتله .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ ولقد هَمَّتْ بِهِ وهَمَّ بها ﴾[1] على أَنَّ الهمَّ القصدُ ، مِنْ همَّ بالأمر : قصَدَه وعزم عليه ، كما فى البيت . ومنه الهُمام للملِكِ ، لأَنَّه إذا قصد شيئًا أمضاه .

و(الحلائل) : جمع حليلة ، وهى الزوْجة . والمعنى : قصدتُ قتل عثمانَ ابنِ عفَّان رضى الله عنه ولم أَفعَلْ ما قصدتُه ، وقاربته ، وليتنى تركت زوجاتِه يبكينَ عليه .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ سبعةٍ لضابئٍ البُرجُمىّ ، قالها فى الحبس ومات فيه ، أوردها أبو تمام (فى كتاب مختار أشعار القبائل)، وهى :

أبيات الشاهد

(مَن قافلٌ أَدنَى الإِلهُ رِكابه يُبلِّغُ عنى الشِّعرَ إِذْ مات قائلُه
فلاَ يقبلَنْ بعدى امرؤٌ سِيمَ خُطَّةً حِذارَ لقاءِ الموتِ والموتُ نائلُه
ولا تُتبِعينى إنْ هلكتُ مَلامةً فليس بعارٍ قتلُ مَن لا تقاتلُه
فإنِّى وإيَّاكمْ وشوقًا إليكمُ كقابِض ماءٍ لم تُطِعْهُ أَناملُه
هممتُ ولم أَفعلْ وكِدتُ وليتنى تركتُ على عثمانَ تَبكى حلائلُه
وقائلةٍ لا يَبْعَدَن ذلك الفتى إذا احمرَّ من بَرد الشِّتاءِ أَصائلُه[2]
وقائلةٍ لا يُبعِد الله ضابئًا إذا الكبشُ لم يُوجَدْ له مَن ينازلُه)

(١) الآية ٢٤ من سورة يوسف .
(٢) فى الكامل ٢٢٠ : « ولا تبعدن أخلاقه وشمائله » .

وقوله : « مَنْ قافل » استفهام ، أَى مَنْ راجعٌ ، وجملة « أدنى الإله ركابه » دعائيّة ، أَى قرَّب الله إبله إلى وطنه .

وقوله : « سِيمَ خُطَّة » أَى كُلِّف أمرًا . ومفعول يَقبلَنْ محذوف .

وقوله : « ولا تُتبعينى » خطابٌ لامرأته . وقوله : « فليس بعارٍ » إلخ أَى قتلُ من لا تقدر على مقاتلته ، لأَنه مات فى حبس الإمام .

وقوله : « و قائلة » أى رُبَّ قائلة . ولا يبعَدَن ، أَى لا يَهلِكَنْ ، من بَعِدَ من باب فرح ، إذا هَلك . وقوله : « إذا احمرَّ مِن برد » إلخ يريد أَنَّه مضيافٌ فى الشِّتاءِ ، وهو زمن القحط عند العرب ، لعدم نبات الأَرض .

وقوله : « لا يُبعد الله » من أَبعَدَه أَى أَهلكه . وضابئ آخره همزة بعد موحَّدة وأوله ضاد معجمة ، وهو قائل الشِّعر . والكبش : السيِّد الشجاع .

ضابىء البرجمى

وضابىءٌ هذا هو ضابئ بن الحارث بن أَرطاة ، من بنى غالب بن حنظلة التميمى البُرجُمىّ ، بضم الموحدة وسكون المهملة وضم الجيم ، نسبة إلى البراجم ، وهم[(١)] ستٌّ بطونٍ من أَولاد حنظلة بن مالك بن زيدِ مناةَ ابن تميم ، وهم : قيس ، وعمرو ، وغالب ، وكُلْفة ، والظُّليم ، ومكاشر[(٢)] ، لقِّبوا بالبراجم لأَنَّ رجلاً منهم اسمه حارثة بن عامر قال لهم : تعالَوْا فلنجتمِعْ[(٣)] مثلَ براجم يدى هذه ! ففعلوا فسُمُّوا بالبراجم ، وهى عُقَد الأَصابع . وفى كل إصبع ثلاثُ براجم .

---

(١) هذا ما فى ش ، وفى ط : « وهى » .

(٢) فى الاشتقاق ٢١٨ : أنهم خمسة ، بإسقاط « مكاشر » . وكذا فى اللسان (برجم) والمعارف ٣٥ . وهناك براجم من عبد القيس بن أفصى ، وهم عبد شمس ، وعمرو ، وحى : بنو معاوية بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس . جمهرة ابن حزم ٢٩٥ – ٢٩٦ ونهاية الأرب للنويرى ٢ : ٣٤٤ .

(٣) ط : « فلنتجمع » ، وأثبت ما فى ش .

وضابئٌ أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يَقنِص الوحشَ ، فاستعار من بعض بنى جَرول بن نَهشل كلبًا اسمه قُرْحان ، بضم القاف وسكون المهملة بعدها حاءٌ مهملة ، وكان يَصيد به البقرَ والظِّباءَ والضباع ، فطال مُكثُهُ عنده ، فطلبوه فامتنع ، فركبوا يطلبون كلبهم ، فقال لامرأته : اخلطى لهم فى قِدْرِكِ من لحوم البقر والظِّباءِ والضِّباع ، فإن عافوا بعضًا وأكلوا بعضًا تركوا كلبك لك ، وإن هم لم يَفرِقوا فلا كلبَ لك . فلمّا أطعمَهم أكلوه ثم أخذُوا كلبهم ، فغضب ضابئٌ ورمى أُمَّهم بالكلب وقال :

٨١

تَجشَّم نحوى وفدُ قُرحانَ سَرْبَخًا
تظلُّ به الوجناءُ وهى حَسِيرُ(١)

فأَردفتُهُمْ كلبًا فراحُوا كأنَّما
حَبَاهم بتاج الهُرمُزانِ أميرُ(٢)

وقلَّدتُهمْ ما لَوْ رمَيتُ مُتالعاً
به وهو مُغبرٌّ لكادَ يطيرُ

فيا راكباً إمَّا عرَضْتَ فبلِّغَنْ
أُمامةَ منِّى ، والأُمورُ تدورُ(٣)

---

(١) الحيوان ١ : ٣٦٩ – ٣٧٠ والنقائض ٢١٩ والشعراء ٣٥٠ وتاريخ الطبرى ٤ : ٤٠٢ ومعاهد التنصيص ١ : ٦٦ . وفى الحيوان والشعراء والنقائض : « وفد قرحان شقة . تظل بها الوجناء » .

(٢) الطبرى : « فباتوا شباعاً ناعمين كأنما » ، وفى النقائض والطبرى : « ببيت المرزبان أمير » .

(٣) فى النقائض والشعراء : « ثمامة عنى » .

فأُمَّكم لا تتـركوهـا وكَلبَكمْ
فإنَّ عُقـوق الوالـداتِ كبيـرُ

فإنَّك كلبٌ قد ضَرِيتَ بمـا ترى
سميعٌ بمـا فوقَ الفراشِ بصيـرُ

إذَا عَثَّنَت من آخـر الليـل دُخْنةٌ
يبيت له فوقَ الفِـراش هرير[1]

فلما بلغهم الشِّعرُ وأنَّه رمى أُمَّهم بالكلب استعْدَوْا عليه عثمانَ بن عفَّان رضى الله عنه ، وكان يَحبِس على الهجاء ، فأَرسل إليه فأَنشده الشِّعرَ ، فقال له عثمان رضى الله عنه : ما أَعرِف فى العرب أَفحشَ ولا أَلْأَمَ منك ، فإنِّى ما رأَيتُ أَحدًا رمَى أَحداً بكلبٍ غيرك ، وإنِّى لأَظنُّك لو كنت فى زمنِ النبى صلى الله عليه وسلم لنزلَ فيك وحى . فحبسَه فى السِّجن ، فقال فى الحبس أَبياتًا منها :

ومَنْ يَكُ أَمسَى بالمدينة رحلُه فإنِّى وقيـارٌ بهـا لغريبُ

وسيأْتى إن شاءَ الله مع الأَبيات فى إنَّ المشددة .

فلمَّا سمعها أَخرجَه من الحبس ، فأَخذ سِكِّيناً فجعلها فى أَسفل نعله ليَفْتِكَ بعثمان ، فأُعلم بذلك فضربَه ، ورَدَّهُ إلى الحبس إلى أَنْ مات فيه . وفى ذلك قال الأَبياتَ التى منها :

هممت ولم أَفعَلْ وكدتُ وليتنى . . . . البيت

ولم يزل فى الحبس حتَّى أَصابته الدُّبيلة[2] فأَنتن ، فمات فى الحبس .

---

(١) الحيوان : « يبيت له فوق السرير » . الشعراء : « يبيت لها فوق الفراش » .

(٢) الدبيلة ، بالتصغير : داء يجتمع فى الجوف ، وهو خراج ودمل كبير ، تقتل صاحبها غالباً . ولعله ما يدعى بالسرطان .

ولمَّا قُتِل عثمان جاءَ عُمير بنُ ضابئٍ فرفسَه برجله ، فكسر ضِلعين من أَضلاعه وقال : حبستَ أَبي حتى مات !

ولمّا كان زمن الحجّاج ، واستعرض أَهلَ الكوفة ليوجِّههم إلى المهلَّب ، عُرض عليه فيهم عُمير بن ضابئ ، وهو شيخ كبير يُرعَش كِبَرا ، فقال : أَيُّها الأَمير ، إنِّى من الضَّعف على ما ترى ، ولى ابنٌ أَقوَى على الأَسفار منِّى ، أَفتقبله بديلا ؟ قال : نعم . فلما ولَّى قال قائلٌ : أَتدرى مَنْ هذا أَيها الأَمير ؟ قال: لا، قال : هذا عمير بن ضابئ البرجمى الذى يقول أَبوه :

همست ولم أَفعل . . . . البيت

وحَكى القصَّة ، فقال الحجاج : ردُّوه علىَّ . فلما رُدَّ قال : أَيُّها الشيخ ، هلاَّ بعثت إلى عثمان بديلاً يوم الدار ، إنَّ فى قتلك لَصلاحًا للمسلمين ، يا حرسىُّ اضربْ عنقه ! وسمع ضوضاة[1] فقال : ما هذا ؟ قالوا: البراجم جاءَت لتنصر عُميرًا . قال : أَتحفُوهم برأْسِه ! فولَّوا هاربين .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

---

(١) الضوضاة والضوضاء : أصوات الناس وجلبتهم . والفعل منه ضوضى ضوضاة وضيضاء بالكسر . اللسان (ضوا) . وفى ش : « ضوضاء » بالهمز .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٧٨ . وانظر المقتضب ٣ : ٧٠ والكامل ١١١ وأمالى القالى ١ : ٧١ والجمل ٢٠٩ ومعجم المرزبانى ٤٨٣ وحماسة ابن الشجرى ٦٠ وابن يعيش ٧ : ١١٧ ، ١٢١ والمقرب ١ : ٩٨ والضرائر ١٥٣ ، والحماسة البصرية ١ : ٤٤ والعيون الغامزة ١٦٣ والمغنى ١٥٢ ، ٥٧٩ وشرح شواهده للسيوطى ١٥٢ والعينى ٢ : ١٨٤ والهمع ١ : ١٣٠ والتصريح ١ : ٢٠٦ والأشمونى ١ : ٢٦٠ ، ٢٦٤ .

٧٥٠ (عَسَى الكربُ الذى أَمسيتَ فيـه
يكونُ وراءَه فـرجٌ قرِيبُ)

على أنه حذف (أَنْ) من خبر عسى ، وهو قليل ، والتقدير : أن يكون وراءه إلخ .

٨٢ وكذا قال ابن هشام (فى المغنى) . وهو ظاهر كلام سيبويه ، قال سيبويه : واعلم أَنَّ من العرب من يقول عسى يَفعل يشبِّهها بكاد يفعل ، فيفعل حينئذ فى موضع الاسم المنصوب فى قوله « عسى الغوير أبؤساً » . فهذا مثلٌ من أمثال العرب ، أَجرَوْا فيه عسى مجرى كان . قال هُدبة :

عَسَى الكرب الذى أَمسيتَ فيه يـكون وراءه فـرجٌ قـريبُ

وقال :

عَسَى اللهُ يُغنِى عن بلاد ابن قادرٍ بمنهَمِرٍ جَـوْنِ الرَّبابِ سَـكُوبِ

وقال :

فأَمَّـا كيِّسٌ فنجـا ولـكنْ عسى يغترُّ بِى حَمِقٌ لئيـمُ .ا هـ

قال الأَعلم : الشاهد فى هذه الأَبيات إسقاط أَنْ ضرورةً ورفع الفعل . والمستعمل فى الكلام أَن يكون كما قال تعالى : ﴿ عسَى أَنْ يبعَثَكَ ربُّكَ[١] ﴾ و ﴿ عسى الله أَن يـأْتِىَ بالفتْح[٢] ﴾ . والمنهمر : السائل . والجَوْن : الأَسود . والرَّباب : السَّحاب . والحَمِق : بكسر الميم : الأَحمق .

---

(١) الآية ٧٩ من سورة الإسراء .

(٢) الآية ٥٢ من سورة المائدة . ولفظها : « فعسى الله أن يأتى بالفتح » . وترك الفاء والواو ونحوها فى مثل هذا جائز فى الاستشهاد . انظر حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ .

وكذا قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) ، وبعد أن أورد هذه الأَبياتَ وغيرَها قال : وما ذكرتُه من أَنَّ استعمال الفعل الواقع فى موضع خبر عسى بغير أَنْ ضرورةٌ هو مذهبُ الفارسيِّ وجُمهورِ البصريِّين. وظاهرُ كلام سيبويه يُعطى أَنّه جائزٌ فى الكلام ، لأَنَّه قال : « واعلم أَنَّ من العرب من يقول : عسى يفعل ، تشبيهًا بكاد[1] » . فأَطلق القولَ ولم يقيِّد ذلك بالشِّعر . إلاَّ أَنَّه ينبغى أَن لا يُحمل كلامُه على عمومه ، لمَا ذكره أَبو علىّ من أَنَّها لا تكاد تجئ بغير أَنْ إلاَّ فى ضرورة . وأَيضاً فإِنَّ القياسَ يقتضى أَن لا يجوز ذلك إلاَّ فى الشعر ، ولأَنَّ استعمالها بغير أَنْ إنَّما هو بالحمْل على كاد ، لشبهها بها من حيثُ جمعتْهما المُقارَ بة . وكادَ محمولة فى استعمالها بغير أَن على الأَفعال التى هى للأَخذ[2] فى الشروع ، من جهة أَنَّها لِمقاربةِ ذاتِ الفعل ، فقربت لذلك من الأَفعال التى هى للأَخذ فى الفعل ؛ وليست عسى كذلك لأَن فيها تراخيًا . أَلاترى أَنَّك تقول : عسى زيد أَن يحجَّ العام [الآتىَ[3]] . وإنَّما عُدّت فى أَفعال المقاربة مع ما فيها من التَّراخى من جهةِ أَنَّها تدخُل على الفعل المرجوّ ، والفعلُ المرجوّ قريبٌ بالنظر إلى ما ليس بمرجوّ . فلما كانت محمولةً فى استعمالها بغير أَنْ على ما هو محمول على غيره ، ضعف الحملُ فلم تجئ إلاَّ فى الضرورة . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لهدْبَةَ بنِ خَشْرمٍ ، قالَها فى الحبس ، وهى :

---

(١) الذى فى الضرائر وسيبويه : « يشبهها بكاد » . وانظر ما سبق أيضاً ، ولكن هكذا وردت فى النسختين .

(٢) الكلام بعده إلى « للأخذ » التالية ساقط من ش ونسخة الضرائر .

(٣) التكلة من ضرائر ابن عصفور .

أبيات الشاهد

(طربتَ وأنت أحيانًا طَروبُ
وكيف وقد تَعلاَّكَ المَشِيبُ[1]

يُجِدُّ النَّأْىُ ذِكرَكِ فى فؤادى
إذا ذُهِلت على النَّأْى القُلوبُ[2]

يؤرِّقنى اكتئابُ أبى نُميرٍ
فقلبى من كآبته كئيبُ[3]

فقلت له : هَداك اللهُ مَهْلاً
وخيرُ القولِ دو اللبِّ المصيبُ[4]

عَسى الكربُ الذى أمسيتَ فيه
يكون وراءه فَرَجٌ قريبُ

فيأْمَنَ خائف ويُفَكَّ عانٍ
ويأْتِىَ أهلَه الرَّجلُ الغريبُ[5]

ألا ليت الرِّياحَ مُسخَّراتٍ
بحاجتنا تباكرُ أو تئُوب[6]

---

(١) ابن الشجرى : « وقد تغشاك المشيب » ، وكذلك فى شرح شواهد المغنى للسيوطى .

(٢) القالى والعينى والسيوطى : « عن النأى » .

(٣) ابن الشجرى : « وأرقنى » .

(٤) هذا البيت لم يرد فى حماسة ابن الشجرى .

(٥) القالى وابن الشجرى : « النائى الغريب »

(٦) هذا البيت لم يرد فى حماسة ابن الشجرى . وفى سمط اللآلى ٢٤٩ : « وبخط أبى على : تصبح أو تئوب » .

٨٣

فتخبرَنا الشَّمالُ إذا أَتتْنا وتخبرَ أَهلنَا عنَّا الجنوبُ[١]
فإنَّا قد حللنا دارَ بلوَى فتُخطئُنا المنايا أَو تصيبُ
فإن يك صدرُ هذا اليومِ ولَّى فإنَّ غدًا لناظره قريبُ
وقد علمتْ سُلَيمى أَنَّ عُودى على الحَدثانِ ذو أَيْدٍ صليبُ
وأَنَّ خليقتى كرمٌ وأَنِّى إذا أَبْدَت نواجذَها الحُروبُ
أُعِينُ على مكارمها وأَغْشَى مَكارهَها إذا كَعَّ الهَيوبُ[٢]
وقد أَبقَى الحوادثُ منك ركنا صَليبًا ما تؤبِّسه الخطوبُ[٣]
على أَنَّ المنيةَ قد تُوافِى لوقتٍ ، والنوائبُ قد تنوبُ[٤])

هذا ما أَورده القالى (فى أَماليه) ، وزاد بعده الشريف الحسينىّ (فى حماسته) :

(وإنِّى فى العظائم ذو غَناءٍ وأُدعَى للفَعَال فأَستجيبُ[٥]
وإنِّى لا يخاف الغدرَ جارى ولا يَخشى غوائِلىَ القريبُ
وكم من صاحبٍ قَدْ بانَ عنِّى رُميتُ بفقدِه وهو الحبيبُ
فلَمْ أُبدِ الذى تحنو ضلوعى عليه ، وإنَّنى لأَنا الكئيبُ
مخافةَ أَن يَرانى مستكينًا عدوٌّ أَو يُساءَ به قريبُ
ويَشمتَ كاشحٌ ويظُنَّ أَنِّى جَزوعٌ عند نائبةٍ تنوبُ
فبعدك سَدَّت الأَعداءُ طُرْقًا إلىَّ ورابنى دهرٌ يَريبُ

(١) فى الحماسة البصرية : « إذا هاب الهيوب » .
(٢) هذا البيت والبيتان بعده لم يردا فى حماسة ابن الشجرى .
(٣) هذا البيت ورد عند ابن الشجرى تالياً للبيت التالى .
(٤) عند القالى : « ما تؤيسه الخطوب» بالياء . وقد قيده البغدادىفى شرحه بأنه بالموحدة . ومدلولهما واحد .
(٥) الحماسة البصرية : « وأدعى للسماح » .

وأَنــكرتُ الــزَّمانَ وكــلَّ أَهلى وهــرَّتنى لغَيبتــك الكليبُ
وكنت تقطَّــع الأَبصارُ دونــى وإِن وَغِرت من الغيظ القــلوبُ)

الطرب : خفَّة تُصيب الإِنسانَ لفرح أَو حزن . والنَّأْى : البُعد . ويؤرِّقنى : يُسهرنى . والاكتئاب : افتعالٌ من الكآبة ، وهى الحزن . وأَبو نمير ، قال اللخمى : هو ابن عمِّه ، وكان مسجونًا معه . وقال ابن هشام (فى شرح شواهده) : هو رجلٌ كان مسجونًا معه ، فجالسه يومًا وأَظهر له التـأَلُّمَ . وقال العينى : هو رجلٌ من قرابته زار هُدبةَ أَيَّامَ حبسه فأَظهر الحزنَ والكآبة . وقوله : « و خير القول ذو اللُّبّ » أَى قول ذى اللُّبّ . ورواه ابن المستوفى :

* وخير القول ذو العَيْج المصيبُ *

بالمثنَّاة التحتية والجيم ، وقال : وهو مأْخوذ من قولهم ما عِجْت به ، أَى لم أَرْضَ به . وإِن روى « العَنْج » بالنون فهو الاسم من عَنجت البعير أَعنِجه عَنْجًا ، وهو أَن يجذب الراكب خطامَه فيردَّه على رجليه ، ضربٌ من رياضة البعير . قال ابن السيرافى : والعَيْج من القول : ما ينتفع به ، وهو مأْخوذ من قولهم : ما عِجْت بكلامه أَى ما انتفعت . كذا وجدته العَيْج بفتح العين والياء .

وقوله : (عسى الكرب الذى أَمسيتُ فيه) إِلخ الكرب : الهَمّ . قال ابن المستوفى : روى بفتح التاءِ وضمّها من (أَمسيت) . والنحويُّون إِنما يروونه بالضّم ، والفتحُ عندى أَولى ، لأَنَّه يخاطب ابنَ عمِّه أَبا نمير ، وكان معه فى السِّجن . وقوله هذا لابن عمِّه ليسلِّيَه به ، لِمَا رآه من خوفه ، أَجود من أَن يكونَ يريدُ به نفسَه ، لأَنَّ فى قوله لابن عمه زجرًا

له : مهلاً ، أى امهل ، يدلُّ على ما ذكرته . ولا يجوز أن يقال إنَّ اكتئاب ابن عمِّه إنَّما كان حذرًا على هُدبة ، لأنَّه لو كان كذلك لما قال له مهلا ، ولأنَّ الإنسان أكثرُ عنايةً بنفسه من عنايته بغيره . ولا يمتنع ضمُّ التاء على أن يريد به : لا يضِقْ صدرُك بشيءٍ ، فإنَّ الكرب الذى أمسيتَ فيه يكون له فرج قريب ، فيزولُ ما عندك . انتهى .

وعيَّن اللخمىُّ فتح التاء ، قال : الرواية عن أبى القاسم الزجاجى ضمُّ التاء ، وإنَّما هى تاءُ المخاطب ، لأنَّ ما قبل البيت يدلُّ عليها ، لأنَّه يخاطب أبا نمير ، وهو ابن عمه ، وكان مسجونًا معه .

وقوله : (يكون وراءه) اسم يكون ضمير الكرب، وخبره الظرف ، وفرج فاعل الظرف . وقال ابن هشام : وراءَ ظرف مؤنَّث تصغيره على وُرَيئة ، وظهور الهمزة فى تصغيره دليل على أنَّه ليس من واريت كما قال بعضهم . والأظهر أنَّه بمعنى أمام كقوله تعالى: ﴿ من ورائِهِ جهنم[1] ﴾ ﴿ وكان وراءهم ملكٌ يأْخذ كلَّ سَفينة غَصْبًا[2] ﴾ . والفَرَج : انكشاف الهم . وفى يكون ضمير الكرب ، ويجوز أن تكون ناقصة وتامَّة ، وعلى الأوَّل يكون فرج مبتدأً وقريبٌ صفته ، والظرف خبر ، والجملة الاسمية خبر يكون . وعلى الثانى تكون الجملة حالا . ويجوز على الوجهين أن يكون فرج فاعلاً بالظرف على أنَّه خبرُ الناقِصةِ وحالٌ من فاعل التامّة. وهذا أرجح من تقديره مبتدأً . وإنما لم أقدِّر فرجٌ اسمَ يكون على أنَّها الناقصة ووراءه الخبر ، أو فاعلاً ليكون على أنَّها التامة ووراءه متعلق

---

(١) الآية ١٦ من سورة إبراهيم .

(٢) الآية ٧٩ من سورة الكهف .

بيكون كما فعل بعضهم ، لأَنَّ فاعلَ الفعل الواقع فى باب كاد لايكون إلاَّ ضميرًا راجعًا للاسم السابق ، فلا يجوز كاد زيد يموت أَبوه . وما خرج عن ذلك نادر ، فلا يحمل عليه مع وجود مندوحة عنه . وكذلك لايكون اسم يكون ضمير الشأْن كما قدَّره جماعة ، لِمَا ذكرنا . انتهى كلامه.

وعانٍ : أَسير . وأَراد بدار بلوَى : السِّجن. والناظر هنا : المنتظِر . والأَيْد : القوَّة . وكعَّ : جبن وخاف . وما تؤبِّسه : ما تذلِّله وما تؤثِّر به ، بالموحدة بعد الهمزة . وباقى أَلفاظ القصيدة ظاهرةٌ .

هدبة بن خشرم

وهدبة هو هدبة بنُ خشرم بن كُرز بن أَبِى حيَّة بن الكاهن ، وهو سلمة ، ابن أَسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذُبيان بن الحارث بن سعد بن هُذَيم ، وسعدٌ: ابنُ أَسلَمَ بن الحاف بن قضاعة ، ويقال بل هو سعد بن أَسلم بن هذيم ، وهذيمٌ عبداً لأَبيه ربَّاه ، فقيل سعد ابن هذيم ، يعنى سعداً هذا .

وهدبة شاعر فصيح متقدِّم من بادية الحجاز ، وكان شاعراً راوية ، وكان يَروِى للحطيئة ، والحطيئة يَروِى لكعب بن زهير . وكان جَميل راويةَ هُدبة ، وكثيِّر راوية جميل .

وكان لهدبة ثلاثة أُخوة كلُّهم شاعر ، وأُمُّه كانت شاعرةً أَيضاً . كذا فى الأَغانى .

وهدبة ، بضم الهاءِ وسكون الدال بعدها موحَّدة . وخَشْرم ، بفتح الخاءِ وسكون الشين المعجمتين. وكُرْز ، بضم الكاف وسكون المهملة . وأَبو حيَّة ، بفتح المهملة وتشديد المثناة التحتية .

وسبب حبسِه على ما رواه الأصبهانى بسنده فى الأغانى[1] : أنَّ هُدبة ابن خشرم وزيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرّة بن حنيس[2] بن عمرو بن ثَعلبة بن عبدالله بن ذُبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم المذكور[3] اصطَحبا وهما مُقبلان من الشام فى ركب من قومهما ، فكانا يتعاقبان السَّوق بالإبل ، ومع هدبة أُخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز فقال : ٨٥

عُوجى علينا واربَعى يا فاطِمَا ... ما بين أن يُرَى البعيرُ قائما
ألَا ترينَ الدّمعَ منِّى ساجما ... حِذار دارٍ منكِ أن تلائما[4]
فعرَّجَتْ مطَّرداً عُراهِما ... فَعْماً يبذُّ القُطُفَ الرَّواسما
كأنَّ فى المَثْناة منه عائما ... إنَّكَ والله لأنْ تُباغما
خَوداً كأنَّ البُوصَ والمآكما ... منها نَقًا مخالطٌ صرائمَا
خيرٌ من استقبالكَ السَّمائما ... ومن مُنادٍ يَبتَغى مُعاكِمَا[5]

وقوله : « مابين أن يرى البعير » أى ما بين مُناخ البعير إلى قيامه . ومطَّرد : متتابع السَّير ، عُراهِم : شديد . وفعم : ضخم . والرَّسيم : سير فوق العَنَق . والرَّواسم : الإبل التى تَسِير هذا السَّير . والمَثْناة : الزِّمام . وعائم : سابح . وتباغم : تكلِّم . والبُوص : العَجُز . والمأْكَمَتان : ما عن يمين العجُز وشِماله . والنَّقا : ما عظُم من الرمل . والصرائم دونه . ومُعاكِمًا ، أى يُعينك على عِكمك حتى تشدَّه .

---

(١) الأغانى ٢١ : ١٧٠ .

(٢) كذا فى النسختين ، وليس فى أعلام قبائلهم . وفى الأغانى : « خنبس » ، صواب هذه « خنيس » . وفى معجم المرزبانى ٤٨٣ : « خنبش » ، تحريف أيضاً .

(٣) ط : « هذيم بن المذكور » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٤) كذا فى النسختين . ولعله نوى حذف لا ، كما فى قوله تعالى : « يبين الله لكم أن تضلوا » . وفى الأغانى : « لن تلائما » .

(٥) ويروى : « ومن نداء يبتغى » . وفى النسختين : « مناد تبتغى » ، صوابه من الأغانى .

فغضب هُدبة حين سمع زيادةَ يرجز بأُخته ، فنزل فرجَزَ بأُخت زيادة ، وكانت تُدعَى أُمَّ خازم ، وقيل أُم قاسم ، فقال :

لقــد أرانى والغــلامَ الحازمــا ... نُزجى المطىَّ ضُمَّــراً سَواهِمــا

متى تقــولُ القُلُصَ الرَّواسمــا ... والجِلَّةَ النــاجيةَ العَيــاهمــا

يُبلِغْن أُمَّ خَــازم وخــــازما ... إذا هبطن مستحيــراً قاتمــا

ورفَّع الحــادى لها الهَمَاهِما[١] ... أَلا ترَيْنَ الحُــزْنَ منِّى دائمــا

حِــذارَ دار منك أن تــلائِما[٢] ... والله لا يشفِى الفــؤادَ الهائمــا

تَمســاحُك اللَّباتِ والمآكما[٣] ... ولا اللِّمامُ دون أن تــلازما[٤]

ولا اللِّثام قبــل أن تُفــاقما[٥] ... وتعلُوَ القــوائمُ القوائما[٦]

وقوله : « تقول القُلَص » الخ أورده النحويون شاهداً على إعمال القول إعمالَ الظنّ . والعَيَاهم : الشِّداد .

قال : فشتمه زيادة ، وشتمه هُدبة ، وتسابًّا طويلاً ، فصاح بهما القوم : اركبا لا حَمَلكما الله ، فإنّا قومٌ حُجَّاج . وخَشُوا أن يقع بينهما شرٌ ، فوعظوهُما حتَّى أمسك كلٌّ واحد منهما على ما فى نفسه ، وهُدبة أَشدُّهما حَنَقًا ، لأنَّه رأى أن زيادة قد ضامَه إذْ رَجَزَ بأُخته وهى تسمع

---

(١) فى الأغانى : « ورجع الحادى » .

(٢) فى الأغانى : « لن تلائما » .

(٣) فى نوادر المخطوطات ٢ : ٢٥٦ : « تمساكك » .

(٤) فى نوادر المخطوطات : « دون أن تفاغما » .

(٥) الأغانى : « ولا اللزام » ، وفى نوادر المخطوطات : « ولا اللمام » . وبعده فى الأغانى :

* ولا الفقام دون أن تفاغما *

(٦) الأغانى : * وتركب القوائم القوائما *

قولَه ، وكانت أُخت زيادة غائبة ، فمضيا ولم يتحاورا بكلمة حتَّى قضَيَا حجَّهما ، ورجَعا إلى عشائرهما. وجعل هُدبة وزيادة يتهاديان الأشعار. ولم يزل هُدبةُ يطلب غِرّة زيادة حتَّى أصابها ، فقتله وهرب ، وعلى المدينة يومئذٍ سعيدُ بنُ العاص ، فأرسل إلى عمٍّ هُدبة وأَهْلِه فحبسهم بالمدينة ، فلما بلغ هدبةَ ذلك أَقبل حتَّى أمكن من نفسه ، وتخلَّص عمَّه وأَهلَه ، فلم يزل محبوسًا حتَّى شخص عبد الرحمن أخو زيادة إلى معاوية ، فأورد كتابه إلى سعيد بأَن يُقِيده منه إذا قامت البيِّنة ، فكره سعيدٌ الحُكم بينهما ، فحملهما إلى معاوية فلما صارُوا بين يديه[1] قال له معاوية : قل يا هُدْبة . قال : إن شئت أن أقصَّ عليك قصّتنا كلاماً وشعراً فعلت . قال : بل شعراً . فقال هُدبة ارتجالا :

٨٦

ألا يا لقومى لِلنَّـــوائبِ والدَّهر ... وللمرءِ يُردِى نفسَه وهو لايدرى
وللأَرض كم من صالح قد تـأَكَّمت ... عليه فوارَتْه بلمَّاعـــةٍ قَفْـــرِ
فـــلا تتَّـــقِى ذا هَيبَةٍ لجلالِهِ ... ولا ذا ضَيَاعٍ هُنَّ يتركن للفَقْرِ

حتى قال :

رُمينا فرامَيْنا فصـــادف رَمْيُنَـــا ... مَنايَا رجالٍ فى كتابٍ وفى قَدْرِ
وأَنت أَميرُ المـــؤمنين فمـــا لنا ... وراءك مِن معدًى ولا عنك من قَصْرِ
فإن تكُ فى أَموالنا لم نضقْ بهـــا ... ذراعًا وإن صبرٌ فنصبرُ للصَّبـــرِ

وهذا البيت الأَخير من شواهد النحويِّين. وتـأَكَّمت : صارت أَكمة . وروى بدله : « قد توأَّدت » ، « قد تلمَّأَتْ » و « تَلأَّمت » ، أى وارته .

---

(١) وكذا فى الأغانى ٢١ : ١٧٩ . وكثيراً ما يعبر بالجمع عن المثنى . كما فى قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا » . وفى ط فقط : « فلما صارا بين يديه » .
(٢) ش : « ألا يا لقوم » .

فقال له معاوية : أُراك يا هدبة قد أَقررتَ بقَتل صاحبهم. ثم قال لعبد الرحمن : هل لزيادة ولد ؟ فقال: نعَم ، المِسْوَر ، وهو غلام لم يبلغ ، وأَنا عمُّه وولىُّ دم أَبيه . فقال : إِنَّك لا تُؤمَن على أَخذ الدية أَو قَتْلِ الرجل بغير حقّ ، والمِسورُ أَحقُّ بدمِ أَبيه . فردَّه إِلى المدينة ، فحبس ثلاثَ سنين حتَّى بلغ المِسورُ، وذهب عبدُ الرحمن بالمسور وقد بلغَ إِلى والى المدينة ، وهو سعيد بن العاص، وقيلَ : مَرْوان بن الحكم ، فأُخرج هدبة ، فلما مُضِى به من السجن للقَتْل التفتَ فرأَى امرأَته ، وكانت من أَجمل النِّساءِ ، فقال :

أَقِلِّى علىَّ اللــومَ يا أُمَّ بوزعــا
ولا تعجَبى ممَّــا أَصاب فأَوجَعــا

ولا تَنكِحى إِنْ فرَّق الدهرُ بيننــا
أَغمَّ القفا والوجهِ ، ليس بأَنزعا

كليلاً سوى ما كان من حَدِّ ضرسه
أُعيبِدَ مِبْطانَ العشيَّاتِ أَروعــا[1]

ضروبًا بلَحْيَيْــهِ على عَظْم زَوره
إِذا النَّاس هَشُّوا للفعال تقنَّعــا

وحُلِّى بذى أُكــرومةٍ وحَمِيَّــةٍ
وصبر إِذا ما الدهرُ عضَّ فأَسرعــا

(١) فى النسختين : « من جد ضربه » ، صوابه فى الأغانى ، وفى ش بخط ناسخها تعليقاً على « أعيبد » : « كذا بخط المؤلف ، والصواب : « أكيبد » . وفى الأغانى أيضاً : « أكيبد » ، وهو تصغير الأكبد ، وهو الضخم الوسط ، ولا يكون إلا بطىء السير :

فمالت زوجته إلى جزَّارٍ وأخذت شَفرتَه فجدعت به أَنفَها ، وجاءته تَدْمَى مجدوعةً ، فقالت : أتخاف أَن يكون بعد هذا نكاح ؟ قال : فرسَف فى قيوده وقال : الآن طاب الموتُ؟ فإذا هو بأَبويه يتوقَّعان الثُّكْل ، فهما بسوءِ[1] حال ، فأَقبل عليهما وقال :

أَبليـانى اليـومَ صبـراً منكما
إنَّ حـزنا إنْ بَدَا بادئُ شَـرّْ
لا أُرانى اليـومَ إلاَّ ميتـاً
إنَّ بعـد الموت دارَ المستقَـرّْ
اصبرَا اليـومَ فإنِّى صـابرٌ
كـلُّ حـيٍّ لقضـاءٍ وقَـدَرْ

قال النَّوفلى : حدثنى أَبى عن رجلٍ من عذرة عن أَبيه قال : إنِّى لَفِى بلادنا يوماً فى بعض المياه ، فإذا أنا بامرأة تمشى أمامى وهى مُدْبرة ولها خَلْقٌ عجيب من عَجُز وهيئة ، وتمامِ جسم وتمام قامَة ، وإذا صَبيَّان قد اكتنفاها يمشيان ، فتقدَّمتُها والتفتُّ إليها ، وإذا أقبح منظر ، وإذ هى مجدوعة الأَنف مقطوعة الشَّفتين ، فسأَلتُ عنها فقيل : هذه امرأة هدبة تزوَّجت بعده رجلاً أَولدَها هذين الصبيَّين .

قال ابن قتيبة : فسأَل سعيدُ بن العاص أَخا زيادة أَن يقبل عنه[2] ، فقال : أُعطيكَ ما لم يُعْطَ أَحدٌ من العرب : مائة ناقةٍ حمراءَ ، ليس فيها ذاتُ داءٍ[3] . فقال : والله لو نقَبْت لى قُبّتك هذه ، ثم ملأْتَها ذهباً

٨٧

---
(١) وكذا فى الأغانى ٢١ : ١٧٥ .
(٢) ش : « فسأل سعيد بن العاص أخا زيادة عنه » .
(٣) الأغانى : « ليس فيها جداء ولا ذات داء » : والجداء من الغنم والإبل : المقطوعة الأذن .

ما رضيتُ[١] بها. ولم يزل سعيدٌ يسأله حتّى عرض عليه سِتّ دِيات فأبى ، فدفعه إليه حينئذٍ لقَتْله بأخيه ، فاستأْذن هدبةُ فى أن يصلىَ ركعتين، فأَذِن له فصلاَّهما وخفَّف ، ثم التفت إلى مَنْ حضر فقال : لولا أَنْ يُظَنَّ بى الجزعُ لأَطلتُهما ، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما . ثم قال لأَهله : إنَّه بلغنى أَنَّ القتيل يَعْقِلُ ساعةً بعد سقوط رأسه ، فإن عَقَلْتُ فإنى قابضٌ رجلى وباسطُها ثلاثاً . ففعل ذلك حين قُتل .

وقال قبل أن يقتل :

إن تقتلونى فى الحديد فإننى قتلت أخاكم مطلقًا لم يقيَّدِ

فقال أخو زيادة : والله لا قَتَلتهُ[٢] إلاَّ مطلَقًا من وَثاقه . فأُطلق له وتولَّى قتلَه ابنهُ المسور ، دفعَ إليه عمُّه السيف وقال : قم فاقتل قاتل أَبيك . فقام فضربه ضربتين قتلَه فيهما .

وهدبة أول من سنّ ركعتين عند القتل[٣] . هذا ما اختصرته من الأَغانى .

* * *

(١) فى الأغانى : « ما رضيت بها من دم هذا الأجدع » .

(٢) هذا ما فى الأغانى . وفى النسختين : « لا أقتلنه » .

(٣) فى حواشى ش بخط الناسخ : « أول من سن ركعتين عند القتل خبيب لا هدبة ». وهذا حق . وجاء فى ترجمته من صفة الصفوة ١ : ٢٥٤ . أن المشركين لما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل قال لهم خبيب : دعونى أصلى ركعتين . فتركوه فركع ركعتين وقال : « والله لولا أن تحسبوا أن ما بى جزعاً لزدت . اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً » ، وقال :

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قال : « وكان خبيب هو [أول من] سن لكل مسلم قتل صبراً الصلاة ». وانظر الإصابة ٢٢١٨.

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد السبعمائة[1] :

٧٥١ (عسَى طَيِّئٌ من طَيِّئٍ بعدَ هــذهِ
سَتُطفِئُ غُــلاَّتِ الكُلَى والجوانحِ)

على أَنَّ السين فى قوله « ستطفِئُ » قائمة عند المتأَخِّرين مقامَ أَنْ ، لكونهما للاستقبال .

قال الزمخشرى (فى المفصل) : ولمَّا انحرفَ الشاعرُ فى هذا البيت عمَّا عليه الاستعمالُ جاءَ بالسين التى هى نظيرةُ أَنْ ، يعنى لمَّا لم يأْتِ الشاعر بما حقُّه أَن يجىء به مع عسى فى الخبر ، وهو أَن ، أَتى بما يقوم مقامه فى الدلالة على الاستقبال ، وهو السين . على أَنَّ ذَلك شاذٌّ . وكما دخل أَنْ فى خبر لعلَّ حملاً على عسى ، دخل السِّين فى خبر عسى حملاً على لعلَّ .

صاحب الشاهد

والبيت آخر أَبيات أَربعة ، أَوردها أَبو تمام (فى باب المراثى من الحماسة) ، وعزاها لِقَسَام بن رَوَاحة السِّنبِسى . وقبله :

أبيات الشاهد

(لَبئس نصيبُ القومِ من أَخويهــمُ
طرادُ الحواشى واستراقُ النّــواضِحِ
ومــا زال من قتــلى رَزَاحٍ بعــالج
دمٌ ناقــعٌ أَو جاســدٌ غيرُ ماصِــحِ
دعا الطَّيرَ حتَّى أَقبلتْ من ضرِيَّةٍ
دواعى دم مُهراقــهُ غيــر بــارحِ)
عسى طيئٌ من طيئٍ .... البيت

يريد بأَخويهم : صاحبيهم ، يقال يا أَخا بكر ، يراد : يا واحداً

(١) ابن يعيش ٨ : ١١٨ ، ١٤٨ والمغنى ٥٣ وشرح شواهده للسيوطى ٩٦ ويس ١ : ١٠٦ ، و الحماسة ٩٥٨ بشرح المرزوق .

منهم . والحاشية : صغار الإبل ورُذالُها . والنواضح : جمع ناضح ، الإبلُ التى يُستسقَى عليها الماءُ ، جُعلت كأنَّها تنضح الزرع والنخل . وطراد وما عطف عليه بدلٌ من نَصيب . يقول : إنَّهم لا يُقدمون على القوم ، ويُغيرون على حواشيها دون جِلّتها ، لأنَّ الصبيان يرعَوْنها . يعنى بلغ من جُبْنهم أَنْ لا يتعرّضوا للرُّعاة إلاَّ سرقةً ، يَسرِقون النَّواضح ويطردون الحواشى ، فيرضَوْن بذلك من طلب الثَّأْر ؛ فبئس العوض ذلك من دم أَخويهمْ . يهزأُ بهم . وهذا تعريضٌ بمن[1] وجب عليه طلبُ الدَّم فاقتَصَر على الغارة وسَرقة الإبل . وفيه بعثٌ على طلب الدم . وأكَّد ذلك بقوله : « وما زال من قتلى رَزاح إلخ » وهو براءٍ مفتوحة وزاى ومهملة : قبيلة من خَوْلان . وقَتلى : جمع قتيل . وعالج بالجيم : موضعٌ بالبادية فيه رمل . والدّمُ الناقع ، بالنون والقاف ، قيل : الثابت ، وقيل: الطرىّ . والدَّم الجاسد، بالجيم ، قيل : القديم ، وقيل: اليابس . والماصح بالصاد المهملة ، من مصح كمنع مُصُوحاً: ذهب وانقطع . يقول: لا يزال من مقتولى هذه القبيلةِ بهذا المكان دمٌ طرىٌّ ويابس غير زائل . يعنى أَنَّ دماءَهم باقيةٌ بحالها مالم يَثأَروا بها ، لأَنَّ غسل تلك الدماءِ إنَّما يكون بما يُصَبُّ من دماءِ أعدائهم . ولم يكتف بهذا الإغراءِ حتى قال : « دعا الطيرَ » إلخ يقول : دعا دواعى دمائهم طيُورَ الأَماكن البعيدة والجِبالِ المُطِلَّة ، حتَّى أَتت سباعُها وطيورُها ، ووقَعَتْ عليها تأْكل منها . ومهراقُهُ ، الهاءُ ضمير الدم ، يعنى أَنه مصبوبٌ فى موضعه لَم يَزُل ولم يَحُل . قال الطَّبَرسى : ويجوز أَن يريد بالمهراق الموضعَ المصبوب فيه الدم . وفيه حثٌّ على طلب الثأْر . وضَرِيَّة : اسم بلادٍ تشتمل على بلادٍ سميت باسم ضَرِيَّةَ بنتِ ربيعة بن نِزار ، كما قيل للماءِ الذى بين

٨٨

(١) ط : « بمن » ، صوابه فى ش .

البصرة ومكة الحوءب ، كجعفر بالحاء المهملة ، سمى[١] بالحَوْءب بنت كلب بن وَبَرة .

وقوله : (عسى طيٍّء) إلخ قال المرزوقى : عسى لفظةٌ وُضعت للتَّرجى والتأْميل ، إلاَّ أنها تؤذن بأَنَّ الفعل مستقبلٌ مطموع فيه . ووضع السين بدل أنْ فى خبر عسى لاشتراكهما فى الدَّلالة على الاستقبال ، مع أَنَّ السين أَشهر فيها . ومعنى « عسى طيِّئٌ » : لعلَّ البطن المغاوب من هذه القبيلة فى القِتال ينتصف من البطن الغالبِ منها فيه . وقوله « بعد هذه » إشارة إلى الحالة الحاضرة بالتذكير ، الجامعة لكلّ ما ذكره . والغُلاَّت : جمع غُلَّة بالضم : حرارةُ الجوف . والمعنى : المرجوُّ من أَولياء الدم أَنْ يطلبوا الثأْر فى المستقبل وإنْ كانوا أَخَّروه إلى هذه الغاية ، فتسكنَ نفوسٌ وتَبرُدَ قلوب[٢] .

وكانت القبيلتان معاً من طيئ ، لأَنَّ طيئًا قبائل يكون أَبدًا بينهم قتال . وطيئ بالهمزة على وزن السَّيِّد ، وقد تحذف الهمزة فيبقى كحىّ .

و(الكُلى) : جمع كُلية أَوكُلوة . و(الجوانح) : الضلوع ، جمع جانحة . قال بعضهم : الغلة إنَّما تكون فى القلب ، ولكنَّه أَراد المبالغة أَى تُجاوِز القلبَ والكبد إلى الكلية .

وقال الخوارزمى : إن سئل أَىُّ غُلَّةٍ للكُلى حتَّى أُضيفت إليها ؛ أُجيب بأَنَّ المزاج عند ورود الهمومِ والأَحزانِ عليه ، ممَّا ينفعل ويسخُن ، فإذا سخُن المزاج حمىَ البولُ واحتدَّ ، والبول ممرُّه على الكُلى ، فكأَنَّه قال : ستطفئ الغلل التى يظهر أَثرُها فى البول . هذا كلامه .

---

(١) ش : « سميت » .

(٢) ش : « وتدبر قلوب » ، صوابه فى ط وشرح المرزوقى .

صاحب الشاهد

وقائل هذه الأبيات شاعرٌ جاهلىّ وهو (فى بعض نسخ الحماسة): قَسَام بن روَاحة ، وفى بعض آخر منها : قَسَامة بن رواحة ، بزيادة الهاء . وهو بفتح القاف وتخفيف السين المهملة . وفى كلٍّ منهما رُوِى ابن رواحة السِّنبسى والعنبسى .

قسام بن رواحة

وقد أَورده الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) فيمن يقال له ابن رَوَاحة قال : ومنهم قسام بن رَوَاحة العَنْبسى ، ليس له عندى فى شعراء طيِّئ ذكر . وأَنشد له الطائى (فى الحماسة) : لبئس نصيب القوم ، الأَبيات الأَربعة . هذا ماذكره ، ولم يرفع نسبه [١] .

وهذا نسبُه (من جمهرة الأَنساب) قال : قسامة الشاعر ابنُ رَوَاحة ابن جُلّ بضم الجيم وتشديد اللام ، ابن حِقّ ، بكسر الحاء المهملة وتشديد القاف ، ابن ربيعة بن عبد رُضَى ، بضم الراء المهملة وفتح الضاد المعجمة بعدها أَلف مقصورة ، ابنِ وَدّ بفتح الواو وتشديد الدال ، ابنِ وَدّ بضبط ما قبله أَيضاً ، ابن مَعْن بن عَتود ، بفتح المهملة بعدها مثناة فوقيّة مضمومة ابن عُنَين [٢] بضم المهملة وبين النونين مثنَّاةٌ تحتية ، ابن سَلامان ابن ثُعَلَ ، بضم المثلثة وفتح العين المهملة ، ابن عمرو بن الغوث بن طيئ بن أُدد بن زيد بن يَشجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهلان بن سبأ .

٨٩

ولم أَر فى نسبه لاسِنبسا ولا عَنْبسا ، والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد السبعمائة [٣] :

---

(١) المؤتلف للآمدى ١٢٧ . وانظر أيضاً معجم المرزبانى ٣٤٠ ، وما كتبت فى حواشى الحماسة .

(٢) ش : « حنين » ، صوابه فى ط وجمهرة ابن حزم ٤٠١ . وفى الاشتقاق ٣٨٧ : « عنين : فعيل من عن يعن ، إذا اعترض » .

(٣) همع الهوامع ١ : ١٢٨ والمقاييس ٦ : ١٤١ واللسان (ولى ٢٩٣) .

٧٥٢ (فعادَى بينَ هادِيتينِ منها وأَوْلَى أن يزيدَ على الثَّلاثِ)

على أنَّ (أَوْلَى) من مُرادفات كاد ولا تستعمل إلّا مع أنْ.

كذا قال ابن مالك (فى التسهيل)؛ ومثَّل له شُرّاحه بهذا البيت.

قال ابن عقيل: عادى مِن العِداءِ، بكسر العين، وهو الموالاة بين الصَّيدينِ بصرع أحدِهما على أثر الآخر فى طَلَق واحد، ومنه قول امرئ القيس:

فعادى عداءً بين ثورٍ ونعجةٍ دِراكًا ولم يُنضَحْ بماءٍ فيُغْسَلِ

والهاديَةُ: أَوَّل الوَحْش، ومنه قول امرئ القيس:

كأَنَّ دماءَ الهادياتِ بنحره عُصارةُ حِنَّاءٍ بشَيبٍ مُرجَّلِ

وقال صاحب الصحاح: أَنشد الأَصمعى هذا البيت وقال: أى قاربَ أن يزيدَ. قال ثعلب: ولم يقل أَحدٌ فى أَوْلَى أَحسنَ ممَّا قال الأَصمعى. اهـ.

واستظهر الشارح المحقق أَن يكون أَولَى المستعملُ مع أَنْ فعلاً تامًّا متعدّياً، وأَنْ مع منصوبه مفعولاً لأَولى، فإنَّه بمعنى قاربَ وهو فعلٌ متعدٍّ. وإنَّما استَظْهَرَهُ للزوم أَنْ مع الفعل، وهذا خلاف شأْن أَفعال المقاربة. وأَمَّا أَولى المستعمل مع اللام فى قولهم: أَولى لك، وأَولى له، وأَولى لى، فهو اسمٌ للوعيد غير منصرف للعلميَّة ووزن الفعل[1]. لا أَفعل تفضيل لأَفعلَ، بدليل قولهم: أَولاةُ الآن[2]. وهو من الوَلْى، وهو القُرْب. قال المبرد (فى الكامل) عند إنشاد قول الخنساء:

---

(١) ط: «للوعيد لا أفعل تفضيل غير منصرف للعلمية ووزن الفعل»، صوابه فى ش.

(٢) فى اللسان (ولى ٢٩٤): «وحكى ابن جنى: أولاة الآن، فأنث». قال: وهذا يدل على أنه اسم لا فعل.

هَممتُ بنفسىَ كلَّ الهُمــوم فأَولَى لنفسِىَ أَولَى لهــا[١]

يقول الرجل ، إذا حاول شيئًا فأَفلتهُ من بعد ما كاد يُصيبه : أَولى له . وإذا أَفلت من عظيمة[٢] قال : أَولى لى . ويروى عن ابن الحنَفيَّة رحمة الله عليه أَنَّه كان يقول : إذا مات ميّت فى جواره أَو فى داره : أَولَى لى، كدت أَكون السَوَادَ المخترم[٣] . وأَنشد لرجل يقتنصُ الصيدَ فإذا أَفلته الصَّيدُ قال : أَولى لك . فكثر ذلك منه فقال :

فلو كان أَوْلَى يُطعم القومَ صِيدتُهم
ولكنَّ أَولى يتركُ القومَ جُوَّعــا[٤] اهـ

وقال الفارسى (فى كتاب الشعر) : أَولى اسم مبتدأ ، ولك الخبر . ولا يجوز أَن يكون أَفعل من كذا ، لأَنَّ أَبا زيد حكى أَنَّهم يقولون أَولاةُ الآن ، إذا أَوعَدُوا . فدخول علامة التأْنيث على أَفعل يدلُّك على أَنَّه ليس بأَفعل من كذا ، وأَنَّه مثل أَرملة وأَضحاة ، فى أَنَّه على أَفعل ، لا يراد به اتصال الجارِّ به ، إلاَّ أَنَّهم جعلوا المؤنَّث فيه أَيضاً معرفة ، كما جعلوا المذكَّر كذلك ، فصار بمنزلة شىءٍ سمّى بأَضحاة فلم ينصرف . فأَمَّا فى قوله : « أَولى فأَولى يا امرأَ القيس » فالخبر منه محذوف للعلم به . أَلا ترى أَنَّ الكلمة استعملت كثيراً فى الوعيد حتَّى صارت علماً له ، فحُذِف الخبر لذلك .

٩٠ فإنْ قلت : أَيجوز أَن يكون أَولى اسمًا للفعل وفيه ضمير المخاطب كأُفٍّ ووَشْكان ، ويكون « لك » فى أَولى لك لا يكون الخبرَ ولكنَّه

---

(١) الكامل ٧٤٠ ، وديوان الخنساء ١٢١ . وفى ط : « وأَولى لها » خلافاً لما فى ش والكامل والديوان .

(٢) ط : « عظمة » ، صوابه فى ش والكامل .

(٣) فى الكامل : « كدت والله أَكون السواد المخترم » . السواد : الشخص . والمخترم : الذى اخترمته المنية من بين أصحابه : أخذته .

(٤) فى اللسان : أصدت فلانا صيداً ، إذا صدته له ، كقولك : بغيته حاجة ، أى بغيتها له.

بمنزلة قولهم « لك » فى : هلم لك، للتبيين ، وفى سقيًا لك ونحوِ ذلك ، ويكون امتناع التنوين من الدخول عليه كامتناعه على وَشكانَ ونحوِه ، لا كما امتنع من الدخول على غير المنصرف ؟

فالجواب ما قدّمناه ، من أَنَّ موضع أَولى رفعٌ بالابتداء . ويدلُّ على صحّة ذلك أَنَّ أَبا زيدٍ حَكَى أَنهم يقولون : أَولاة الآن بالرفع ، وهذا تأْنيث أَولَى ، ولو كان اسمًا للفعل لم يرفع . أَلا ترى أَنَّك لا تجد فيما سمِّى به الفعل شيئًا مرفوعاً ، فيجعل أَولى مثله . والآنَ فى قولهم أَولاة الآن متعلِّق بمحذوف ، كما تقول : الوعيد الآن . انتهى كلامه .

* * *

وأَنشد بعده :

(وما كدتُ آيِبًـــا)

على أَنَّه استعمل (كاد) فى الضرورة مثل كان ، فجاء خبرها مفردًا فى قوله : « وما كدت آيبًا » ، كما يجىءُ خبر كان مفرداً .

وهذا قطعةٌ من بيت ، وهو :

(فأُبتُ إِلى فهمٍ وما كِدْتُ آيبـــاً
وكم مثلِها فارقتُهـــا وهى تَصْفِرُ)

وتقدم الكلام عليه مشروحًا فى الشاهد السابع والثلاثين بعد الستمائة [1] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س [2]

٧٥٣ (قد كادَ من طُول البِلَى أَنْ يَمْصَحـــا)

(١) الخزانة ٨ : ٣٧٤ – ٣٨٢ . وفى ط : «السادس والثلاثين بعد الستمائة» ، صوابه فى ش .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٧٨ وانظر المقتضب ٣ : ٧٥ والجمل ٢١٠ والإنصاف ٥٦٦ وابن يعيش ٧ : ١٢١ والمقرب ١ : ٩٨ والضرائر ٦١ واللسان (مصح) وملحقات ديوان رؤبة ١٧٢ .

على أنَّه جاز اقتران خبر كاد بـأَنْ لما ذكره .

قال سيبويه : وقد جاءَ فى الشعر كاد أَن يفعل ، شبَّهُوه بعسى . قال رؤبة :

* قد كاد من طول البِلَى أَنْ يمصحا *

وقد يجوز فى الشعر أَيضًا لعلِّى أَن أَفعَلْ، بمنزلة عسَيت أَن أَفعل . ا هـ.

ومثله لابن عصفور (فى الضرائر) قال : ومن ذلك عند بعض النحويِّين دخول أَنْ فى خبر كاد ، نحو قول رؤبة :

* قد كاد من طول البلى أَنْ يمصَحا *

وقول الآخر :

كادتِ النَّفسُ أَن تَفيظَ عليـه

إذ ثَـوَى حَشْوَ رَيطةٍ وبُرودِ[1]

والصحيح أَنَّ دخولها فى خبر كاد ضرورة ، إِلَّا أَنها ليست مع ذلك بزائدة ، لعملها النصبَ ، والزائدةُ لا تعمل ، بل هى مع الفعل الذى

---

(٣) انفرد ابن السيد فى الاقتضاب ٣٨٩ بنسبة هذا البيت إلى أبى زبيد الطائى ، فى رثاء ابن أخته اللجلاج الحارثى ، وكان قد مات عطشاً فى طريق مكة . وقصيدة البيت طويلة فى ٥٩ بيتاً نجدها فى ديوان أبى زبيد ٤٢ – ٥٦ ، والاختيارين للأخفش ٥١٨ – ٥٣٥ ، وأمالى اليزيدى ٧ – ١٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٣٨ – ١٤١ . ولم أجد فيها هذا البيت . ووجدت فى هامش شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٣١ أن البيت لمحمد بن مناذر شاعر البصرة . وأجدر به أن يكون لأبى زبيد الطائى المخضرم الذى يكثر الاستشهاد بشعره ، وقد جاء على لغة طيىء الذين ينطقون فاضت بالظاء المعجمة كما فى اللسان (فيظ) . وسبب اللبس أن لمحمد بن مناذر قصيدة أخرى طويلة جداً يعارض بها قصيدة أبى زبيد ويرثى بها عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى ، وكان قد علق به حتى انتهك ستره ، كما ذكر ابن المعتز فى الطبقات ١١٩ – ١٢٦ . وانظر الأغانى ١٧ : ٩ – ٣٠ ومعجم الأدباء ١٩ : ٥٥ – ٦٠ . والبيت بدون نسبة فى أدب الكاتب ٣١٤ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقى ٢٩٧ وتأويل مشكل القرآن ٤٠٧ واللسان (فيظ) .

نصبَتْه بتأْويل مصدرٍ ، وذلك المصدرُ فى موضع خبر كاد ، على حد قولهم : زيدٌ إقبالٌ وإدبار . ا هـ .

قال على بن حمزة البصرى (فيما كتبه على نوادر أَبى عمرٍو الشيبانى) وكان أَبو عمرٍو والأَصمعىُّ يقولان : لا يقول عربىٌّ : كادَ أَنْ ، وإِنَّما يقولون : كاد يفعل . وهذا مذهبُ جماعةِ النحويين ، والجماعةُ مخطئون ، وقد جاءَ فى الشعر الفصيح منه ما فى بعضه مَقْنَع . فمن ذلك ما أَنشده ابنُ الأَعرابىّ :

* يكاد لولا سَيره أَنْ يُمْلِصا[1] *

وأَنشد هو وغيره[1] :

حتَّى تراه وبه إكــداره ... يكاد أَن ينطحه إمجاره

لو لم ينفِّسْ كربَه هُرارُه

وأَنشد أَبو زُبَيْد وغيره فى صفة كلب :

يرثم أَنفَ الأَرضِ فى ذَهابه ... يكاد أَنْ ينسلَّ من إهابِه[2]

٩١

وقال بعض الرُّجَّاز :

* يكاد من طُول البِلَى أَنْ يَمصَحا[3] *

---

(١) أى يكاد أن يفلت لولا جذب سير اللجام له . والظاهر أنه فى صفة فرس .

(٢) من أرجوزة طردية لأبى نواس فى ديوانه ٢١٠ – ٢١١ . والشطر الأول مع نسبته إلى أبى نواس فى الحيوان ٢ : ٦٦ ، ويرثم : يكسر ، على أن الكلب يقشر وجه الأرض من شدة عدوه . وفى الديوان ٢١١ : « يترك وجه الأرض فى إهابه » ، تحريف . ورواية الشطر الثانى هى كذلك فى الحيوان ٢ : ٦٧ ، لكن فى الديوان ٢١٠ : « يكاد أن يخرج من إهابه » .

(٣) لرؤبة فى ملحقات ديوانه ١٧٢ . وانظر معجم الشواهد .

وقال ذو الرُّمَّةِ :

وجدت فؤادى كاد أَنْ يستخفّه

رجيعُ الهوى من بعض ما يتذكَّرُ[١] اهـ.

أَقول : مرادهما بقولهما : « لا يقول عربىٌّ كاد أَنْ » : أَنَّه لا يقول ذلك فى الكلام ، وأَمَّا الشِّعر فهو محلُّ الضرورة . فلا خطأً فى قولهما .

وأَمَّا ما ورد فى صحيح البخارى : « وكاد أُميَّةُ بن أَبى الصَّلت أَن يسلم[٢] »، وجاء فى الحديث أَيضاً : « كاد الفقر أَن يكون كفراً[٢] »، فنادر.

صاحب الشاهد

وهذا الرجز نُسِب إلى رؤبة . وقبله :

(ربع عفا من بعد ما قد انمحَى)

وأَنشده ابن يعيش :

(ربعٌ عفاه الدَّهرُ طولاً فامَّحَى)

ورواه اللَّخمى :

(ربع عفاه الدَّهرُ دأْباً وامْتَحى)

ولم أَر هذا الرجز فى ديوان رؤبة .

وكذلك قال ابن السيد (فى شرح أَبيات أَدب الكاتب[٢]) ، واللخمى (فى شرح أَبيات الجمل) بأَنَّهما لم يرياه فى ديوانه .

والرَّبع : المنزل حيث كان . وروى بدله : (رسمٌ) . والرسم : أَثَر الدار. وعفا يكون لازمًا كالرواية الأُولى، يقال عفا المنزل يعفو عَفْواً، وعُفوًّا،

---

(١) ديوان ذى الرمة ٢٢٤ ، ودرة الغواص ١٣٣ .

(٢) الاقتضاب ٣٩٦ .

وعفاءً ، بالفتح والمدّ ، أى درس . ويكون متعدّيًا كالرواية الثانية. يقال عَفته الرِّيحُ أى مَحته . وامَّحى أَصله انْمحى ، مطاوع محوته محوًا ، أى أزلته ، فامَّحى ، أى زال وذهبَ أثرُه . ويقال محيته محياً بالياء ، من باب نفع .

وزعم العينى أنَّ (مِنْ) فى قوله « من بعدِ » زائدة وما مصدرية ، واسم كاد ضمير راجعٌ إلى ربع . ومِنْ تعليليَّة متعلِّقة بكاد لا بيمصح ، لأنَّه صلة أَنْ . و(البِلَى) بالكسر والقصر : مصدر بلِىَ الثَّوب يَبْلَى ، إذا أَخلَقَ . وبَلِىَ المنزلُ ، إذا درَس . فإنْ فتحتَ الباءَ مددته . و(يَمْصح) بفتح الياءِ والصاد : مضارعُ مَصَح ، بفتح الصاد أيضاً . قال الجوهرىّ : مصح الشىءُ مُصُوحًا : ذهب وانقطع . قال : ومصح الثوبُ : أخلق . ولله درُّ القائل :

يا بدرُ إنَّك قد كُسيتَ مَشابهاً من وجه أُمِّ محمدٍ ابنةِ صالحِ
وأَراك تَمصَح فى المَحَاقِ ، وحُسنُها باقٍ على الأيَّام ليسَ بماصِحِ

وهو فى الأَشهر فِعلٌ لازم ، ولم يذكروه متعدّيا . وفى كثير من كتب اللغة ما يخالفه . فقد ذكره الهَرَوىُّ ، وابن شُمَيل ، والصاغانى ، متعدّيا . وفى القاموس : مصح الله مَرَضك ، أى أذهَبه ، كمَسَحَه . و (فى الذيل والصلة للصاغانى) : يقال للمريض : مَصَح الله ما بك ، ومسح ، والصادأعلى .

وقال ابن برى (فيما كتبه على دُرّة الغوّاص) : هذا غلطٌ لأنَّ مَسَح لا يتعدى إلاَّ بالباءِ ، يقال مسحت بالشىءِ أى ذهبت به . فلو كان بالصاد قيل مصح الله بما بك ، أى أذهبه ، فتَعَدِّيه بالباءِ أو بالهمزة ، فيقال أمصَحَ الله ما بك ، إذ لا يقال مصحه بدون باءٍ . اهـ .

وهذا مأخوذٌ من الجواليقى، قال (فى تكملة إصلاح المنطق) : ما تغلط فيه العامة. ويقولون فى الدعاءِ للمريض: مَسح الله ما بك . وكان النَّضر ابن شُميل يقول : مصح الله ما بك، أى أذهبه، وغيره يجيز: مَسَح الله ما بك . ا هـ .

وقال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : سئل أبو بكر الزُّبيدى عن قول القائل : مصح الله عنك بيمينه الشَّافية ، أبالسِّين يكتب أم بالصاد ؟ فقال : الذى أقوله وأعتقده وأرويه أنَّه بالسين لا بالصاد فإنَّ من كتبه بالصاد فإنَّما ذهب إلى قولهم مَصَح الظلُّ ، إذا ذهَبَ . وهو قولُ النَّضر بن شُمَيل . ولا يُلتفَتُ إليه ، لأَنَّ الصاد إنَّما استُعملت فى الظِّلِّ خاصَّة . ٩٢

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد السبعمائة [1] :

٧٥٤ (وقد جَعَلَتْ قَلوصُ ابنَىْ زيادٍ من الأَكوارِ مَرتَعُها قريبُ)

على أنَّه قد جاءَ نادرًا خبر جَعَل جملةً اسمية ، وهو قوله :(مرتعها قريب) .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : أوقع الجملةَ من المبتدإ والخبر موقعَ الجملة من الفعل والفاعل ، أراد : وقد جعلت قلوص ابنَىْ سهيل [2] يقرُبُ مرتعها من الأَكوار ، كما قال :

(١) التسهيل ٧٩ والمغنى ٢٣٥ وشرح شواهده للسيوطى ٢٠٦ والعينى ٢ : ١٧٠ ، والتصريح ١ : ٢٠٤ والأشمونى ١ : ٢٥٩ والحماسة بشرح المرزوقى ٣١٠ .

(٢) كذا فى إعراب الحماسة الورقة ٦٢ . وهذا مبنى على رواية البيت : « قلوص ابنى سهيل» طبقاً لرواية أبى تمام فى الحماسة .

فقد جعلَتْ نفسِى على النَّأْىِ تنطوى
وعينى على فَقد الحبيّب تَنــامُ[١] . اهـ

أقول : الصواب فى التقدير : تقرب من المرتع ، بإسناد الفعلِ إلى ضمير القلوص ، فإنَّ جميع أفعال المقاربة لا يكون فاعلُ خبرها الفعلىِّ إلاَّ ضميرَ اسمِها كما نصَّ عليه الشارح المحقق .

وقال الخطيب التِّبريزى (فى شرح الحماسة) : وقد جعلت قلوص ابنَىْ سُهيل يقرُب مرتعها من الأَكوار ، أى لم تتباعد فى الرَّعى لمَّا حُطَّ رحلُها ، لما بها من الإِعياء ، فبركت مكانَها . وجَعَلت ههنا بمعنى طفِقت وأَقبَلَتْ ، ولذلكلا يتعدَّى . و« مرتعها قريب » فى موضع الحال . أى أَقبَلَتْ قلوصُ هذين الرَّجلين قريبةَ المرتعِ مِن رحالهم .

وهذه غفلةٌ من الخطيب ، فإنَّه بعد أن قال : إنَّ جعلَتْ بمعنى طفِقت ، كيف يسوغ له أَنْ يجعل الجملة حالية .

وسبقه إلى جعل الجملة حاليّةً الإمامُ المرزوقى ، وتبعهما خَضْرٌ الموصلىُّ (فى شرح شواهد التفسيرين) .

ثم قال الخطيب : قال أَبو العلاء : ويروى : « فقد جعلت قلوصَ ابنَىْ سهيل » بنصب قلوص . وكثير من الناس يرفع القلوص ، وهو وجهٌ ردىءٌ ، لأَنَّ القائل إذا قال جعلت وهو يريد المقاربة لم يكن بدٌّ من إتيانه بالفعل ، كما قال :

جعلتُ وما بِى من جَفاءٍ ولا قِلًى أَزورُكُمُ يوماً وأَهجرُكُمْ شَهْرَا

(١) فى حاشية إعراب الحماسة : « الصديق » إشارة إلى رواية أخرى هى : « على فقد الصديق » . وانظر ما كتبت فى تحقيقى لحماسة بشرح المرزوقى .

وعلى ذلك جميع ما يردُ ، فإذا قال القائل جعل زيد فعلُه جميلٌ ، ولم يأْت بلفظ الفعل ، وإنَّما يحمله على المعنى ، كأنَّه قال : جعل زيد يجمل . وأحسن من هذه الرواية أنْ تنصب قلوصاً ويكون فى جعلَتْ ضميرٌ يعود على المذكورة ، وليست جعلَتْ فى هذا القول فى معنى المقاربة ، وإنَّما هى صيَّرَتْ ، فلا تفتقر إلى فعل ، ويكون قوله : «مرتعها قريب» فى موضع المفعول الثانى ، كما يقال : جعلْتُ أَخاك مالُه كثيرٌ . ا هـ .

وذكر الشَّلَوبين (فيما كتب على الحماسة) أَنَّ بعضَ الناس أَجاز أَن يكون جعَل بمعنى صيَّر وحذف من جعلَتْ ضميرَ الشَّأْن ، والتقدير : وقد جعلته أَى جعلت الأَمر والشأْن[1] مرتَعها قريبٌ من الأَكوار . وأَنَّ آخر[2] أَجاز أَن يكون على إلغاءِ جعلَتْ مع تقدُّمها ، على حدِّ إجازة أَبى الحسن : ظننت عبدُ الله منطلق . ا هـ.

فإن أَراد ببعض الناس أَبا العلاءِ فلا يصحُّ نسبة حذْفِ ضمير الشأْن إليه ، فإنَّه روى بنصب القلوص على أنه مفعول أَوّل لجَعَل بمعنى صيَّر ، والفاعل ضمير المرأَة . ويردُ على القول الآخر أَنَّ الإلغاءَ لا يكون فى أَفعال التصيير ، وإنَّما يجوز فى أَفعال القلوب . ٩٣

وقد أَخطأَ العينى فى هذه الكلمة من وجهين .

الأَوّل أَنَّه قال : جعلَ هنا من أَفعال المقاربة ، وإنَّما هى من أَفعال الشروع .

والثانى : أَنَّه قال : وجُعِلت هنا على صيغة المجهول ، أُسندت إلى

---

(١) ش : «وقد جعلت الأمر والشأن» ، وما أثبت هو رواية ط .

(٢) فى النسختين : «آخراً» ، ووجهه ما أثبت .

قلوص . وإنَّما جعَلَتْ بالبناء للمعلوم وقلوصُ اسمها . وجملة مرتعها قريبٌ من الأَكوار فى محل نصب على أَنَّه خبرها . والقَلوص : الناقة الشَّابَّة . ويروى : « ابنَىْ سُهيل » بدل « ابنَىْ زياد» . والأَكوار : جمع كُور بالضم ، وهو الرَّحل بأَداته . والمَرتع : موضع الرتوع ؛ وهو أَكل الماشية ما شاءت . تقول : رتعت الماشية رتوعاً .

وهذا البيت أَحد أَبياتٍ ثلاثةٍ فى الحماسة ، تقدّمت مشروحةً فى الشاهد الثانى والخمسين بعد الثلثمائة [(١)] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد السبعمائة [(٢)] :

٧٥٥ (وقد جَعَلْتُ إِذا ما قمتُ يُثْقِلنى ثَوبى فأَنهضُ نَهْضَ الشَّاربِ الثَّمِلِ)

على أَنَّه قد يجىءُ خبر جعل جملةً شرطيَّةً مصدَّرة بإذا . فجملة (إِذا ما قمتُ يثقِلنى ثَوبى) فى محلّ نصب ، على أَنه خبر جعل .

وهذا كقول همّام الرَّقاشى :

وقد جعلتُ إذا ما حاجةٌ عرضَتْ

بباب دارِك أَدلُوها بأَقـوامِ [(٣)]

أَى أُوصلها إليك بأَقوامٍ . وكقول عبد الله بن عباس رضى الله

(١) الخزانة ٥ : ١١٩ - ١٢٢ .

(٢) المقرب ١ : ١٠١ والمغنى ٥٧٩ وشرح شواهده للسيوطى ٣٧١ والعينى ٢ : ١٧٣ والتصريح ١ : ٢٠٤ ، ٢٠٦ والهمع ١ : ١٢٨ ، ١٣١ والأشمونى ١ : ٢١٣ .

(٣) انظر البيان ٢ : ٣/٣١٦ : ٤/٣٠٢ : ٨٥ فقد أنشد الجاحظ البيت مع أبيات منسوبة إلى همام الرقاشى . على حين وردت فى الحماسة ١١٢٠ بشرح المرزوقى و ٣ : ١٢٩ تبريزى منسوبة إلى عصام بن عبيد أو ابن عبيد الله الزمانى .

عنهما : « فجعل الرجُلُ إذا لم يستطِع أَن يخرُجَ أَرسل رسولا[١] » .

وعلى هذا يكون ثوبى فاعل يُثْقلنى ، ويكون وقوع الجملة الشرطيّة خبرًا لجعل موقعَ الفعل المضارع نادرًا .

وقد تبع الشارحُ المحقق فى هذا ابنَ مالِك (فى التسهيل) ، قال فيه : وربَّما جاءَ خبر جعل جملةً اسميّةً وفعليّةً ، مصدّرةً بإذا[٢] . ولا يخفى أَنَّه إذا جاز تخريجُها على ما ثبت لها لا ينبغى العدولُ عنه إلى ادِّعاءِ النُّدرة ، فإنَّه لا مانعَ من جعل يثقلنى خبراً لها ، ويكون ثوبى بدل اشتمال من التاءِ فى جعلْتُ ، وذلك بتقدير إذا ظرفيةً لا شرطيّة . وكذا الحال فى البيت الثانى ؛ وفى الأَثر ، ولكن فيه شذوذٌ وهو مجىءُ الماضى خبراً ، فلا يخرج هذا عن قوله سابقًا : « ويتعيَّن فى جميع أَخبار أَفعال المقاربة أَنْ يكون فاعلُ أَخبارها ضميرًا عائدًا إلى اسمها » .

وإليه ذهب ابن هشام (فى المغنى) قال : اشترطوا الإضمار فى بعض المعمولات . ومن ذلك مرفوع خبر كاد وأَخواتِها إلاَّ عسى . ومن الوهم قولُ جماعة فى قولِ هُدبة :

عسى الكرب الذى أَمسيت فيه .... البيت[٣]

إنَّ فرج قريب اسم يكون . والصواب أنه مبتدأٌ خبره الظرف، والجملة خبر يكون[٤] واسمها ضمير الكرب ، وأَما قوله :

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير فى سورة الشعراء . قال ابن عباس : « لما نزلت : وأنذر عشيرتك الأقربين، صعد النبى صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر ، يا بنى عدى ،يابطون قريش. حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو » .

(٢) التسهيل لابن مالك ٥٩ — ٦٠ ، والنص فيه : « مصدرة بإذا أو كلما » .

(٣) هو الشاهد رقم ٧٥٠ فى هذا الجزء التاسع .

(٤) ش : « كان » ، تحريف .

وقد جعلت إذا ما قمت يثقلنى ثوبى ..... البيت

فثوبى بدل اشتِمال من تاءِ جعلْتُ لا فاعل يثقلنى . ا هـ .

إِلَّا أَنَّ ما استثناه ابنُ هشامٍ فى عسى لم يذكره الشارح المحقق . قال ابن هشام : تقول كاد زيد يموت ، ولا تقول يموت أبوه . ويجوز عسى زيد أَن يقوم أَبوه ، فترفع السببىَّ . ولا يجوز رفعها الأَجنبىَّ ، نحو : عسى زيد أَن يقوم عمرٌو عنده . ا هـ .

وما استثناه الشارح المحقق فى كاد ،نحو : كاد زيد تخرج نَفْسُه لم يذكره ابن هشام . فأَفاد كلٌّ منهما فائدةً ليست عند الآخَر . ولقد صدق القائل فى قوله :

ما حوى العِلمَ جميعاً أَحدٌ لا ولو مارسَه أَلفَ سَنَهْ

٩٤ لكنَّ ابن مالك جوّز بقلَّةٍ فى خبر جميع هذه الأَفعال أَنْ يرفَعَ غير ضمير الاسم : قال (فى التسهيل) : ويتعيَّن عود الضمير من الخبر إلى الاسم . وكونُ الفاعل غيره قليل . ا هـ .

تتمـــة

وقع فى بعض نسخ التسهيل : وربَّما جاءَ خبر جَعَل جملة اسمية وفعلية ، مصدّرة بإِذا أَو كلَّما ، وندر إِسنادُها إلى ضمير الشَّأْن ودخولُ النفى عليها . ا هـ.

قال شارحة المرادى : ولم يتعرَّض المصَنِّف[1] لهذه الزيادة فى شرحه . ومثال تصدُّره بكلَّما : جعلَ زيدٌ كلَّما جاءَ عمرٌو ضَرَبَه . ويَحتاج إلى سماع ، إلاَّ أَنَّ فى صحيح البخارى : « فجعل كلَّمَا جاءَ ليخرج رمَى فى

(١) ش: « المص » ، وهو اختصار لكلمة «المصنف» ، وانظر تحقيق النصوص ص٥٨ .

فيه بحجر[١] » . ويمكن تمثيل المسألة الثانية بما حكاه الزاهد غلام ثعلب : أنَّه يقال : عسى زيد قائم ، برفع المبتدإ والخبر بعد عسى . فيتخرَّج[٢] على أنَّ فى عسى ضمير الشأن . هذا إن جعلنا الضمير فى إسنادها إلى أفعال الباب . وإن جعلناه عائداً إلى جعَل احتاج إلى سماع .

ومثال المسألة الثالثة : ما جعل زيد يتكلَّم ، وقول أنس : « فما جعل يُشير بيده إلى ناحيةٍ من السماء إلاَّ انفرجت[٣] » . ولا ينبغى أن يعود الضمير إلى أفعال الباب ، إذْ لم يندُر دخول النفى عليها . ا هـ .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات خمسةٍ لعمرو بن أحمرَ الباهلى ، إلَّا أنَّ قافيتها رائيَّة ، لا لاميّة كما وقع فى إنشاد النحويِّين .

والأبيات رواها لعمرو المذكورِ المرزُبانىُّ (فى الموشح[٤]) ، ورأيتها كذلك بخط ابنِ نُباتة السعدىِّ البغدادى صاحب الخطب النباتية ، كتبها فى آخر ديوان محمد بن بشير الخارجى ، ورواها عن أبى سعيدٍ عن ابن حبيب عن ابن الأعرابى ، وقد أقوى فى بيتين منها نصَّ عليهما المرزُبانى ، وهى :

(ما للكواعب يا عَيْساءُ قد جعلَتْ
تَزوَرُّ عنِّى وتُطوَى دونىَ الحُجَرُ

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز (باب ما قيل فى أولاد المشركين) ، وهو حديث طويل عن سمرة بن جندب .

(٢) ش : « فيخرج » .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الاستسقاء ، باب من تمطر فى المطر حتى يتحادر على لحيته .

(٤) موشح المرزبانى ١١٨ . والأبيات لم ترد فى صلب ديوان ابن أحمر ، وإنما وردت فى ملحقات ديوانه ١٨١ .

قد كنتُ فَـرَّاجَ أَبواب مغلَّقـةٍ
ذَبَّ الرِّياد إذا ما خُولِسَ النَّظرُ(١)
فقد جَعلت أَرى الشَّخصين أَربعةً
والواحدَ اثنين ممَّا بُورك النَّظَرُ(٢)
وكنتُ أَمشى على رجلين معتدلاً
فصرت أَمشى على رجلٍ من الشَّجرِ(٣)
وقد جَعلتُ إذا ما قُمتُ يُثقِلُنى
ثوبى فأَنهَضُ نَهْضَ الشارب السَّكِرِ(٤))

قوله : « ما للكواعب » استفهامٌ إنكارى ، أَنكر إعراض الكواعب عنه ، وهى جمع كاعب ، وهى الشابة التى نتَأَ ثديُها وظهَر . وعَيْساءُ : اسم امرأَة . وازورّ عن الشيء وتَزاور عنه : مالَ عنه . وتُطوَى بالبناء للمفعول . ودونى : أَمامى . والحُجَر ، بضم ففتح : جمع حجرة . يريد أَنَّهنّ لا يُقبلن علىّ ويَسدُدْن أَبوابَ الحجر أَمامى .

وفرَّاج : مبالغة فارج ، من فرجت الباب من باب ضرب ، إذا فتحتَه . وذبَّ الرِّياد ، بالنصب : خبرٌ آخر لكان ، وهو بالذال المعجمة ، أَى كثير الحركة والدخول والخروج . يقال فلان ذبُّ الرياد ، إذا كان لا يستقرُّ فى موضع . والرِّياد : مصدر راود يراود . وخُولس : مجهول خالس الشيءَ : فاعَلَ من خَلست الشيءَ ، إذا اختطفتَه بسرعة على غَفلة.

(١) هذا البيت لم يرد فى الموشح .
(٢) فى الموشح : « لما بورك البصر » .
(٣) فى الموشح : « متئداً فصرت أمشى على أخرى من الشجر » .
(٤) فى الموشح : « يثقلنى إردفى » .

يريد أَنَّ النساءَ كُنَّ[١] يتسارقن النَّظر إلَيَّ لحسني وشبابى ، عندما كنت خفيفَ الحركة . وجَعلتُ من أَفعال الشروع . وإِنَّما رأَى الشخصين أَربعة لضعف بصره من شيخوخته وسِنِّه . وقوله : « مما بُورِكَ النَّظر » تهكم واستهزاءٌ ببصره ، جعل ضعف بصرِه بركة ، لأَنَّه يُريه الشيءَ مضاعفاً . ٩٥

وقوله : « على رجل من الشجر » أَراد العصا ، فإِنَّ الشيوخَ يعتمدون عليها فى المشى . ويروى : « على أُخرى من الشجر » أَى على رجلٍ أُخرى من الشجر .

وقوله : « إذا ما قمت » ما زائدة وزيادتها بعد أَداة الشرط جازمًا أَوغير جازم مطرّدةٌ ، حتَّى نظمها بعضُهم بقوله :

خُذْ لك ذى الفـــائده « ما » بعد إذا زائده

وزعم العينى أَنَّ ما مصدرية ، وأَنَّ التقدير حين قيامى . وقوله : « يثْقلنى » من أَثقله الشيءُ : أَجهدَه وأَتعبه بجَعلِهِ ثقيلا . وقوله : «فأَنْهض» معطوف على يثقلنى ، فهو خبر بعد خبر ، لا على جعلت كما زعم العينى ، لوجهين : أَحدهما أَنَّ النهوض على هذا الوجه مسبَّب عن إِثقاله الثَّوب لا عن الشُّروع فى القيام . وثانيهما : تناسُب المتعاطفَين فى المضارِعيَّة[٢] وفى السببيَّة : فإِنَّ كلاًّ منهما سببٌ للآخر .

وزعم العينى أَنَّ التحقيق فيه أَنَّه أَقام السبب ، وهو الإِثقال ، مقامَ المسبَّب ، وهو النهوض نهْضَ الشَّارب . هذا كلامه .

---

(١) ط : « كانوا » ، ش : « كانوا كن » مع وضع خط فوق « كانوا » إشارة إلى خطأ النسخة .

(٢) ش : « فى المضارعة » .

وأنهض : أقوم ، وله مصدران أحدهما ما فى البيت . والثانى النهوض . ونَهْض الشارب صفةُ مفعولٍ مطلق نائبٍ عنه ، أى فأَنهض نهضاً كنهض الشارب. وقال العينى : نَهْضَ الشارب منصوبٌ على الإطلاق وهذا لا معنى له ، وكأَنَّه يريد على المفعول المطلق . والسَّكِرُ، بكسر الكاف: صفة مشبهة من السُّكر . وكذلك الثَّمِل بكسر الميم صفة مشبَّهة ، وهو الذى أَخَذ منه الشرابُ قُواهُ .

وقافية هذا البيتِ والذى قبله فيهما إقواءٌ ، بخلاف ما قبلهما ، فإنَّ قافيته مرفوعة .

وعمرو بن أَحمرَ الباهلىُّ شاعرٌ إسلامىٌّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الستين بعد الأَربعمائة[1] .

وقال العينى : قائل البيت الشاهِد أَبو حَيَّة النَّمرى . وقد نُسِب للحكم بن عبدلٍ الأَعرج الأَسدىّ . وليس بصحيح لأَنَّه لا يوجد فى ديوانه .

ويروى الشطر الثانى: « فقمت قيام الشارب السَّكِر » . وممن رواه هكذا الجاحظُ (فى باب العُرجان من كتاب الحيوان له[2])، ونسبه لأَبى حيَّة النمرى هكذا[3] :

---

(١) الخزانة ٦ : ٢٥٧ – ٢٥٨ .

(٢) الحيوان ٦ : ٤٨٣ – ٤٨٤ . وكلمة « له » ساقطة من ط .

(٣) ط : « لأبى حية النمرى» له هكذا ، تحريف .

وقــد جعلتُ إذا ما قمتُ يوجعنى

ظَهرى فقمتُ قيامَ الشّاربِ السَّــكرِ

وكنت أَمشى على رجلىَّ معتدلا

فصرتُ أَمشِى على أُخرى من الشَّجَرِ[1]

---

(١) فى الحيوان والموشح : « على رجلين معتدلا » .

فعل التعجب

أنشد فيه :

(يا ما أُمَيْلِحَ غِزْلانًا شدَنَّ لَنَا)

تمامه :

(من هؤليَّائِكنَّ الضَّالِ والسَّمُرِ)

وتقدَّم الكلام عليه فى خواصّ الاسم من أول الكتاب[1] :

قيل إنَّ هذا البيت من أبياتٍ لعلىّ بن محمد المغربى[2] ، وهو متأخِّر ، له قصيدة فى مدح على بن عيسى وزير المقتدر[3] . وقتِلَ المقتدر فى شوَّال سنة عشرين وثلثمائة .

وإنَّما أراد التشبُّه بكلام العرب ، فلا يصحُّ الاحتجاجُ به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد السبعمائة[4] :

٧٥٦ (ونأْخُذْ بَعْدَهُ بذِناب عيشٍ أَجبّ الظَّهرَ ليس له سَنامُ)

على أنَّ نصب (الظهر) على التشبيه بالمفعول به . ٩٦

أقول : روى ابنُ الناظم وغيرُه (الظهر) فى هذا البيت على ثلاثة أوجه :

(١) الخزانة ١ : ٩٣ – ٩٩ .
(٢) فى الخزانة ١ : ٩٨ : « العرينى ».
(٣) ط : « ابن المقتدر » ، صوابه فى ش ، ومما سبق فى ١ : ٩٨ .
(٤) التكملة من ش . والبيت من شواهد سيبويه ١ : ١٠٠ والمقتضب ٢ : ١٧٩ وابن الشجرى ٢ : ١٤٣ والإنصاف ١٣٤ وابن يعيش ٣ : ٤/٥٧٩ : ٦/٥٣٤ : ٨٣ ، ٨٥ والأشباه والنظائر ٣ : ١٣٦ والأشمونى ٣ : ١١ ويس ٢ : ٨٠ وديوان النابغة ٧٥ .

الأَوّل بالنصب ، وهو ضعيف كما قال الشارح المحقق . وقال ابن الحاجب (فى أماليه) : ونصب الظهر كنصب الوجه فى : مررت برجل حسنٍ الوجهَ ، وهى لغة فصيحة على التشبيه بالمفعول . ومنهم من جعله نصباً على التمييز ، ولا حاجة إليه لكونه معرفة ، والتمييز المنصوب إنَّما يكون بالنكرة . وفيه ردٌّ على من قال إنه تمييز ، كالبيضاوى ، فإنَّه استشهد به عند قوله تعالى : ﴿ إلاَّ مَنْ سَفِه نَفْسَه[1] ﴾ قال : نفسه منصوب على التمييز ، كالظهر فى البيت .

الثانى : رفع الظهر على الفاعليَّة .

الثالث : خفضه بإضافة أَجبّ إليه .

وأَما (أَجبّ) فهو مجرور لا غير . قال ابن الحاجب : وأَجبٌّ مخفوضٌ علامةُ خفضه الفتحة ، صفةٌ لذِنابٍ أَو عيش . والفتح إنَّما هو على رفع الظهر ونصبه ، وأَما على جرِّه فأَجبَّ مجرور بالكسرة للإضافة . وأَمَّا قطعُه إلى الرّفع على أَنَّه خبر لمبتدإٍ محذوف ، أَو إلى النصب بتقدير أَعنى ، فلا يجوز ، لأَنَّ قطع النَّكرة غير الموصوفة نادر.

وقد خلط العينىُّ ونسب إلى ابن الناظم ما لم يُقلْه . قال : الاستشهاد فى قوله أَجبّ الظَّهر ؛ فإنَّه يجوز فيه ثلاثة أَوجه : الأَوّل : أَجبُّ الظهرَ برفع أَجب ونصب الظهر . وهذا من أَقسام الضعيف، وهو على تقدير : هو أَجب .

الثانى : نصب أَجبّ على الحالية ورفع الظهر .

والثالث : جرّ أَجب على الصفة لعيش ، وجر الظهر على الإضافة .

---

(١) الآية ١٣٠ من سورة البقرة .

هذا كلامه ، وتبعه على هذا خَضْرٌ الموصلى (فى شرح أبيات التفسيرين) .

وأنشده سيبويه بنصب الظهر بأجب على أَنَّ فى أَجب تنوينًا مقدَّرًا ولم يظهَر ، لأَنَّه لا ينصرف .

والبيت من أَبياتٍ للنابغة الذبيانى ، وهى :

أبيات الشاهد

(أَلَمْ أُقسِمْ عليكَ لَتُخبرنِّى أَمحمولٌ على النَّعش الهُمامُ
فإِنِّى لا أَلومُك فى دخولٍ ولكن ما وراءَك ياعصامُ
فإِنْ يَهلِكْ أَبو قابوسَ يهلِكْ ربيعُ النَّاسِ والشَّهرُ الحرامُ
ونأْخُذْ بعدَه بذِناب عيشٍ أَجبّ الظهر ليس له سَنامُ)

ومن حديث هذه الأَبيات أَنَّ النابغة كان عند النعمان ملك العرب بالحيرة ، كبيرًا عنده ، خاصًّا به ، وكان من نُدمائه وأَهل أُنْسِه ، فحُسِد على منزلته منه ، فاتَّهموه بأَمرٍ ذكرناه فى مواضعَ من هذا الكتاب(١) ، فغضب عليه النعمان وأَرادَ البطش به . وكان للنعمان بوّابٌ يقال له عِصامُ بن شَهْبَرٍ الجَرمى ، قال للنابغة : إِنَّ النُّعمانَ مُوقِعٌ بك فانطَلِقْ ! فهرب النابغة إلى ملوك غسَّانَ ملوكِ الشام ، فكان يمدحُهم وتركَ النُّعمان ، فاشتدَّ ذلك عليه ، وعرَف أَنَّ الذى بلغه كذِبٌ . فبعث إليه : إِنَّك لم تعتذر من سَخطةٍ إن كانتْ بلغَتْك ، ولكنَّا تغيَّرنا لك عن شىءٍ ممَّا كنا لك عليه ، ولقد كان فى قومك ممتنَعٌ وحِصنٌ ، فتركتَهُ ثم انطلقتَ إلى قومٍ قَتلوا جَدِّى ، وبينى وبينهم ما قد علمت . وكان النُّعمان وأَبوه وجدُّه قد أَكرموا النابغة وشرَّفوه وأَعطَوْه مالاً عظيما . وبلغ النابغةَ أَنَّ النعمان ثقيلٌ من مرض أَصابَه حتَّى أُشفِقَ عليه منه ، فأَتاه النابغة فأَلفاه محمولاً على رَجُلين يُنقَل ما بين الغَمْر وقصوره التى بين الحِيرة ،

(١) انظر منها الخزانة ٢ : ١٣٦ .

٩٧ فقال لِبوَّابِهِ عصام :

أَلم أُقسم عليك لتخبرَنِّى ..... الأَبياتَ المذكورة .

قال أَبو عبيدة : كانت ملوكُ العرب إذا مرِض أَحدُهم حملتْه الرجال على أَكتافها ، يتعاقبونه ، لأَنَّه عندهم أَوطأُ من الأَرض . فعافاه الله وعَفا عن النابغة .

قال حسان بنُ ثابت : وفدتُ إلى النعمان فحسَدتُ النابغة على ثلاثٍ لا أَدرى على أَيَّتهنَّ كنتُ أَحسِدُ : أَعلى إدناءِ النُّعمان له بعد المباعدة ومسايرته له وإصغائِه إليه[1] ، أَو على جودة شعره ، أَو على مائة بعير من عصافيره أَمر له بها ؟

قال أَبو عبيدة : قيل لأَبى عمرو : أَمِنْ مخافته امتدحَه وأَتاه بعد هربه منه ، أَم لغير ذلك ؟ قال : لا لعمر الله ، ما لمخافته فَعَلَ ، إنْ كان إلاَّ آمنًا من أَن يوجِّه إليه النعمان جيشاً . وما كان النابغة يأْكلُ ويشرب إلاَّ فى آنية الذهب والفِضَّة ، من عطايا النُّعمان وأَبيه وجَدّه ، ولا يستعمل غير ذلك .

وقوله : « أَلمْ أَقسِمْ عليك[2] إلخ هو استفهام تقريرىّ ، وقوله « لتخبرنِّى » جواب القسم وقوله : « أَمحمول » إلخ خبر مقدَّم والهُمام مبتدأٌ مؤخَّر ، والجملة فى موضع المفعول لتخبرنِّى . والتحقيق أَنَّ الواقع مفعولاً محذوف مضاف إلى هذا الاستفهام ، والتقدير : جواب هذا الاستفهام . والنعش : السَّرير ، كان الرِّجال يحملونه على سريره فى مرضه .

---

(١) ش : « وإصغاؤه » ، تحريف .

(٢) فى النسختين : « ألم أخبرك » ، والوجه ما أثبت .

وقال العينى : وقيل معنى أمحمولٌ على النعش ، أى هل مات فحُمِل على النَّعش أم لا ؟ انتهى .

(أقول) : هذا كلامُ من لم يصل إلى العُنقود .

والهُمام : الملك العظيم الهمّة .

وقوله : « فإنِّى لا أَلومُك » إلخ : لا أَلومك فى تركك الإِذْن لى فى الانتهاءِ إلى الملك ، ولكن أَخبِرْنى بكُنْه أَمره . ورواه العينى :

* فإنِّى لا أُلامُ على دخول *

وقال : أى لا أُلام على ترك الدخولِ عليه ، لأَنِّى محجوب لا أَصِلُ إليه لغضبه علىَّ . وهذا خلاف ما رَوَاه الناس .

وقوله : « ما وراءَك يا عصام » صار مثلاً عند العرب ، وأَورده الزمخشرى (فى أَمثاله[1]) قال فيه : هو من قول النابغة ، يضرب فى الاستخبار عن الشىء ، وهو عِصام بن شَهْبَر الباهلىّ حاجبُ النُّعمان . ومن شعر عصام هذا :

نفسُ عِصامٍ سوَّدتْ عصاما وعلَّمته الكرَّ والإِقداما
وجَعَلَتْهُ ملكًا هُماما

والبيت الأَوّل من هذا مثلٌ أَيضاً ، يضرب لمن شرُف بنفسه لا بآبائه.

وفى الأَمثال أَيضاً : « كن عصاميًّا ولا تكن عظاميًّا » ، أَى افتخرْ بنفسك لا بعظام آبائك البالية .

---

(١) المستقصى للزمخشرى ٢ : ٣٣٤ .

قال الزمخشرى : وهو عصامٌ الخارجى ، وإنَّما سمته العرب خارجيًّا لأنَّه خرج عن غير أوَّليّةٍ كانت له .

ويحكى أنَّ الحجَّاجَ ذُكِر عنده رجلٌ بالجهل، فأراد اختباره فقال : أعظامىٌّ أم عصامىٌّ ؟ أراد : أشرُفتَ بآبائك الذين صاروا عظاماً أم بنفسك ؟ فقال الرجل : أنا عصامىٌّ عِظامىٌّ . فقال الحجاج : هذا أفضلُ الناس ، فقضى حوائجَه ومكث عنده ، ثم فتَّشه فوجده أجهلَ الناس ، فقال له : تَصدُقُنى أو لأقتلنَّك ، كيف أجبتنى بما أجبتنى حين سألتك عما سألتك ؟ قال : لم أعلم أعصامىٌّ خيرٌ أم عظامىٌّ ، فخشِيت أن أقول أحدَهما، فقلت كليهما، فإنْ ضرَّنى أحدُهما نفعنى الآخر . فقال الحجاج عندَ ذلك: « المقاديرُ تُصيِّر العيَّ خطيباً » .

وقوله : « فأن يهلك أبو قابوس » إلخ هو كنية النعمان ، وقابوس : معرَّب كاووس ، كطاوس ، اسم أحدِ ملوكِ الفرس . وقوله : « ربيع الناس » إلخ يريد أنَّه كان كالربيع فى الخصب لمجتدِيهِ ، وكالشَّهر الحرام لجاره ، أى لا يُوصَل إلى مَنْ أجاره كما لا يوصل فى الشهر الحرام إلى أحدٍ . والمعنى : إنْ يمت النُّعمان يذهبْ خيرُ الدُّنيا عنها ، كانت تعمَرُ به ، وبجوده وعَدْله ونفعِهِ للنَّاس. ومن كان فى ذمّته وسلطانه فهو آمنٌ على نفسه مَحْقُون الدم ، كما يأْمن الناس فى الشهر الحرام على دمائهم وأموالهم . وروى بدله : « والنَّعمُ الرُّكام » بالضم، أى المتراكمة .

٩٨

وقوله : « ونأْخذ بعده » إلخ الذِّناب والذِّنابة بكسرهما ، والذُّنابى بالضم والقصر : الذَّنَب . قال الشنتمرىّ : المستعمل للبعير ونحوِه الذَّنَب ، وللطَّائر الذُّنابى، وللعَين ونحوها الذِّنابة ولما لا خَير فيه . والأَجبُّ بالجيم: الجمل المقطوع السَّنام ، والسَّنام : حدَبة البعير ، يقول : إن مات بقينا

فى طرفِ عيشٍ قد مضَى صدرُه ومُعظمُه وخَيره ، وقد بقى منه ذنبُه ، ويكون العيش كبعيرٍ قد جُبّ سَنامُه . يريد : صار الناسُ بعده فى أسوإ حالٍ وأضيق عيش وذُلّ ، وتمسَّكوا منه بمثل ذنب بعير أجبّ الظَّهرِ . والسَّنامُ يستعار كثيرًا للعزّ، حتى كأنَّه غلب فيه .

وقد أَورَدَ أَبو القاسم الزجَّاجيُّ هذه الأَبياتَ الثلاثة (فى أماليه الصُّغرى والوُسطى[1]) وقال فيهما : أَمَّا عصامٌ فحاجب النعمان . يقول : لا أَلومك إن منعتَنى من الوصول إليه ، ولكن عرِّفنى خبرَه . وكان الملكُ إذا مرض يُجعَل فى سريرٍ ويُحمَل على أَكتاف الرجال ، يعلّل بذلك[2] ويقولون : هو أَرفَهُ له . وأَمّا قوله : ونـأْخذ بعده ، فيجوز فيه الرفع والنصب والجزم . أَمَّا الجزم فعلى العطف على قوله يهلك ربيعُ الناس . والرَّفع على القطع والابتداءِ ، والنصب بالصرف على إضمار أَنْ . وكذلك كلُّ معطوفٍ بعد جواب الجزاءِ من الأَفعال المستقبَلة ، تجوز فيه هذه الأَوجه الثلاثة . وقوله « أَجَبّ الظهر » يعنى مقطوع الظهر . وهذا تمثيلُ تشبيه . ويروى : « أَجبِّ الظَّهرِ » بخفضهما جميعاً على إضافة أَجبّ إلى الظهر ، ويروى : « أَجبَّ الظَّهرَ » بفتح أَجبّ ونصب الظهر على أَنْ يكون موضع أَجبّ خفضًا ولكنَّه لا ينصرف ، وبنصب الظهر على التشبيه بالمفعول به ويضمر فى أَجبّ الفاعل ، كأَنه قال : أَجبّ الظهر بالتنوين ، ثم منعه من التنوين لأَنَّه لا ينصرف ، وهو فى تقدير قولك : مررت برجلٍ حسنِ الوجهَ ، وكثيرِ المالَ ، وطيّبِ العيشَ . ويروى : « أَجبَّ الظهرُ » على أَنَّه فى موضع خفض ورفع الظهرُ به ، كأَنه قال : أَجبّ ظهرُهُ ، فأَهل الكوفة

---

(١) انظر ملحقات أمالى الزجاجى ٢٢٣ - ٢٢٤ .
(٢) التعليل : الترفيه والتلهية .

يجعلون الألف واللام عقيب الإضافة ، وأهل البصرة يضمرون ما يعلّق الذكر بالأوّل ، وتقديره عندهم : أجبُّ الظهرِ منه . انتهى .

وتقدَّمت ترجمة النابغة الذبيانى فى الشاهد الرابع بعد المائة[(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[(٢)] :

٧٥٧ (ولله عَينا حَبْترٍ أَيُّما فتى)

على أنّه قد يستفاد من الاستفهام معنى التعجُّب كما هنا فإنَّ فيه معنى التعجب من الفتُوَّة كما تقول : أى رجل زيد ؟ وقد تضمَّنت أىّ معنى المدح والتعجبِ الذى تضمَّنتْه نِعْمَ وحبَّذا .

وأىّ إذا أُضيفت إلى مشتقٍّ من صفة يمكن المدح بها كانت للمدح بالوصف الذى اشتقّ منه الاسم الذى أُضيفت إليه . فإذا قلتَ : مررت بفارسٍ أىِّ فارس، فقد أثنيتَ عليه بالفروسيّة خاصَّةً[(٣)] . وإن أُضيفت إلى غير مشتقٍّ فهى للثناء عليه بكلِّ صفةٍ يمكن أن يثنى عليه بها[(٤)] ، فإذا قلت مررت برجل أىِّ رجلٍ فقد أثنيت عليه ثناءً عامًّا فى كلِّ ما يُمدح به الرّجل .

٩٩

قال سيبويه : وسألته – يعنى الخليل – عن قوله :

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ .
(٢) فى كتابه ١ : ٣٠٢ . وانظر الكامل ٧٣٥ والعينى ٣ : ٤٢٣ والهمع ١ : ٩٣ والدرر ١ : ٧١ والأشمونى ١ : ٢/١٦٨ : ٢٦٢ والحماسة بشرح المرزوقى ١٥٠٢ وبشرح التبريزى ٤ : ٧٥ .
(٣) ط : « الخاصة » .
(٤) ط : « يثنى عليها » .

فأَومأْتُ إِيماءً خفيًّا لحبترٍ   ولله عينا حَبْتَرٍ أَيَّمَا فتى

فقال : أَيُّما تكون صفة للنكرة ، وحالاً للمعرفة ، وتكون استفهامًا مبنيًّا عليها ومبنيّة على غيرها ، ولا تكون لتبيين العدد ، ولا فى الاستثناء نحو قولك: أتونى إلّا زيدًا . ألا ترى أنّك لا تقول له : عشرون أيّما رجلٍ ولا أتونى إلاَّ أيّما رجل . والنصبُ فى مثلْه رجلًا كالنَّصب فى عشرين رجلاً . فأيّما لا تكون فى الاستثناء ، ولا يختصّ بها نوعٌ من الأنواع ، ولا يفسَّر بها عدد . وأَيُّما فتًى استفهامٌ. ألا ترى أنَّك تقول : سبحان الله مَن هو وما هو ؟ فهذا استفهامٌ فيه معنى التعجُّب . ولو كان خبرًا لم يجز ذلك ، لأنَّه لا يجوز فى الخبر أَنْ تقول من هو وتسكت . انتهى.

قال النحاس : قد فسَّر الخليل أيّما بقوله تكون صفة للنكرة ، كقولك مررت برجل أيّما رجل ، وحالاً للمعرفة ، أى إنْ شئت رويت :

* فلله عينا حبترٍ أيَّما فتًى *

بالنصب ، أى كاملاً[(١)] ، ومبنيًّا عليها ، كقولك أيّما رجل ، ومبنيَّة على غيرها ، نحو زيد أيُّما رجل ، ولا تكون لتبيين العدد ولا فى الاستثناء ، لأنَّها لم تقو فى الصفات . على أنَّ الأَخفشَ قد أجاز ذلك . انتهى .

وقال الأَعلم : رفع أيُّما بالابتداء والخبر محذوف، والتقدير : أىُّ فتى هو ، وما زائدة مؤكَّدة . وفى أىّ معنى المدح والتعجُّب. وصَف أنَّه أَمرَ ابنَ أُختٍ له يقال له حبتر ، بنحر ناقة من أصحابه ، لأَنّه كان فى غير محلِّه ليُخلِفها عليه إذا لحقَ بأَهله ، وأَومأً إليه بذلك حتَّى لا يشعر به أَحد ، ففهم عنه وعرف إشارته لذكائه وحدَّة بصرِهِ . والإِيماءُ . الإِشارة بعينٍ أو يدٍ . انتهى .

---

(١) يعنى فتى كاملا .

وروى المبرد (فى الكامل) الرفع والنصب فى أيما فتى فى البيت ، قال عند الكلام على قول ليلى الأَخيَليّة :

نظرتُ وركنٌ من بُوانةَ دُوننا وأركان حِسْمَى أَىُّ نظرةِ ناظرِ

قولها : « أىّ نظرة ناظرٌ » يصلح فيه الرفع والنصب على قوله : نظرت أىَّ نظرة وأيَّة نظرة ، وأيَّتما نظرة وأيَّما نظرة ، كما تقول : مررت برجل أيِّما رجل . وتأْويله : برجل كامل . فأيّما فى موضع كامل، وتقول : مررت بزيدٍ أيَّما رجل على الحال . ومن قال أىُّ نظرة هى فعلى القطع والابتداء ، والمخرج مخرج استفهام ، وتقديره أىُّ نظرة ؟ كما تقول : سبحان الله أىُّ رجل زيد .

وهذا البيتُ ينشَدُ على وجهين :

فأومأْت إيماءً خفيًّا لحبتَر ولله عينا حَبْتَر أيّما فتى

و « أيُّما » إن شئتَ على ما فسَّرنا . انتهى كلامه .

وقد أنشده ابن مالك (فى باب الموصول من شرح التسهيل) بنصب أيَّما على أنَّه حالٌ من حبتر . وأنكره أبو حيان (فى شرحه) وقال : أَصحابُنا أَنشدوه بالرفع على أنَّه مبتدأٌ أو خبر مبتدإٍ ، وقدَّرُوهُ أىّ فتى . ولم يذكر أصحابنا كون أىّ تقع حالا ، وإنَّما ذكرُوا لها خمسة أقسام : موصولة ، وشرطية ، واستفهامية ، وصفةً لنكرة ، ومنادًى . ١٠٠

هذا كلامه على ما ذكره العينى ، وما نقلناه من كلام الأئمة يردّ عليه .

وقول المرادى (فى شرحه) تبعًا لأوّل كلام أبى حيّان: أنشده المصنف بنصب أىّ على الحال، وأنشدَهُ غيرُه بالرفع ، يردُّه رواية المبرِّد وغيرِه .

ولا أكاد أَقضِي العجبَ من قول العينى : الاستشهاد فيه أَنَّ أَيًّا فيه صفة ، وقد عُلِم أَنَّه صفة لمعرفة وحالٌ من نكرة [(١)]، ولا يضاف إلاَّ إلى نكرة . انتهى .

وهذا من نمط اختراع الخراع [(٢)] الذى صنعه الصفدى [(٣)] وقَصد به التحميض [(٤)] .

والبيت من قصيدة للراعى النميرى ، وأورد منها أَبو تمام (فى الحماسة) ثلاثة عشر بيتاً ، وكان نزل بالرَّاعى رجلٌ من بنى كِلابٍ فى ركبٍ معه ليلا فى سَنَةٍ مُجدبة ، وقد عَزَبتْ عنِ الراعى إبِلُه ، فأَشار إلى حبتر بخِفْية ، فنحر لهم ناقة وأَحلَّهم ، وصبَّحت الراعىَ إبلُه فأَعطى ربَّ الناقة ناقة مثلها ، وزاده ناقة ثنيَّةً ، فقال هذه القصيدة فى هذه القضيّة .

وهجاه بعضهم فى نحرِ ناقةِ ضيفه بأَبيات ، وأَجاب عنها الراعى بقصيدةٍ ، والجميع مذكورٌ فى باب الهجاء من الحماسة .

قال الطبرسى (فى شرح الحماسة) : حبتر بفتح الحاء المهملة وسكون الموحدة وفتح المثناة من فوق هو ابن أَخى الراعى ، ومعناه فى اللغة القصير من الناس ، وإنَّما رسَمَ له عرقَبتَها فى السِّرِّ بعد أَن اختارها ، مخافة أَن يمتنع صاحبُها بما همَّ به فيها . وقوله : ولله عينا حبتر ، اعتراضٌ . وإذا عظَّموا الشىء نسبوا مِلْكه إلى الله تعالى . وأَيُّما فتى

(١) فى النسختين : « عن نكرة » ، وأثبت ما فى العينى .

(٢) كذا فى النسختين .

(٣) ش : « الصغدى » ، بالغين المعجمة .

(٤) التحميض ، من الإحماض ، وهو الأخذ فى ملح الكلام والحكايات ، ويقال أحمض القوم إحماضاً ، إذا أفاضوا فيما يؤنسهم .

ينشد بالرفع والنصب ، فالرفع على تقدير أيّما فتى هو ، والنصب على الحال . انتهى .

وترجمة الراعى تقدَّمت فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد السبعمائة [٢] :

٧٥٨ (وقد وجدتَ مكانَ القولِ ذا سَعَةٍ

فإنْ وجــدتَ لسانًا قائلاً فقُلِ)

لما ذكره من معنى أَحسِنْ ، أى صِفْه بالحسن كيف شئت . فإنَّ فيه منه كلَّ ما يمكن أن يكون فى شخص ، كالبيت ؛ فإنَّ معناه وجدتَ مكانًا للقول بكثرة ما فيه من المناقب ، فإن كان لك لسانٌ قائل فَقُلْ ما شئت ، أى فلستَ تحتاج فى شىءٍ غائب إلى مدحه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للمتنبّى مدح بها سيفَ الدولة . وقبله :

(والمدحُ لابن أَبِى الهيجاء تُنجِــده

بالجاهليَّة عَينُ العِىِّ والخَطَــلِ [٣])

تُنجده : تعينه . والخطَل : اضطراب القول . وهذا تعريضٌ بأَبى العباس النَّامى [٤] ، فإنّه مدح سيف الدولة بقصيدة ذكر فيها آباءه الذين

---

(١) الخزانة ٣ : ١٥٠ .

(٢) ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٢ : ٦٩ .

(٣) الرواية فى الديوان : « عين الغى » بالغين المعجمة المفتوحة ، وهو الضلال .

(٤) هو أبو العباس أحمد بن محمد الدارى المصيصى ، المعروف بالنامى ، شاعر رقيق الشعر من أهل المصيصة ، ثغر قريب من طرسوس ، اتصل بسيف الدولة ، وكان عنده تلو المتنبى فى المنزلة والرتبة . وله أمالٍ أملاها بحلب . وكانت له مع المتنبى معارضات اقتضاها اجتماعهما فى حلب وقربهما من سيف الدولة . مات فى حلب سنة ٣٩٩ . وفيات الأعيان ١ : ٣٨ — ٣٩ .

كانوا فى الجاهليَّة . يقول : إذا مدحته وأَعنته بذكر آبائه الجاهليِّين كان ذلك عينَ العِيّ ، ثم وضَّح[١] هذا المعنى وتمَّمه بقوله :

(ليتَ المدائحَ تستوفى مناقبَه فما كليبٌ وأَهلُ الأَعصُرِ الأُوَلِ)

أَى ليتَ ما مدح به من الشعر استوفَى ذكر مناقبه ، ومتَى يتفرَّغ الشعر لذكر كليب وأَهل الدُّهور السابقة[٢] .

(خُــذْ ما تراه ودَعْ شيئًا سمعتَ به

فى طلعةِ الشَّمس ما يُغْنِيكَ عن زُحَلِ)

يقول : امدحْه بما تشاهده واترك ما سمعتَ ، فإِنَّ الشمس تغنيك عن زُحَل . وجعله كالشمس وآباءَه كزُحَل . والمعنى : فيما[٣] قُربَ منك عِوضٌ عمَّا بعد عنك ، لا سيَّما إذا كان القريبُ أَفضلَ من البعيد. ١٠١

(وقد وجدت مكان القول ذا سعة . . . . البيت)

وترجمة المتنبى تقدَّمت فى الشاهد الحادى والأَربعين بعد المائة[٤] .
وهذا البيت إنَّما أَورده لتنظير معنًى بمعنى .

---

(١) وضح ، سقطت من ش ، وكتب الشنقيطى فى هامشها بدلا منها « أكد » مع وضع علامة إلحاق .

(٢) العكبرى : « أدخل ما على من يعقل لأنه أراد السؤال عن صفته مع الاحتقار لشأنه » ثم قال : « فما كليب وسائر الملوك الأولين عند ما خلده من الفخر وأبقاه من المكارم » . وكليب بن ربيعة مضرب المثل فى العزة عند العرب ، يقولون : « أعز من كليب وائل » .

(٣) فى النسختين : « فما » ، والوجه ما أثبت من شرح العكبرى .

(٤) الخزانة ٢ : ٣٤٧ . وفى ش : « الواحد والأربعين بعد المائة » .

أفعال المدح والذم

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد السبعمائة[١] :

٧٥٩ (نَعِمَ السَّاعُون فى الأَمْرِ المُبِرّْ)

على أنَّ طَرَفة استعمل نَعِم على الأَصل ، بفتح النون وكسر العين .

قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة يحيى بن وثَّاب : ﴿ فنَعِمَ عُقْبى الدَّار[٢] ﴾ : أَصل قولنا : نِعْم الرجُل زيدٌ : (نَعِمَ) كَعِلم . وكلُّ ما كان على فَعِل وثانيه حرفٌ حلقى فلهم فيه أَربعُ لغات ، وذلك نحو فَخذ ونَغِر[٣] بفتح الأَول وكسر الثانى على الأَصل . وإن شئتَ أَسكنتَ الثانىَ وأَقررت الأَوّل على فتحِهِ . وإن شئت أَسكنت ونقلت الكسرة إلى الأَوّل . وإن شئت أَتبعت الكسرَ الكسر . وكذلك الفعلُ ، نحو ضَحِك ، وإن شئت ضَحْك ، وإن شئت ضِحْكَ ، وإن شئت ضِحِك . فعلى هذا القول نَعِم الرجل ، وإن شئت نَعْم ، وإنْ شئت نِعْم ، وإن شئت نِعِم . فعليه جاءَ : ﴿ فنعم عُقبىَ الدار ﴾ : وأَنشدنا أَبو علىٍّ لطرَفة :

(ففــداءٌ لبنـــى قيسٍ عـــلَى ما أَصابَ النَّاسَ من سُرٍّ وضُرّْ
مــــا أَقلَّتْ قـــدمى إنَّهمُ نَعِمَ السَّــاعون فى الأَمرِ المُبِرّْ)

وروينا عن قطرب : نَعِيمَ الرجل زيد، بإشباع كسرة العين وإنشاء

---

(١) المقتضب ٢ : ٣٠ والمحتسب ١ : ٣٥٧ والإنصاف ١٢٢ وابن يعيش ٧ : ١٢٧ والهمع ٢٠ : ٨٤ ، وديوان طرفة ٧٣ .

(٢) الآية ٢٤ من سورة الرعد .

(٣) فى النسختين : « ومعز » ، تحريف . وليس فى المعز لغة بهذا الضبط وإنما المعز ، بالفتح ، وبالتحريك فقط ، كما يقال المعزى والمعزاء والمعيز والأمعوز والمعاز ، كما فى اللسان والقاموس . ونص المحتسب : « نحو فخذ ومحك ونغر » . والنغر : الغضبان والغضبان : وهو من نغر ب القدر تنغر ، إذا غلت .

ياءٍ بعدها، كالمطافيل والمساجيد[1] . ولابدَّ من أن يكون الأمر على ماذكرنا لأنَّه ليس فى أمثلة الأفعال (فَعِيلَ) البتَّة ، انتهى .

وقد بسط القول على نعم وبئس ابن الأنباريّ (فى مسائل الخلاف) ، وابن الشجرى (فى المجلس الستين من أماليه)، وقيَّد قراءة يحيى بن وثَّاب بفتح الفاء وسكون العين .

وقوله : « ففداءٌ لبنى قيس » إلخ قال شُرّاح أبيات المفصل وغيره : أى أنا فداءٌ لهذه القبيلة . والسُّرُّ والضُّرُّ بضمهما : السَّرَّاءُ والضَّرَّاءُ . وما : دَوَامِيَّة . والإقلال : الرَّفع . وقَدَمى فاعل أقلَّت . ورُوِى : «قدماىَ» بالتثنية . وعليهما فمفعول أَقلَّت محذوف، التقدير أَقلَّتنى . و « إنَّهم » تعليل لقوله ففداءٌ . وروى أيضاً :

* ما أَقلَّت قدمٌ ناعلَها *

والناعل : لابس النَّعل ، أى ساتر القدمِ بالنَّعل . وروى أيضاً :

* ثم نادَوا أنَّهم فى قومهمْ *

أى قالوا : هؤلاءِ القوم هم الذين قال النَّاسُ فى حقِّهم : نعم الساعون هم فى الأمر المبِرّ . فالمخصوص بالمدح محذوف . والمبِرّ : اسم فاعل من أبرَّ فلانٌ على أصحابه ، أى غلبهم . أى هم نعم السَّاعون فى الأمر الغالب الذى عَجَزَ الناسُ عن دفعه .

هذا ما قالوا ، والمرويُّ فى ديوان طرفة فى عدّة نسخ البيت الأوّل كما رواه ابن جِنِّى . والبيت الثانى كذا :

(خالتِى والنَّفْسُ قِدماً إِنَّهم   نِعمَ السَّاعون فى القوم الشُّطُرْ)

(١) فى النسختين : « والمساعيد » ، صوابه من المحتسب .

١٠٢ قال شارح ديوانه الأَعلم الشنتمرى : يقول : نفسى فِداءٌ لبنِى قيس على ما أَصاب الناس من أَمْر يسُرُّهم أَو يضرُّهم . والسُّرّ والضُّرّ : السَّرَّاءُ ، والضَّرَّاءُ . وقوله :« فى القوم الشُّطُر » يعنى البُعَداءِ من النَّاس الغُرَباءِ. وواحد الشُّطُر شطير . وأَصل الشَّطير : الناحية[1] . وكلٌّ من بعد عن أَهله فقد أَخذ فى ناحيةٍ من الأَرض. يقول : سعيهم فى الغرباءِ أَحسنُ سَعْيٍ . انتهى .

وفُهِم من كلامه أَنَّ قوله خالتى مبتدأٌ والنفس معطوف عليه . وقوله فداءٌ خبر لهما مقدَّم . لكن يُنظَر: ما وجه ذكر الخالة ههنا[2] ؟ وقِدمًا بالكسر : ظرف متعلِّق بنعم ، ولا يمنع منه ذكر إِنَّ المكسورة لأَنَّهُ ظرفٌ اغتُفِر فيه التَّقديم .

وقيس : أَبو قبيلة الشاعر ، وإِنَّما جعل نفسه فداءً لبنيه لأَنَّهم . يتبادَرُون فى إِغاثة الملهوف .

وهذا نسب طرفةَ الشاعرِ : طرفةُ بن العبد بن سُفيان بن سعد بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علىّ بن بكرِ بن وائل .

صاحب الشاهد والبيتان من قصيدةٍ طويلة لطرفة تقدَّم بعض أَبياتٍ منها فى باب اسم الفاعل فى الشاهد السابع بعد الستمائة[3] . وهذه أَبياتٌ قبل البيت الشاهد :

---

(١) كذا فى النسختين . والمعروف فى المعاجم هو الشطر ، بالفتح للناحية . وأما الشطير ، فهو الغريب والبعيد ، كما يقال لشطر الشىء أى نصفه شطير أيضاً .

(٢) أقول ، أنزل الخالة منزلة الأم لأمرٍ ما . وهم مما يفدون بآبائهم وأمهاتهم .

(٣) ط : « الشاهد السادس بعد الستمائة » ، وعلق ناشرها بقوله : « بهامش الأصل : السادس صوابه السابع » . وقد وردت الكلمة على الصواب فى صلب ش . وانظر الخزانة ٨ : ١٨٨ — ١٩٢ .

أبيات الشاهد

(نحنُ فى المَشْتاةِ ندعُو الجَفَلى ... لا ترى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ[1]

حِين قال النّاس فى مَجلسهِمْ ... أقُتارٌ ذاك أم ريحُ قُطُرْ

بِجِفانٍ تَعترِى نادِيَنا ... مِن سَديفٍ حين هاج الصِّنَّبِرْ

كالجوابِى لاتَنِى مُترَعةً ... لِقِرَى الأضيافِ أوللمُحْتَضِر[2]

ولقد تَعلمُ بَكرٌ أنّنا ... آفةُ الجُزْر مساميحُ يُسُرْ

ولقد تعلمُ بكرٌ أنّنا ... فاضِلُو الرأىِ وفى الرَّوع وُقُرْ

يَكشفون الضُّرَّ عن ذى ضُرِّهم ... ويُبِرُّون على الآبِى المُبِرّْ

فُضُل أحلامهمُ عن جارهِمْ ... رُحُبَ الأذرُع بالخَير أُمُرْ

ذُلُقٌ فى غارةٍ مسفوحةٍ ... ولدَى البأسِ حُماةٌ ما نَفِرّْ

نُمسِكُ الخيلَ على مكروهها ... حين لا يُمسكها إلّا الصُّبُرْ

حين نادَى الحىُّ لمَّا فزعوا ... ودعا الدّاعى وقد لجَّ الذُّعُرْ

أيُّها الفِتيانُ فى مجلسنا ... جَرِّدُوا منها وِرادًا وشُقُرْ)

ثم وصف الخيلَ بأبيات تسعة وقال :

(ففداءٌ لبنى قيسٍ على ... ما أصابَ الناسَ من سُرٍّ وضُرّ

خالتِى والنفسُ قِدمًا إنّهم ... نِعِمَ السّاعون فى القوم الشُّطُر)

قوله : « نحن فى المشتاة » إلخ قال شارحه الأعلم الشنتَمَرِىّ : يريد زمنَ الشتاءِ والبرد ، وذلك أشدُّ الزمان . والجَفَلَى : أن يعمَّ بدعوته إلى الطعام ولا يخصَّ واحدًا دون آخر . والآدب : الذى يدعو إلى المأدُبة

---

(١) ط : « لا نرى الآداب » ، صوابه فى ش .

(٢) بعده فى الديوان ٦٩ :

ثم لا يخزن فينا لحمها ... إنما يخزن لحم المدخر

يخزن كينصر : يفسد ويتغير ، ومثله « يخنز » ، وهى رواية أخرى . وتضبط أيضاً « يخزن » بالبناء للمجهول ، أى يحفظ ويحرز .

وهى كلُّ طعام يُدعَى إليه . والانتقار : أن يدعُوَ النَّقَرَى ، وهو أن يخصَّهم ولا يُعمَّهم. يقول : لا يُخَصُّ الأَغنياءُ ومن يَطمَعون فى مكافاته ، ولكنَّهم يعُمُّون، طلباً للحمد ولاكتسابِ المجد .

وقوله : « حين قال الناس » إلخ القُتار بالضم : رائحة اللحم إذا شُوِى . والقُطُر ، بضمتين : العود الذى يتبخَّر به . يقول : نحن نطعم فى شدَّة الزمان إذا كان ريح القُتارِ عِند القوم بمنزلة رائحة العُود ، لما فيه[1] من الجَهْد والحاجة إلى الطعام .

١٠٣

وقوله : « بجفانٍ تعترى » إلخ أى ندعوهم إلى الجفان . ومعنى تعترى : تلِمُّ به وتأْتيه . والنادى : مجلس القوم ومتحدَّثهم . والسَّديف : قطع السنام . والصِّنَّبر أشدُّ ما يكون من البرد . قال ابن جنى (فى الخصائص) الصِّنَّبر بنون مشددة وباءٌ ساكنة . وكان حقُّه إذا نُقِلت الحركة أن تكون الباءُ مضمومة ، لأَنَّ الراءَ مرفوعة ، ولكنَّه قدَّر الإضافة إلى الفعل ، يعنى المصدر ، كأَنه قال حين هَيْج الصِّنَبِر . يعنى أَنَّه نقل الكسرة فى الوقف إلى الباءِ الساكنة وسكنت الراءُ[2] .

قال الدمامينى (فى الحاشية الهنديَّة) بعد أَن نقل هذا الكلام : وهذا من الغرائب؛ فإنَّ الصِّنَّبر لا شك فى كونه فاعلا بهاجَ ، لكنَّه أَعربه بالكسرة نظرًا إلى أَنَّ الفعل فى معنى المصدر المضاف إلى هذا الفاعل ، ثم نقل الكسرة . وقد نظمتُه لغزاً فقلت :

أَيا علمـاءَ الهنـد إِنِّىَ سائلٌ   فمُنُّوا بتحقيقٍ به يظهر السِّرُّ

---

(١) أى فى الشتاء وشدة الزمان . .

(٢) انظر الخصائص ١ : ٢٨١ . وقد تصرف البغدادى فى نقله . وانظر كذلك الخصائص ٢ : ٢٥٤ / ٣ : ٢٠٠ .

أرى فاعلا بالفِعل أُعرِبَ لفظه
بجرٍّ ولا حرفٌ يكون به الجرُّ
وليس بمحكيّ ولا بمجاورٍ
لِذِى الخفض والإنسانُ للبحث يُضطرُّ
فهل من جوابٍ منكمُ أستفيده
فمِن بَحرِكُمْ مازال يُستخرج الدُّرُّ

وقد استشهد الجوهرى ببيت طرفة على أنَّ الصِّنبِر بكسر الباء : شدَّة البرد ، فجعل الكسرة أصليَّة ، وجوَّز أن تكون الباءُ ساكنة فى الأصل ولكنْ حرِّكت بالكسر للضرورة . وعلى هذا لا يلغز . انتهى كلامه .

قال الشُّمُنِّى : وقد سُبِق الدَّمامينىُّ إلى اللغز فى ذلك بأَبى سعيد فرج ، المعروف بابن لُبٍّ النحوى الأندلسى (فى منظُومته النُّونية ، فى الألغاز النحوية) فقال :

ما فاعلٌ بالفعل لكنْ جرُّه مَع السُّكون فيه ثابتانِ

وفى شرحها : يعنى الصِّنَبِر من قول طرفة . ا ه .

وقوله : « كالجوابى لاتَنِى » إلخ الجوابى : جمع جابية ، وهو الحوض العظيم يُجبَى فيه الماءُ ، أى يُجْمَع. شبَّه الجفان بها فى سَعتها وعِظَمها . والمترعة : المملوءة . وقوله لا تنى : أى لا تفتر ولا تزال . والقِرى : القيام بالضَّيف . والمُحتَضِر : النَّازل على الماء ، اسم فاعل من احتَضَر . والمحاضر : المياه ، واحدها مَحضرَ كجعفَر . يقول : لا تزال جفاننا مترعةً لمن جاءنا ضيفًا أو لمن كان حاضراً معنا نازلاً على مائنا .

وقوله : « ولقد تعلم بكر » إلخ ، الجُزُر : جمع جَزور. والمساميح : الأسْخِيَاءُ . واليُسُر : الداخلون فى اليَسْر . يريد : تفضُل آراؤُنا وسياستُنا

رأى غيرنا ، ولا نخِفُّ عند الرَّوع بل نثبُت ونتوقَّر . وقوله : « ويُبِرُّون » أَى يَغلبون ويظهرون. على الآبى، أى الممتنع . أى نحن نغلب الآبىَ الغالبَ .

وقوله : « فُضُلٌ أَحلامُهم » يقول : إنجهل جارُهم حلمُوا عنه حلماً فاضلا ، ولم يكافِئوهُ على جهله . وقوله : « رُحُبُ الأَذرع » أى واسعو الصدر[1] بالمعروف . وأُمُر : جمع أَمُورٍ ، وهو الكثير الأَمْر .

وقوله : « ذلُق فى غارة » أى مُسرعون إلى الغارةِ متقدِّمون فيها . وأَصله من ذَلِقَ السَّيفُ ، إذا كان يخرُج من غمده . والمسفوحة : المصبوبة ، ويقال هى الكثيرة . والحُماة : جمع حامٍ ، وهو الذى يحمى حريمَه وعشيرته .

وقوله : « نمسك الخيل » يقول : نصبر على ارتباطِ الخيل والقيامِ عليها . وقوله : « على مكروهها » أى نُمْسِكها على شدَّة الزمان وجُوع النَّاس ونؤْثرها على أَنفُسنا . ويحتمل أن يريد نُمسك الخيلَ على ما نلقاه من شدَّة الحرب وجُهدها ، ولا ننهزم . وإنَّما ذكر مكروه الخيل ، لأَنَّها إذا أَصابها مكروه فى الحرب فهمْ أَجدرُ أن يصيبَهم . والبيت الذى بعده يدلُّ على هذا التفسير الثانى . ١٠٤

وقوله : « وقد لجَّ الذُّعْر » أى دام الذُّعر فى القلب واشتدّ . والذُّعر : الفزع ، وحرَّك العين إتباعًا لحركة الذال .

وقوله : « أَيُّها الفِتيان» إلخ جرِّدوا منها وِرادًا، أى أَلقوا عَنْها جِلالَها

(١) ش : « الصدور » .

وأسرجوها للِّقاءِ . وقيل[(١)] الجريدة من الخيل، وهى التى تُختار فتُجرَّدُ أى تُكْمَش فى مهمِّ الأمور . والوِراد : جمع وَرْد . وشُقُر : جمع أَشقر ، وحرَّك الثانىَ إتباعاً للأوّل .

وتقدَّمت ترجمة طرفة بن العبدِ فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[(٢)] .

* * *

وأنشد بعده :

(العاطفونَ تَحين ما من عاطفٍ)

تقدّم شرحه مستوفى عليه الكلام ، فى الشاهد الحادى والثمانين بعد المائتين[(٣)] :

* * *

وأنشد بعده :

(فَمَضيتُ ثُمّتَ قُلْتُ لا يَعنِينى)

على أنّ (ثُمَّ) إذا لحقتها التاءُ اختصَّت بعطف قصَّة على قصَّة .

تقدم هذا من الشارح المحقق فى باب المذكر والمؤنث أيضاً . وهو المشهور . وقد وقع فى شعر رُؤبةَ عَطْفُ المفرد بها ، قال :

فإن تكنْ سَوائقُ الحِمامِ[(٤)] ساقتهمُ للبلدِ الشَّآمِ

فبالسَّلام ثُمَّتَ السَّلامِ

(١) ش : « وهى » .

(٢) الخزانة ٢ : ٤١٩ .

(٣) الخزانة ٤ : ١٧٥ — ١٨٢ فى الشاهد ٢٨١ ، وعجزه :

* والمطعمون زمان أين المطعم *

(٤) ملحقات ديوان رؤبة ١٨٣ . وفى ط : « فإن يكن » ، صوابه فى ش والملحقات . وقبله :

يا هال ذات المنطق التمتام وكفك المخضب البنام

وقول الشارح المحقق: « وقد جوَّزه ابن الأنبارى ولا أدرى ماصحته » أقول : تجويزه مأخوذ من شعر رؤبة . وحينئذ صحَّته واضحة .

والمذكور عجزٌ ، وصدرُه :

(ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّنى)

وتقدم الكلام عليه مراراً ، وأوّلُ ماذكر فى الشاهد الخامس والخمسين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستُّون بعد السبعمائة[2] :

٧٦٠ (ماوىَّ يا ربَّتَمـا غـارةٍ شَعْواءَ كاللَّذْعةِ بالمِيسَمِ)

على أنَّ التاءَ لحِقَتْ (رُبَّ) للإيذان بأنَّ مجرورها مؤنَّث، وما زائدة بين ربَّ ومجرورها ، كما قاله الشارح المحقق فى ربَّ من حروف الجر .

والبيت أوَّل أبياتٍ أربعةٍ لضَمْرة بن ضمرة النَّهشلىّ ، أوردها أبو زيدٍ (فى نوادره) . وبعده :

(ناهبتُهـا الغُنْمَ على طَيِّـعٍ أجـردَ كالقِدْح من السَّـاسَمِ
مـاوىَّ بل لستُ بـرعديدةٍ أبلخَ وجَّـادٍ على المُعْـدمِ
لا وأَلَتْ نفسُـكَ خلَّيتهـا للعـامريِّينَ ولـم تُكلَمِ[3])

وماوىَّ : منادًى مرخَّم ماويّة ، اسم امرأة . ويا فى قوله : (ياربَّتَما)

---

(١) الخزانة ١ : ٣٥٧ — ٣٥٩ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) نوادر أبى زيد ٥٥ والأزهية ٢٧١ وابن الشجرى ٢ : ١٥٣ والإنصاف ١٠٥ وابن يعيش ٨ : ٣١ والعينى ٣ : ٣٣٠ والهمع ٢ : ٣٨ والأشباه والنظائر ٢ : ٨٥ .

(٣) ضبطت كاف : « نفسك » فى النوادر بالكسر ، وكأن الخطاب لماوية المتقدمة الذكر . ولكن البغدادى قد ضبطها فى تفسيره بالفتح ، وجعله دعاء على رجل .

للتنبيه لا للنداءِ : وفى رواية أبى زيد : « ماويَّ بَلْ ربَّما » ، قال أبو زيد : الشَّعواءُ : الغارة المنتشرة ، وهى بالعين المهملة . واللَّذعة ، بالذال المعجمة والعين المهملة ، مِن لذعَتْه النَّارُ ، إذا أحرقَتْه .

هذا ما رواه أبو زيد ، قال العينى : وإنما اللَّدغة بالدال المهملة والغين المعجمة : المِكْوَى . ا هـ .

١٠٥ وهذا معارضةُ النَّقل بالرأى. قال أبو زيد : والمِيسم : ما يُوسَم به البعير بالنَّار . وقوله : « ناهبتُها » جواب ربَّ ، أى نهبت بالغارة الغُنْم بالضم ، وهى الغنيمة . والغارة : اسمٌ من أغار القوم إغارة ، أى أسرعوا فى السَّير . وقوله : « على طيِّع » أى فرس طيِّع ، وهو فيعل من الطَّوع ، وهو الانقياد . قال أبو زيد : طيِّع : فرسٌ ليِّن العِنان طَوْعٌ . وأجرد ، بالجيم والراءِ ، قال أبو زيد : هو قصير الشَّعر[١] . وهو صلبٌ كأنَّه قِدْحٌ من خشب السَّاسَمِ الآبِنوس[٢] ، وهو السَّاسَم . والقِدْح بكسر القاف : السَّهم قبل أنْ يراش ويُنصل. والسَّاسم ، بسينين مهملتين مفتوحتين ، قال أبو الحسن الأخفش (فيما كتبه هنا) : وأُنشِدْتُ عن ابن الأعرابىّ: « ناهبتها الغُنْمَ على صُنْتُع » ، وزعم أنَّه الصُّلب الشديد ، وهو بضم الصاد المهملة وسكون النون وضم المثناة من فوق ، بعدها عين مهملة . قال أبو زيد : رجلٌ رِعديد ورعديدة ، إذا كان يُرعَد [عِند[٣]] القتال . والأَبلخ ،

(١) الذى فى النوادر ٥٦ : « وأجرد قصير الشعرة » ، وقدامى اللغويين يؤثرون « الشعرة » بالتاء على « الشعر » مجرداً منها . وفى اللسان : « والشعرة : الواحد من الشعر ، وقد يكنى بالشعرة عن الجمع ، كما يكنى بالشيبة عن الجنس » .

(٢) الآبنوس بكسر الباء ، كما فى تاج العروس ، وضبطت فى النوادر بضم الباء . والكلمة دخيلة .

(٣) التكملة من ش والنوادر .

بالموحدة والخاءِ المعجمة ، صفة رِعديدة ، قال أَبو زيد : المتكبِّر الفخور . ووَجَّاد بتشديد الجيم ، صفة ثانية لرعديدة . قال أَبو زيد : وجَّاد : كثير الغَضَب ، وهو مبالغةُ فاعلٍ من الوَجْد ، وهو الغضب . ويقال المَوْجِدة أَيضاً . والمُعْدِم : الفقير ، وهو اسم فاعل من أَعدَم فلانٌ ، إِذا افتقر .

وقوله : «لا وأَلَتْ نفسُك» إلخ ، هذا دعاءٌ على رجل استأْسَر لأَعدائه دون أَن يُجَرح . قال أَبو زيد : وأَلت : نجت . والموئل : المَنْجَى . وتُكْلَم : تجرح ، بالبناءِ للمفعول ، من الكَلْم وهو الجرح .

وضمرة بن ضمرة شاعر جاهلىٌّ ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والثمانين [1] .

* * *

وأَنشد بعده :

(يا صاحِبًا رُبّتَ إِنسانٍ حَسَنْ   يَسأَل عنكَ اليومَ أَو يسأَل عَنْ)

على أَنَّه جاءَ مجرور (رُبّت) مذكَّراً على خلاف القياس .

وقد تقدَّم الكلام عليه ، فى باب المذكر والمؤنث ، فىالشاهد [الواحد و[2]] الخمسين بعد الخمسمائة .

وأَنشد بعده :

(والمؤْمِنِ العائذاتِ الطَّيرِ)

على أَنَّ (العائذات) كان فى الأَصل صفةً للطَّير فقدِّم عليه وصار الطَّير بدلا من العائذات . والعائذات مفعول به للمؤمن ، والمؤمِن

(١) الخزانة ٢ : ٣٨ – ٤٠ .
(٢) التكملة من ش . وانظر الخزانة ٧ : ٤٢١ – ٤٢٤ .

معطوفٌ على مُقسم به متقدِّم . وقد تقدَّم الكلام عليه فى الشاهد السابع والأَربعين بعد الثلثمائة[١] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد السبعمائة[٢] :

٧٦١ (لَنِعْمَ السَّيِّدانِ وُجِدْتُما)

هو قطعة من بيت ، وهو :

(يمينًا لنِعمَ السَّيِّدانِ وُجِــدْتُما ... على كلِّ حالٍ من سَحيلٍ ومُبْرَمِ)

على أَنَّه قد يدخل الفعلُ الناسخ على المخصوص بالمدح أَو الذم ، سواءٌ تقدَّم المخصوص كما فى المثال ، أَوْ تـأَخَّر كما فى هذا البيت . وأَصله لنعم السيدان أَنتما ، فدخل عليه الناسخ فصار وُجِدتما ، فضمير التثنية نائبُ الفاعل لوُجِد ، وهو المفعولُ الأَوَّل له . وقوله : « لَنِعم السَّيِّدان » جواب القسم ، والقسم وجوابه فى موضع المفعول الثانى لوُجِد .

وكذا إِعرابُه على مقتضى مختارِ الشارح المحقِّق فى جعل المخصوص مبتدأً وجملة المدح أَو الذمِّ خبره . ١٠٦

و (السَّحيل) بالمهملتين : الخيط الذى لم يُحكَم فَتْلُهْ . و (المبْرَم) الخيط الذى أُحكِمَ فتلُه . وأَراد بالأَوَّل الأَمرَ السَّهلَ ، وبالثانى الأَمرَ الشَّديد .

والبيتُ من معلَّقة زهير بن أَبى سُلمى ، وقد شرحناه مع أَبيات منها فى الشاهد السادس والخمسين بعد المائة من باب الاشتغال[٣]

(١) الخزانة ٥ : ٧١ — ٧٥ . والبيت بتمامه :
والمؤمن العائذات الطير يمسحهــا ... ركبــان مكــة بين الغيل والسند
(٢) الهمع ٢ : ٤٢ ، والأشباه والنظائر ٤ : ٢٠٥ .
(٣) الخزانة ٣ : ٣ — ٢٠ .

وقوله : « فيدخلُه عوامل المبتدإ » يشمل باب كان ، وظنَّ ، وإنَّ وأخواتها .
والأوَّلان جائزان ، والثالث لا يجوز ، فإنَّه لا يقال : نعم الرجل إنَّ زيدًا ، فكان ينبغى أن يقول كما قال ابن مالك (فى التسهيل[1]) فى صورة تأخير المخصوص : « أو أوَّلَ معمولَىْ فعل ناسخ » ليحترزَ عن إنَّ وأخواتها . ومثال الأوَّل قوله :

لعمرى لئن أُنزِفتُم أو صحوتُمُ لبئسَ النَّدامَى كنتم آلَ أبجَرَا[2]

وتعميم النواسخ إنَّما هو فى صورة تقديم المخصوص ، كقوله :

إنَّ ابنَ عبدِ اللهِ نعـ ـمَ أخو النَّدى وابن العشيره[3]

وقولِ الآخر[4] :

إذا أرسلُونى عند تعذير حــاجةٍ أُمارس فيها كنت نعمَ الممارسُ[5]

ومثال ظنَّ نحوُ : ظننت زيدًا نعم الرَّجل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد السبعمائة[6] :

٧٦٢ (واللهِ ما ليلي بنَامَ صاحِبُهْ)

---

(١) التسهيل ١٢٧ .
(٢) استشهد به فى همع الهوامع ٢ : ٨٦ .
(٣) لأبى دهبل الجمحى فى ديوانه ٩٦ . وانظر العينى ٤ : ٣٥ ، والهمع ٢ : ٨٧ ، والأشباه والنظائر ٤ : ٢٠٥ . وابن عبد الله هذا هو المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام ، كما فى نسب قريش ٢٣٤ . وانظر أيضاً العمدة ٢ : ١٢٤ فى باب السرقات .
(٤) ليزيد بن الطثرية فى ديوانه ٤٥ . وانظر العينى ٤ : ٣٤ والهمع ٢ : ٨٧ والحماسة بشرح المرزوقى ١٧٢٥ .
(٥) رواية الديوان والحماسة : « كنت عين الممارس » ، فلا شاهد فيه على هذه الرواية .
(٦) الخصائص ٢ : ٣٦٦ وابن الشجرى ٢ : ١٤٨ والإنصاف ١١٢ وابن يعيش ٣ : ٦٢ والعينى ٤ : ٣ والهمع ١ : ٦/٢ : ١٢٠ والأشمونى ٣ : ٢٧ واللسان (نوم ٧٦) .

على أَنَّ حرف الجر داخلٌ على محذوف ، أى بمقول فيه : نام صاحبه ، فحذف القول وبقى المحكىُّ به .

وذهب صاحبُ اللباب إلى أنَّه من باب حذف الموصوف غير القول، قال : تقديره : بليلٍ نام صاحبُه فيه ، فالجرُّ دخل فى الحقيقة على الموصوف المقدَّرِ لا على الصفة .

وأقول : لا فرق بينهما ، فإنَّ كُلاًّ منهما ضرورةٌ يختصُّ بالشعر . إلاَّ أنَّ ما ذهب إليه الشارح المحقِّق أقرب إلى القياس ، وهو قول أبى على (فى التذكرة) ، قال فيها : ومن زعَم أنَّ نعم اسمٌ لدخول حرف الجرّ عليه فى قول حسَّان :

أَلستَ بنعم الجارُ يُؤلَفُ بيتُــه أَخا ثَلَّةٍ أَو مُعدِمَ المالِ مُصْرِما[1]

فلا حجَّة له فيه ، لأَنَّه يقدَّر فيه الحكاية ، ويلزمه على هذا أن يكون نام اسماً ، كقوله :

والله ما زيدٌ بِنام صاحبُه ولا مخــالط اللَّيَان جانبُه . ا هـ

وكذا قال ابنُ الأَنبارىِّ وابنُ الشجرى، إلاَّ أنَّ روايتهما : « ما ليلى بنام صاحبه » .

ونقل العينىُّ عن ابن سيده(فى المحكم) أنَّ روايته كرواية أبى على. وقال إنَّه قال : قيل إنَّ نام صاحبُه علمُ رجل . وإذا كان كذلك جرى مجرى شابَ قرناها . ثم قال : فإن قلتَ : إنَّ قوله ولا مخالط اللِّيَان جانبُه ليس علما وإنَّما هو صفة ، وهو معطوف على نام صاحبه ، فيجب أن

(١) ديوان حسان ٣٦٩ برواية : « لذى العرف ذا مال كثير ومعدما ». وانظر معجم الشواهد .

يكون قوله: « نام صاحبُه » أيضاً صفةً . قيل: قد يكون فى الجُمَل إذا سمِّى بها معانى الأَفعال . أَلا ترى أَنَّ شاب قرناها اسمٌ علَم ، وفيه مع ذلك معنى الذّمّ . وإذا كان كذلك جاز أن يكون قوله « ولا مخالط الليان جانبه » معطوفاً على ما فى قوله نام صاحبه من معنى الفِعل. هذا كلامه .

١٠٧ قال شارح اللباب : اللِّيان بالكسر : الملاينة . وبالفتح : مصدر لان بمعنى اللِّين . يقال هو فى لَيَانٍ من العيش، أى فى نعيم وخفض . ا هـ.

وروى صدره :(عَمْرُك ما ليلى) إلخ فيكون عمرك مبتدأ خبره محذوف، أى قسمى . وجملة ما ليلى إلخ جواب القسم ، وزيدت الباءُ فى خبر ما .

والبيت مع كثرة دورانِه فى كتب النحو غير معلوم قائلُه . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده :

(يمينًا لِنِعم السَّيِّدانِ وُجِدتما على كلِّ حالٍ من سَحيلٍ ومُبْرَمِ)

تقدَّم شرحه قريباً[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد السبعمائة[2] :

٧٦٣ (أَبو مُوسى فجدُّكَ نِعمَ جَدًّا وشَيخُ الحىِّ خالُكُ نِعْم خالاَ)

على أنّه قد يكون فاعل نعم ضميرًا مفسَّراً بنكرة ، مع تقدُّم المخصوص بالمدح ، كما هنا . فإنَّ «أبو موسى» هو المخصوص ، وفاعل نعم ضمير

---

(١) هو الشاهد ٧٦١ فى هذا الجزء .

(٢) ديوان ذى الرمة ٤٤٣ .

فسَّره بقوله جَدًّا . وكذا المصراعُ الثانى،فإنَّ قوله «شيخ الحىّ» هو المخصوص وخالُك بدلٌ منه ، وفاعل نعم ضمير مفسَّر بقوله خالا .

وأما قوله : «فجدُّك» ،تحريفٌ[1] وقع فى نسخ هذا الشرح ، ولم يتنبَّه له أحدٌ ، ولا فتَّش ديوان قائله حتَّى يؤخذ الماءُ من مجاريه .

وقد تمحَّل لإعرابه المولى حَسَنٌ الفنارىّ (فى حاشية المطوَّل) ،وهو معذور . قال : قوله فجدك بدلٌ من أبو موسى ، والأقرب أنَّ أبو موسى مبتدأٌ فجدُّك خبره ، والفاءُ زائدةٌ فى الخبر على ما جوَّزه الأَخفش . أمَّا زيادتها فى البدل فلم أَظفَر به ، والمخصوص بالمدح محذوفٌ على قياس : نعم العبد . وهذا أَولى لشيوعه .

هذا غاية ما تُكلِّف به ،وصوابه : (فحسبُك) ، كما هو مسطورٌ فى عدّة نسخٍ[2] ديوانِ ذى الرمة .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة عدّتُها مائة بيت ، مدح بها بلالَ بن أَبى بردة ابن أَبى موسى الأَشعرىّ .

وليس البيتُ للأَخطل كما زعم الشّارح ، فإنَّ الأَخطلَ هلك قبلَ ظهور بلال ، فإنَّ الأَخطل كان من شعراء معاويةَ بنِ أَبى سفيان ، وبلال كان فى زمن عمرَ بنِ عبد العزيز .

والبيت موجودٌ فى قصيدةٍ من شعر ذى الرُّمَّةِ . وغالب شعرِ ذى الرُّمَّة فى مدح بلال . وقبله :

---

(١) كذا بإهمال فاء الجواب فى النسختين .

(٢) كذا فى النسختين بالإضافة .

أبيات الشاهد

(بنَى لكَ أهلُ بيتك يا ابن قَيسٍ وأنت تَزيدُهمْ شرفاً جُلالا
مكارمَ ليس يُحصيهنَّ مدحٌ ولا كذبًا أقولُ ولا انتحالا
أبو موسى فحسْبُك نِعم جَدًّا وشيخُ الركب خالُك نِعْمَ خالا
كأنَّ النَّاسَ حينَ تمرُّ حتَّى عواتقَ لم تكن تَدَعُ الحِجالا
قياماً ينظرون إلى بِلالٍ رِفاقُ الحجِّ أبصرَتِ الهلالا
فقد رفعَ الإلهُ بكلِّ أُفْقٍ لضوئك يا بلالُ سَنًا طُوَالا
كضَوءِ الشمس ليس به خفاءٌ وأُعطِيتَ المهابةَ والجمالاَ)

والجُلال ، بضم الجيم : الجليل . ومكارمَ مفعول بَنَى لك .

وقوله : (أبو موسى فحسبُك) إلخ هو أبو موسى الأشعريُّ الصحابى . وقوله : (فحسبك) الفاءُ فى فحسب زائدة لازمة . وحسب : اسمٌ بمعنى ليَكْفِ ، كما قال الشارح المحقق فى باب الإضافة ، مرفوعٌ بالابتداء ، وخبره محذوفٌ تقديره : هذا النسب ، أو هذا المدح . والجملة اعتراضيَّة بين المبتدإ والخبر . وقوله (وشيخ الركب) أى القافلة . وروى بدله : (وزاد الركب)، ومعناه أنَّه لا يدَعُ أحدًا من الرَّكب يحمل زادَ السُّفرة [1] ، بل هو يُجرِى النَّفقاتِ على جميع مَن صَحِبَه فى السَّفَر .

١٠٨

ومدحه فى هذا البيت بشَرف النَّسَبينِ : نسبِ الأَبِ ونسَب الأُمّ .

وقوله : « كأَنَّ النَّاسَ » إلخ خبر كأنَّ قوله : «رفاقُ الحج» فى البيت بعده . وحتّى حرف جرٍّ غاية للنَّاس ، وما بعدها داخل فى المغيَّا . وعواتقَ مجرور بالفتحة ، جمع عاتق ، وهى البنت التى أدركت فى بيت أبوَيْها

---

(١) كذا فى النسختين ، والسفرة ، بالضم : طعام المسافر ، وأكثر ما يحمل فى جلد مستدير ، فنقل اسم الطعام إلى هذا الجلد الذى يبسط ويؤكل عليه .

ولم تكن متزوِّجة . والحِجال : جمع حجلةبالتحريك، وهو بيتها الذى تلازمه ولا تخرجُ منه . وقياماً منصوب على الحال . أراد : كأنَّ الناسَ فى حالِ قيامهم حين يمرُّ بلال ، رفاقُ الحج إذا نظروا إلى الهلال . والسَّنا ، بالقصر : الضوءُ . والطُّوال : مبالغة الطَّويل .

وفى هذه القصيدة أبياتٌ أُخر شواهدُ ، منها :

(وميّةُ أَحسنُ الثَّقَلينِ جِيدًا وســالفةً وأَحسنُهم قَذَالا)

والقَذَال : ما بين الأُذن والنُّقرة ، وهما قذالان . ومنها :

(سمعتُ النَّاسُ ينتجعون غَيثاً فقلتُ لصَيْدَحَ انتجِعِى بِلالا)

وتقدَّم شرحه فى أفعال القلوب[1] .

وقد تقدمت ترجمةُ بلال هذا فى الشاهد الستين بعد المائة[2] . وترجمة ذى الرمة فى الشاهد الثامن من أول الكتاب[3]

* * *

وأنشده بعده :

(ويُلمِّها رَوحةً[4])

هو قطعة من بيت ، وهو :

(وَيْلُمِّها روحةً والرِّيحُ مُعْصِفةٌ والغيثُ مُرتجِزٌ والليلُ مقتربُ[5])

(١) فى الشاهد ٧١٩ من هذا الجزء التاسع .
(٢) الخزانة ٣ : ٣٥ .
(٣) الخزانة ١ : ١٠٦ .
(٤) ط : « دوحة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
(٥) ط : « ويلمها دوحة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وتقدَّمَ شرحه فى الشاهد الحادى عشر بعد المائتين[١] .

* * *

وأنشد بعده :

(فيالكَ مِن ليــلٍ)

هذا أيضاً قطعةٌ من بيت ، وهو :

(فيالَكَ من ليــلٍ كأنَّ نُجومَه
بكلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّت بيَــذْبُلِ)

وتقدم أيضاً شرحُه فى الشاهد العاشر بعد المائتين[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد السبعمائة[٣] :

٧٦٤ (تزَوَّدْ مِثلَ زادِ أَبيكَ فِينا فنِعم الزَّادُ زادُ أَبيكَ زادا)

على أنَّه قد يجيءُ بعد الفاعل الظاهر تمييزٌ للتَّوكيد .

قال ابن يعيش : اختلف الأئمة فى هذه المسألة ، فمنع سيبويه والسِّيرافى وابنُ السَّرَّاج ذلك ، وأجازه المبرِّد وأبو على . واحتجَّ سيبويه بأَنَّ المقصود من المرفوع والمنصوب الدَّلالةُ على الجنس ، وأحدُهما كافٍ عن الآخَر . وأيضاً فإنَّ ذلك ربَّما أوهمَ أنَّ الفعل الواحدَ له فاعلان، وذلك إنْ رفعتَ اسم الجنس بأنَّه فاعل . وإذا نصبتَ النَّكرة بعد ذلك آذنَتْ بأَنَّ الفعل فيه ضمير فاعل، لأنَّ النكرة المنصوبة لا تأْتى إلاَّ كذلك .

---

(١) الخزانة ٣ : ٢٧٣ — ٢٧٩ .
(٢) الخزانة ٣ : ٢٦٩ — ٢٧٣ .
(٣) المقتضب ٢ : ١٥٠ والخصائص ١ : ٨٣ ، ٣٩٦ وابن يعيش ٧ : ١٣٢ والمقرب ١ : ٦٩ والتسهيل ١٠٩ والمغنى ٤٦٣ والعينى ٤ : ٣٠ والأشمونى ٢ : ٢٠٣ / ٣ : ٣٤٠ وديوان جرير ١٣٥ .

وحجّة المبرِّد فى الجواز الغلوُّ فى البيان والتأكيد ، والأوّل أظهر . وأمّا بيت جرير ، وهو :

١٠٩

تزوَّدْ مثل زادِ أبيك .... إلخ

فإنَّ المبرد أنشده شاهدًا على ما ادَّعى من جواز ذلك. فإنْ رفع الزاد المعرَّف باللام بأنَّه فاعل نِعْم ، وزاد أبيك هو المخصوص بالمدح ، وزادًا تمييزٌ وتفسير ، فالقولُ عليه أنّا لا نسلِّم أنَّ زادًا منصوب بنعم ، وإنّما هو مفعول به بتزوَّد ، والتقدير : تزود زادًا مثلَ زاد أبيك فينا ، فلمَّا قدَّم صفتَه عليه نصبَها على الحال . ويجوز أن يكون مصدراً مؤكِّدًا محذوفَ الزوائد ، والتقدير : تزوَّدْ مثل زاد أبيك فينا تزوُّداً . ويجوز أن يكونَ تمييزًا لمثل ، كما يقال ما رأيت مثلَه رجلاً . وعلى تقدير أن يكون العامل فيه نِعم فإنَّ ذلك من ضرورة الشعر ، ولا يُجعَل قياساً . ومثله قولُ الآخر[1] :

ذرينى أصطبِحْ يا بــكرَ إنِّى رأيتُ الموتَ نقَّبَ عن هِشام[2]

تخيَّــرَه ولم يَعــدِلْ سِــواه ونعم المــرءُ من رجلٍ تِهَــامى

فقوله : « من رجل » كقوله رجلاً ، لأنَّ مِنْ تدخل على التمييز . وذلك كلُّه من ضرورة الشِّعر .

وقال ابن جنى (فى الخصائص) : إنَّ الرجل من [نحو] قولِهم : نعم الرجل زيد ، غير المضمر فى نعم إذا قلت نعم رجلاً زيد[3] لأنَّ المضمر

---

(١) هو بحير بن عبد الله القشيرى ، كما فى الاشتقاق ١٠١ . وانظر معجم شواهد العربية .

(٢) فى الدرر اللوامع ٢ : ١١٣ : « فدعنى أصطبح يا بكر » ، وفى الكامل ٣١٤ : « ذرينى أصطبح يا سلم » .

(٣) كلمة : « نحو » السابقة ساقطة من ط ، وإثباتها من ش والخصائص ١ : ٣٩٥ . كما أن كلمة « زيد » هذه ساقطة من ش ، وإثباتها من ط والخصائص .

على شريطة التفسير لا يَظهر ولا يُستعمَل ملفوظًا به . ولذلك قال سيبويه هذا باب مالا يعمل فى المعروف[1] إلاَّ مضمراً ، أى إذا فسِّر بالنكرة ، نحو : نعم رجلًا زيد ، فإنَّه لا يظهر أبدًا . وإذا كان كذلك علِمْتَ زيادة الزَّاد فى قول جرير :

تزوّد مثل زاد أبيك فينـــا .... البيت

وذلك أنَّ فاعل نعم مظهَر فلا حاجة به إلى أنْ يفسَّر .فهذا يُسقط اعتراضَ المبرد على صاحب الكتاب فى هذا الموضع . ا هـ .

وهذا جوابٌ خامس .

وقال المرادىّ (فى شرح التسهيل[2]) : منع سيبويه الجمعَ بين التمييز والفاعل الظاهر ، وأجاز ذلك المبرِّد والفارسى . قال المصنف : وهو الصحيح . ا هـ . وبالجواز قال ابن السَّرَّاج . وفصَّل بعضهم فقال : إن أفاد التمييزُ معنًى لا يفيدُهُ الفاعل جاز ، نحو : نعم الرجل رجلاً فارسًا زيد ، وإلاَّ فلا . قال المصنِّف : والحامل لسيبويه على المنع كونُ التمييز فى الأصل مَسُوقًا لدفع الإبهام ، والإبهامُ إذا ظهر الفاعلُ زائلٌ ، فلا حاجةَ إلى التمييز . وهذا الاعتبار يلزم منه منعُ التمييز فى كلِّ ما لا إبْهام فيه كقولك : عندى من الدراهم عشرون درهَمًا . ومثل هذا جائزٌ بلا خلاف.اهـ.

وما ذكره من أَنَّ الحامل لسيبويه ما ذكر ليس هو فى كتابه . وفرقٌ بين نعم رجلٌ رجلًا زيد، وبين : له من الدراهم عشرون درهماً ونحوِه، بأَنَّ عشرين وأَمثالَها محتاجةٌ إلى التمييز فى الأَصل ، بخلاف نعم الرجل

(١) فى النسختين : « المعرف » ، وأثبت ما فى الخصائص وسيبويه ١ : ٣٠٠ .

(٢) الملحوظ أن هذا النقل نقل طويل سيستمر إلى س ١٦ من ص ٣٩٨ .

زيد . والتمييز مَبناهُ على التَّبيين ، ثم يعرض له فى بعض المواضع أنْ يقترن بالكلام ما يُغنِى عنه ، فيصير مؤكِّداً . وقد تأَوَّل الفارسىُّ كلامَ سيبويه على أَنَّ معناه لا يكون الفاعل ظاهراً حيث يلزم التمييز ، بل الفاعل فى حال لزوم التمييز مضمرٌ لا غير ، وأما مع الظاهر فلا يكون لازماً . وفيه بُعدٌ . واستدلَّ المصنِّف على الجواز بالقياس والسماع . أمَّا القياس فقال بعد التمثيل بِ « لَهُ من الدراهم عشرون درهما » وبقوله تعالى : ﴿ إنَّ عِدَّةَ الشُّهورِ عِنْدَ اللهِ اثنا عَشَر شهراً[1] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ واختارَ مُوسى قَومَهُ سَبعِينَ رجلا[2] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فتَمّ ميقاتُ ربِّه أَربَعِين لَيلة[3] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فهى كالحجارةِ أَو أَشدُّ قَسوة[4] ﴾ . فكما حكم بالجواز فى مثل هذا ، وجعل سببَ الجواز التوكيدَ ، لا رفعَ الإبهام ، فكذلك يفعل فى نحو : نعم الرجلُ رجلاً . ولا يُمنع ، لأَنَّ تخصيصَه بالمنع كحكمٍ بلا دليل . هذا لو لم تستعمله العربُ ، فكيف وقد استعملته . اهـ .

١١٠

وقد تقدَّم ما فرَّقَ به بين ما ذكرته من التمثيل ، وبين نعم الرجل.

قال : ومن ورود التمييز للتوكيد لا لرفع الإبهام قولُ أَبى طالب :

ولقد علِمْتُ بأَنَّ دينَ محمدٍ مِن خيرِ أَديانِ البَرِيَّة دينا[5]

وقول الآخر :

فأَمَّا التى خيرُها يرتجى فأَجود جودًا من اللأَفِظَه[6] اهـ

(١) الآية ٥٥ من سورة الأعراف .

(٢) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

(٣) الآية ١٤٢ من سورة الأعراف .

(٤) الآية ٧٤ من سورة البقرة .

(٥) التسهيل ١٠٩ والعينى ٤ : ٨ والتصريح ٢ : ٩٦ وديوان أبى طالب الورقة ٤ .

(٦) البيت لطرفة كما فى العينى ١ : ٥٧٢ . وانظر الأشباه والنظائر ٣ : ٢٨٠ . ولم يرد البيت فى ديوانه .

ولا يتأتّى ذلك الفرقُ هنا . وأما السَّمَاع فقول جرير :

والتغلبيون بئس الفحلُ فحلُهم · فحــلًا وأُمُّهمُ زلَّاءُ مِنْطيقُ[(١)]

وقول جرير أيضاً :

تزوَّدْ مثلَ زادِ أبيك . . . . البيت

وأنشد غيرُ المصنِّف :

نعم الفتاةُ فتاةً هندُ لو بذلَتْ رَدَّ التَّحيَّةِ نطقًا أو بإيمــاءِ[(٢)]

وحُكِى من كلام العرب : « نِعِم القتيلُ قتيلاً أصلح بين بكر وتغلب[(٣)] » . وهذا واردٌ فى الاختيار .

وقد تأوَّلَ المانعون السَّماع . أمَّا فحلا وفتاةً فعلى الحال المؤكِّدة . وأمَّا زادًا فعلى أنَّه مصدر محذوف الزوائد منصوبٌ بتزوَّدْ . وقد حَكَى الفرَّاءُ استعمالَه مصدرًا . أو على أنَّه مفعول به ، ومثلَ منصوب على الحال ، لأنَّه لو تأخَّر لكان صفة . وقال أبو حيَّان : وعندى تأويلٌ غير ما ذكرُوه ، وهو أقرب . وذلك أنْ يُدَّعَى أنَّ فى نعم وبئس ضميراً ، وفحلاً وفتاةً وزادًا تمييز لذلك الضَّمير ، وتأخَّر عن المخصوص على جهة النُّذور . فالفحل والفتاة والزاد هى المخصوصة ، وفحلهم وزاد أبيك أبدالٌ من المرفوع قبلها .

هذا ما أورده المرادىّ ، ولفوائده سُقناه برُمَّته .

---

(١) ديوان جرير ٣٩٥ . وهو من شواهد التصريح ٢ : ٩٦ والهمع ٢ : ٨٦ والأشمونى ٣ : ٣٤ . وفى ش : « نعم الفحل فحلهم » . وفى حواشيها : « كذا بخط المؤلف ، والصواب بئس » .

(٢) العينى ٤ : ٣٢ والهمع ٢ : ٨٦ والتصريح ٢ : ٩٥ والأشمونى ٣ : ٣٤/٤ : ٢٠٣ .

(٣) هو من قول الحارث بن عباد ، يوم قضة ، حين قتل ابنه بجير ، وقيل إن بجيراً ابن أخيه . انظر أمالى القالى ٣ : ٢٦ والأغانى ٤ : ١٤٤ . ويروى : « نعم الغلام غلام » .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لجرير مدحَ بها عُمر بنَ عَبدِ العزيز ، منها :

أبيات الشاهد

(وسُدتَ النَّاسَ قبـل سِنينَ عشْـرٍ
كـذاك أبوك قَبْل العَشْـرِ سـادا

وثبَّتَّ الفُـروعَ فهن خُضـرٌ
ولو لم تُحْيِ أصلَهُمْ لبـادا[1]

تزوَّد مثـل زاد أبيك فينا . . . . . . البيت

فما كعبُ بنُ مامة وابنُ سُعْـدَى
بأَجـوَدَ منك يا عُمَـرَ الجـوادا

وتَبنِى المجــدَ يا عُمَرَ بنَ ليلى
وتكفِى المُمْحِـلَ السَّنةَ الجَمادا[2]

يَعـودُ الحلم منك على قُـريشٍ
وتُفْـرِج عنهم الكُرَبَ الشِّـدادا

وتدعو الله مجتهـداً ليرضَى
وتذكر فى رَعِيَّتِك المَعـادا)

وباد : هلك . وأَتْبَعَ الجواد لموضع عمر ، وهو من شواهد المنادى .

كعب بن مامة

وكعبٌ هو ابن مامة الإيادىّ ، أحدُ أَجْوادِ العرب. قال الواحدىّ (فى

---

(١) هذا البيت وسابقه لم يردا فى ديوان جرير من قصيدته ١٣٤ – ١٣٧ .

(٢) نسبه إلى أم أبيه عبد العزيز بن مروان . وفى ليلى هذه يقول ابن قيس الرقيات (ديوانه ١٥٢ ، والطبرى ٦ : ١٤٥) :

أعـنى ابن ليـلى عبد العزيز ببابلـ ـيون تغـدو جفانـه رذمـا

أما والدة عمر بن عبد العزيز فهى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . الطبرى ٦ : ٥٦٦ والجمهرة ١٠٥ والتنبيه والإشراف ٢٧٦ .

أَمثاله) : كان كعبٌ فيما يقال ، أَجودَ من حاتم الطائى . حُكى أَنَّه خرج فى رَكْب وفيهم رجلٌ من النَّمر بن قاسطٍ ، فى القيظ ، فضلُّوا فتصافَنُوا الماءَ بالمَقْلة ، فقعد أَصحابُ كعب لِشُرب الماءِ[1] ، فلما دار القَعْبُ إلى كعبٍ أبصرَ النَّمرىَّ يحدِّدُ[2] النظَر إليه ، فآثره كعبٌ بمائه وقال للساقى : « اسقِ أَخاكَ النَّمرىَّ يَصطبِحْ » فذهبت مثلاً . فشربَ النمرىُّ نصيبَ كعب ذلك اليومَ ، ثم نزلوا من الغَدِ منزلاً آخَر فتصافنوا بقيَّة مائهم ، فنظر النمرىُّ إلى كعبٍ كنظره بالأَمس ، ففعل كعبٌ فَعلْتَه بالأَمس ، وارتحل القوم وقالوا : يا كعبُ ارتحل . فلم يكن به قُوَّةُ النُّهوض ، وكانوا قد قَرُبوا من الماءِ ، فقيل : رِدْ كعبُ إنَّك ورَّاد . فعجز عن الإصابة ، فلمَّا يئسوا منه خَيَّلوا عليه بثوبٍ يمنعُه من السِّباع ، وتركوه فمات ، فقال أَبوه يبكيه : ١١١

أَوفَى على الماءِ كعبٌ ثم قيل له رِدْ كعبُ إنَّك ورَّادٌ فما وَرَدَا

قال : وكان من جوده أَنَّه إذا مات جارٌ أَدَّى ديتَه إلى أَهله ، وإنْ هلك لجاره بعيرٌ أَو شاة أَخلفه عليه[3] ، فجاوره أَبو دُواد الإيادىُّ فعامله بذلك ، فصارت العرب إذا حَمِدَتْ مستجاراً به لحُسْن جِواره قالوا : « كجار أَبى دُوَاد » . ومنه قول قيس بن زهير :

سأَفعلُ ما بدا لى ثم آوِى إلى جارٍ كجـارِ أَبى دُوادِ اهـ

قال المبرد (فى الكامل) : والتصافُن: أَن يُطرح فى الإناءِ حَجرٌ ثم يُصبَّ فيه من الماءِ ما يغمُره لئلاَّ يتغابنوا[4] . والمَقْلة : اسمُ ذلك الحَجر.

---

(١) ط : « ليشرب الماء » ، صوابه فى ش .
(٢) ط : « يحرد النظر » ، صوابه فى ش .
(٣) ط : « أخلفهما عليه » .
(٤) من الغبن ، وأصله فى البيع أن يغلبه وينقصه ، والمراد أن يظلم بعضهم بعضاً فى القسم .

أوس بن حارثة

وابن سُعدى هو (كما فى كامل المبرد) : أَوسُ بن حارثةَ بن لأْم الطائى . وكان سيِّدًا مقدَّماً ، فوفد هو وحاتمُ بن عبد الله الطائىُّ على عمرو بن هند ، وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، فدعا أوساً فقال : أنت أفضلُ أم حاتم ؟ فقال : أبيتَ اللعن لو مَلَكنى حاتمٌ وولدِى ولُحمتِى لوهَبنَا فى غداة واحدة . ثم دعا حاتماً فقال : أنت أفضلُ أم أوس ؟ فقال : أبيتَ اللَّعْنَ ، إنَّما ذُكرت بأوسٍ ، ولأَحَدُ ولدِه أفضَلُ منِّى . وكان النُّعمانُ بن المنذر دعا بِحُلَّة وعنده وفودُ العرب من كلِّ حىّ ، فقال : احضرُوا فى غدٍ فإنِّى مُلْبِسٌ هذه الحُلَّةَ أكرمَكم . فحضر القومُ جميعاً إلا أوساً ، فقيل له : لم تتخلَّف[1] ؟ فقال : إن كان المراد غيرى فأَجمَلُ الأشياءِ أن لا أكون حاضرًا ، وإن كنت المرادَ فسأُطلَبُ ويُعرَفُ مكانى . فلمَّا جلس النُّعمان لم ير أوساً فقال : اذهبوا إلى أوس فقولوا له : احضُر آمناً ممَّا خِفت . فحضَرَ فألبسه الحُلَّة ، فحسَده قومٌ من أهله فقالوا للحطيئة : اهجُه ولك ثلثمائةِ ناقة . فقال الحطيئة : كيف أهجو رجلاً لا أرى فى بيتى أثاثاً ولا مالاً إلاَّ من عنده ؟! ثم قال :

كيفَ الهجاءُ وما تنفكُّ صالحةٌ
من آلِ لأْمٍ بظهر الغَيب تأْتينى

فقال لهم بِشرُ بن أبى خازم ، أحد بنى أسد بن خزيمة : أنا أهجوهُ لكم . فأخذ الإبلَ وفعل ، فأغار أوسٌ عليها فاكتسحها ، فجعل لايستجير حيًّا إلاَّ قال : قد أجرتك إلاَّ من أوس . وكان فى هجائه قد ذكر أُمَّه ، فأُتِىَ به فدخل أوسٌ على أُمِّه فقال : قد أُتِينا ببشر الهاجى لكِ ولى .

---

(١) الذى فى الكامل ١٣٣ : « لم تخلفت » .

قالت : أَوَ تُطيعني ؟ قال : نعم . قالت : أرى أنْ تردَّ عليه مالَه وتعفُوَ عنه وتَحبُوَه ، وأفعلُ مثلَ ذلك ، فإنَّه لا يغسِل هجاءَه إلاَّ مَدْحُه . فخرج فقال : إنَّ أُمِّي سُعدَى التي كنتَ تهجُوها قد أمرَتْ فيكَ بكذا وكذا ! فقال : لا جَرمَ ، واللهِ لا مَدَحْتُ حتَّى أَمُوتَ أحدًا غيرَك . ففيه يقول :

إلى أوسِ بن حارثةَ بن لَأْمٍ ... ليقضيَ حاجتي فيمَنْ قضَاها
فما وَطِئَ الثَّرى مثلُ ابنِ سُعدَى ... ولا لَبِسَ النِّعالَ ولا احتذاها

* * *

١١٢ وأنشد بعده :

(أنا ابنُ جَلَا وطَلَّاعُ الثنايا)

على أن الموصوف محذوف وصفته جملة فعلية ، وهي (جلا) على أنَّه فعل ماض وفاعله ضمير مستتر فيه ، والتقدير : أنا ابن رجل جلا الأُمورَ وكشفَها .

وهذا أحد التخريجين في البيت ، وقد ذكرناهما مشروحَين فيما لا ينصرف[١] ، وفي النعت[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد السبعمائة[٣] :

٧٦٥ (نِعمَ الفَتَى فَجِعَتْ به إخوانَه ... يَوم البَقيعِ حَوادِثُ الأيّامِ)

على أنَّ المخصوص بالمدح محذوف ، وهو موصوف بجملة أقيمت مقامَه ، تقديره : نعم الفتى فتىً فَجعَت به إلخ .

---

(١) الخزانة ١ : ٢٥٨ — ٢٦٠ .
(٢) الخزانة ٥ : ٦٤ — ٦٥ .
(٣) العقد ٢ : ٣١٥ ومعجم المرزباني ٢٤٥ والحماسة ٨٠٨ بشرح المرزوقي .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة [١]) : الهاءُ فى به عائدة على موصوف محذوف ، أى نعْم الفتى فتًى فجعَتْ به حوادثُ الأيَّام و(يومَ البقيع) ظرفٌ ، ويجوز أن تنصبه على أنّه فى المعنى مفعول به ، لأنَّ الفعل فى هذا النحو يُسنَد إلى ظرف الزمان ، نحو قولك : شَقَّنى يومُ كذا ، وسرَّنى وقتُ كذا ، فتنسُب الفِعل إلى ذلك اليوم والوقت . ا هـ .

وقال الطبرسى (فى شرح الحماسة) : جملة فجعَتْ به إلخ صفة فتًى محذوف ، وهو المخصوص بالمدح خصَّصْته حتَّى صار كالمعرفة . والحذفُ فى مثل هذا إنّما يصلح إذا كان الممدوحُ مشهورَ البيان . ويومَ البقيع ظرفٌ منصوب . وحوادثُ الأيَّام فاعل فجعت . والفجيعة [٢] : الرزيَّة . وفجعَه فجعاً من باب نفع ، فهو مفجوعٌ ، فى ماله وأهله .

صاحب الشاهد

والبيت أول أبيات ثلاثةٍ لمحمد بن بشيرٍ الخارجى ، أوردها أبو تمّام (فى باب المراثى من الحماسة) ، وبعده :

أبيات الشاهد

(سَهلُ الفِنَاءِ إذا حللتَ ببابِهِ ... طَلْقُ اليدَيْنِ مؤدَّب الخُدَّامِ
وإذا رأيتَ صديقَه وشقيقَه ... لم تدرِ أيُّهما أخو الأرحامِ [٣])

وقال الطبرسى : سهل الفناء : خبر مبتدإٍ محذوف ، وجعل فناءَهُ سهلاً للزُّوَّار والعُفاة ، وذلك مَثَلٌ [٤] ، لكثرة إحسانه إليهم . وقوله . «مؤدَّب الخدام » تنبيه على اقتدائهم بمولاهم فى تفقُّد الوُرَّاد وإكرامِهم ، والسَّعى

---

(١) إعراب الحماسة الورقة ١١٥ .

(٢) ط : « والفجعة » ، صوابه فى ش .

(٣) فى الحماسة : « شقيقه وصديقه » .

(٤) ط : « ميل » ، صوابه فى ش .

فى أُمورهم . والشقيق من إخوان الوِلادة . والصديق من إخوان المودّة . يقول : لا يتميَّز صديقُه عن شقيقه فى شُمول تفقُّده لهما وتساويهما فى المجد عنده . وهذا هو الغايةُ فى الكرم .

ومحمد بن بشير الخارجى : شاعرٌ إسلامىٌّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثلاثين بعد السبعمائة(١) ، وهو من خارجة عَدْوان : قبيلة . وليس من الخوارج .

ونقل ابنُ خَلِّكان فى ترجمة يزيد بن مَزْيد الشيبانى أَنَّ المرزُبانىَّ ذكر (فى كتاب معجم الشعراءِ) أَنَّ هذه الأَبياتَ لعُمير بن عامر(٢) ، مولى يزيد بن مَزْيدٍ الشَّيبانى ، رثَى بها سيِّدَه .

ورأيت أنا (فى العقد الفريد لابن عبد ربه) هذه الأَبياتَ منسوبةً لإبراهيم بن هرمة(٣) . والله أعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد السبعمائة(٤) :

٧٦٦ (نِعْم الفَتَى المُرِّىُّ أَنتَ)

هو قطعةٌ من بيتٍ ، وهو :

(نِعم الفـــتَى المُرِّىُّ أَنتَ إِذَا هُمُ
حَضَرُوا لَدَى الحُجُراتِ نارَ المُوقِدِ)

(١) الخزانة ٩ : ٢١٦ . وفى ط : « الشاهد السابع والعشرين بعد السبعمائة » ، صوابه فى ش .
(٢) كنيته أبو البلهاء ، كما فى معجم المرزبانى .
(٣) انظر ديوان ابن هرمة ٢٧٩ .
(٤) الأصول لابن السراج ١ : ١٤٢ والمغنى ٥٨٧ والعينى ٤ : ٢١ والأشمونى ٣ : ٣١ وديوان زهير ٢٧٥ .

١١٣ على أنّه يجوز وصف فاعل نعم ، فإنّ المرّىّ صفة الفتى لا بدلٌ منه ، خلافاً لابن السرّاج ، كما بيّنه الشارح المحقق .

وهذه عبارة أبى بكر بن السّرّاج (فى الأصول) : ولا يجوز توكيد المرفوعِ بنعم . قالوا : وقد جاءَ فى الشِّعر منعوتاً . وأنشدوا :

نعم الفتى المرّى أنت .... البيت

وهذا يجوز أن يكون بدلاً غير نعت ، فكأنّه قال : نعم المرىُّ أنت . ا هـ .

وقد نقله أبو على عنه (فى تذكِرته) وأقرّه ، قال : قرئَ على أبى بكر من الأُصول : « نعم الفتى المرى أنت » البيت ، قال أبو بكر : حَمَله قومٌ على الصِّفة ، وهو عندنا على البدل ، لأنّ وصفه قبيح . قال أبو على : لأنّ فاعل نعم إذا كان ظاهراً فالمقصودُ به الجنس ، وليس بعد الجنس شىءٌ يُلْبِس فيفصَل بينهما . هذا كلامه .

وردّ عليهما الشارحُ المحقِّق بأنّ هذا المنع ليس بشىء ، لِأنّ الإبهام مع مثل هذا التخصيص باقٍ . وهو فى مثل هذا الردّ والتوجِيهِ تابعٌ لابن جنى ، فإنّه قال فى بيت الحماسة ، ليزيد بن قُنَافة :

لعَمْــرى وما عمرى علىَّ بهَين لبئسَ الفتى المدعوُّ بالليل حاتمُ(١)

قال أصحابنا فى قول الشاعر : « نعم الفتى المرى أنت » إنّ المرّىّ بدلٌ من الفتى ، قالوا : وذاك أنّ فاعل نعم وبئس لا يجوز وصفُه ، من حيث كان واقعاً على الجنس ، والجنس أبعدُ شىءٍ عن الوصف ؛ لفساد

(١) الحماسة ١٤٦٤ بشرح المرزوقى .

معناه ، فلمَّا كان كذلك عدلوا به عن الوصف إلى البدل . فقياس هذا أن يكون المدعُوُّ بدلاً من الفتى ، وأمَّا أنا فأُجيزُه[١] . وذلك أنْ يكون المدح والتَّفضيلُ إنَّما وقع على أنْ يُفضِّل حاتمٌ على الفتيان المدعوِّين بالليل[٢] ، أي فاق حاتمٌ جميع الفتيان المدعوِّين بالليل ، ولم يرد أن يفضِّله على جميع الفتيان عموماً[٣] . ولو أراد ذلك لما جازت الصفة ، ولكنَّه وصفَ الفتى وفضَّل حاتماً على جميع الفتيان المدعُوِّين بالليل . وكذلك تقول : نعْم الرجل الطَّويل زيد ، أي فاق زيدٌ في الرِّجالِ الطِّوال خاصَّة . وهذا معنًى مع أوَّلِ تأمُّل يصحُّ[٤] . انتهى كلامه .

ولا بأْس بإيراد كلام المرادى (فى شرح التسهيل) ، فإنَّ فيه فوائد .

قال بعد قول التسهيل : « ولا يؤكَّد فاعلُها توكيدًا معنوياً باتفاق» ما نصُّه : لأنَّ القصدَ بالتوكيد المعنوى رفعُ توهُّم إرادة المخصوص ممَّا ظاهره العموم ، أو رفعُ توهُّم المجاز ممَّا ظاهره الحقيقة ، وفاعل نعم وبئس فى الغالب بخلاف ذلك ، لأنَّه قائمٌ مقام الجنس إن كان ذا جنس ، أو مؤوَّلٌ بالجامع لأكمل خصال المدح اللائقة بمسمَّاه إن كان فاعل نعم ، وبالجامع[٥] لأكمل خصال الذمّ إن كان فاعل بئس ، والتوكيد المعنوىُّ منافٍ للقَصْدين فاتُّفق على منعه . وعلى القول بأنَّ أل عهديَّةٌ فقد يمكن

(١) فى إعراب الحماسة الورقة ٢٠٧ : « فأجيز جوازاً حسناً أن يكون المدعو وصفاً للمعنى ».

(٢) الذى فى إعراب الحماسة : « وذلك أن يكون الذم إنما وقع على أن يحط حاتم عن الفتيان المدعوين بالليل » . وبعده : « أى انحط حاتم عن جميع الفتيان عموماً » . وهذا هو الوجه فى تخريج بيت يزيد بن قنافة .

(٣) انظر الحاشية السابقة . ولعل نسخة البغدادى من إعراب الحماسة ناقصة الجودة .

(٤) فى إعراب الحماسة : « يصح ويصح » ، ولعل صوابه « يضح ويصح » الأولى من الوضوح ، والثانية من الصحة .

(٥) ش : « والجامع » .

أن يجوز توكيده توكيداً معنوياً لانتفاء المانع . قال فى الشرح : وأمَّا التوكيد اللفظىُّ فلا يمتنع لك أن تقول نعم الرجل الرجل زيد . ا هـ . قيل : وينبغى أن لا يُقْدَم على جواز ذلك إلاَّ بسماع ، لأنَّ باب نعم وبئس له أحكامٌ مغايرة ، وأمَّا النعت فلا ينبغى أن يمتنع على الإطلاق ، بل يمنع إذا قُصد به التخصيص مع إقامة الفاعل مقام الجنس ، لأنَّ تخصيصه حينئذ منافٍ لذلك القَصد . وإذا تُؤوِّل بالجامع لأكمل الخصال فلا مانعَ من نعته حينئذ ، لإمكان أنْ ينوى فى النَّعت ما يُنوَى فى المنعوت . وعلى هذا يُحملُ قولُ الشاعر :

نعم الفتى المرِّىُّ أنت . . . . البيت

وحمل ابن السَّرَّاج وأبو علىٍّ مثلَ هذا على البدل ، وأَبَيَا النعت . ولا حجّة لهما . ا هـ . ١١٤

قيل : أمَّا منعُ وَصفهِ فهو قولُ الجمهور . وقال بعضهم : لا يجوز عند البصريِّين . ا هـ .

وأجاز أبو الفتح فى بيت الحماسة :

* لبئس الفتى المدعوُّ بالليل حاتم *

أن يكون المدعوُّ وصفاً للفتى . ومقتضى سكوتِ المصنِّف عن البدل والعطف جوازهما . قيل : وينبغى أن لا يجوز منهما إلَّا ما يباشره نعم وبئس . انتهى كلام المرادى .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لزهير بن أبى سلمى عدَّتها سبعةٌ وعشرون بيتاً ، مدح بها سِنان بن أبى حارثة المرِّىّ ، بدأ بذكر حبيبته سَلمى ، ثم انتقلَ إلى وصف ناقته إلى أن قال[1] :

أبيات الشاهد . (وتَيَمَّمَتْ عُرْضَ الفَلاةِ كأَنَّها غَرَّاءَ من قِطَع السَّحاب الأَقْهَدِ
وإلى سنانٍ سيرُها ووشيجُها حَتَّى تلاقيَه بطَلْق الأَسعُدِ
نعم الفَتى المرِّىُّ أَنت إذا هم حَضَروا لدَى الحُجُرات نارَ المُوقدِ
خَلِطٌ أَلوفٌ للجميع ببيتِه إذْ لايحُلُّ بِحَيْزة المتوحِّدِ
يَسِطُ البُيوتَ لكىيكونَ مَظِنَّةً من حيثُ توضع جَفنةُ المُسترفَدِ)

قوله : « وتيمَّمَتْ عُرض الفلاة » الخ تيمَّمتْ : قصدت ، وفاعله ضمير الناقة . والعُرْض بالضم : الجانب . والغَرّاءُ : البيضاءُ . والأَقهد : الأَبيض من كلِّ شيءٍ . أَى كأَنَّ الناقةَ سحابةٌ بيضاءُ فى سُرعتها . والسَّحابة البيضاءُ أَخفُّ وأَسرع ذهابًا ، لقلَّة مائها .

وقوله : « إلى سنانٍ سَيرُها » هو سنان بن أَبى حارثة بن مُرّة بن نُشْبة بن غَيظ بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان . وكان زهيرٌ مادحًا لسنان هذا ولابنه هرِم بن سنا ن المرِّىّ الذبيانىِّ ، وغالبُ مدحِهِ فى ابنه هرم. ووشيجها بالشين المعجمة والجيم ، قال شارح ديوانه صَعُوداءُ: الوَشيج : سيرٌ خفيفٌ، هو أَلين سير الإبل[1] ، وسير النجائب. وطَلْق : سليم من كلِّ سوءٍ ومكروه ، يقال يومٌ طلقٌ وليلة طلقة : ليس فيها حَرٌّ ولا بردٌ ولا مكروه . والأَسعُد : جمع سَعدِ النجوم .

وقوله : « نعم الفتى المرِّىُّ » ، منسوبٌ إلى مرّة أَحد أَجداده القريب أَو البعيد . وأَنت هو المخصوص بالمدح . وإذا ظرفيّة ، وهمْ فاعلٌ لفعل محذوف يفسِّره ما بعدَه ، كقوله تعالى : ﴿ إذا السَّماءُ انشقَّتْ[2] ﴾ . وهم

(١) رواية الديوان : « ووسيجها » بالسين المهملة ، رفى شرحه : « الوسيج : ضرب من السير » . وهذا هو الصواب إن شاء الله ، فليس فى المعاجم المتداولة أن « الوشيج » بالشين المعجمة ضرب من السير .

(٢) الآية الأولى من سورة الانشقاق .

ضميرِ الوفود والضُّيوف . ولدى ظرف متعلِّق بحَضَروا . والحُجُرات بضمتين قال شارحه : هى حجرات الأَضياف . يريد البيوتَ التى تنزل فيها الضُّيوف. ونارَ: مفعول حضروا . والمُوقد : اسم فاعل ، قال شارحه : هو الذى يُوقِد ليستدلَّ الغرباءُ والعُفاة بناره فيأْتونه . يريد أَنَّه أَشدُّ الناس إكراماً لضُيوفه إذا حَضَروا دارَ ضيافته واستدلُّوا عليها بالنار التى يُوقدُها خادِمه ليُقبل عليها مَن رآها . وقال العينى : إذا للمفاجأَة ، وهم مبتدأٌ وحضروا خبره . والحَجَرات : جمع حَجْرة ، وهى شدّة الشتاء . هذا كلامه ، وكأَنه لم يفهم معنى البيت. والحَجَرات بالمعنى الذى ذكره بفتحتين .

وقوله : « خَلِطٌ أَلوف » إلخ خَلِطبكسر اللام ، بمعنى مخالطٍ للناس ومُعاشرهم وله أُلفةٌ بهم فى بيته . والمتوحِّد : المنفرد عن الحىِّ ينزل بعيداً منهم حتّى لا يَقصِدَه ضيفٌ . والحَيْزة ، بفتح الحاءِ المهملة ،قال شارحه : هو الموضع الذى انحاز إليه لئلاً يعرف العفاةُ والضيوفُ موضعَه ، وهذا أَشدُّ شىءٍ تَسُبُّ العربُ به الرَّجل. يقول : سنان يـأْلف الحىَّ وينزل بينهم.

١٠٥ وقوله : « يَسِطُ البيوت» إلخ هو مضارع وسَطَ وَسْطا . قال الأَصمعى : يسط البيوتَ : ينزل وسَطْها . والمَظِنَّة ، قال شارحه : هو الموضع الذى لا يُشَكُّ فيه . والعرب تقول : اطلب الأَمرَ فى مظانِّه ، أَى فى الموضع الذى لا يُشَكُّ[١] . والظنُّ يكون يقيناً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ورأَى المُجرِمُون النَّارَ فظَنُّوا أَنَّهم مُواقِعُوها[٢] ﴾ فأَىُّ ظنّ يكون بعد المعاينة

(١) أى لا يشك فيه ، وفى ش : « تشك » . والمظنة بكسر الظاء ، قال ابن الأثير : « وكان القياس فتح الظاء ، وإنما كسرت لأجل الهاء » . يريد أنه ليس موضعاً عاماً فيجرى على القياس . وانظر شرح الشافية ١ : ١٨٤ — ١٨٥ .

(٢) الآية ٥٢ من سورة الكهف .

وقد أيقنوا ؟ ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ وظنَّ داودُ أنَّما فَتَنَّاهُ فاسْتَغْفَرَ ربَّهُ وخَرَّ راكِعًا وأنابَ[(١)] ﴾، أى أيقن بما فتنَّاه وخرَّ عند اليقين . وهذا كثيرٌ فى كلامهم ومنه قوله تعالى : ﴿ يظُنُّون أنَّهُمْ مُلاقُو ربِّهِم[(٢)] ﴾، أى موقنون . والمسترفِد : الذى يطلب الرِّفد، وهو النَّيل والعطاء . والجَفْنة : القَصْعة التى يُطْعَم فيها الطَّعام .

وترجمة زهير تقدَّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة[(٣)]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد السبعمائة[(٤)] :

٧٦٧ (فنِعْمَ مَزْكَأً مَنْ ضاقَتْ مـــذاهبُهُ

ونِعْمَ مَنْ هو فى سِـــرٍّ وإعــلانِ)

على أنَّ (مَنْ) الثانية موصولة بمعنى الذى ، وقعت فاعلا لنعم عند أبى على والمبرد، وهو مبتدأ وخبره محذوفٌ تقديره مثله ، والجملة صلة مَنْ ، والمخصوص بالمدح محذوف ، تقديره : بِشْرٌ .

وأما قوله : فى سر وإعلان ، فهو متعلِّق بنعم ، ولا يجوز أن يتعلَّق بمحذوف على أنَّه خبر هُوَ ، الواقع صلة الموصول ، لما بيَّنه أبو على .

وقد بسط الكلامَ على هذا المصراع فى احتمال وجوه ثلاثة لمَنْ ، فلا بأس بنقل كلامه ، قال (فى كتاب الشعر) : قال الشاعر :

---

(١) الآية ٢٤ من سورة ص .
(٢) الآية ٤٦ من سورة البقرة .
(٣) الخزانة ٢ : ٣٣٢ .
(٤) المغنى ٣٢٩ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ والعينى ١ : ٤٨٧ والهمع ١ : ٩٢/٢ : ٧٦ والأشمونى ١ : ١٥٥ واللسان (زكأ ٨٤) .

(وكيف أرهبُ أمراً أو أُراعُ له
وقد زكأْت إلى بشرِ بنِ مَرْوانِ
فنعمَ مَزْكأً مَنْ ضاقتْ مـذاهبُه
ونِعمَ مَنْ هُو فى سِرٍّ وإعـلانِ)

القول فى الظّرف أنّه يتعلق بنِعْمَ ، وذلك لأنّه لا يخلو من أن يكون خبر هو فى الصّلة ، أو يكون متعلّقاً بنعم . فلا يجوز أن يكون متعلّقا بمحذوف على أن يكون فى موضع خبر هو التى فى الصّلة ، لأنّ التقدير قبل كون الكلام صلة يكون: هو فى سر وإعلان ، وهذا لا معنى له . فإذنْ المعنى كَرُمَ هذا الإنسانُ فى سرّه وعلانيته ، أى ليس ما يفعله من الخير لتصنّعٍ[1] ، فيفعلُ الخيرَ فى السرِّ كما يفعلُه فى العلانية . وإذا كان كذلك احتاج « هو » إلى جزءٍ آخر حتّى تستقلّ الصلة ، وذلك الجزءُ ينبغى أن يكون الذى هو مثله ، ولا يكون الذى هو هو ، لتكون الصلة شائعة فلا تكون مَنْ مخصوصة ، لأنّها فاعل نعم . فإن قدّرت الذى هو هو وأنت تريد الذى هو مثله فتحذف المضاف فيصير الذى هو هو معناه مثلُه جاز أيضًا . وقد يجوز فى القياسِ أن تجعل مَنْ نكرة . فإذا جُعِلَتْ نكرةً احتاجت إلى صفة ، فتكون الجملة التى قدّرتها صلةً لها مقدَّرة صفة ، ويكون المقصود بالمدح مضمراً ، لأنّ ذكره قد جرى كما جرى ذكر أيّوب قبل قوله تعالى: ﴿ نِعْمَ العَبدُ[2] ﴾ فاستغنى عن ذكر ما يخصُّه بالمدح وإظهارِه . ويجوز فى القياس أن تجعل مَنْ نكرة ولا تجعل له صفة كما فُعل ذلك بما ، فى قوله تعالى: ﴿ فنِعِمَّا هِىَ[3] ﴾ . فإذا جعلتها كذلك

(١) لتصنع ، أى بسببه . وكذا وردت باللام فى النسختين .
(٢) الآية ٣٠ من سورة ص .
(٣) الآية ٢٧١ من سورة البقرة .

كان كأنَّه قال : فنعم رجلا ، فيكون موضع مَنْ نصباً ويكون هو كناية عن المقصود بالمدح . ووجه القياس فى الحكم على مَنْ أنَّها نكرة غير موصوفة أنَّهم جعلوا ما بمنزلة شىء ، وهو أشدُّ إشاعةً وإبهاماً مِنْ مَنْ . فإذا جازَ أن لا توصف مع أنَّها أشدُّ إبهاماً من مَنْ كان أن لا تُوصَف مَنْ أجوَز ، لأنَّها أخصُّ منها ، فيصير كأنَّه قال : نعم رجلاً هو ، لأنَّها تخصُّ الناس ومَنْ أشبههم ، كما كانت ما تعمُّ الأشياء . إلاَّ أنَّا لم نَعلمهُم فى الاستعمال تركوا مَنْ بغير صفة كما تركوا ما غيرَ موصوفةٍ فى الخبر ، نحو التعجُّب والآيةِ التى تَلوْناها . انتهى كلام أبى علىّ .

١١٦

وقد نسب ابن هشام (فى المغنى) هذا التَّخريجَ الأَخيرَ إلى أبى على ، ونسب الأَوَّل إلى غيره . قال فى بحث مَنْ ، وفى الباب الثالث : إنَّ مَنْ تأتى نكرة تامّة عند أبى على ، قاله فى قوله :

* ونعم من هو فى سرٍّ وإعلانِ *

فزعم أنَّ الفاعل مستتر ومَنْ تمييز ، وقوله هو مخصوصٌ بالمدح ، فهو مبتدأٌ وخبره ما قبله ، أَوْ خبرٌ لمبتدإٍ محذوف . وقال غيره : مَنْ موصولٌ فاعل ، وقوله هو مبتدأٌ خبره هو آخرُ محذوف ، على حدِّ قوله :

* وشعرِى شعرِى[1] *

والظرف متعلِّق بالمحذوف لأَنَّ فيه معنى الفعل ، أى ونعم مَن هو الثَّابت فى حالتَى السرّ والعلانية . قلت : ويحتاج إلى تقدير « هو » ثالثٍ يكون مخصوصاً بالمدح . انتهى .

---

(١) لأبى النجم العجلى ، وهو الشاهد ٧١ فى الخزانة ١ : ٤٣٩ . وتمام الشطر :
* أنا أبو النجم وشعرى شعرى *

وصاحب هذا القول هو ابنُ مالكٍ ، قال (فى شرح الكافية) : هو مبتدأٌ خبره هو آخرُ محذوف ، والتقدير : ونعم من هُوَ هُوَ فى سرٍّ وإعلان . وفى متعلقة بهو المحذوف لأَنَّ فيه معنى الفعل . ا هـ .

وعُرِف ضعف تقديره « هو هُوَ » من كلام أَبى علىّ .

وقد ردَّ ابن مالك (فى شرح التسهيل) الوَجهَ الثالث ، قال : لايصحُّ لوجهين : أَحدهما أَنَّ التمييز لا يقع فى الكلام بالاستقراء إلاَّ نكرةً صالحة للأَلف واللام ، ومَنْ بخلاف ذلك ، فلا يجوز كونُها تمييزًا . الثانى : أَنَّ الحكم عليها بالتمييز عند القائِل به مرتَّب على كون مَنْ نكرة غير موصوفة ، وذلك منتفٍ بإجماعٍ فى غير محلِّ النزاع ، فلا يُصار إليه بلا دليلٍ عليه . فصحَّ القول بأَنَّ مَنْ فى موضعٍ رفع بنعم إذ لا قائلَ بقولٍ ثالث . ا هـ .

ورفعها بِنعْم عنده إنَّما يكون على جعلها موصولةً بمعنى الذى ، لأَنَّه الذى ذكره . وأَما جعلها نكرة موصوفة بالجملة التى بعدها ، كما هو الوجه الثانى فى كلام أَبى على ، فلا . وهو واردٌ على قوله : « إِذْ لا قائل بقولٍ ثالثٍ » فتأَمَّلْ . ويكون هذا من لغة مَن يرفع بنعم النكرة كما يأْتى بعد هذا .

وأَجاب التِّبريزى (فى شرح الكافية) بأَنَّ نحو نعم غلامَ رجل زيد بنصب الغلام ، تمييزٌ . ولم يقبل اللام . وأَيضاً كونه فاعلاً لا يصحُّ إلاَّ إذا كان معرَّفاً باللام ، أَو مضافاً إلى المعرَّف باللام . ومَنْ ليس شيئًا من ذلك .

وأَما الثانى فمعارَضٌ بمثله فى هذه الصُّورة فيما تقدَّم . أَمَّا فى هذه

الصورة إنّما[1] يجوز أن يقع فاعلا إذا كان معرَّفاً باللام أو مضافاً إليه ، وليس كذلك . وأما فى غير هذه الصُّورة إنَّما تقع ما فاعلا معرفةً إذا كان فى غير صورة : ﴿ نِعِمَّا هِىَ﴾ ثبت كونُها معرفةً غير موصولة ، ولا يصار إليه من غير دليل . وأَمَّا المصراع الذى قبل هذا وهو :

* ونِعم مَزْكاً مَنْ ضاقت مذاهبُه *

فقد قال ابنُ مالكٍ : إنّ مَن فيه موصولة أيضاً ، قال (فى شرح تسهيله) : ومما يدلُّ على أَنَّ فاعل نعم قد يكون موصولاً ومضافًا إلى موصول قولُ الشاعر :

ونِعم مُزْكَأً مَنْ ضَاقتْ مَذَاهِبُهُ . . . . البيت

قال : فلو لم يكن فى هذا إلّا إسنادُ نعم إلى المضاف إلى مَنْ لكان فيه حُجَّةٌ على صحة إسنادِ نعم إلى مَن ، لأَنَّ فاعل نعم لا يضاف فى غير نُدور إلى ما يصلح إسناد نعم إليه ، فكيف وفيه نعم مَن هو . ا هـ .

١١٧

قال المرادىّ : ولا حجَّة فى البيت ، لاحتمال أن تكون مَنْ فى قوله : « مزكاً مَنْ » نكرة موصوفة ، وتكون نعم قد رفعت المضافَ إلى النكرة على ما تقدَّم نقلُه عن الأخفش . ا هـ .

وقوله : « وكيف أرهب » إلخ ، الرَّهَب محركة : الخوف . وأُراع بالبناء للمفعول ، من الرَّوع وهو الفَزع . وزَكأً بالزاى المعجمة والهمز فى آخره ، أى لجأ . يقال زكأْتُ إليه : لجأْتُ إليه . والمَزْكأُ مَفْعَل ، اسم مكان منه ، بمعنى الملجأ .

---

(١) كذا بسقوط الفاء فى النسختين فى هذا الموضع والموضع التالى أيضاً .

بشر بن مروان

وبشر هو ابن مَرْوان بن الحكم بن أبي العاص بن أُميَّة القرشي العَبْشَمىّ الأَموىّ ، كان سمحاً جوادا . ولىَ إمرةَ العراقين لأَخيه عبد الملك وهو أوّل أميرٍ مات بالبصرة ، وذلك سنة خمس وسبعين ، عن نيِّف وأربعين سنة .

والبيتان لم أَقف على قائلهما . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد السبعمائة[1] :

٧٦٨ (فنِعْمَ صاحبُ قومٍ لا سِلَاحَ لهُمْ)

على أن مجيء فاعل نعم نكرةً مضافة إلى مثلها قليل .

قال المرادىّ (فى شرح التسهيل) بعد قول ابن مالك : « وقد ينكَّر مفردًا أو مضافاً[2] » : حكى الأَخفش أَنَّ ناساً من العرب يرفعون بنعم النكرةَ مفردةً ومضافة ، فيقال على هذا : نعم امرؤٌ زيد ، ونعم صاحبُ قومٍ عَمْرٌو . ووافق الأَخفش فى كون الفاعل نكرةً مضافةً . وإلى هذا ونحوِه أشار بقوله « وفاعل فى الغالب[3] » . ونُقل إجازة كونِه مُضافاً إلى نكرة عن الكوفيِّين وابن السَّرَّاج . ومَنَعَ ذلك عامّةُ النحويِّين إلاَّ فى الضرورة ، كقوله :

فنعم صاحبُ قومٍ لا سلاحَ لهمْ
وصاحبُ الرَّكب عثمان بن عفّانا

(١) ابن يعيش ٧ : ١٣١ والمقرب ١ : ٦٦ والعينى ٤ : ١٧ والهمع ٢ : ٨٦ والأشمونى ٣ : ٢٨ .

(٢) التسهيل ١٢٧ .

(٣) نص التسهيل ١٢٦ : « فاعل نعم وبئس فى الغالب ظاهر معرف بالألف واللام ، أو مضاف إلى المعرف بهما مباشراً أو بواسطة » .. الخ . ثم قال : « وقد ينكر مفرداً أو مضافاً » .

وقد كان يمكن تأْويل هذا البيت على حذف التمييز لولا أَنَّ الأَخفش حكى أَنَّ ذلك لغةٌ للعرب . وزعم صاحبُ البسيط[١] أَنَّه لم يرد نكرةً غير مضافة . وليس كما زعم ، بل ورد ولكنَّه أَقلُّ من المضاف . ومنه قوله[٢] :

وسَلمى أَكْملُ الثَّقَلين حُسناً وفى أَثوابها قَمَرٌ ورِيمُ
نِيافُ القُرطِ غَرّاءُ الثَّنايا ورِيد للنِّساءِ ونعم نِيم[٣]

والنِّيم : الضَّجيع والضجيعة[٤] . وأَجاز بعضُ النحويِّين أَن يكون فاعل نعَم وبئس مضافا إلى ضمير ما فيه الأَلف واللام ، فأَجاز : القومُ نعمَ صاحبُهم أَنت . وأَنشد :

* فنعمَ أَخو الهَيْجا ونِعْمَ شِهابُها[٥] *

قال بعضهم : والصَّحيح المنع . وهذا ممَّا يُحفَظ ولا يقاس عليه . اهـ.

وبقى فى القسمة النكرة الموصوفة كما تقدَّم فى الشاهد قبل هذا .

وقال أَبو على (فى المسائل البصرية) : اعلم أَنَّ العرب تجعل ما أَضيف[٦] إلى ماليس فيه أَلف ولامٌ بمنزلة ما فيه الأَلف واللام فترفعه ،

---

(١) هو ركن الدين حسن بن محمد الإستراباذى الحسنى المتوفى سنة ٧١٧ . وفى كشف الظنون أن له ثلاثة شروح على كافية ابن الحاجب : كبير وهو المسمى بالبسيط ، ومتوسط وهو المسمى بالوافية ، وصغير .

(٢) هو تأبط شراً ، كما فى اللسان (نوم ٧٩) . والريم : الرئم ، وهو الظبى الخالص البياض .

(٣) فى النسختين : « تيم » بالتاء . وفى حواشى ش : « كذا بخط المؤلف ، والصواب نيم بالنون » . أما الريد فهى مسهلة الرئد بالهمز ، وهى الترب بكسر التاء . ورئد الرجل كذلك : تربه .

(٤) فى النسختين هنا أيضاً : « التيم » بالتاء تحريف . وفى اللسان : « قيل عنى بالنيم القطيفة ، وقيل عنى به الضجيع » .

(٥) لم يوقف له على قائل ولا على تتمة .

(٦) عبارة : « ما أضيف » ساقطة من ش .

كما ترفع ذلك ، فتقول : نعم أَخو قومٍ زيد . قال :

* فنعم صاحبُ قومٍ لا سلاحَ لهم *

هو بمنزلة صاحب القوم . فإن قلت : لَعلَّهُ ينشَد بالنصب « صاحبَ قوم » ؟ قلت : لا يكون ذلك لأَنَّك لاتعطف معرفة مرفوعة على نكرةٍ منصوبة . وهذا ضعيف. ولو قلت : نعم رجلاً فى الدار وزيدٌ ، لم يجُزْ لأَنَّه ليس قبل زيد شىءٌ يعطف عليه ، لأَنَّ فى الدار ليس باسم ، ورجلاً نكرة منصوبة . ا هـ . ١١٨

وقال ابن برى (فى [شرح[1]] أبيات الإيضاح لأَبى على) : زعم الأَخفشُ أَنَّ قوماً من العرب يرفعون النكرة المضافة إلى ماليس فيه الأَلف واللام بنعم . قال أَبو على : ولا يجوز ذلك على مذهب سيبويه ، لانَّ المرفوع بنعم لا يكون إلاَّ على الجنس . ولو قلت : أَهلكَ الناسَ شاة وبعيرٌ ، لم يدل على الجنس كما دلَّت عليه الشَّاة والبعير . ولا يجوز صاحبَ قوم بالنَّصب ، لقوله « وصاحبُ الركب » ، ولا يعطف مرفوع على منصوب . ولا يكون معطوفاً على مضمر فى نعم ، لأَنه مضمر يحتاج إلى التفسير ، فكأَنَّه لم يتمّ ، فلا يجوز إظهارُه ولا تأْكيدُه ولا العطفُ عليه . وإذا قبح العطف على المضمَر المرفوع بالفعل دون تأْكيده فأَن لا يجوز هذا أَولَى ، لمَا بيَّنَّاه . انتهى كلامه .

قال ابن يعيش : ولو نصبت صاحبَ قوم فى غير هذا البيت على التَّفسير لجاز ، كما تنصب النكرة المفردة فى نحو : نعم رجلاً ، لكنه ضعيف ههنا ، لعطفك فى قولك : « وصاحب الركب عثمان » ، والمرفوع

---

(١) التكلة من ش .

لا يعطف على المنصوب. وكأنَّ الذى حسَّن ذلك فى البيت قوله: «وصاحب الركب» لمَّا عطف عليه ما فيه الألف واللام دَلَّ على أنَّها فى المعطوف عليه مُرادة، لأن المعنى واحد فاعرفْه. والبيت لكثيِّر بن عبد الله النَّهشلى المعروف بابن الغريزة. وقيل لحسَّان بن ثابت. اهـ.

وقد راجعتُ ديوان حسان فلم أجدْه.

وقال العينى: عزاه ابنُ السِّيرافى (فى شرح أبيات الإيضاح) لكثيِّر ابن عبد الله المذكور.

وقد راجعته أيضاً فلم أجده فيه.

وقال أيضاً: ونسبَه صاحب (المُوعَب فى اللغة[1]) وأبو حاتم (فى كتاب إصلاح المُفْسَد) إلى أوس بنَ مَغْراءَ. وقبله:

ضَحَّوْا بأَشمَطَ عُنوانُ السُّجودِ به
يقطِّع الليـــل تسبيحاً وقـــرآنا

وأقول: ذكر الذهبى (فى تاريخه) أنَّ هذا البيت من أبيات لحسَّان ابن ثابت.

وقد راجعتُ ديوانه فرأيت أبياتًا على هذا الوزن، وما فيها هذا البيت. والله أعلم.

كثير النهشلى — وكثيِّر بن عبد الله المذكور أورده ابن حجر (فى قسم المخضْرَمين

(١) هو ابن التيانى، كما فى إقليد الخزانة ١٢٢. وقال الميمنى: «عثروا عليه ووصفوه فى مجلة لغة العرب سنة ١٣٣٢ هـ. وذكروا أن نسخته فى ١٢٤ ورقة». وانظر لترجمة ابن التيانى إنباه الرواة بتحقيق الأستاذ أبو الفضل إبراهيم ١: ٢٥٩ حيث تكفل بذكر مراجع ترجمته، وأضف إليها جذوة المقتبس ص ١٧٢. وقد سبق ذكر هذا الكتاب فى الخزانة ٣: ٣٠١.

من الإصابة) قال : هو كثيِّر بن عبد الله بن مالك بن هَبيرة بن صَخْر ابن نَهْشل بن دارم بن مالكِ بن حنظلة ، يعرف بابن الغَرِيرة النَّهشلي[١] ، ذكره المرزباني (في معجم الشعراء) وقال : شاعر مخَضرمٌ بقِيَ إلى إمرة الحجَّاج . وهو الذي يقول في قصيدةٍ رثى بها عثمان بن عفَّان :

لعمرُ أبيكَ فلا تجزَعَنْ ... لقد ذهب الخيرُ إلَّا قليلا
وقد فُتِنَ الناسُ عن دينِهم ... وخَلَّى ابنُ عفَّانَ شرًّا طويلا[٢]

وقال أبو الفرج الأصبهاني : كان شاعراً مخضرماً ، أدرك الجاهليَّة والإسلام ، وغزا الطَّالِقان في عهد عُمرَ مَع العبّاس بن مرادسٍ وأخيه . وأنشد له في ذلك أبياتًا منها[٣] :

سَقَى مُزنُ السَّحابِ إذا استهلَّت ... مَصارِعَ فِتْيةٍ بالجُوزَجانِ

١١٩ وقوله : « ضحَّوا » إلخ أي ذبحوه كالأُضْحِيَّة . في المصباح : وضحَّى تضحية ، إذا ذبح الأُضحيَّة وقتَ الضُّحى . هذا أصله ثم كثُر حتَّى قيل ضحَّى في أيِّ وقت كان من أيام التَّشريق . ويتعدَّى ، أي بالحرف . فيقال ضحيَّت بشاة . قال ابن برى : قوله ضَحَّوْا أي جعلوه بدل الأُضحيَّة كأنَّهم قتلوه في أيام لحوم الأضاحى ، وذلك يومَ الجمعة لثمانِ عشرةَ ليلةً خلَتْ من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة . انتهى .

والشَّمَطُ بالتحريك : بياضُ الشَّعَرِ من الرأسِ يخالط سوادَه ، والرجل أَشمطُ ، والمرأة شمطاءُ . وشَمِط يَشمَطُ من باب فرح . وعُنوانُ مبتدأٌ بمعنى

(١) الغريرة أمه ، وقيل جدته ، وكانت سبية من بني تغلب . معجم المرزباني ٣٤٩ .
(٢) ط : « فتر » ، صوابه في ش . وفي معجم المرزباني : « فني » ، تحريف .
(٣) يرثى بها من قتل من أصحابه بالطالقان والجوزجان . والقصيدة في عشرين بيتا عند أبي الفرج ١٠ : ٩٢ .

علَامة ، وبه خبره ، والجملة صفة أَشمط . وقال العينى : عنوان السُّجود حال من ضمير يقطِّع ، ويجوز جرُّه على النعت لأَشمط ، كأَنَّه قال : بأَشمطَ ظاهرِ الخَيْر . قال أَبو الحجَّاج : وقد يكون حالا من أَشمط وإن كان نكرة ، لأَنَّها مفهومُ مَن يراد بها[1] . هذا كلامه .

وأَقول : الحاليَّة لا تجوز لا لفظًا ولا معنًى على الأَوّل ، ولا لفظًا على الثانى للتعريف .

وقوله : (فنعم صاحبُ قوم) إلخ قال العينى : إشارةٌ إلى فضلِ عثمان رضى الله تعالى عنه ، وأَنَّه يَغْنَى يومَ القيامة بالشَّفاعة غِنَى مَنْ دافع فى الدُّنيا بسلاحِه عن عُزَّل الجماعة . وقد يكون السِّلاح أَيضًا عبارةً عن بذله لماله وتوسِعَته لصَحْبه ، فيكون ذلك أَجدَى من السِّلاح لحامله .

هذا كلامه ، وليس معنى الشِّعر ، إنَّما معناه إشارةٌ إلى قوله يوم الدَّار : « مَنْ رمى سِلاَحه كانَ حُرًّا » .

وقوله (صاحبُ الرَّكْب) ، أَى رَكْبِ الحجّ .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد السبعمائة[2] :

٧٦٩ (أَو حُرَّةٌ عَيْطلٌ ثَبْجاءُ مُجفَرَةٌ
دعـائمَ الزَّوْرِ نِعْمَتْ زورقُ البَلدِ)

على أَنَّه قد يؤنَّث (نعم) لكون المخصوص بالمدح مؤنَّثاً وإن كان الفاعلُ مذكَّراً ، فإنَّه أَنَّث نعم مع أَنَّه مسنَدٌ إلى مذكَّر ، وهو زورقُ البلد .

(١) كلمة « بها » ساقطة من ش .

(٢) ابن يعيش ٧ : ١٣٦ والمقرب ١ : ٦٨ وديوان ذى الرمة ١٤٦ .

لأنَّه يريد الناقة ، فأنَّث على المعنى كما أُنِّث مع البلد فى قولهم : هذه الدار نعمت البلد ، حين أَراد به الدَّار . وكقول الراجز :

نعمَتْ جزاءُ المتَّقِينَ الجَنَّه　　دارُ الأَمــانى والمُنَى والمِنَّه[1]

و (الحُرّة) : الكريمة ، وأَراد بها الناقة . و (العيطل): الطَّويلة العُنق. و (ثَبْجاءُ) بفتح المثلثة وسكون الموحَّدة بعدها جيم : الضَّخمةُ الثَّبَجِ ، وهو الصَّدْر . كذا جاء فى تفسير هذا الشعر . والثَّبَجُ ، بفتحتين : ما بين الكاهل إلى الظهر . أَى إنَّ هذا منها عظيم . وقال ابن يعيش : ثبجاءُ : عظيمة السَّنام . و (المُجْفَرة) بضم الميم وسكون الجيم وكسر الفاء : العظيمة الجنْبِ الواسعةُ الجوف . والجُفْرة بالضم : الوسَط ، يقال فرس مُجفَر وناقةٌ مُجْفَرة ، إذا كانت عريضة الجِرْم . وصَفَها بأَنَّها عظيمة القوائم ، وكنَى عن ذلك بدعائم الزَّور . و (الدَّعائم) : القوائم . و (والزَّور) بفتح الزاى : أَعلى الصَّدر . وقال ابن المستوفى : دعائم الزَّور : الضلوع ، وكلُّ ضِلع دِعامة . وانتصب دعائمَ الزَّور على التشبيه بالمفعول به ، فهو من باب الحسن الوجْهَ . وقيل انتصابه على التمييز[2] وهو ضعيف ، لأَنَّه معرفة . واخطأَ من وجهين صاحبُ[3] (التخمير) و (الموشّح) فى قولهما : إنَّه منصوب على التَّمييز للمخصوص بالمدح المحذوف وناصبه نعمت . و (زورق) فاعل نعم ، والمخصوص بالمدح محذوف ، وهو ضمير الحُرّة ، أَى هى . و (الزَّورق) : السفينة . و (البَلَد) : الأَرضُ والمفازة . وهذا كقولهم : الإبلُ سُفُن البرِّ ؛ فإنَّ

١٢٠

(١) شذور الذهب ٢١ .
(٢) ش : « وقيل على التمييز » بإسقاط « انتصابه » .
(٣) كذا فى النسختين ، وهو وجه جائز فى العربية على حذف المضاف من الثانى لدلالة الأول عليه .

الإبل تشبَّه بالسُّفن ، والمفاوزُ بالبحار. وهذا التشبيه شائع . قال أبوعبيدٍ (فى الغريب المصنف) : البُوصىُّ : الزَّورق . وتعقَّبه علىُّ بن حمزة البصرى بأَنَّ البُوصىَّ إنَّما هو من سُفن البحر ، وهو بالفارسية : بُوزى ، والزَّورق بالنَّبطية ، وقد تكلَّمت به العرب ، وجمعه الزَّوارق . والزَّورق ممَّا يجرى فى الماءِ العذب بدِجلة والفرات . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لذى الرُّمَّة ، مدح بها بلالَ بن أَبى بُردة . وقبله :

أبيات الشاهد

(ومَنْهــلٍ آجن قَفــرٍ مَحَــاضِرُهُ
خُضْرٍ كواكبُه ذى عَرْمَضٍ لَبِــدِ
فــرَّجت عن خــوفه الظلماءَ يحمِلُنى
غَوْجٌ من العِيد والأَسرابُ لم تَرِدِ[1]
باقٍ على الأَين يُعطِى إن رفَقت به
مَعْجا رُقاقاً وإن تَخْرَق به يَخِــدِ[2]
أَوحُــرَّةٌ عيطــلٌ ثبجــاءُ مُجفَــرة
. . . . البيت
لانت عريكتُهــا من طول ما سمِعَتْ
بين المفاوز تَنْآمَ الصَّدَى الغَــرِدِ
حنَّت إلى نَعَمِ الدَّهنا فقلتُ لهــا
أُمِّى بلالاً على التوفيق والرَّشَــدِ)

المنهل : المورد ، والواو: واو رب . والآجِن : الماءُ المتغيِّر الطعم واللَّون .

---

(١) ط : « العبد » فى هذا البيت وفى تفسيره التالى ، صوابه فى ش والديوان .
(٢) ط : « إن رفعت » ، صوابه فى ش والديوان .

وأَجَنَ الماءَ يأْجِنُ ويأْجُنُ من باب ضرب ونصر ، أَجْناً وأُجوناً . وحُكِى أَجِنَ من باب فرح . والمحاضر : جمع مَحضر كجعفر ، وهو المرجع إلى المياه . وكوكب الشيء : معظَمُهُ . والعَرْمَضن ، كجعفر ، بإهمال الأَوّل وإعجام الآخِر : الطُّحلب ، وهو الأَخضر الذى يعلو الماءَ . واللِّبِد بكسر الموحدة : المتلبِّد المتراكبُ بعضُه على بعض .

والظَّلماءَ مفعول فَرّجتُ . وجملة يَحملُنى حالٌ من تاءِ فرَّجت . والغَوج ، بفتح المعجمة وسكون الواو بعدها جيم : اللَّيِّن المعاطف من الإبل والخيل . والعِيد ، بكسر المهملة : فحلٌ منجبٌ من الإبل[1] . والأَسراب : جمع سِرب بالكسر ، وهو القطيع من القطا ، والظباءِ ، والوحش ، والنِّساءِ . وتَرِدُ ، مِن وُرود الماءِ .

والأَين : التَّعب . والمَعْج ، بفتح الميم وسكون العين المهملة بعدها جيم : سُرعة السَّير . والرُّقاق بضم الراءِ : الرقيق . وتَخرَق بفتح الراءِ : مضارع خَرِق بكسرها خَرَقاً بفتحتين ، إذا عمل شيئًا فلم يرفُق به ، والاسم الخُرْق بالضم ، وهو العُنْف . ويَخِدُ من الوَخْد ، وهو ضربٌ من سير الإبل ، وهو أن يَرمِىَ بقوائمه كمشْى النَّعام .

والعريكة : الخلُق . والتَّنْآم : تفعالٌ من النَّئيم ، وهو صوتٌ فيه

---

(١) فى اللسان (عود) : « كأنه ضرب فى الإبل مرات » . وهذا تعليل لتسمية هذا الفحل . وهو أحد أقوال فى نسبة العيدية ، وقيل العيدية منسوبة إلى عاد بن عاد ، أو عادى بن عاد ، على النسبة الشاذة فيهما . وقيل منسوبة إلى بنى العيد قبيلة . وتجد هذه الأقوال جميعها فى اللسان . وفى شرح ديوان ذى الرمة : « العيد قبيلة من مهرة إبلهم نجائب » .

وفى الاشتقاق ٥٥٢ عند الكلام على مهرة بن حيدان : « ومنهم بنو عيدى ، تنسب إليهم الإبل العيدية . وفى نهاية الأرب للقلقشندى ٦٩ : « بنو العيدى بكسر العين وسكون المثناة : بطن من مهرة من قضاعة ، وهم بنو العيدى بن فدعى بن مهرة » .

ضَعف كالأَنينِ . والصَّدَى : ذَكَر البُوم . والغَرِد بكسر الراء : المتطرِّب فى الصَّوت . والغَرَد بفتحها : الغِناءُ ، يقال غَرِدَ الطائر ، من باب فرح .

والنَّعَم بفتحتين : الإبل . والدَّهنا : موضعٌ ببلاد تميم ، يمدُّ ويقصر . وأُمِّى : اقصِدى .

وترجمة ذى الرمة تقدَّمت فى الشاهد الثامن من أول الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد السبعمائة[2] :

٧٧٠ (بُعْدَ ما مُتأَمَّلِى)

وهو قطعةٌ من بيت من معلَّقة امرئ القيس ، وهو :

(قَعَدتُ له وصُحبتى بَيْنَ ضارجٍ
وبين العُذَيبِ بُعْدَ ما مُتأَمَّلِى)

١٢١ على أنَّ (بُعْدَ) فيه للمدح والتعجُّب ، وأصله بَعُدَ بفتح الباء وضم العين أصالَة ،أُلحِقَ بفِعْل المدح . ويجوز فى بائه وجهان : فتحها وتسكين عينها بحذف حركتها ، وضمّها بنقل حركة عينها إليها ، كما يجوز فى كلّ فعل المرادُ به المدح أو التعجُّب ، كماقال الشارح المحقِّق فى آخر الفصل وصوَّره بهذا البيت .

وقد روى أيضاً بالوجهين . قال العسكرى (فى كتاب التصحيف) : رواه أبو إسحاق الزيادى عن الأصمعىِّ «بُعْدَ» مضمومة الباء ، ومعناه يا بُعْدَ ما تأمَّلت ، على التعجب ، أى تثَبتٌ فى النظر أين يَسقِى[3] . ورواه أبو حاتم : « بَعْدَ » بفتح الباء ،وقال : خفَّف بَعُدَ فأسكن العين وبقيت الباءُ مفتوحة ، مثل كَرُمَ وكَرْمَ . انتهى .

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .
(٢) التصحيف للعسكرى ٢٢٥ وشرح شواهد الشافية ٣٩ ورصف المبانى للمالقى ٥٢ .
(٣) فى التصحيف : « أين تسقى » ، وما هنا صوابه .

وفيه ردٌّ على ابن مالك (فى التسهيل) فى اشتراط نقل ضمّ العين إلى الفاء بكون الفاء حرفاً حلقيًّا كحَبّ وحَسن . و« ما » بعدَ « بُعْدَ » إمّا زائدة ، ومتأمَّلِى فاعل بعد وهو مضاف إلى الياء ، والرفع فيه مقدَّر ، والمخصوص بالمدح محذوف . وإمّا اسمٌ نكرةٌ منصوبةُ المحلّ على التمييز للضمير المستتر فى بعد ، ومتأمَّلِى هو المخصوص بالمدح والتعجُّب ، فتكون « ما » كما فى قوله تعالى : ﴿ فنِعِمَّا هى[1] ﴾ .

أبيات الشاهد

وقبْلَ هذا البيت :

(أَصاح ترى بَرقاً أُرِيكَ وميضَــهُ
كلمــع اليَــدينِ فى حبــىٍّ مُكَلَّلِ

يُضِىءُ سنَاهُ أَو مصــابيحُ راهبٍ
أَهــانَ السَّلِيطَ بالذُّبالِ المفتَّــلِ

قعدت له وصحبتى . . . .) البيت

قوله : « أَصاح ترى » إلخ ، الهمزة لنداء القريب . وصاح : مرخم صاحب ، وحذف همزةُ الاستفهام بعده للضَّرورة . والوميض والإِيماض : اللَّمعان . يقال ومَض البرقُ وأَومَض ، إذا لمع وتلألأ . واللَّمْع :التحرُّك والتحريك جميعاً . والحَبِىُّ بالحاءِ المهملة وكسر الموحَّدة ، وهو السَّحاب[2] المتراكِم ، سمِّى به لأَنَّه حبَا بعضٌ إلى بعض[3] أى تراكم . وجعلهُ مكلَّلا ، لأَنَّه صار كالإِكليل لأَسفله . ومنه قولهم : كلَّلت الرجل ، إذا توَّجتَه . ويروى: « مكلِّل » بكسر اللام : اسم فاعل من كلَّل تكليلا ، إذا تبسَّم .

---

(١) الآية ٢٧١ من البقرة .

(٢) ش : « هو السحاب » بدون واو .

(٣) كذا فى النسختين ، أى بعض منه .

يقول : يا صاحبي هل ترى برقا أُريك لمعانَهُ في سحابٍ متراكم صار أَعلاهُ كالإكليل لأَسفله ، أَو في سحابٍ متبسِّم بالبرق ، يشبِهُ برقهُ تحريكَ اليدين . أَراد بتحريك تحرُّكهما . وتقدير البيت : أُريك وميضَه في حَبِيٍّ مكلل كلمع اليدين. شبَّه لمعان البرق وتحرِيكه بتحرُّك اليدين .

وقوله : « يضيءُ سَناه » إلخ السَّنا بالقصر : الضَّوءُ ، يقال سَنا يَسنُو . والسَّليط : الزَّيت ، وقيل الشَّيرج[1] ، وسمِّي سليطًا لإِضاءَتِه السِّراج ، ومنه السُّلطان لوضوح أَمره . والذُّبال : جمع ذبالة ، وهي الفتيلة . ومعنى أَهان السَّليط أَنَّه لم يُعِزَّه وأَكثَرَ الإيقاد به . وروى : « أَمال السليط » ، فقيل من المقلوب ، وتقديره أَمال الذُّبال بالسَّليط ، إذا صبَّه عليه . وقال بعضهم : تقديره : أَمال السَّليط مع الذُّبال ، يريد أَنَّه يُميل المِصباحَ إلى جانب فيكون أَشدَّ إضاءَة لتلك الناحية من غيرها . يقول : هذا البرق يتلألأُ ضوءُه ، فهو يشبه في تحرُّكه لمعَ اليدين أَو مصابيحَ الرُّهبانِ التي أُميلت فَتائلُها بصبِّ الزَّيتِ عليها في الإضاءَة ، يريد أَن تحرُّكه يحكي تحرُّكَ اليدين ، وضوءَه يحكي ضوءَ مصابيح الرُّهبان . هذا ما نقلته من شرح الزوزني .

ومصابيح بالجر معطوف على لمع .

وقوله : « قعدتُ له » إلخ قال الخطيب التبريزي : صُحبَة بالضم :

---

(١) جاء في استدراك التاج (شرج) : « والشيرج كصيقل وزينب : دهن السمسم ، وربما قيل للدهن الأبيض ، وللعصير قبل أن يتغير ، تشبيهاً به لصفائه . وهو ملحق بباب فعلل نحو جعفر ، ولا يجوز كسر الشين ، والعوام ينطقون به بإهمال السين مكسورة ، وهو معرب » . وقال في (سرج) : « معرب سيره » .

١٢٢ اسم جمع صاحب . وضارج والعُذيب : مكانان . أى قعدت لذلك البرق أنظر من أين يجىء بالمطر .

ومعنى قوله : (بُعْدَ ما متأمَّلى) : ما أبعد ما تأمَّلت . وحقيقته أنّه نداءٌ مضاف . والمعنى : يا بعد ما متأمَّلى ، أى يا بعد ما تأمَّلت . وروى الرياشىُّ بفتح الباء وهى تحتمل معنيين : أحدهما أنَّ المعنى بَعُد ، ثُمَّ حذف الضمة . ويجوز أنْ يكون المعنى بَعْدَ ما تأمَّلت . هذا كلامه .

وقال الزوزنى : يقول قعدت للنَّظر إلى السَّحاب وأصحابى بين هذين الموضعين وكنت معَهم ، فبَعُدَ متأمَّلى[1] وهو المنظور إليه ، أى بَعُدَ السحاب الذى كنت أنظر إليه وأرقُب مطَره وأشِيمُ برقه . يريد أنَّه نظر إلى هذا السحاب من مكانٍ بعيد فتعجَّب من بُعْدِ نظره . انتهى .

وحاصلُه أنَّ بَعْد بالفتح فعلٌ ماضٍ مسكَّن العين ، وما زائدة ومتأمَّلى اسم مفعول واقعٌ على السَّحاب مضاف إلى ياء المتكلم ، كما سبق من تقرير كلام الشَّارح المحقق ، من أنَّه مصدر مضاف إلى الياء .

ثم قال الزوزنى : وقال بعضهم : إنَّ ما فى البيت بمعنى الذى ، تقديره بَعُدَ ما هو متأمَّلى ، فحذف المبتدأ ، رتقديره على هذا لقول : بعد السحاب الذى هو مُتأمَّلى . انتهى .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأربعين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد السبعمائة[3] :

٧٧١ (وحُبَّ بها مَقْتولةً حِينَ تُقْتَلُ)

---

(١) ط : « متأمل » ، صوابه فى ش وشرح الزوزنى .

(٢) الخزانة ١ : ٣٢٩ — ٣٣٥ .

(٣) الأصول لابن السراج ١ : ١٣٧ وسر الصناعة ١ : ١٥٩ وابن يعيش ٧ : ١٢٩ ، ١٣٨ ، ٢٤١ وشرح شواهد الشافية ١٤ والعينى ٤ : ٢٦ وديوان الأخطل ٤ .

على أنَّ حُبَّ فيه للمدح والتعجُّب ، وأصلها حَبُب بضم العين للتحويل المذكور . فإنْ نقلنا حركةَ العَين إلى الفاء بعد حذف حركتها صار حُبّ بضم الأوَّل . وإنْ حذفنا ضمة العين صار حَبّ بفتح الأوَّل . والإدغام فى الصورتين واجبٌ لاجتماع المثلين والأوَّلُ منهما ساكن . وفاعلها الضمير المؤنَّث المجرور بالباء ، لأنَّ هذه الصيغة تعجبيَّة لكونها بمعنى أَحبِبْ بها .

قال ابن الحاجب (فى أمالى المفصَّل) : مقتولة نصب على الحال من الضمير فى بها ، وبها فاعل حُبّ ، زيدت فيه الباءُ على غير قياس كقوله : ﴿ كفَى بالله شهيدا[1] ﴾ . وقال صاحب التخمير[2] : الباءُ فى بها ههنا للتعجُّب ، ونظيره قولهم : كفاك بزيد رجلا . وقال ابن السرَّاج[3] : الباءُ دخلَتْ لأنَّها دليلُ التعجُّب ، كما قالوا : إنَّك من رجلٍ عالم[4] ، لم تسقطْ (من) لأنَّها دليل التعجب . وقيل هى كالباء : فى كفى بالله . ومقتولةً حال. انتهى.

قال ابن يعيش : حَبَّ من المضاعف الذى عينُه ولامه من بابٍ واحد ، وفيه لغتان حَبَّ وأَحَبَّ ، وأَحبَّ أكثرُ فى الاستعمال . وأمَّا حَبَّ فوزنه فَعَل بفتح العين ، قال الشاعر[5] :

---

(١) من الآيتين ٨١ ، ١٦٦ من سورة النساء : « وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً » و « والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً » .

(٢) ش : « التحبير » ، صوابه ما أثبت . وجاء فى ترجمة صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمى من معجم الأدباء ١٦ : ٢٥٣ : « وله من التصانيف كتاب المجمرة فى شرح المفصل صغير ، وكتاب السبيكة فى شرحه أيضا وسيط ، وكتاب التجمير فى شرح المفصل أيضا بسيط » ، أى واسع كبير . ولكن صاحب كشف الظنون عند الكلام على (المفصل) ذكر أنه « التخمير » وأن الفخر الأسفيذرى وضع له علامة هى « تخ » . والتخمير : التبخير ، وفى اللسان : « فتخمرت أطنابنا ، أى طابت روائح أبداننا بالبخور » .

(٣) انظر لهذا كتاب الأصول ١ : ١٢٨ — ١٢٩ . ونصه : « والباء دخلت دليل التعجب »

(٤) فى الأصول : « إنك من رجل لعالم » .

(٥) هو غيلان بن شجاع النهشلى ، كما فى اللسان (حبب) والكامل ١٩٢ .

فواللهِ لولا تمرُهُ ما حَبَبْتُه ولا كان أدنى من عُبيد ومُشْرِقِ[1]

فإذا أُريد به المدحُ نقل إلى فعُل ، فتقول : حَبَّ زيد ، أى صار محبوباً ومنه قوله :

* حَبَّ بها مقتولةً حين تُقتلُ *

وكذلك قول الآخر[2] :

* هَجرَتْ غَضُوبُ وحَبَّ من يتجنَّبُ[3] *

وذهب الفرَّاءُ إلى أنَّ حبَّ أَصله حَبُب مضموم العين ، واستدلَّ بقولهم : حبيب ، وفعيلٌ بابه فعُل ، كظريف وكريم من ظرف وكرم . والصواب ما ذكرناه ، لأَنَّه قد جاءَ متعدِّيًا وفعُل لا يكون متعدِّياً . فأَمَّا قولهم حبيب فلا دليل فيه ، لأَنَّه مفعول ، فحبيب ومحبوبٌ واحد ، فهو كجريح وقتيل . وحَبيبٌ من حُبَّ إن أُريد به المدح فاعل كظريف. وحَبَّ فعل متصرف ، تقول منه : حبَّه يَحِبُّه بالكسر ، وهو من الشاذِّ لأَنَّ فعل إذا كان مضاعفًا متعدِّيا فمضارعه يفعُل بالضم نحو ردَّه يرُدّه، وشدَّه يشُدُّه . وقالوا فى المفعول محَبوبٌ ، وقَلَّ مُحَبٌّ . وجاءَ مُحِبٌّ فى اسم الفاعل ، وقَلَّ حابٌّ . انتهى .

١٢٣

(١) فى النسختين : « ومسرق » بالسين المهملة ، صوابه بالمعجمة كما فى الكامل واللسان والخصائص ٢ : ٢٢٠ والمغنى ٣٦١ . وفى الكامل : « وكان عياض منه أدنى ومشرق » بدون إقواء ، لأن قبله :

أحب أبا مروان من أجل تمره وأعلم أن الجار بالجار أرفق

(٢) هو ساعدة بن جؤية الهذلى . ديوان الهذليين ١ : ١٦٧ ، واللسان (حبب ٢٨٣)

(٣) عجزه : * وعدت عواد دون وليك تشعب *

هذا والرواية فى البيت :

(وأَطيِبْ بها مقتولةً حين تُقتلُ) .

بصيغة التعجُّب من الطِّيب . وقبله :

(فقلت اقتُلوها عنكُم بمزاجها)

وقتل الخمر : مَزْجها وكَسْرُ قوَّتها بالماء . جعَل مزجَها بالماء قَتلًا لها .
ورواه أبو حنيفة الدينوريّ (فى كتاب النبات) :

فلَذَّتْ لمرتاحٍ وطابَتْ لشــاربٍ
وأَحبِبْ بهــا مقتولةً حين تُقتَلُ[1]

وقال : إذا كانت الخمر طيِّبةً فهى لذَّةٌ ، نعت لها . وقد لذَّت لشاربها تَلذُّ لذَّة ، ولذَّها شاربُها يَلَذُّها لذًّا ولذاذة . انتهى .

وهذا مركَّب من بيتين كما يأْتى .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ للأَخطل النصرانىّ ، مدح بها خالدَ بن عبدِ الله ابن أُسيد بن أَبى العِيص بن أُميَّة ، وكان أَحدَ أَجواد العرب فى الإِسلام .

وهذه القصيدة أَوّلُ ديوانه ، وقبله :

أبيات الشاهد

(وجاءُوا ببَيْسانيَّةٍ هى بعــدما — يَعُلُّ بها السَّاقى أَلذُّ وأَسهَــلُ
فتُوقَفُ أَحيــاناً فيفصِل بيننــا — غِنــاءُ مغنٍّ أَو شِواءٌ مُرَعبَلُ
فلذَّت لمرتاح وطابت لشاربٍ — وراجَعَنى منهــا مِراحٌ وأَخْيَلُ
فمــا لَبِثَتْنــا نَشوةٌ لحقَتْ بنا — توابعُهــا مما نُعَلُّ ونُنْهَــلُ

(١) ط : « وأحبب لها » ، صوابه فى ش والديوان .

تدبُّ دبيباً فى العظام كأَنَّهُ دَبيبُ نِمالٍ فى نَقًا يتهَيَّلُ

فقلت اقتلوها عنكمُ بِمزاجها وأَطيِبْ بها مقتولةً حين تُقتلُ)

وبيسان ، هى بلدة بغَوْر الشام تنسب إليها الخمر. والعَلَل : الشُّرب الثانى . والشِّواءُ : الكَباب. والمُرعْبَل : المقطَّع. والمراح[1] بالكسر : السرور. والأَخْيَل : الخيَلاءُ والعُجْب . ونَشْوتها : رائحتها . والنشوة : السُّكْر أيضاً . وتوابعها ما لحق من سكرها[2]. والنَّهَل : الشُّربُ الأوّل . كذا فى شرح ديوانه . ونِمال بالكسر : جمع نمل . والنقا : الكثيب من الرَّمْل[3] . ويتهيَّل : يتصبَّب .

وترجمة الأَخطل تقدَّمت فى الشاهد الثامن والسبعين[4]

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد السبعمائة[5] :

٧٧٢ (لا يمنَعُ النَّاسُ منِّى ما أَردْتُ ولا

أُعطِيهِمُ ما أَرادُوا ، حُسْنَ ذا أَدبَا)

على أنَّ (حُسْن) فيه للمدح والتعجُّب ، ويجوز فى مثله أَنْ تنقل ضمة العين إلى الفاءِ كما فَعَل الشاعر ، وأَن تحذفَ وتبقَى الفاءُ على فتحِها .

والبيت أَنشده الجوهرىُّ قال : وقد حَسُنَ الشىءُ ، وإنْ شئت خفَّفت الضم فقلت حَسْنَ الشىءُ ، ولا يجوز أَن تنقل الضمَّ إلى الحاءِ ، لأَنَّه

(١) كذا . مع أن النص هنا وفى الديوان أيضاً : « بمزاجها » بالجيم .

(٢) وتوابعها ما لحق من كسرها ، ساقط من ش . وفى الأصل هنا ، وهو ط : « كسرها » ، والوجه ما أثبت .

(٣) والنقا الكثيب من الرمل ، ساقط من ش .

(٤) الخزانة ١ : ٤٥٩ .

(٥) الخصائص ٣ : ٤٠ وإصلاح المنطق ٤١ والأشباه والنظائر ٣ : ١٤٢ والأصمعيات ٥٦ واللسان (حسن ٢٦٩) .

خَبر ، وإنّما يجوز النقل إذا كان بمعنى المدح أو الذمّ ، لأَنَّه يشبَّه فى جواز النقل بنعم وبئْس ، وذلك أَنَّ الأَصل فيهما نَعِمَ وبَئِس ، فسكن ثانيهما ونقلت حركته إلى ما قبله . وكذلك كلُّ ما كان فى معناهما . قال الشاعر :

لم يمنع الناسُ منِّى ما أَردتُ . . . . البيت

أَراد : حَسُنَ هذا أَدباً ، فخفَّف ونَقَل . انتهى كلامه .

وقال ابن السيرافى : يريد أَنَّهُ يقهر الناس فيمنعُهم ما يريدون منه ، ولا يمنعونه ممَّا يريد منهم ، لعزِّه وقهره . واستحسن هو هذا وجعله أَدباً حسناً . وذا فاعل حَسن ، وأَدباً منصوبٌ على التمييز . انتهى.

١٢٤

وقال الجواليقى (فى شرح أَدب الكاتب) : الأَدَب الذى كانت العرب تعرفه هو ما يحسُن من الأَخلاق وفعل المكارم ، مثل ترك السَّفَه ، وبَذْلِ المجهود ، وحُسْنِ اللِّقاء . قال الغنَوىّ :

لم يمنع الناسُ منِّى ما أَردت . . . . البيت

كأَنَّه ينكر على نفسه أَنْ يعطيَه الناسُ ولا يُعطيهم . واصطلح الناسُ بعد الإِسلام بمدّة طويلة على أَنْ يسمُّوا العالِمَ بالنحو والشعر وعلومِ العرب أَديبًا ، ويسمُّون هذه العلومَ الأَدب ، وذلك كلامٌ مولَّد، لأَنَّ هذه العلوم حدثتْ فى الإِسلام . واشتقاقه من شيئين : يجوز أَن يكون من الأَدْب وهو العَجَب ، ومن الأَدْب مصدر قولك: أَدَب فلانٌ القوم يأْدِبُهم أَدْبًا ، إذا دَعاهم . قال طرفة :

نَحن فى المَشتاةِ ندعُو الجَفَلَى لا ترى الآدبَ فينـا يَنتقرْ

فإذا كان من الأَدب الذى هو العَجَب[1] فكأَنَّه الشئ الذى يُعجَب منه لحُسنِه ، لأَنَّ صاحبه الرجُل الذى يُعجَبُ منه لفضله . وإذا كان من الأَدب الذى هو الدُّعاءُ فكأَنَّه الشيُ الذى يدعو الناسَ إلى المحامد والفضلِ ، فينهاهم عن المقابح والجهل . والفعل منه أَدِبْتُ آدَبُ أَدَباً من باب فرح ، فأَنا أَديب . والمتأَدِّب : الذى قد أَخذ من الأَدَب بحظٍّ ، وهو مُتَفَعِّلٌ من الأَدَب ، يقال منه أَدُب الرّجُل يأْدُب إذا صار أَديباً ، مثل كرُم ، إذا صار كريماً . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لسهم بن حَنْظلة الغَنَوىّ ، أَورد بعضها أَبو تمام (فى كتاب مختار أَشعار القبائل) . وهذا ما أَورده :

أبيات الشاهد

(إذا افتقرتَ نأَى واشتَدَّ جانبُهُ
وإنْ رآكَ غنيًّا لانَ واقتربا[2]

وإن أَتاك لمالٍ أَو لتَنصُرَه
أَثنى عليك الذى تَهْوَى وإنْ كَذَبا

مُدلى القَرابة عند النَّيل يَطلبُه
وهْو البعيدُ إذا نالَ الذى طَلَبا

حُلو اللِّسان ، بعيدُ القلب ، مشتملٌ
على العداوةِ لابن العمِّ ما اصطحبا

الله مُخْلِفُ ما أَنفقتَ محتسباً
إذا شكرتَ ومُؤتيك الذى كَتَبا

(١) شاهده قول منظور بن حبة فى اللسان (أدب) :
بشمجى المشى عجول الوثب غلابة للناجيات الغلب
حتى أتى أزبيها بالأدب

(٢) ش : « وإن رآك غنى » ، صوابه فى ط .

لا بَلْ سَلِ اللهَ ما ضنُّوا عليكَ به
ولا يمُنُّ عليك اللهُ ما وَهَبا
يا للرِّجالِ لأَقوام أُجاورُهم
مُستقبسِينَ ولمَّا يُقْبِسُوا لهبا
يَصلَوْن نارى وأَحميها لغيرهمُ
ولو أَشاءُ لقد كانوا لهَا حَطَبا
مِن الرِّجال رجالٌ لا أُعاتبهُم
ولا تفَزَّع منهم هامتى رُعُبا
مَن لا يزلْ غرضاً أَرمى مَقاتِلَه
لا يتَّقى وهو منِّى واقفٌ كَثَبا
ولا أَسبُّ امرأً إلَّا رفعتُ له
عاراً يُسَبُّ به الأَقوامُ أَو لقَبا
قد يعلم الناسُ أَنِّى مِن خيارِهمُ
فى الدِّين ديناً وفى أَحسابهم حَسَبا
لا يمنعُ الناس منِّى ما أَردت ولا
أُعطيهُم ما أَرادوا ، حُسْنَ ذا أَدبا)

قال التبريزى (فى شرح إصلاح المنطق لابن السكيت) : يريد أَنَّه يقهر الناس فيمنعهم ما يريدون منه ، ولا يمنعونه ما يريد منهم ، لعزَّته . وجعله أَدبا حسنا . هذا تفسير أَبى محمد . ١٢٥

وقال أَبو العلاءِ فى معى هذا البيت : كأَنَّه ينكر على نفسه أَنْ يعطيه النَّاسُ ولا يُعطيهم ويَمنعُهم . وهو الصَّواب ، لأَنَّ ما قبله يدلُّ عليه . وذا فاعل حُسْن . وأَدباً تمييز . وأَراد حَسُنَ فخفَّفَ ونَقَل؛ لأَنَّ

هذا مذهب التعجُّب. وقال الصَّفّار[١] : إنَّ الشاعرَ أنكر على نفسه بان الناس[٢] يُعطونه ويمنعهم ، ثم قال : حسن ذا أدبا ، أى ما أحسن هذا الأَدب ! على سبيل الإنكار والتهكُّم . انتهى .

سهم بن حنظلة

وسهم بن حنظلة : شاعر مخضرم أدركَ الجاهليّة والإسلام . ذكره ابن حجر (فى قسم المخضرمين من الإصابة ، عن المرزبانى[٣]) .

وقال الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) : سهم بن حنظلة بن جَأْوان[٤] ابن خويلد ، أحد بنى شبيبة[٥] بن غنىّ بن أعصر ، فارسٌ مشهور ، وشاعر مُحسن ، وهو القائل :

كم من عدوٍّ قد رمانى كاشحٍ
ونجوتُ من أمر أغرَّ مشهَّرِ
وحَذِرْتُ من أمرٍ فمرَّ بجانبى
لم يُبكِنى ، ولقيتُ مالم أحذَرِ

ثم قال : ومنهم سهمٌ ، صاحبُ القصيدة المختارةِ الطويلة التى يقول فيها :

تُدنِى الفتى فى الغنى للرَّاغبين إذا
ليلُ التِمام أهمَّ المُقْتِرَ العَزَبا[٦]

(١) ط : « الصوار » ، صوابه فى ش .
(٢) كذا فى النسختين .
(٣) فى الإصابة ٣٧٠٣ : « قال المرزبانى : شاعر شامى مخضرم . وأنشد له بيتاً قاله من أبيات » . واقتصر فى ترجمته على هذا النص .
(٤) فى المؤتلف ١٣٦ : « حلوان » ، وما هنا صوابه . وانظر أيضاً جمهرة ابن حزم ٢٤٨ . وقال ابن دريد فى اشتقاقه ٥٦٠ : « فعلان من الجؤوة ، وهو لون من ألوان الخيل دون الصدأة » .
(٥) وكذا فى المؤتلف . لكن فى الاشتقاق ٢٧٠ : « ضبينة » .
(٦) فى المؤتلف : « تدنى الفتى للغنى فى الراغبين »

حتَّى تمــوَّلَ يومــاً أو يقــالَ فتًى
لاقَى التى تَشْعبُ الأَقــوامَ فانشعبا

انتهى .

وقد أخطأَ فى هذا ، فإنَّ صاحب القصيدة هو سهمٌ الذى ذكره أوّلا ، والبيتان من تلك القصيدة ، وقد نسبها إليه أبو تمَّام وغيره . وقد اشتبهَ على الامدىّ فظنَّ سهماً اثنين ، وأَنَّ صاحبَ القصيدة غير سهم الغنوىّ ، والصواب ما ذكرنا . وسهمٌ الذىذكره ثانياً مجهول ، ولهذا لم يرفع نسبَه لا إلى أَب ولا إلى جَدّ . ولم يذكرهُ غيرَ الآمدى أحدٌ. والله أعلم بالصواب .

حروف الجر

أنشد فيها ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[1] :

٧٧٣ (باتَت تنُوشُ الحوضَ نوشًا مِن عَلَا)

على أنَّ (علا) فيه مبنى على الضمّ كقولهم : من علُ بحذف المضاف إليه .

وبيانه ما قال ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) نقلاً عن أبى على : إنَّ الألف فى علا منقلبة عن الواو ، لأنَّه من علوت ، وإنَّ الكلمة فى موضعٍ مبنىٌّ على الضم ، نحو قبلُ وبعد ، لأنَّه يريد نوشاً من أعلاه ، فلما اقتُطِع المضافُ مِن المضاف إليه وجَب بناءُ الكلمة على الضمّ نحو قبلُ وبعدُ ، فلمَّا وقعت الواو مضمومة وقبلها فتحة قُلبت ألفاً . وهذا مذهبٌ حسنٌ . انتهى .

وقال أبو على (فى التذكرة) : يجوز أن يكون علا مبنيًّا معرفة ، ويجوز أن يكون معربًا نكرة . فإن كان مبنيًّا كانت الألف منقلبة عن الواو لتحرُّكها بالضمة . وإن كان معرباً كانت منقلبة عن الواو لتحرُّكها بالجر . فإن قيل : لا يكون إلاَّ مبنيًّا ، لأنَّه معرفة لتقدُّم الحوض ، والمعنى من علا الحوض . قيل : قد قال الله تعالى : ﴿ لله الأَمرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بعد[2] ﴾ ، فهما نكرتان ، وإن كان ذِكر الغلبة قد تقدَّم ، وكان معلوماً أن معنى الكلام مِن قَبْل الغلبةِ ومن بَعدِها . انتهى .

١٢٦

(١) فى كتابه ٢ : ١٢٣ . وانظر معانى القرآن ٢ : ٣٦٥ والأصول ٢ : ١٤٢ والمنصف ٢ : ١٤٢ وشرح أدب الكاتب للجواليقى ٣٤٨ والاقتصاب ٤٢٧ وابن يعيش ٤ : ٧٣ ، ٨٩ ورصف المبانى ٣٧١ والأشباه والنظائر ٤ : ١٦١ واللسان (نوش ، علا ٣١٧) .

(٢) الآية ٤ من سورة الروم .

فعلم من هذا أنَّه لا يتعيَّن بناؤه على ضمّةٍ على الواو المنقلبة ألفاً لتَحرُّكها وانفتاح ما قبلها ، لقطعه عن الإضافة ونيَّة معناه ، لجواز أن يكون معربًا بالجرّ والتنوين[1] المقدَّرين على الواو المنقلبة ، ولا ينوى المضافُ إليه لا لفظُه ولا معناه ، ويكون كسائر الأَسماءِ النكرة ، كما فى قراءة : ﴿ مِنْ قبلٍ ومِنْ بَعْدٍ ﴾ بالجرِّ والتنوين .

واستشهد به سيبويه (فى باب ما ذهب لامُه من أبواب التحقير) . قال الأَعلم : استدلَّ به على أَنَّ قولهم من عَلُ محذوف اللام ، وإذا صغَّرته اسماً رُدَّتْ لامه فقيل عُلَىٌّ ، لأَنَّ أَصله من العلوّ . انتهى .

وكسيبويه أَورده ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) .
وروى سيبويه : « وهى تنوشُ الحوضَ » بدل : « باتت تنوش» .

قال الفراءُ (فى تفسيره) : النَّوش : التناوُل . قال الشاعر :

فهى تنوشُ الحوضَ نوشاً مِن عَلَا نوشًا به تَقْطَعُ أَجوازَ الفَلا

قال الأَعلم : وصف إبلاً وردت الماءَ فى فلاةٍ من الأَرض ، فعافَتْه وتناولتْهُ من أَعلاه ولم تُمعن فى شربه . انتهى .

وقال الجواليقى (فى شرح أَبيات أَدب الكاتب) : يصف إبلاً تشرب من ماءِ الحوض وتتناول ما فيه من الماءِ تناولًا من فوقُ ، تقطع به أَرضًا بعيدة ، وتستغنى به عن المبالغة فيه . والأَجواز : جمع جَوز بفَتح الجيم[2] ، وهو الوسَط . وقال ابن السيد (فى شرح أَبياته أَيضاً) :

---

(١) الكلام بعده إلى كلمة : « التنوين » التالية ساقط من ش .
(٢) فى النسختين : « بضم الجيم » ، صوابه ما أثبت . على أن النص بهذا الضبط لم يرد فى شرح الجواليقى .

لا أَعلم هذا الرجز لمن[١] هو ؟ يصف ناقةً شربت الماءَ من الحوض . وقد يمكن أن يصف إبلا ويريد بقوله « به تَقطع أَجواز الفلا » أَنَّهم كانوا إذا حاولوا سفراً سقَوا إبلَهم الماءَ على نحو ما يقدِّرونه من بُعد المسافة وقُرْبها ، وكانوا يجعلون أَظماءَ إبلهم ثِلْثاً ورِبْعاً وخِمْساً إلى العِشْر ، والعِشْر نهاية الأَظماءِ . وكانوا ربَّما احتاجُوا فى الفلاة إلى الماءِ ولا ماءَ عندهم ، فينحرون الإِبل ويستخرجون ما فى أَجوافها من الماءِ ويشربونه ، وهو معنى قول زيد الخيل الطائىِّ :

نَصُولُ بِكلِّ أَبيضَ مشرفىٍّ على اللائى بَقَى فيهن ماءُ[٢]
عشِيَّةَ نُؤْثر الغرباءَ فينا فلا هُمْ هالكونَ ولا رِوَاءُ

انتهى

وهذا البيت من أَبيات سيبويه الخمسين التى لا يعلم قائلها ، والله أَعلم.

وأَنشده صاحب الصحاح (فى نوش) و (فى علا) . وقال ابن برى (فى حاشيته عليه) : هذا الرجز لغَيلان بن حُرَيث الرَّبَعى . ولم أَقفْ على خبرٍ لغيلان . والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد السبعمائة[٣] :

٧٧٤ (لِمَنِ الدِّيارُ بقُنَّةِ الحَجْرِ أَقوَيْنَ من حِجَجٍ ومن دَهْرِ)

على أَنَّ الكوفيِّين أَجازوا استعمال (من الابتدائيّة) فى الزمان أَيضاً

---

(١) فى الاقتضاب : « لا أعلم لمن هذا الرجز » .

(٢) جاءت « بقى » هنا بفتح القاف على لغة طيىء ، يقولون فى بقى : بقىَ ، وفى رضى : رضَى . وكذلك لغتهم فى كل ياء انكسر ما قبلها ، يجعلونها ألفا . اللسان (بقى ٨٦) .

(٣) الجمل ١٥٠ والأزهية ٢٩٣ وابن يعيش ٤ : ٩٣ / ٨ : ١١ ورصف المبانى ٢٣٠ والمغنى ٣٣٥ والعينى ٣ : ٣١٢ والتصريح ٢ : ١٧ والهمع ١ : ٢١٧ والأشمونى ٢ : ٢٢٩ وديوان زهير ٨٦ .

كما فى البيت . وسَلَّم الشارح المحقق هذه الدعوى منهم ، وطعن فى الدَّليل ، قال : الإقواءُ لم يُبتدأْ من الحِجج ، بل المعنى من أَجل مرورِ حِجج وشهر . فمن فيه تعليليَّة[1] لاابتدائية .

اعلم أَنَّ محلَّ النزاع بين أَهل البلدين إنَّما هو فى ورود من لابتداء الغاية فى الزمان ، فأَهلُ الكوفة يثبتونه ، وأَهل البصرة يمنعونه . وأَمَّا ورودُها لابتداء الغاية فى المكانِ والأَحداث والأَشخاص فلا خلافَ فيها عندهما . واستدلَّ أَهل الكوفة لورود مِن فى ابتداء الغاية فى الزمان[2] بقوله تعالى : ﴿ لَمَسجِدٌ أُسِّسَ على التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْم أَحقُّ أَنْ تَقُومَ فيه[3] ﴾ . وأَوَّل يومٍ من الزمان. وقوله تعالى : ﴿ إذا نُودِىَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ[4] ﴾ وبالبيت المذكور . وأَجاب البصريُّون عن الآية الأُولى بأَنَّ فيها مضافاً محذوفاً ، والتقدير : من تأْسيس أَوّلِ يومٍ . فمجرورُ مِنْ حَدَثٌ لا زَمانٌ . وضعَّفه أَبو البقاء بأَنَّ التأْسيسَ ليس بمكان . وردَّ عليه السَّمين بأَنَّهم إنَّما منعوا من كون من لابتداء الغاية فى الزمان ، وليس فى كلامهم أَنَّها لا تكون إلاَّ فى ابتداء الغاية فى المكان . وهذا ردٌّ جيِّدٌ حقٌّ كما ذكرنا .

١٢٧

وردَّ الشارح المحقق دليلَ الكوفيِّين بأَنه ليس التأْسيس حدثاً ممتدًّا ولا أَصلاً للمعنى الممتدّ ، وإنَّما هو حدثٌ واقع فيما بعدَ مِنْ ، فتكون ظرفية كما فى الآية الثانية .

فهو يوافقهم فى مجىء مِنْ لابتداء الغاية فى الزمَان تبعاً للمبرد وابن

---

(١) ط : « تعليله » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « للزمان » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) الآية ١٠٨ من سورة التوبة .

(٤) الآية ٩ من سورة الجمعة .

دُرستويه ، ولهذا لم يؤوِّل كما أوّل البصريُّون فى الآية . وأجابوا عن الآية الثانية بأَنَّ مِن فيه ظرفية ، وإليه ذهب الشارح أيضاً .

وأَجابوا عن البيت بما أَجابوا به فى الآية الأُولى بأَنَّ فيه مصدراً محذوفاً ، أَى من مَرِّ حِججٍ ، فيكون مجرورُهَا حدثاً لا زماناً .

وأَجاب الشارح المحقق بأَنَّ مِن فيه تعليليَّة مع تقدير المضاف ، لا ابتدائيَّة . وهو الحقُّ ، فإِنَّ علة إقواءِ الديار مرورُ الدهور عليها ، لا ابتداءُ مرورها .

وأَجاب بعضهم بأَنَّ مِن هنا على مذهب الأَخفش زائدة ، والأَصل أقوين حججاً ودهراً . نقله ابن الأَنبارى (فى مسائل الخلاف) . فيكون منصوباً على الظرفيَّة . وأَهوَنُ من هذا ادِّعاءُ مِنْ ظرفيّةً كما فى الآيتين . ولم أَر من قاله . وأَجابَ بعضُهم بأَنَّ الرواية «مُذ حجج ومُذْ دهر» وأَنكر الأُولى[1] . وهذا ليسَ بشىءٍ[2] . فإِنَّ البيتالواحد يأْتىعلى روايات شتَّى وكلُّها صحيحة ، إذا كان رُواتُها ثقاتٍ . قال العسكرى (فى كتاب التصحيف) : قوله :

* أَقوينَ من حِجَجٍ ومن دَهْرِ *

قالالأَصمعى : أقوين مُذْ حُججٍ ومُذْ دهر. ومنروى : «مِن حجج» قال : معناه مِنْ مَرِّ حجج ومِنْ مَرِّ دهر . قالالزَّجاج : قولهتعالى:﴿مِنأَوّلِ يومٍ﴾ دخلت [مِن[3]] فى الزمان ، والأَصل مذ ومنذ. هذا أَكثرُ الاستعمال فى الزمان. ومِنْ جائز دخولها لأَنَّها أَصلفىابتداءِ الغاية ، وفىالتبعيض.انتهى .

---

(١) ش : « وأنكر الأولى هنا » ، أى رواية « من حجج » .

(٢) ش : « وليس بشىء » .

(٣) التكلة من ش .

وقوله : (لمن الديار) الظرف خبر مقدَّم ، والديار مبتدأٌ مؤخَّر . وهذا الاستفهام تعجُّبٌ من شدَّة خرابها حتى كأنَّها لا تُعرَف ولا يُعرَف سُكَّانُها وأصحابُها . وبعض المصنِّفين حرَّفه ففتح اللام وكسر الميم ، وقال إنَّ مِنْ فى البيت شاهدٌ لدخولِ من الجارة على المكان . وهذا مما يُتعجَّب منه . و(القُنَّة) بضم القاف وتشديد النون : أعلى الجبل . والقُلَّة باللام موضعَ النون مثلُه . و (الحِجْر) بكسر الحاءِ المهملة : منازلُ ثمودٍ بناحية الشَّام عند وادى القُرى. قال صَعُوداءُ (فى شرح ديوان زهير) : قال أَبو عمرو : لا أَعرف إِلَّا حِجْر ثمود ، ولا أَدرى أَرادَه بعينه أَم لا ؟ وأَما حَجْر بفتح المهملة فهى قصَبة اليمَامَة ، ولكنْ لا يدخلها الأَلف واللام ، فلذلك أَنكرها أَبو عمروٍ . انتهى .

وكذا قال غيره . قال ابن السِّيد : هذا هو المرويُّ هنا ، وقد أَوَّله جماعةٌ على زيادة أَل .

١٢٨ قال اللخميُّ (فى شرح أَبيات الجمل) : قد يصنعون ذلك فى الأَعلام قال الشاعر :

* ياليت أُمَّ العَمْرِ كانت صاحبى[1] *

أَراد : أُمَّ عمرو . وقال الآخر :

* وجدت الوليدَ بنَ اليزيدِ مباركاً[2] *

---

(١) مجهول القائل . وانظر المنصف ٣ : ١٣٤ وابن الشجرى ١ : ١٥٤ والإنصاف ٣١٦ وابن يعيش ١ : ٤٤ ورصف المبانى ٧٧ . وبعده :

* مكان من أشتى على الركائب *

(٢) لابن ميادة . وهو الشاهد ١١٥ من الخزانة ٢ : ٢٢٦ . وعجزه :

* شديداً بأحناء الخلافة كاهله *

أراد الوليد بن يزيد . هذا ما قالوا . والصواب دخول الألف واللام عليه . قال عاصم : الحَجْر بالفتح : مدينة اليمامة ، والحِجْر بالكسر : حِجْر ثمود . وقال الجوهرى : الحجر ، بالفتح :قصبة اليمامة ، يذكَّر ويؤنَّث ، ويؤيِّدهما البيتُ المتقدّم وبيتُ النابغة :

وهُمْ قتلوا الطائىَّ بالحَجْرِ عَنوةً   أخا جابرٍ واستنكحُوا أُمَّ جابرِ[1]

والباءُ فىقوله : (بقُنَّة) ظرفية متعلِّقة بمحذوف على أنَّه حالٌ من الضمير المستتر فى الجار والمجرور ، والعامل فيه الاستقرار المحذوف ، والتقدير : لمن الديار كائنةً بقُنَّة الحَجْر. و (أَقوَيْنَ) : أَقفَرْن ؛ يقال أَقوت الدار ، إذا خلَتْ من سُكَّانها وأَقْفرت . والنون ضمير الديار ، وجملة أَقوين حالٌ من ذلك الضمير أيضاً . (والحجج) بكسر الحاء المهملة وفتح الجيم : جمع حِجَّة بكسرها أَيضاً ، وهى السَّنَة . والدَّهر : الأَبد الممدود . وروى بدله : (ومِنْ شهر) وأَراد مِنشهور ، فوضَعَ الواحدَ موضعَ الجمع اكتفاءً به . ونظائرُه كثيرة . قال اللَّخمى : ومن رواه مُذْ حِجج كانَتْ مُذْ حرفَ جرّ ، والعامل فيها أَقوين ، وهى بمنزلة فى ، لأَنَّ المعنى أَقوين فى حجج .

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدة لزهير بن أَبى سُلمى ، مدح بها هرِم بنَ سنانِ ابن أَبى حارثة المُرِّىّ ، عدَّتُها تسعة عشرَ بيتاً ، وبعده :

أبيات الشاهد

(لعِبَ الرِّياحُ بها وغيَّرَها   بَعدِى سَوافِى المُورِ والقَطْرِ
قَفْرٌ بمندَفَع النَّحائتِ من   ضَفْوَىْ أُولاتِ الضَّالِ والسِّدْرِ
دَعْ ذا وعَدِّ القولَ فى هرم   خير الكُهولِ وسَيِّد الحَضْرِ[2])

(١) ديوان النابغة ٤٧ برواية « فاستنكحوا » . واستنكحوا بمعنى نكحوا .
(٢) فى رواية الأعلم : « خير البداة » ، وهو الأوفق . وهو جمع باد لساكن البادية .

والسَّوافى : جمع ساف ، اسم فاعل من سفت الريح الترابَ تَسفِيه سَفياً ، إذا ذَرَته . والمُور، بالضم : الغبار بالرِّيح . والقَطْر : المطر. قال صَعُوداءُ (فى شرحه) : قال أَبو عبيدة: ليس للقطر سوافٍ ، ولكنَّه أَشركه فى الجرِّ . انتهى .

وليس هذا من الجرِّ على الجوار، لأَنَّه لا يكون فى النَّسَق. ووجهُه أَنَّ الرِّياح السَّوافى تُذرى التُّراب من الأَرض ، وتُنزل المطر من السحاب .

وقوله : «قَفْرٌ» أى تلك الديار قفر. والمندَفَع بفتح الفاء. والنَّحائت[1] ، بفتح النون بعدها حاءٌ مهملة وآخره مثناة فوقية ، قال صَعوداءُ: هى آبارٌ. ومُندفَعُها: مُندَفَع مياهها ، ولعلَّها أَودية . والآبار تفسير أَبى عمرو . قال: ويقال موضعٌ فيه آبار . والضَّفْوانِ ، بالضاد المعجمة بعدها فاءٌ : الجانبان ، الواحد ضَفًا كقفًا . و« أُولاتِ الضَّال والسِّدر» : مواضع فيها سِدر . والضَّالُ ، هو السِّدر البَرِّىّ .

وقوله : « دع ذْا وعدِّ » إلخ، قال صعوداءُ : عَدِّ القولَ : اصرفْه إليه . والحَضْر، جمعُ واحدُه حاضر ، مثل صَحب وصاحب. انتهى . والحاضر: الحىُّ العظيم . والحاضر : خلاف البادى .

صاحب الشاهد

والأَبيات الثلاثةُ الأُوَل قد نسبها نُقَّاد الشِّعر إلى حمادٍ الرَّاوية ، وقالوا : أَوَّل القصيدة إنما هو : دَعْ ذا وعَدِّ القولَ . . . . . البيت .

روى الأَصبهانىُّ بسنده (فى الأَغانى) عن جماعةٍ أَنَّهم كانوا فى دارِ أَمير المؤمنين المهدىِّ بعِيساباد ، وقد اجتمع فيها العلماءُ بأَيَّام العرب

(١) ط : « والنحات » ، صوابه فى ش .

وآدابِها وأَشعارِها ولُغاتِها ، إِذْ خرج بعضُ أَصحابِ الحاجب فدعا بالمفضَّل الضبيِّ الراوية ، فدخلَ فمكث مليًّا . ثم خرج ذلك الرجلُ بعينه ١٢٩ فدعا بحمّاد الراوية ، فمكث مليًّا ثم خرج ومعه حمَّادٌ والمفضل جميعاً ، وقد بان فى وجْهِ حمَّادِ الانكسارُ والغمّ ، وفى وجه المفضَّل السُّرور والنَّشاط ، ثم خرج الخادمُ[(1)] معهما فقال : يا معشرَ مَنْ حَضَر من أهل العلم ، إن أَمير المؤمنين يُعْلمكم أَنَّه قد وصَل حمادًا الشاعرَ بعشرين أَلفَ درهم لجودة شعره ، وأَبطلَ روايته ، لزيادته فى أَشعار النَّاسِ ما ليس منها ، ووصل المفضَّل بخمسين أَلف درهم لصِدقِه وصحَّة روايته . فمن أَراد أَن يسمع شعراً جيّداً مُحدَثاً فليسمعْ من حمَّاد ، ومن أَراد روايةً صحيحة فليأْخُذْها عن المفضَّل. فسأَلْنا عن السَّبب فأُخبرنا أَنَّ المهدىَّ قال للمفضَّل لما دعا به وحدَه : إِنِّى رأَيتُ زهير بن أَبى سلمى افتتح قصيدته بأَنْ قال :

* دع ذا وعَدِّ القولَ فى هرمِ *

ولم يتقدَّم قبل ذلك قولٌ ، فما الذى أَمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعتُ فى هذا شيئًا إلا أَنِّى توهَّمتهُ كان [يفكِّرُ[(2)]] فى قول يقوله ، أَو يروِّى فى أَنْ يقول شعراً ، قال : عدِّ إلى مدح هرم ، دَعْ[(3)] ذا ، أَو كان مفكراً فى شىءٍ من شأْنه فتركَه وقال : دَعْ ذا ، أَى دَعْ ما أَنت فيه من الفِكر وعَدِّ القولَ فى هرم . ثم دعا بحمّادٍ[(4)] فسأَله عن مثل ما سأَل عنه المفضَّل فقال : ليس هكذا قال زهيرٌ ، يا أَمير المؤمنين . قال : كيف قال ؟ فأَنشده :

---

(١) فى الأغانى ٥ : ١٦٤ : « ثم خرج حسين الخادم » .
(٢) التكلة من الأغانى .
(٣) فى الأغانى : « فعدل عنه إلى مدح هرم وقال : دع ذا » .
(٤) الأغانى : « فأمسك عنه ثم دعا بحماد » .

* لمن الديار بقُنَّة الحجر *

الأَبيات الثلاثة :

دع ذا وعدِّ القول فى هرم . . . . البيت

قال : فأَطرقَ المهدى ساعة ثم أَقبلَ على حمّاد فقال : قد بلغ أَميرَ المؤمنين عنك خبرٌ لابد من استحلافك عليه . ثمَّ استحلفه بأَيمان البَيْعة ليصدُقنّه عما يُسأَل عنه . فحلف له ، فلمَّا توثَّق منه قال له : اصدُقْنى عن حال هذه الأَبيات ، ومَن أَضافها إِلى زهير . فأَقرَّ له حينئذ أَنّه قالها. فأَمر فيه وفى المفضَّل بما أَمر به من شَهْر أَمرِهما وكَشْفه . انتهى .

وحمَّاد قد ترجمه صاحبُ الأَغانى[1] ، فلا بأْس بإِيراد شىءٍ من أَخباره ، فإِنّه كان من أَعاجيب الدُّنيا ، ولكونه صاحبَ البيت الشاهد استحقَّ أَن نُترجمه . وهو ممن يصحُّ الاستشهاد بكلامه .

حماد الراوية

قال : هو حَمَّاد بن مَيْسرة، فيما ذكره الهيثم بن عدىّ . وكان صاحبَه وراوِيتَه وأَعلمَ الناس به . وزعَم أَنّه مولَى بنى شيبان . وكان من أَعلمِ الناسِ بأَيَّام العرب وأَخبارِها وأَشعارها وأَنسابِها ولغاتها ، وكانت ملوكُ بنى أُميَّة تقدِّمه وتؤْثره وتُسنِّى برَّه[2] . وقال له الوليد بن يزيد : بما استحققتَ هذا اللقبَ[3] فقيل لك : حمادُ الراوية ؟ قال : لأَنى أَروِى لكل شاعر يَعرفه أَمير المؤمنين أَوْ سمِع به ، ثم أَروِى لأَكثر منهم ممن لاتعرِف[4] بأَنّك لا تعرفهم ولا سمعتَ بهم[5] ، ثم لا أُنشد شعراً لقديم

---

(١) الأغانى ٥ : ١٥٦ — ١٦٥ .

(٢) فى الأغانى : « وتستزيره » أى تطلب زيارته .

(٣) وكذا فى الأغانى ، وهى لغة جائزة قرئ بها : « عما يتساءلون » .

(٤) ط : « ممن لا تعترف » ، صوابه فى ش والأغانى .

(٥) الأغانى : « أنك لم تعرفه ولم تسمع به » .

أَو محدَث إلا ميَّزتُ القديم منه من المحدَث . قال : إن هذا لعلمٌ وأَبيك كثيرٌ فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثير ، ولكنِّى أُنشِدُك على أَىِّ حرفٍ شئتَ من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة ، سِوى المقطَّعات من شِعر الجاهلية . قال : سأَمتحنك . وأَمره الوليدُ بالإِنشاد . فأَنشده حَتى ضجر الوليد ، ثم وكَّل به مَن استحلفه أَن يصدُقه عنه ويستوفىَ عليه . فأَنشده أَلفىْ قصيدةٍ وتسعمائة قصيدة للجاهليِّين ، وأَخبر الوليدَ بذلك ، فأَمر له بمائة أَلف درهم .

وروى أَحمد بن عُبيد ، عن حَمادٍ أَنَّه قال : كان انقطاعى إلى يزيد بن عبد الملك ، فكان هشامٌ يجفونى لذلك ، فلما مات يزيد وأَفْضَت الخلافةُ إلى هشامٍ جفانى[1] ومكثت فى بيتى سنةً لا أَخرُج إلَّا لمن اثق به من إخوانى سرًّا ، فلمَّا لم أَسمع أَحدًا يذكرنى أَمِنْت وخرجْتُ فصلَّيت الجمعة ، ثم جلستُ عند باب الفيل ، فإذا شُرْطيَّانِ قد وقفا علىَّ فقالا لى : يا حماد ، أَجبِ الأَمير يُوسُفَ بنَ عمر . فقلت فى نفسى : هذا ما كنت أَحْذر : فصِرتُ إليه فرمَى كتاباً إلىَّ فيه : من عبدالله هشام أَمير المؤمنين إلى يُوسف بن عمر ، أَمَّا بعد فإذا قرأْتَ كتابى هذا فابعَثْ إلى حمادٍ الراوية من يأْتيك به غير مروَّع ، وادفَع إليه خمسَمائِة دينار وجَمَلًا مهريًّا يسير عليه اثنتى عشرة ليلةً إلى دمشق . فأَخذتُها وركبتُه وسِرت حتَّى وافيت باب هشام ، فاستأْذنت فأَذِن لى ، فدخلت عليه فى دار مفروشة بالرُّخام ، وبين كل رُخامتين قضيبُ ذهب ، وحيطانها كذلك ، وهشامٌ جالس على طِنفِسةٍ حمراءَ وعليه ثيابُ خَزٍّ حُمر ، وقد تضمخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مِسكٌ مبثوث فى أَوانِى الذهب ،

١٣٠

(١) بدله فى الأغانى : « خفته » .

يقلِّبه بيده فتفوح روائحُه . فسلَّمت عليه فردَّ علىَّ السلام ، واستدنانى فدنوتُ حتَّى قَبَّلْت رجله ، فإذا جاريتان لم أَر مِثلهما ، فى أُذُن كلٍّ واحدة منهما حَلْقتان[1] فيهما لؤلؤتان تَوقَّدَانِ ، فقال لى : كيف أنت يا حمَّاد ، وكيف حالك ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين . قال : أتدرى فيما بعثتُ إليك ؟ قلت : لا . قال : بعثتُ إليك لبيتٍ خطرَ ببالى لم أدرِ مَنْ قاله ؟ قلتُ : وما هو ؟ قال :

فدعَتْ بالصَّبوح يوماً فجاءَت ... قَيْنةٌ فى يمينها إبريقُ[2]

قلت : هذا يقوله عدىٌّ بن زيد فى قصيدةٍ له . قال : أَنشِدْنيها . فأَنشدتها :

بَكرَ العاذلون فى فلق الصُّبْـ ... ـح يقولونَ لى : أَلَا تَستفيقُ[3]

ويَلومُون فيكِ يا ابنة عبدِ اللـ ... ـه والقلبُ عندكم موهوقُ[4]

لستُ أدرى إذْ أكثرُوا العذلَ عندى ... أعدوٌّ يلومُنى أم صديقُ[5]

زانها حُسْنُها وفرعٌ عميمٌ ... وأَثِيثٌ صَلْتُ الجَبين أنيقُ

وثنايَا مُفلَّجاتٌ عِذابٌ ... لا قِصاراً ترَى ولا هُنَّ رُوقُ

فدعَتْ بالصَّبوح يوماً فجاءَت ... قينةٌ فى يمينها إبريقُ[6]

---

(١) فى الأغانى : « حلقتان من ذهب » .

(٢) الأغانى : « فدعوا » . وفى الديوان ٧٨ : « ثم نادوا على الصبوح » .

(٣) الأغانى : « فى وضح الصبح » ، وهى رواية الديوان .

(٤) وكذا فى الديوان ٧٦ . والموهوق من الوهق ، وهو حبل مغار فيه أنشوطة، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٥) الأغانى : « أو صديق » .

(٦) الأغانى : « فدعوا بالصبوح » .

قَدَمتــه على عقــار كعَيْنِ الـ ـدِّيكِ صَــفَّى سُلافها الراووقُ
ثم كــان المــزاجُ مــاءَ غمــام غيرَ ما آجنٍ ولا مطــروقُ[1])

قال : فطربَ وقال : أحسنتَ والله يا حماد، سلنى حوائجَك. فقلت : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم . قلت : إحدى الجاريتين . قال: هما جميعاً بما عليهما وما لَهُما لك . فوهبَهُما له، وأنزله فى داره، ثم نقله من غدٍ إلى منزلٍ أعدَّه له ، فانتقل إليه فوجد فيه الجاريتين وما لَهما وكلَّ ما يحتاج إليه . فأقام عنده مُدةً ، فوصل إليه منه مائة ألف درهم .

وروى أيضاً بسنده أن جعفر بن أبى جعفر المنصور ، والمعروف بابن الكردية، كان يستخفُّ مُطِيع بنَ أياس ويحبُّه ، وكان منقطعاً إليه، وله منه منزلة حسنة . فذكر مطيع حمادا وكان صديقَه ، وكان مطَّرَحاً مجفوًّا فى أيَّامهم، فقال له: ائتنا به لنراه . فأتى مطيعٌ حمادًا فأعلمه بذلك ، وأمره بالمصير إليه وَمعه ، فقال له حماد : دَعْنى فإن دولتى كانت معبنىأمية، ومالى معهؤلاءِ خيْر. فأبىمطيعٌ إلاَّ الذَّهاب به ،فاستعار حمادٌ سوَادًا وسَيْفًا[2] ، ثم أتاه فمضى به إلى جعفر ، فلمَّا دخل سلَّم عليه وأثنى عليه ، فردَّ عليه السلام وأمره بالجلوس، ثم قال له جعفر : أنشِدْنى لجرير . قال حماد : فوالله لقدسُلِخَ شعرُ جريرٍ كلُّه من قلبى، إلا قولَه : ١٣١

بانَ الخليط برامتينِ فــودَّعوا
أوَ كلَّمــا اعتزمُــوا لبينٍ تَجــزعُ

---

(١) الأغانى : « ماء سماء » . وفى الديوان : « ماء سحاب لا صرى آجن » .
(٢) أى ثياباً سوداً . وكان السواد شعار العباسيين .

فاندفع ينشده إيَّاها حتى قال :

وتقول بَوزَعُ قد دَبَبْتَ على العصـــا
هَلَّا هَــزِئتِ بغيــرنا يا بَــوْزَعُ

قال حمَّاد : فقال لى جعفر : أَعِدْ هذا البيت . فأَعدته . فقال : بوزعُ أَيش هو ؟ قلت : اسم امرأَة . فقال : هو برىءٌ من اللهِ ورسوله ونفِيٌّ من العبّاس إن كانت بوزعُ إلا غُولاً من الغيلان ! تركتَنى والله يا هذا لا أَنام اللَّيلَ من فزَع بَوزَع ! يا غلمان ، قفاه ! قال : فصُفِعتُ حتَّى لم أَدر أَين أَنا . ثم قال : جرُّوا برجله . فجرُّوا برجلىَّ حتى أُخرِجت من بين يديه مسحوباً، فتخرَّق السواد ، وانكسر جَفنُ السيف، ولقِيتُ شرًّا عظيماً . وكان أَشرَّ من ذلك غرامتى ثمنَ السَّوادوجَفنِ السيف.

وكتب حمادٌ إلى بعضَ الرؤَساءِ الأَشراف :

إنَّ لى حــاجة فرأَيَك فيهـا ... لك نفسى فِدًى من الأَوصــابِ
وهى ليسَتْ ممَّا يبلِّغها غيـــ ... ـرى ولا يَستطيعها فى كتابِ[1]
غير إنِّى أَقولُها حين أَلقــا ... كَ رُوَيدًا أُسِرُّها فى حجابِ

فكتب إليه الرجل : اكتبْ إلىَّ بحاجتك ولا تَشْهَرنى فى شِعرك . فكتب إليه حماد :

إنَّنى عاشقٌ لجُبَّتــكَ الدكنـــ ... ـاءِ عِشقاً قد حال دُونَ الشَّرابِ
فاكسُنِيهـــا فدَتكَ نفسى وأَهلى ... أَتباهَى بهـــا على الأَصحـــاب
ولكَ اللهُ والأَمــانةُ أَن أَجـــ ... ـعَلها عُمرَها أَميرَ ثيـــابى

---

(١) الأغانى ٥ : ١٦١ : « مما يبلغه غيرى » .

فبعث بها إليه .

قال ابن النطَّاح : كان حمادٌ فى أول أمره يتشطَّر ، ويَصحب الصعاليك واللُّصوص ، فنقَبَ ليلةً على رجُل وأخذَ ماله ، فكان فيه جزءٌ من أشعار الأنصار ، فقرأه حمّادٌ فاستحلاه وحَفِظه ، ثم طلب الأَدبَ والشعر وأيامَ العرب ولغاتِها بعد ذلك ، وتركَ ما كان عليه ، فبلغ فى العلم ما بلغ .

وروى بسنده أيضاً عن ابن الأَعرابى أنه قال : سمعت المفضَّل الضَّبّىّ يقول : قد سُلِّط على الشِّعر حمادٌ الراوية فأَفسدَه . فقلت له ؟ وكيفَ، أَيخطئُ فى روايته أَم يلحنُ ؟ فقال : ليته كان ذلك ، فإنَّ أَهل العلم يردُّون مَنْ أَخطأَ إلى الصواب ، ولكنه رجل عالمٌ بلغات العرب وأَشعارِها ومذاهبِ الشعراءِ ومعانيها ، فلا يزال يقولُ الشِّعرَ يشبِّه به مذهبَ رجل ، ويدخلهُ فى شعره ، ويُحمَل ذلك عنه فى الافاق ، فيختلط بأَشعار القدماءِ ولا يتميَّز الصحيح منها إلاَّ عند عالم ناقد ، وأين ذاك .

وروى أيضاً بسنده أَنَّ الطِّرمَّاح قال : أَنشدتُ حمادًا الراوية ، فى مسجد الكوفة ، وكان أَذكى الناسِ[1] وأَحفظَهم ، قولى :

* بانَ الخليطُ بسُحرةٍ فتبدَّدوا *

وهى ستُّون بيتاً ، فسكت ساعة ولا أدرى ما يريد ، ثم أَقبل علىَّ فقال : هذه لك ؟ قلت : نعم . قال : ليس الأَمر كذلك . ثمَّ ردَّها علىَّ كلَّها وزيادة عشرين بيتا زاد فيها فى وقته ، فقلت له : ويحك ، إنَّ هذا شعرٌ قلته منذ أَيَّام ما اطَّلع عليهِ أَحدٌ . فقال : قد والله قلتُ هذا الشِّعر منذ عشرين سنة ، وإلا فعلىَّ وعَلىّ . فقلت : لله علىَّ حَجَّةٌ أَحجُّها حافياً راجلاً إنْ

(١) ط : « أزكى الناس » ، صوابه فى ش والأغانى ٥ : ١٦٩ .

جالستُك بعدها أبدا ؟ فأَخذ قبضة من حَصَى المسجد ثم قال : عليَّ لله بكلِّ حصاةٍ مائةُ حَجَّةٍ إنْ كنتُ أبالى . فقلت له : أَنت رجل ماجن ، والكلام معك ضائع . ثم انصرفت .

وروى بسنده [أَيضاً[1]] أَنَّه كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمَّادون : حمّادعَجْرَد ، وحمادُ الراوية ، وحمادُ بنُ الزِّبرقان ، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأَشعار ، ويتعاشَرون مُعاشرةً جميلة ، وكانوا كأَنَّهم نَفْسٌ واحدة ، وكانوا يُرمَوْن بالزَّندقة جميعاً[2] .

وقد هجاه أَبو الغُول الطَّهويُّ بقوله[3] :

نِعمَ الفتى لو كـــان يَعرِف ربَّه
أَو حينَ وقتِ صَلاتِه حمّـــادُ[4]
ضَمَّت مَشافِرَه الشَّمولُ فأَنفُـــه
مثلُ القَدُوم يسُنُّها الحـــدادُ[5]
وابيضَّ من شُربِ المُدامةِ وجهُه
فبيـــاضُه يومَ الحسابِ سَـــوادُ

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد السبعمائة[6] :

---

(١) التكلة من ش .

(٢) الأغانى ٥ : ١٥٧ . وانظر الحيوان ٤ : ٤٤٦ — ٤٤٧ .

(٣) نسب هذا الهجاء فى الحيوان ٤ : ٤٤٥ إلى حماد بن الزبرقان . ولعل الأوفق نسبته إلى أبى الغول كما فى الأغانى ٥ : ١٦٢ وأمالى المرتضى ١ : ١٣٣ مع ما تقوله الرواية ، أن الحمادين كانوا كأنهم نفس واحدة .

(٤) فى الحيوان والأغانى وأمالى المرتضى :

* ويقيم وقت صلاته حماد *

(٥) الأغانى والحيوان : « هدلت مشافره الدنان » . وفى أمالى المرتضى : « بسطت مشافره الشمول » .

(٦) الأغانى ١٩ : ١١٢ ومعجم البلدان (طهيان) .

٧٧٥ (فليتَ لنا مِنْ ماءِ زَمزَمَ شَربةً

مُبــرَّدةً باتتْ على طَهَيــانِ)

على أن (مِن) قد تأْتى للبدل . أى فليتَ لنا شربة بدلَ ماءِ زمزم.

(وطَهَيان) بفتح الطاءِ المهملة والهاءِ والمثناة التحتية : جَبَل. ورواه الصاغانى فى العباب : « باتت على الهَمَيان » ، وقال : هكذا الرواية ، والنُّحاة يروونه : « على طهَيان ». والهَمَيانُ : قوائم من صخرٍ شاخصةٌ فى بلاد غطفان . وأنشده (فى مادة برد) قال : وبرّدتُ الماءَ تبريداً ، ولا يقال أَبردته إلاَّ فى لغة رديئة . ونسَب البيت[1] إلى الأَحْوَلِ الكِنْدى . وهذا خلافُ ما عليه الرُّواة فإنَّهم قالوا : إنَّ البيت آخر قصيدةٍ ليعلى الأَزدى ، تقدَّمت فى الشاهد الثالث والثمانين بعد الثلثمائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد السبعمائة[3] :

٧٧٦ (لا تَنتهُونَ ولن يَنهَى ذَوِى شَطَطٍ

كالطَّعن يَهلِكُ فيــه الزَّيتُ والفتُلُ)

على أَنَّه لو صحّ قول المصنف فى توجيه كلام العرب : « قد كانَ مِن مَطَر » بأَنَّ أَصله : قد كان شئٌ من مطر ، فحذف الفاعلُ الموصوف بالظرف ، لجاز أَنْ تكون الكاف فى هذا البيت حرفَ جرٍّ ، ويكون الفاعل

(١) ش : « وينسب البيت » .

(٢) الخزانة ٥ : ٤٠٤ .

(٣) المقتضب ٤ : ١٤١ والأصول ١ : ٥٣٥ والخصائص ٢ : ٣٦٨ وسر الصناعة ١ : ٢٨٣ وابن الشجرى ٢ : ٢٢٩ ، ٢٨٦ وابن يعيش ٨ : ٤٣ ورصف المبانى ١٩٥ والعينى ٣ : ٣٩١ والهمع ٢ : ٣١ والأشباه والنظائر ٤ : ١١٥ ويس على التصريح ٢ : ١٨ واللسان (حطط ١٤٤ عثل ٤٥٠ غيل ٢٥ ، ٢٧) وديوان الأعشى ٤٨ .

محذوفاً ، وقد أُقيم الظرفُ مقامه ، فلا يصح الاستدلال بالبيت على أنَّ الكاف اسمٌ مع أنَّها اسم وجوباً فى البيت .

وقد ردّ ابنُ السّراج (فى الأُصول) ما ذكره المصنِّف قال : فى الكلام والأَشعارِ ما يُوجِب للكاف أنَّها اسمٌ . قال الأَعْشى :

أَتنتهون ولا ينهَى ذوِى شَطَطٍ . . . . البيت

فالكاف هى الفاعلة . فإن قال القائل : إنَّما هى نعتٌ لمحذوف ، أَراد شيءٌ كالطَّعن ، وهى حرف . قيل له : إنما يخلف الاسم وَيقوم مقامه ما كان اسماً مثلَه ، نحو جاءَنى عاقلٌ ومررت بظريف . وليس بالحسَن إلّا فيما يشكل من النعوت ، ولو كان غير الاسم يخلُفها لَصَلحَ أن تقول جاءَنى يقوم ، وكلمت يضرب ، تريد إنساناً ورجلاً ونحو ذلك . وكذلك يلزمك أن تقول : جاءَنى فى الدار ، تريد: رجلٌ فى الدار . انتهى .

وسيأْتى إن شاءَ اللهُ تعالى بقيّةُ الكلامِ عليه فى الكاف .

والبيت من قصيدة للأَعشى ميمون ، تقدَّم بعضُها فى الشاهد التاسع والثلاثين بعد الستمائة[1] . وقبله :

١٣٣ (إنِّى لَعَمْرُ الذى حَطَّتْ مناسِمُها ... تَخْدِى وسِيقَ إليه الباقرُ الغُيُلُ
لئن قَتلتمْ عميدًا لم يكن صَدداً ... لنَقتُلَنْ مثلَه منكم فنمتثلُ
وإن مُنِيتَ بنا عن غِبِّ معركةٍ ... لا تُلفِنا عن دماءِ القوم نَنتفلُ
لا تنتهون ولن يَنْهَى ذوِى شَطط ... كالطَّعن يَهلِك فيه الزَّيتُ والفتُلُ
حتى يظلَّ عميدُ القوم مُرتفِقاً ... يَدفَعُ بالرَّاح عنه نِسوةٌ عُجُلُ
أَصـابه هُندُوانىٌّ فأَقصَـدَه ... أَو ذابلٌ من رماحِ الخَطِّ معتدلُ)

(١) الخزانة ٨ : ٣٩٠ – ٣٩٥ .

قوله : « إنِّى لعمر الذى » إلخ اللام للتوكيد ، وعَمْر بالفتح مبتدأٌ خبره محذوفٌ يقدَّر بعد تمام البيت ، تقديره قسمى . وعَمر مضاف إلى الذى بتقدير موصوف ، أى لعمر الله الذى . ومعنى لعمر الله : أحلف ببقاء الله ودوامِه . والبيتُ الذى بعده جواب القسم ، والقسم وجوابه خبر إنِّى . وحَطَّت ، بالحاءِ المهملة ، بمعنى اعتمدَتْ . ومناسمُها فاعله ، والمناسم : جمع مَنْسِم كمجلس ، وهو طرَف خفِّ الإبل . والضمير المؤنَّث ضمير الإبل وإنْ لم يَجْرِ لها ذكر ، لأَنَّ المناسم تدلُّ عليها[1] . والعائد إلى الذى محذوف تقديره إليه ، أى إلى بيته ؛ ويدلُّ عليه ما بعده . وتَخْدِى بالخاءِ المعجمة والدال المهملة ، أى تسير سيراً شديداً ، وفاعله ضمير المناسم فيه ، والجملة حالٌ من المناسم . وإسناد الخَدْىِ إلى المناسم مجازٌ عقلى ، وفى الحقيقة إنَّما هو للإبل . وروى أبو عبيدة : «له» بدل تخدى ، فالعائد حينئذ مذكور . وقوله : «وسِيق» عطف على حَطَّت ، أى وعَمْر الذى سيق إليه . والباقر نائب فاعل سِيق ، وهو اسم جمعٍ[2] معناه جماعة البقر . والغُيُل بضمتين : جمع غَيْل ، بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية ، بمعنى الكثير . يريد : إنِّى أُقسم بالله الذى تُسرِع الإبل إلى بيته ويُساقُ إليه الهَدْى .

والخطيب التبريزى لم يأْت فى شرح هذا البيت بشىءٍ ، مع أَنَّه اختلفت الرواة فيه ، وخطَّأَ العلماءُ بعضُهم بعضاً فيه .

وقد روى أَبو القاسم على بن حمزة البصرى (فى أَول كتابه : التنبيهات على أَغلاط الرواة) . ما وقع للأَئمة الأَعلام من الردود وتخْطِئَة بعضِهم بعضًا ، فلا بأْس بإيراده ، قال :

---

(١) ط : « يدل عليها » .

(٢) ط : « وهو اسم موضع » ، صوابه فى ش .

ونقِل إلينا من غير وجهٍ أنّ أبا عمرو الشَّيْبانىَّ قال : روى أبو عبيدة بيت الأعشى: « وسيق إليه الباقر العَثَلُ » أى بعين مهملة وثاءٍ مثلثة مفتوحتين ، فأرسلت إليه : صَحَّفتَ ، إنما هو الغُيُل: أى الكثير، يقال: ماءٌ غيل، إذا كان كثيراً. وروى عنه أيضاً أنّه قال: الغُيُل: السِّمان، من قولهم : ساعِدٌ غَيْلٌ . وكان أبو عبيدة يروى هذا البيت

إنّى لعَمْرُ الذى حَطَّت مناسمُها تَخدِى وسِيق إليه الباقرُ العُثُلُ

وحكى ابن قتيبة أنَّ أبا حاتم قال : سألت الأصمعى عنه فقال : لم أسمع بالعُثُل إلاّ فى هذا البيت. ولم يفسِّره. قال : وسألت أبا عبيدة عنه فقال : العُثُل : الكثير . قال ابن قتيبة : وخبَّرنا غيره أنَّ الأصمعى كان يروى .

* وجَدَّ عليها النافر العَجِلُ *

يريد النِّفار من مِنى . والنّافر لفظُه لفظُ واحد وهو معنى جمع . وقد اختُلف عنه فى « العجل » فقال بعض : « العُجُل » بضم العين ، وقال بعض : « العَجِل» أى بفتح فكسر ، وجعله وصفًا لِواحد . قال : ورواه أبو عبيدة: « حَطَّت مناسمها » بالحاءِ غير معجمة، وقال: يعنى حِطاطها فى السَّير[1] ، وهو الاعتماد . ورواه الأصمعى: « خَطَّت مَناسِمُها » بالخاءِ المعجمة، أى شَقَّت التراب . وأنشَدَ للنابغة : ١٣٤

* فما خططتَ غبارى[2] *

أى شققته . وقال الأصمعى : حَطَّت خطاً .

---

(١) الحطاط وردت فى القاموس ولم ترد فى اللسان .

(٢) البيت بتمامه كما فى التنبيهات ٨١ ، وديوان النابغة ٣٤ وما سيأتى فى ص ٤٥٨ :

أرأيت يوم عكاظ حين لقيتنى تحت العجاج فما خططت غبارى

فانظر إلى اختلافهم فى هذا البيت . وردٍّ بعضهم على بعض، ومُراسلة أبى عمرو أبا عبيدة فيه .

وقد أصاب أبو عمرو فى الغُيُل، وصحَّف أبو عبيدة، لأنَّ لتفسيرىْ أبى عمرو وجهين صحيحين معروفين، وتفسير أبى عبيدة غير مسموع من غيره ولا معروف[1] .

ولا تلتفتنَّ إلى قول ابن دريد: نَعَمٌ عَثَلٌ وعثِلٌ : كثير[2] ولا إلى قوله[3] : العَثَل: الغلظ والفخامة، عَثِلَ يَعثَل عَثلاً . وكلُّ كثيرٍ عَثَل[4] . فكل هذا عن أبى عبيدةَ .

وأصابَ أبو عبيدة فى حَطَّت، لأنه وجه صحيح، وأخطأ الأَصمعىُّ فى قوله : حَطَّت بالمهمَلة خطأٌ . ولأَنْ تكونَ معتمِدةً فى سيرها بمناسمها خيرٌ من أَن تكون خاطَّة . والحَطّ بالمهملة : الاعتماد، يقال حَطَّ يحُطُّ حطًّا ، إذا اعتمد . ولمَّا لم يعرفه الأَصمعىُّ ردَّه . قال عمرو بنُ الأَهتم :

ذَرِينى فإنَّ الشيخَ يا أُمَّ هيثمٍ ... لصالحِ أَخــلاقِ الرِّجال سَرُوقُ[5]
ذرينى وحُطِّى فى هـــواى فإنَّنى ... على الحَسَبِ الزاكى الرَّفيعِ شفيقُ[6]

ومن هذا أُخذ : حطُّ الأَديم ، وهو صقلُه ودلْكُه ، وذاك لأَنَّ صاقله

(١) جمهرة ابن دريد ٢ : ٤٥ .
(٢) ما بعده إلى : « أبى عبيدة » ساقط من التنبيهات .
(٣) ط : « وإلى قوله » .
(٤) ش : « وكل شىء عثل » ، صوابه فى ط .
(٥) المفضليات ١٢٥ والحماسة ١٦٥٢ بشرح المرزوقى و ٤ : ١٩٢ بشرح التبريزى .
(٦) ما بعد هذا البيت إلى نهاية النص لم يرد فى نسخة التنبيهات .

يعتمد عليه . يقال حطَّه يحطُّه حطًّا ، فهو أَديمْ محطوط . والخشبة التى يُصقَل عليها يقال لها المِحَطُّ . قال النمر بن تولب :

كأَنَّ مِحَطًّا فى يدَىْ حارثيّةٍ صَناعٍ علَتْ منّى به الجِلدَ من علُ[1]

شبَّه بَرَقان بدنِه لماءِ الشباب وترارتِه ، بالأَديم المصقول . انتهى ما أَورده أَبو القاسم .

وقال العسكرى (فى كتاب التصحيف) : وقد روَوْا بيتاً من شعر الأَعشى على عشرةِ أَوجه ، وهو :

إِنِّى لعمر الذى حَطَّتْ مناسمها . . . . . . البيت

وذكرتُ الأَوجهَ ليُعلَم قدرُ عنايتهم بالعلم، وصرف اهتمامهم إليه . رواه الأَصمعى : « إِنِّى لعمرُ الذى خَطَّت » بالخاءِ المعجمة . وروايةعَسل[3] عنه بالحاءِ غير المعجمة . وقال الأَصمعىُّ : خَطَّت ، يعنى أَنَّها تشقُّ التراب. قال : ومثله قول النابغة :

أَعلِمتَ يومَ عُكاظَ حينَ لقِيتَنى
تحتَ العَجَاج فما خَطَطتَ غُبارِى[4]

أَى قصَّرتَ عنه أَن تدركه . قال : ولا يكون حَطَّت ، لأَنَّ الحِطاط

(١) ديوان النمر ٨٥ والحيوان ٥ : ٤٨ واللسان (حطط) ، وهو من قصيدة أولها :
تأبد من أطلال جمرة مأسل وقد أقفرت منها سراء فيذبل

(٢) التصحيف ٢١٤ – ٢١٧ .

(٣) هو عسل بن ذكوان العسكرى النحوى . روى عن المازنى وقرأ عليه كتاب سيبويه ، وروى أيضاً عن الرياشى ، وكان فى أيام المبرد . وله : أقسام العربية ، والجواب المسكت . انظر: إنباه الرواة ٢ : ٢٨٣ وفيه مراجع ترجمته .

(٤) سبق الكلام عليه قريباً .

الاعتماد فى الزِّمام . ورواها أبو عمرو : « حَطَّت » بالحاء وقال : هو أن يعتمد فى أحد شِقَّيه . ورواه : « تَخْدِى» بالخاء المعجمة ، وقال : «الباقر العيل » بعين غير معجمة بعدها ياءٌ تحتها نقطتان . وفى رواية الزيادىّ عن الأَصمعىّ : « الباقر العثل » بعين وثاءٍ فوقها ثلاث نقط ، وفسَّره فقال : العَثَل والعَثَج واحد ، وهو الجماعة . وفى رواية عَسَل: « حَطَّت » بالحاءِ غير المعجمة ، وقال : معناه أسرعَت . قال: والعَثَل الكبير الثقيل: يقال انكسرت يدهُ ثم عَثِلَتْ تعثَل ،أى ثقُلت عليه. هذه رواية الأَصمعى. ورواه أَبو عبيدة : « حَطت » بالحاءِ ، وهو الاعتماد فى أَحد شِقَّيها إذا سارت . وروى:« العَثَل » وقال : هى القطيع والجماعات، يقال ذلك فى الناس والإبل . وكذلك العَثَج ، ولم يعرف الغُيُل . ورواه أَبو عمرو الشيبانى: « الغُيُل » بغين معجمة وتحت الياء نقطتان ، وفسَّره بالكثير وقال : يقال ماءٌ غُيُل إذا كان كثيراً . والغُيُل أَيضاً السِّمان . يقال ساعدٌ غَيْل ، إذا كان ممتلئًا ريًّا . قال: وروى أَبو عبيدة: « العُثُل » بالثاء منقوطة بثلاث ، فأَرسلتُ إليه : أَنْ قد صَحَّفت ، إنَّما هو الغُيُل . ١٣٥

وروى بعضهم عن الأَصمعىأَنَّه قال : الرِّواية : « وجَدَّ عليها النافر العُجلُ » بالجيم . والنافر بالنون والفاء . أى خَطَّت مناسمها تَخدِى ذاهبةً ثم جَدَّت عليها النُّفَّار من مِنًى حيث نَفَروا .

وقال أَبو الحباب : قلت له : إنَّما قالَ النافر ،وهو واحدٌ، ثم قال العُجُل؟ فقال : كقولك : يأَيُّها الرجل وكلُّكم ذلك الرجل . وكثيراً ما يجىء الواحد فى معنى الجميع[1] .

(١) ط : « الجمع » ، وأثبت ما فى ش وكتاب التصحيف ٢١٦ .

ورواه أبو عبيد القاسم بن سَلاَّم عن أصحابه « خَطَّت » بالخاء المعجمة ، وقال : يعنى أنَّها تشقُّ التراب . قال : وكذلك قول النابغة [1] :

* فما خططتَ غبارى *

يعنى ما شققته ، أى قصَّرت عنه ولم تُدرِكْه . وروى بعضُهم : « حَطَّت مناسمُها تُحدَى » بحاء مهملة بدلا من تَخدِى .

فانظر إلى هذا البيت ، وكم أتعب من الرُّواة والعلماء واحتملوه ، لطلب الفائدة فيه . انتهى كلام العسكرى .

وقوله : « لئن قتلتم » إلخ اللام هى الموطِّئة للقسَم . وقوله لَنقْتُلَنْ جواب القسم ، وجواب الشرط محذوفٌ دلَّ عليه جواب القسم .

وقوله : « وإنْ مُنِيتَ بنا » إلخ يأْتى إن شاء الله شرحُه فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد التسعمائة ، فى حروف الشرط . والخطاب ليزيدَ بن مُسْهر الشَّيبانى ، فإنَّه كان أغوى بنى سَيَّار فى أن يقتلوا سيِّدًا من رهط الأعشى ، على ما تقدَّم سببُه هناك .

والعميد : السيِّد الذى يُعمَد ، أى يُقصَد . والصَّدَد ، بفتحتين : المقارِب . وقوله : « فتمتثل » أى نقتل الأمثل . وأماثل القوم : خيارهم . يقول : والله إن قتلتم منَّا دونَ السَّيِّد لنقتلُ أمثلَكُم .

وقوله : (لا تنتهون) إلخ أى لا تنزجرون . وقوله : (ولن ينهى) إلخ البيت : جملة معترضة بين لا تنتهون وبين متعلِّقه وهو حَتّى يظلَّ ، البيت الآتى . وزعم العينى أنَّ الجملة حاليّة . وعُذره أنَّه لم ينشد البيت الذى

(١) كلمة « النابغة » ساقطة من ش ، وفيها : « وكذلك قوله » .

بعده . ويروى: (أتنتهون) بالاستفهام الإنكارى (ولن ينهى) بفتح الهاء ، وذوى مفعول مقدم. يقال ينهاه، أى يزجره ويمنعه. و (الشَّطَط) بفتحتين : الجَور والظُّلم . فى (المصباح): شطَّ فلانٌ فى حكمه شطوطاً وشططاً : جار وَظلم . وشط فى القول شَطَطا وشُطوطاً : أغلظَ فيه . وشطَّ فى السَّوم : أفرط . والجميع من بابى ضرب وقتل[1] . والكاف من قوله (كالطعن) اسمٌ فاعلُ ينهى، والطعن مضاف إليه، وهو مصدر طعنه بالرمح طعناً ، من باب قتل . ويهلك بكسر اللام من باب ضرب . وجملة (يهلك) إلخ صفة للطعن، لأنَّ اللام فيه للجنس . (والفُتُل) بضمتين : جمع فتَيلة ، أراد فتيلة الجراحة . والمعنى : لا يَنهَى أصحابَ الجَور مثلُ طعن جائف ، أى نافذ إلى الجوف ، يَغيب فيه الزَّيت والفُتل. يريد أنَّه لا يمنع الجائِرينَ من الجَور إلاَّ القتْل .

وقوله : «حَتى يظلَّ[2] » إلخ حتَّى جارَّة بمعنى إلى متعلِّقة بقوله لاتنتهون. ويظلّ بمعنى يستمرّ، منصوب بأن مضمرة بعد حتى . وعميد القوم، أى سيِّد القوم منكم . والمرتفق : الطالب الرفقَ والإعانة . والرَّاحُ : جمع راحة اليد . والعُجُل بضمتين جمع عَجول وهى الثَّكْلَى[3] . يقول: حتى يظل سيِّد الحى تدفع عنه النساءُ بأكفِّهنَّ لئلا يُقتل ، لأنَّ من يدفَع عنه من الرجال قُتِل . وقيل المعنى : يدفعْن لئلا يوطأً بعد القتل . وهو المناسب لقوله : «أصابه هندوانىٌّ» أى سيفٌ منسوب إلى الهند. وأقصده : قتلَه مكانه. وذابل ، هو الرُّمح . والخَطُّ بالفتح : موضعٌ باليمامة تُنسب إليه الرماح ، وهى لا تنبت بالخَطِّ، إنَّما هو ساحلٌ للسُّفن التى تحمِل القَنا إليه وتُعمَلُ به[4] . ١٣٦

(١) الكلام بعده إلى « من باب ضرب » ساقط من ش .

(٢) الكلام بعده إلى « حتى يظل » التالية ، ساقط من ش .

(٣) فى الأصل هنا، وفى ط فقط : « الشكلاء» صوابه ما أثبت . يقال امرأة ثاكل وثكول وثكلى . وقد يقال ثكلانة أيضاً فى قلة .

(٤) فى اللسان : « فتقوم به » .

وترجمة الأعشى تقدّمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد السبعمائة[2] :

٧٧٧ (وأَنْتِ الّتى حَبّبْتِ شَغباً إلى بَدًا إلىَّ وأَوطانى بلادٌ سِواهُما[3])

على أَنَّ (إلى) الأُولى فيه للانتهاء ، أى مضافًا إلى بدًا . وذكر المتعلّق لإفادة أنَّ إلى مع مجرورها واقعةٌ موقعَ الحال من شَغْب ، ولإفادةِ أنَّ الغايةَ داخلٌ فى المُغيَّا .

وزعم الكوفيون أنّها هنا بمعنى مع ، وهو خلافُ الأَصل من غير ضرورةٍ تُلجئُ إليه .

ومن الغريب قولُ ابن هشام (فى المغنى) : إنّها بمعنى الفاء . قال : إذ المعنى شغباً فبدًا ، وهما موضعان . ويدلُّ على إرادة الترتيب قوله بعده :

حَللْتِ بهـذا حَلَّةً ثم حَـلّةً بهذا ، فطاب الواديان كلاهُما

وهذا المعنى غريب لأنّى لم أر من ذكره . اهـ .

وقد ردَّ عليه شارحه الدمامينى بأَنَّ من حقِّ النُّحاة أَن لا يذكروهُ مستندين إلى هذا الدليل ، فإنّا لا نسلّم إرادة الترتيب فى البيت الأَوّل ، لاحتمال أن يكون إلى فيه للمعية ، كما قاله جماعة كثيرة ، ومتعلِّقة بمحذوف إن لم نقُل بذلك ، أى معبدا أو مضموماً إلى بدا . والبيت الثانى

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ .
(٢) ط : « وأنت الذى » ، صوابه فى ط ومراجع التخريج التالية .
(٣) المغنى ١٦٢ والهمع ٢ : ١٣١ واللسان (بدا ٧٣) والحماسة ١٢٨٨ بشرح المرزوقى ومعجم ما استعجم ١ : ٢٣٠ وديوان كثير عزة ٣٦٣ .

لا يدلُّ على إرادة الترتيب فى الأَوّل ، إذْ حلولها بأَحد المكانين بَعْدَ حلولها بالاخَر لا يقتضى أَنَّ المكانَ الأَوّلَ حُبِّب إليه أَوّلا بسبب حلولِها فيه ، وأَنَّ الثانىَ حُبّب إليه بعد ذلك لحلولها به ، إذْ من الجائز أَن يكون حُبُّ المكانين حَصَل له فى آنٍ واحد بعد حلولها فيهما على الترتيب . ثُمّ ولو سُلِّم دلالة البيت الثانى على الترتيب فى الأَوّل لم يدلَّ على دعواه ، لأَنَّ الترتيبُ الواقعَ فى الثانى إنَّما هو بثمّ لا بالفاءِ . وفى بعض النسخ : « حَلَّةً بعد حَلَّةٍ » . ا هـ .

وأَمّا (إلى) الثانية فقد شرحها الشارح المحقق بعد أسطر .

صاحب الشاهد

والبيْتان فى الحماسة ، ونسبهما لكثيِّر عزّة . والرواية فيها كذا :

وحَلَّت بهذا حَلَّة ثم أَصبحَتْ بهــذا فطــاب . . . . إلخ

قال المرزوقى : خاطبها فى البيت[1] معتدًّا عليها، بأَنَّه كما آثرها على أَهله وعشيرته ، آثر بلادَها على بلاده ، فذكرَ طَرَفَىْ مَحَالِّها فقال : أُحبُّ لكِ وفيلكِ شغْباً إلى بدا ، وبلادى بلادٌ غيرهما . ثم أَخبر عنها فى البيت الثانى فقال :نزلَتْ بهذا، يشير إلىشَغْب، نَزْلةً[2] ثم أَصبحَتْ ببَدًا، ففاح الواديان وتضوَّعا بريَّاها . ومثلُه قول الاخر :

استودَعَتْ نَشْــرها الــرّياض فمــا
تــزدادُ طِيبــاً إلّا على القِــدَمِ

وفى بعض نسخ الحماسة بيتٌ بينهما ، وهو :

إذا ذرفَتْ عيناىَ أَعتــلُّ بالقــذى
وعَزَّةُ لو يدرى الطبيبُ قذاهمــا

(١) فى شرح المرزوقى : « فى البيت الأول » .
(٢) فى النسختين : « نزلت » ، صوابهما فى شرح المرزوقى .

أَى عزَّة سبب قذاهما . (وشغْب) بفتح الشين وسكون الغين المعجمتين . و (بَدًا) بفتح الموحَّدة بعدها دال مهملة فأَلف مقصورة . قال العسكرى (فى كتاب التصحيف) : هما من بلاد عُذرة، يريد أَنَّهما من بلاد اليمن.

ويناسبه ما نقله أَبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) بعد قوله : شَغْب: قرية الزُّهرى الفقيه: عن ابن أَبِى أُويس قال: خرج عبد الله بن السائب المخزومى نحوَ اليمن ومعه ابنُه ، فنزلا على غَدَا ئهما، فقال عبد الله ابن السائب :

١٣٧ فلمَّا علوْا شَـغْباً تبيَّنْتُ أَنهُ تقطعَ من أَهل الحجازِ علائِقى

فقال ابنُه :

فلا زلنَ حَسْرَى ظلعاً لِمْ حَمَلْننا
إلى بلدٍ ناءٍ قليل الأَصادقِ[1]

فقال أَبوه : أُمُّك طالقٌ إنْ تغدَّينا أَو تعشَّينا إلاَّ على هذين البيتين .

ولكنَّه قال : شغب قد تقدَّم ذكره وتحديده فى رسم بدا . والذى قاله فى بدا: أَنَّه موضعٌ بين طريق مصر والشام . قال كثيِّر :

وأَنتِ التى حببتِ شغباً إلى بدا . . . . . . البيت

وشَغْب: منهلٌ بين طريق مصر والشام أَيضاً . قال جميل :

أَلا قد أَرى أَنْ لا بُثينةُ تُـرتَجَى
بِوادى بَدًا ، ولا بحُسْمَى ولا شَغْبِ[2]

(١) ش : « لو حملتنا » ط : « لم حملتنا » ، صوابه ما أثبت من معجم ما استعجم . وفى إحدى روايات المعجم : « إذ حملتنا » .

(٢) ديوان جميل ٣٣ ومعجم ياقوت ، ومعجم ما استعجم ، والأغانى٧ : ٨٧ . وعند ياقوت : « بوادى بداء لا بحسمى » ، وعند البكرى : « بوادى بدا ولا بحسمى » ، وفى الديوان : « بوادى بدا فلا بحسمى » .

وقد ورد «بدا» فى شعر زيادة بن زيد ممدودًا، فلا أدرى أمدَّه ضرورة أم فيه لغتان . قال :

وهُمْ أطلقوا أَسْرَى بَدَاءَ وأدركـــوا
نساءَ ابنِ هندٍ حين تُهـــدَى لقيْصَرا

هذا ما ذكره . وهو لا يناسب شعر ابن السائب ولا شعر جميل ، فإنّه عُذرىٌّ .

ولم يزد ابن ولّاد والقالى (فى المقصور والممدود لهما) على قولهما : بدا : اسم موضع ، مقصور ، يكتب بالألف . يقال بين شَغْبٍ وبَدَا . وأنشد البيت الشاهد . واللهُ أعلم .

وترجمة كثيِّر عزَّةَ تقدَّمت فى الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلثمائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد السبعمائة[2] :

٧٧٨ (فلا تترُكَنِّى بالوعيـــدِ كأنَّنى
إلى الناس مَطْلِىٌّ به القـــارُ أَجْرَبُ)

على أنَّه قيل (إلى) فيه بمعنى فى ،والوجه أن تكون على أصلها للانتهاء ؛ لأَن قوله مطلىٌّ به القار معناه مكَرَّهٌ مبَغَّض . وهو يتعدَّى بإلى .

وهذا توجيه ابن عصفور ، قال (فى كتاب الضرائر) : إنَّما وقعَتْ فيه إلى موقعَ فى ، لأَنَّه إذا كان بمنزلة البعير الأَجرب المطلىّ الذى يُخافُ

(١) الخزانة ٥ : ٢٢١ – ٢٢٤ .
(٢) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٦٨ وضرائر ابن عصفور ٢٣٥ ورصف المبانى ٨٣ والمغنى ٧٥ والهمع ٢ : ٢٠ والأشمونى ٢ : ٢١٤ وديوان النابغة ١٣ .

عَدْواه فيطردُ عن الإبل إذا أراد الدخولَ بينها ، كان مبغضاً إلى الناس ، فعومل مَطليٌّ كذلك مُعاملة مبغَّض .

وقال فى موضع آخر : هو على تضمين مَطليّ معنَى مبغَّض . ولو صحّ مجئ إلى بمعنى فى لجاز زيد إلى الكوفة . ا هـ .

وقال بعضهم : إلى متعلَّقة بمحذوف ، أى مطليٌّ بالقار مضافاً إلى الناس، فحذف[1] وقلب الكلام . ولا يخفى سماجتُه .

و (الوعيد) : التهديد . و (القار) هنا : القَطِران . وإنَّما شبَّه نفسه بالبعير الأَجرب المطليّ بالقطران ، لأَنَّ الناس يطردونه إذا أرادَ الدخولَ بينَ إبلهم ، لئلا يَعُرَّها بالقطران ويُعدِيَها بدائه . والقار نائب فاعل مطليّ ، وبه متعلِّق بمطليّ . والأَصل مطليٌّ بالقار، فمرفوع مطلى هو المستتر، لكنَّه قلَبَ . وقيل : روى « القارِ » بالجرّ على أَنَّه بَدل من ضمير به ، فلا قلب .

صاحب الشاهد: والبيت من قصيدة للنابغة الذُّبيانى يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر اللخمى فى شىءٍ اتُّهمَ به عنده ، فهرب منه إلى ملوك الشام بنى جَفْنة الغسَّانيِّين كما تقَدم بيانُه فى ترجمته ، واعتذر إليه بعدةِ قصائِدَ فى انضمامه إلى بنى جَفنة ، والتبرِّى مما رمِىَ به ، أَوَّلُها :

أبيات الشاهد: (أَتانى أَبيتَ اللَّعنَ أَنَّك لُمْتَنِى ... وتلك التى أَهتمُّ منها وأَنْصَبُ)

إلى أَن قال :

١٣٨ (حلفتُ فلم أَتْرُكَ لنفسِكَ رِيبة ... وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مَطْلبُ)

---

(١) ط : « فحذفت » ، وأثبت ما فى ش .

لئن كنتَ قد بلِّغتَ عنِّى جنايةً ... لَمُبْلِغُك الواشى أغشُّ وأكذبُ
ولكنَّنى كنتُ امرأً لىَ جانبٌ ... من الأرضِ فيه مُستَرادٌ ومَذهَبُ
ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما أتيتُهم ... أُحَكَّم فى أموالهم وأُقرَّبُ
كفِعلِك فى قومٍ أراكَ اصطنعتَهُمْ ... فلم تَرَهمْ فى شُكرِ ذلك أذنبوا
فلا تتركَنِّى بالوعيد كأنَّنى ... إلى الناس مطلىٌّ به القارُ أجربُ
ألم تر أنَّ اللهَ أعطاك سُورةً ... ترى كُلَّ مَلكٍ دُونها يتذبذبُ
فإنَّكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعَتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ[1]
فلستَ بمستبقٍ أخاً لا تلُمُّه ... على شَعَثٍ أىُّ الرجالِ المهذَّبُ[2]
فإنْ أكُ مظلوماً فعبدٌ ظَلمتَه ... وإن تكُ غضباناً فمثلك يعْتِبُ)

وقوله : أبيتَ اللعن ، جملةٌ دعائية ، اعترض بها بين الفعل وفاعله ، يخاطِبون الملوكَ بها تحيَّةً . ومعناه أبيتَ أن تفعلَ شيئا تلعن به[3] . قال ابن الأنبارىّ (فى شرح المفضليات) : أى أبيتَ أن تأْتىَ من الأخلاق المذمومةِ ما تُلعن به[4] . وكانت هذه تحيَّةَ ملوكِ لخمٍ وجُذام ، وكانت منازلهم الحِيرةَ وما يليها . وتحيةُ ملوك غَسَّان : يا خيرَ الفتيان . وكانت منازلهم الشام . و « تلك » إشارةٌ إلى الملامة المفهومة من لُمْتَنِى ، إذ المعنى أتتنى مَلامتُك إيَّاى . وأهمّ : أصِيُر ذا هَمّ . وأنصَبُ : مضارع نَصِب كفرح ، أى أتعَبُ وأعيا .

وقوله : « حلفت » قسمٌ ، وجوابه : لئن كنت ، وما بينهما اعتراضٌ . والرِّيبة : الشكّ ، وجملة « وليس وراءَ اللهِ » إلخ جملة مؤكدة لمضمونِ

(١) فى الديوان ١٣ : « لأنك شمس » .
(٢) فى الديوان : « ولست » .
(٣) ش : « تلعن عليه » .
(٤) ش : « ما تلعن عليه » .

ما قبلها ؛ فإنَّه إذا لم يكنْ وراءَ الله مطلبٌ لأَحدٍ لم يحلفْ بأَعظمَ منه فكيف يَحلِفُ به كاذباً .

وهذا البيتُ وما بعده من الأَبيات الأَربعة استشهد به أَهلُ البديع على النوع المسمَّى عندهم بالمَذْهَب الكلامىّ ، وهو إيراد حُجَّةٍ للمطلوب على طريقة أهل الكلام[١] .

والجناية : الذّنب . والواشى : النمّام . وغشّه : لم يُخلِص له النُّصح . و « لى جانب من الأَرض » صفة امرأً ، وفيه إعادة الضمير الرابط ضمير تكلُّم . وأَراد بالجانب أَرضَ الشام . والمُستراد : موضعٌ يُتردَّد فيه لطلب الرِّزق . وملوكٌ وإخوانٌ بدلٌ من مُستَرادٌ ومذهَب ، أَو بتقدير : فيه ملوكٌ وإخوان . ومعنى أُحكَّم : أَتصرَّف فى أَموالهم كيفَ أشاءُ .

وقوله : « كفعلك » إلخ ، قال الأَصمعىّ : يريد كما فعلتَ أَنتَ بقوم قرَّبتَهم وأَكرمتهم ، فتركُوا الملوك ولزموك ، فلم تَرَ ذلك ذنباً عليهم . وقوله : « فى مثل ذلك[٢] » أَى فى زيارتك والوفادة إليك .

والسُّورة بالضم :المنزلة الرَّفيعة والشرف . وبالبيت استشهد البيضاوىُّ لمعنى السُّورة . ومَلْك بسكون اللام : لغَةٌ فى كسرها . ويتذبذب : يضطَرِب .

وقوله : « فإنَّك شمسٌ » قال المبرِّد : هذا من أَعجب التشبيه .

وأَراد بهذا البيت والذى قبله ، تسليةَ النُّعمان عما حَصَلَ عنده من

---

(١) انظر تحرير التحبير ١١٩ - ١٢١ .

(٢) هذه رواية أخرى فى البيت الخامس من هذه المقطوعة . وفى تحرير التحبير : « فى مدحهم لك أذنبوا » . وفى الديوان ١٣ : « فى شكر ذلك أذنبوا » كما فى الخزانة فى الرواية الأولى .

مدحِه لآل جفنة ، ثم كرَّ معتذرًا عن زلَّته فقال : و « لستَ بمستبق أخاً » إلخ ، يقول : أىُّ الرِّجال يكون مبرّأً من العيوب؟ فإنْ قطعْتَ إخوانك بذنبٍ لم يبق لك أخٌ . وتلمُّه : تصلِحُه وتُصلِح ما تشعَّث من أمره وفَسَد.

١٣٩ والبيت استشهد به علماءُ البيان للتذييل ، وهو تعقِيبُ الكلام بجملة تشتمل على معناهُ ، للتوكيد[١] .

وقوله : « فإن أكُ مظلوماً » أى باستمرار غضَبِكَ علىَّ . جعَلَ غضبه ظلماً له ، لأنَّه عن غير مُوجِب . فأنت إنَّما ظلمتَ عبدًا من عبيدك ، وليس لأحدٍ اعتراضٌ فيه . وقوله : « وإن تكُ غضبانًا إلخ» روى أيضاً : « وإن تَكُ ذا عُتْبَى فمثلك يُعْتَب » بالبناء للمفعول ، أى يُرجَع له إلى ما يُحبّ . ويقال : لك العُتبَى ، أى الرُّجوع إلى ما تحبّ . وقيل يُعتِب بالبناء للفاعل ، أى يُعطِى العُتْبى ، يقال أعتَبه إذا أعطاه الرِّضا ، وهو العُتْبَى .

وترجمة النَّابغة تقدمت فى الشاهد الرابع بعد المائة[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد السبعمائة[٣] :

٧٧٩ (وإنْ يَلتق الحىُّ الجميعُ تُلاقِنِى إلى ذِروة البَيْتِ الكريمِ المصَمَّدِ)

على أن (إلى) فيه على أصلها ، وهى مع مجرورها حالٌ من الياء فى تلاقنى ، متعلِّقة بمحذوفٍ تقديرُه : تلاقنى منتسباً إلى ذروة البيت إلخ.

وليست هنا بمعنى فى كما قيل ، حكاه ابن السَّرّاج ، قال (فى الأُصول) : وقالوا فى قول طرفة :

(١) تحرير التحبير ٣٨٧ — ٣٨٨ . وفى النسختين هنا : « على معناها » .

(٢) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

(٣) الأصول ١ : ٥٠٦ والأزهية ٢٨٤ والاقتضاب ٤٣٢ وابن الشجرى ٢ : ٢٦٨ ورصف المبانى ٨٣ .

* وأن يلتقِ الحيُّ الجميعُ تلاقنى * إلخ .

إنَّ إلى بمعنى فى .

وما ذهب إليه الشارح المحقِّق هو قول الزوزنى شارح المعلقات فى شرح هذا البيت ، يقول : وإن اجتمع الحىُّ للافتخار تلاقنى أَنتَهى إلى ذروة البيتِ الشريف ، أَى إلى أَعلى الشرف . يريد أَنَّه أَوفاهم حظًّا من الحسَب ، وأَعلاهم سَهْماً من النَّسب . وقوله تلاقنى ، يريد : أَعتزى إلى ذروة ، فحذف الفعل لدلالة الحرف عليه . ا هـ .

وكذا (فى شرح أَدب الكاتب) لابن السِّيد البطَلْيَــوْسى ، قال : « قيل معناه فى ذروةٍ[1] » . وهذا لا يلزم ، لأَنَّه يمكن أَن يريد آوياً إلى ذروة كما قال تعالى : ﴿سآوِى إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنى من الماء[2]﴾ ، فلا حُجَّة فيه .

وقال الأَعلم الشَّنتمرىُّ (فى شرح المعلقة) : يقول : إذا التقى الحىُّ الجميعُ بعد افتراقهم وجَدتَنى فى موضع الشَّرفِ منهم وعُلوِّ المنزلة . وقوله : إلى ذروة ، أَى فى ذروة البيت . وذِروة كلِّ شىءٍ : أَعلاه . والمصمَّد : الذى يَصمِدُ إليه الناس لشرفه ، ويلجئُون إليه فى حوائجهم . والصَّمْد : القصد . ا هـ .

وقال ابن السكيت (فى شرح ديوان طَرَفة) : أَى إذا التقى الحىُّ الجميع الذين كانوا متفرِّقين وجدتنى فى الشَّرف .

وقال أَبو جعفر النحَّاس ، والخطيب التِّبريزى : يريد : وإنْ يلتقِ

(١) الذى فى الاقتضاب : « وذروة كل شىء : أعلاه » ، فلعله استنباط من البغدادى .
(٢) الآية ٤٣ من سورة هود .

الحىُّ للمفاخرة وذِكرِ المعالى تجدْنى معهم . قال أبو الحسن: معنى إلى ذروة مع ذروة ، وهو تمثيلٌ . وإنَّما يريد بالبيت ههنا الأَشرافَ الذين يُقصَدون ، فشبَّههم ههنا بالبيت الرفيع . ا هـ .

فهذا معنًى ثالثٌ لإلى فى البيت .

صاحب الشاهد

وهو من معلقة طرَفَة بنِ العبد . وقبله :

أبيات الشاهد

(ولستُ بحلاَّل التِّلاعِ مخافةً
ولكنْ متى يَسترفِدِ القــومُ أَرفِدِ

فإنْ تَبْغنى فى حَلقة القومِ تَلقَنى
وإن تَقتنصْنِى فى الحــوانيتِ تَصْطدِ

مَتى تـأْتنى أَصْبَحْــكَ كأْساً رويَّةً
وإن كنتَ عنها ذا غنًى فاغن وازددِ

وإن يلتق الحى الجميــع تلاقنى
. . . . البيت

نداماىَ بيضٌ كالنجــوم وقَينــةٌ
تَرُوح علينـــا بين بُرْد ومُجْسَــدِ

رحيبٌ قِطابُ الجيبِ منها رفيقةٌ
بجسِّ النَّـــدامى بَضَّــةُ المتجرِّدِ)

١٤٠ قوله : « ولست بحلال التلاع » إلخ تقدَّم شرحُه مع الذىبعده فى الشاهد السادس والتسعين بعد الستمائة [1] . وكذلك تقدَّم شرح قوله : «نداماىَ

(١) انظر ما مضى فى ص ٦٦ .

بيضٌ » مع البيت الذى بعده فى الشاهد الواحد بعد الثلثمائة ، وفى الشاهد الذى بعد الثانى عشر والستمائة .

وقوله : « متَى تأْتِنى أَصبَحْكَ » إلخ فى الصحاح : الصبوح : الشُّرب بالغداة ، وهو خلاف الغَبُوق . تقول : صبَحتُه صَبْحاً . ا هـ . يقول : أَسْقِكَ صَبوحاً. والرويَّة: المُرْوِية . والكأْس: الخمر فى الإِناء، [وهى الإِناء[1]] أَيضاً إِذا كان فيه خمر. ومعنى «فاغنَ وازدد »: فاغنَ بما عندك، أَى استغنِ به وازْدَدْ غِنًى .

وترجمة طرَفة تقدّمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده

(أَلقَى الصَّحِيفَةَ كى يُخَفِّفَ رحْلَه والزَّادَ حتَّى نعلَهُ أَلقاها[3])

تقدم شرحه مستوفًى فى الشاهد السابع والخمسين بعد المائة من باب الاشتغال[4]

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد السبعمائة[5] :

٧٨٠ (وأَكفِيهِ ما يَخشى وأُعطِيهِ سُؤْله
وأُلحِقُه بالقوم حتَّاهُ لاحقُ)

على أَنَّ المبرد زعم أَنَّ (حتَّى) هنا جَرت الضمير . وليس كذلك ،

---

(١) التكلة من ش .
(٢) الخزانة ٢ : ٤١٩ .
(٣) فى النسختين : « حتى رحله » ، والصواب ما أثبت .
(٤) الخزانة ٣ : ٢١ — ٢٥ .
(٥) الضرائر لابن عصفور ١٢٦ .

وإنما حتى هنا ابتدائيّة ، والضمير أَصله هو ، فحذف الواو ضرورة كما تقدَّم بيانه فى شرح قوله :

* فبيناهُ يشرِى رَحْلَه قال قائلٌ *

أَى بينا هو يَشرِى رحلَهُ ، فى الشاهد الثمانين بعد الثلثمائة [1] فحتَّى حرف ابتداءٍ داخلةٌ على الجملة ، وهو الضمير المحذوف واوُه ضرورةً ، فى محلٍّ رفع على الابتداء ، ولاحقٌ خبره . ولو كانت حرف جر لم يكن لذكر لاحقٌ بالرفع وجه .

ولم يتنبَّه لهذا صاحبُ اللُّبِّ ، وإنَّما قال : واختصَّت بالظَّاهر خلافًا للمبرِّد . و :

* أُلحقه بالقومَ حَتَّاه لاحقُ *

لا يعتدُّ به . قال شارحه السِّيِّد : لندورِهِ وشُذوذه ، ولو أَورد البيتَ الثانىَ لكان مناسباً .

وما ذهب إليه الشارح المحقِّق هو قول ابن عُصفور (فى الضرائر) ، قال : ومنه حذف الياءِ من هِىَ ، والواوِ مِن هُوَ ، نحو :

* دارٌ لسعدى إذهِ من هَواكا *

أَى : إذْ هى . وقول الآخر :

* وأُلحقهُ بالقوم حَتَّاهُ لاحقُ *

وقول العُجَير :

* فبيناهُ يَشرِى رَحْلَه قال قائلٌ *

---

(١) الخزانة ٥ : ٢٥٧ - ٢٦٤ .

أى حتى هو، وبينا هو . وحذفهما يؤدى إلى بقاء الضمير المنفصل على حرفٍ واحد ، وذلك قبيح ، لأنَّه عرضةٌ للابتداء ، فلا أقلَّ من أن يكون على حرفين : حرفٌ يبتدأُ به ، وحرفٌ يوقف عليه . ا ه .

و (أكفيه) : مضارع كفاه الشىءَ ، متعدٍّ إلى مفعولين ، بمعنى مَنَعته الشىءَ . وما المفعول الثانى ، موصولةٌ أو نكرة موصوفة . والسُّؤْل : ما يُسْأَل ، مفعول ثان لأَعطى . (وأُلحقه) : مضارع أَلحقه بكذا ، أى أَتبَعَه به فلحقَ هو به . وأَمّا ثُلاثيُّه فيقال لَحقته ولحِقتْ به ، من باب تعب لَحَاقاً بالفتح : أَدركْته ، يتعدَّى تارة بنفسه ، وتارة بالباء. كذا فى المصباح . وصلة لاحق فى البيت محذوف ، تقديره : حتّى هو لاحقٌ بهم .

والبيت لم أَقفْ على خبرٍ له . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد السبعمائة[1] :

٧٨١ (فلا وَاللهِ لا يلقَاه ناسٌ فتًى حَتَّاك يا ابنَ أَبى يَزيدِ)

١٤١ على أَنَّ المبرِّد تمسَّك به على أَنَّ (حتَّى) تجر الضمير .

وأجاب الشارح المحقِّق بأَنَّه شاذٌّ . والأَحسن أَنْ يقول ضرورة ، فإنه لم يرد فى كلامٍ منثور .

ولم يظهر لى معنى الغاية فى حَتَّى هنا . و (فتى) حال من الهاء أو بدل منه . وروى : (لا يَلْقَى أُناسٌ) ففتًى مفعول يَلْقَى . وروى العينى : « لا يُلفِى أَناسٌ » بكسر الفاء، فأُناسٌ فاعله ، ويُنْظر أين مفعولا أَلفى ،

(١) المقرب : ١ : ١٩٤ ورصف المبانى ١٨٥ . وانظر العينى ٣ : ٢٦٥ والهمع ٢ : ٢٣ والأشمونى ٢ : ٢١٠ .

فإن ألغى من نواسخ المبتدإ والخبر. وروى أيضاً آخره: (يا ابنَ أبى زياد). ولم أقف له على خبر، والله أعلم.

والغاية فى هذا البيت[(١)] ظاهرة:

أَتَتْ حَتَّاكَ تَقصِد كلَّ فجٍّ تُرجِّى منكَ أنْهـا لا تخيبُ[(٢)]

وهو من أبيات مغنى اللبيب.

ثم رأيت (فى شرح التسهيل لأبى حيّان) وقد أنشد بيت:

* فَتَى حتَّاك يا ابن أبى يزيد *

أنَّه قال: وانتهاءُ الغاية فى حَتَاك لا أفهمه، ولا أدرى ما عنى بحَتَاك فلعل هذا البيتَ مصنوع. اهـ.

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد السبعمائة، وهو من شواهد س[(٣)]:

٧٨٢ (فوا عَجَبَا حتَّى كليبٌ تسبُّنى كأنَّ أباهَا نَهْشلٌ أو مُجاشعُ)

على أن (حتَّى) فيه ابتدائية، وفائدتها هنا التحقير.

أنشدهُ سيبويه وقال: فحتَّى هنا بمنزلة إذا، وإنَّما هى ههنا كحرف من حروف الابتداء.

وقال الأندلسى[(٤)] (فى شرح المفصَّل): يقع بعدها الجملة الفعلية

---

(١) يعنى البيت التالى لا السابق.

(٢) المغنى ١٢٣ والتصريح ٢ : ٣ والهمع ٢ : ٢٣ والأشمونى ٢ : ٢١٠. وفى البيت شاهد آخر، وهو أن «أن» فى «أنها» مخففة من الثقيلة ومعها ضمير مذكور لا محذوف.

(٣) سيبويه ١ : ٤١٣. وانظر المقتضب ٤ : ٤٠٦ والأصول ١ : ٥١٨ والجمل ٧٨ وابن يعيش ٨ : ١٨، ٦٢ ورصف المبانى ١٨١ والمغنى ١٢٩ والهمع ٢ : ٢٤ وديوان الفرزدق ٥١٨.

(٤) هو علم الدين قاسم بن أحمد اللورقى الأندلسى المتوفى سنة ٦٦١ كما فى كشف الظنون. وسمى كتابه «الموصل، فى شرح المفصل». وانظر الأشباه والنظائر ٢ : ٧٦.

والاسمية . وتسمى[1] حرف ابتداءٍ ، وتفيدُ معناها الذى هو الغاية ، إمَّا فى التَّحقير أو فى التَّعظيم ، كما فى بيت الفرزدق :

* فواعجبًا حتَّى كليبٌ تسبُّنى *

أى تعجَّبُوا لسبِّ النَّاسِ إيَّاىَ حَتَّى كليبٌ ، كأنه يقول : كلُّ الناس تسبنى[2] حتَّى كليبٌ على حقارتها . ولو خَفض هنا كليبٍ لجاز ، ويكون تسبُّنى إمَّا حالٌ من كليب ، أو مستأْنَف ، وحَتَّى كليب متعلق به .

قال ابن المستوفِى بعد أن نقله : قوله أى تعجَّبوا فى تفسير (واعجبًا) ، غير صحيحٍ لأَنه ينادِى العجب[3] على ما ذكره العلماءُ تأَدُّباً لا يأْمُر أَحدا به . وقوله : « ولو خُفِض كليب هنا لجاز » محال ، لأَنَّ الخفض بعد حَتَّى إمَّا أَنْ يكون بالعطف على المجرور قبلها ، أو يكونَ بمعنى إلى ، ولا مجرورَ قبلها فتُعطفَ عليه . وليست بمعنى الغاية إذْ ليس ما قبلها مفردًا من جنس ما بعدها . فبقِىَ الرفعُ لا غير . وذكر قسميها[4] فى التعظيم والتحقير . ولم يأْت إلاَّ بالتحقير . وقوله : و « يكون تسُّبنى إما حال من كليب أو مستأْنف بالرفع فيهما » ، وصوابه « النَّصب فيهما » . ولا أَعلم ما أَراد بقوله : « وحتَّى كليب متعلِّق به » . ا هـ .

أَقول : أَمَّا فواعجبًا فقد روى أَيضاً : (فيا عَجَباً) بتنوينٍ وبدونه . أَمَّا الأَوَّل فيحتمل أَن يكون عجباً منادًى منكَّرا ، وَيحتمل أَن يكون

---

(١) ط : « تسمى » بسقوط الواو .

(٢) ط : « يسبنى » .

(٣) هذا الصواب من ش . وفى ط : « لأنه العجب » وقد كتبت « ينادى » فى ش بخط أحد المصححين للنسخة .

(٤) ش : « قسمتها » . والمراد أن الأندلسى لم يستشهد للتعظيم ، واقتصر على شاهد التحقير .

يا حرف تنبيه وعجباً مصدر منصوب بفعل محذوف، أى تعجَّبوا عجباً. ويحتمل أن تكون يا حرف نداءٍ والمنادى محذوف، أى يا قوم، وعجباً كذلك. فكلام الأندلسىِّ جارٍ على كلٍّ من هذين الوجهين. وأما الثانى فإنَّه أراد: فياعجبى، فقلب ياء المتكلم ألفاً، وهى لغة.

وأما قوله: « خفض كليبٍ محال » إلخ فنقول: هى جارّة والمغيَّا غير مذكور، والتقدير: فواعجباً الناسُ تسبُّنى حتَّى كليبٍ. وهذا المذكور لابدَّ منه فى الابتدائية أيضاً.

وقوله: « ولم يأْت إلَّا بالتحقير » نقول: لا يضرُّ ذلك. ومثال التعظيم:

* حتَّى ماءُ دِجلةَ أشكلُ * البيت الآتى.

وقوله: « صوابه النصب فيهما » يعنى أنَّه يجب أن يقول: ويكون يسبُّنى إمَّا حالا من كليب، أو مُستأْنَفًا بنصبهما، لأنَّه خبر كان، وكأنَّه رفع على تقدير يكون، إمَّا تامّة أو زائدة. ١٤٣

وقوله: « لا أعلم ما أراد بقوله وحتَّى كليب متعلّق به » أقول: إنَّه يريد أنَّ حتى الجارّة تكون متعلقة بيسبُّنى، إذ كلُّ جارٍّ لا بدَّ له من متعلِّق. وهذا ظاهر. قال ابن هشام (فى المغنى): ولا بدَّ من تقدير محذوفٍ قبل حتَّى من هذا البيت، بكون ما بعدَ حتَّى غايةً له، أى فواعجباً يسبُّنى الناسُ حَتَّى كليبٍ تسبُّنى.

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للفرزدق هجا بها جريراً، تقدَّم بعضٌ منها فى الشاهد السادس بعد السبعمائة[1].

---

(١) انظر الجزء التاسع ص ١١٣–١١٨.

وقوله : (فواعجباً) هو من قبيل النُّدبة للتوجُّع ، كأنَّه يقول : أنا أَتوجَّعُ لعدم حضورك يا عجبى ، فاحضُرْ لهذا الأَمر الذى يتعجَّب منه .

وكليب : جدُّ رهطِ جرير ، وهو جرير بن عطيَّة بن الخطَفَى بن بدرِ بن سَلَمة بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم . ويجتمع مع الفرزدق فى حنظلة بن مالك .

ونهشل ومجاشع أَخَوان ، ابنا دارم بن مالك بن حنظلة . ومجاشعٌ قبيلة الفرزدق ، وهى أَشرف من كليب . وأَمَّا نهشل فهم أَعمام الفرزدق لا آباؤُه ، وإن كانت العرب[1] تسمّى العَمَّ أَباً . جعلهم فى الصِّفة[2] بحيث لا يَسبُّون مثلَه لشرفه[3] . يقول : يا عجبًا لسبِّ الناس إيّاى حتّى كليبٍ على ضعفِها فى القبائل ، وبُعدِها من الفضائل ، كأَنَّ لها أَباً كريماً ، وحَسباً صميما ، كما لنهشل ومجاشع .

والسَّبُّ : الشتم . والسِّبُّ ، بالكسر : الذى يسابُّك وتسابُّه . قال حَسَّان بن ثابت :

لا تَسبَّنَّنِى فلستَ بسِبِّى إنَّ سِبِّى من الرِّجال الكريمُ[4]

قال ابن طلحة الإشبيلى (فى شرح جُمَل الزجَّاجى) : كأَنَّ للتشبيه ، وقد يجىء فى ضمنها الظنُّ والتوهُّم كما قال الشاعر :

* كأَنَّ أَباها نهشلٌ أَو مجاشعُ *

المعنى : توهَّمَتْ أَباها نهشلا أَو مُجاشعاً . ولو بقِيَتْ على معنى التشبيه

(١) ط : « كان العرب » ، والوجه ما أثبت من ش .
(٢) كذا فى النسختين ولعلها « الضعة » .
(٣) الكلام بعده إلى كلمة « ومجاشع » ساقط من ش .
(٤) السيرة ٦٢٥ . والبيت لم يرد فى قصيدته بالديوان ٣٧٦–٣٨٠ . وقد نسب البيت فى اللسان (سبب ٤٣٩) إلى ولده عبد الرحمن بن حسان . وكثيراً ما يتداخل شعراهما .

من غير أَنْ تُضَمَّن[1] معنى الظن لا نقلب الهجْوُ على الهاجى . اهـ .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد السبعمائة[3] :

٧٨٣ (فما زالتِ القَتْلَى تُمجُّ دِمـاءَها
بِدَجْلَةَ حتَّى مـاءُ دِجْلَةَ أَشْـكَلُ)

على أَنَّ فائدة (حَتَّى الابتدائية) هنا التعظيم والمبالغة ، وهو تغيُّر ماءِ دِجلة من كثرة دماءِ القتلى حتَّى صار أَشْكَل ، وهو حمرةٌ مختلطةٌ ببياض . والشُّكلة كالحمرة وزنًا ومعنى ، لكن يخالطها بياض . وهو مأْخوذ من أَشكَل الأَمرُ ، أَى التبس .

فإِن قلت : أَين ما اشترط الشارح المحقِّق من كون خبر المبتدإِ بعد حتى[4] من جنس الفعل المقدَّم عليها ؟ قلت : ما قبْل حتَّى فى قوة قوله فما زالت القتلى تغيِّر ماءَ دجلة بالدِّماءِ .

و (القتلى): جمع قتيل . و(تمجّ): تقذِف ، يتعدَّى إلى مفعول واحد يقالُ مَجَّ الرجلُ الماءَ من فيه مجًّا ، من باب قتل: رمى به . ويروى بدله : (تمورُ دِماؤها) مضارع مارَ الدمُ: سال . ومار الشيءُ : تحرَّك بسرعة . ومار : تردَّد فى عَرْض . ومار البحر : اضطرب ، فهو فعلٌ لازم ، ودماؤها فاعله . قال صاحب المصباح : ويعدَّى بنفسه وبالهمزة أيضاً فيقال : ماره ، وأماره ، إذا أَساله . فعلى هذا يجوز نصب دِماءَها به على أَنَّه

(١) ط : « يضمن » . (٢) الخزانة ١ : ٢١٧ .
(٣) الأزهية ٢٢٥ وابن يعيش ٨ : ١٨ والمغنى ١٢٨ ٣٨٦ والهمع ١ :٢٤٨/٢ :٢٤ والأشمونى ٣ : ٣٠ وديوان جرير ٤٥٧ .
(٤) أى فى الجملة الاسمية الواقعة بعد حتى . انظر الرضى ٢ : ٣٠٤ .

متعد . و(دِجْلة) بفتح الدال وكسرها : النهر الذى يمرُّ ببغداد ، لاينصرف للعلمية والتأْنيث . والباءُ بمعنى فى .

صاحب الشاهد ١٤٣

والبيت من قصيدةٍ لجرير هجا بها الأَخطَل ، وذكرَ ما أَوقعه الجَحَّافُ ببنى تغلب ، قال بعد أَبيات :

أبيات الشاهد

(بكى دَوبَلٌ لا يُرقِئُ اللهُ دمعَه
ألَا إنَّما يبكِى من الذُّلِّ دوبلُ
جزِعتَ ابنَ ذات القَلْس لما تداركَتْ
من الحرب أنيابٌ عليكَ وكلكلُ[(1)]
فإنَّك والجَحَّافَ يومَ تحضُّه
أردتَ بذاك المُكْثَ والورِدُ أعجلُ
سَما لكُمُ ليلاً كأَنَّ نجومَه
قناديلُ فيهن الذُّبالُ المفتَّلُ[(2)]
فما ذَرَّ قرنُ الشَّمس حتَّى تبيَّنوا
كَرادِيسَ يَهْدِيهنَّ وَردٌ محجَّلُ[(3)]
فقد قَذَفَتْ من حربِ قيسٍ نساؤهمْ
بأَولادها ، منها تمامٌ ومُعْجَلُ[(4)]
ومقتولةٌ صبراً ترى عندَ رجلها
بَقيراً ، وأُخرى ذاتُ بَعْلٍ تولولُ
وقد قَتل الجحَّافُ أَزواجَ نِسوةٍ
يَسوقُ ابنُ خلَّاسٍ بهن وعَزهَلُ .

(١) فى الديوان ٤٥٦ : « ذات الفلس » ، صوابه بالقاف كما سيأتى فى الشرح .
(٢) الديوان : « سرى نحوكم ليل » .
(٣) فى الديوان : « حتى تعرفوا » .
(٤) فى الديوان : « نساؤكم » .

تقول لك الثَّكلَى المصابُ حليلُها
أَبا مالكٍ ، ما فى الظعائن مَغْزَلُ

حَضضْتَ عن القوم الذين تركتهم
تَعِلُّ الرُّدَيْنِيَّات فيهمْ وتنهلُ

عُقابُ المنايا تستديرُ عليهمُ
وشُعثُ النَّواصى لُجْمُهُنَّ تصلصِلُ

بدِجلة إذْ كَرُّوا وقيسٌ وراءَهمْ
صُفوفاً وإن رامُوا المخاضة أَوحَلُوا

فما زالت القتلى تمجُّ دماءَها
بدِجلةَ حتَّى ماءُ دِجلةَ أَشكَلُ (١)

فإن لا تَعَلَّقْ من قريشٍ بذمّةٍ
فليس على أَسياف قيسٍ مُعوَّلُ

لنا الفضلُ فى الدنيا وأَنفُكَ راغمٌ
ونحن لكم يوم القيامة أفضلُ

وقد شَقَّقتْ يومَ الحروبِ سيوفُنا
عواتقَ لم يثبُتْ عليهنَّ مِحْمَلُ

أَجار بنو مروان منهمْ دماءَكمْ
فمَنْ مِنْ بنى مَرْوانَ أَعلَى وأَفضلُ)

وينبغى أَن نقدِّم أَولًا سببَ ما أَوقعه الجَحَّافُ ببنى تغلب ، ثم نشرح الأَبيات ، فنقول :

إنَّ عمير بن الحُباب السُّلمى خرجَ على عبد الملك فى أَوّل خلافته (٢)

(١) الديوان : « تمور دماؤها » .

(٢) فى الاشتقاق ٣٠٨ : « وكان عمير من فرسان الناس فى أيام عبد الملك وأيام الفتنة بالشام ، وكان قد امتنع على عبد الملك بنصيبين وغلب عليها وعصاه » . وجعل اشتقاقه من الحباب ، بالضم ، وهو ضرب من الحيات .

فاجتمعت إليه قيسٌ وعامر ، وكان نازلا فى القرب من بنى تغلبَ قبيلةِ الأَخطل ، وكانت منازلُهم بين الخابور والفرات ودجلة ، فأَساءَ المجاورةَ مع تغلب ، فوقع بينهمشرٌّ ، فما زال الحربُ بينهم سجالا إلى أَن قتل بنو تغلب عُميراً وأَرسلوا برأْسِهِ إلى عبد الملك، فى سنة سبعين من الهجرة ، فأَنعَم عبد الملك على الوَفدِ وكساهم . ثم إنَّ الأَخطلَ وفَدَ على عبدِ الملك فدخلَ عليه الجَحَّافُ بن حَكيم السُّلمىُّ فقال عبد الملك : أَتعرف هذا يا أَخطل ؟ قال : ومن هو ؟ قال : الجَحَّاف . فقال الأَخطل :

ألا سائل الجَحَّافَ هل هو ثائرٌ بقَتلى أُصِيبتْ من سُليمٍ وعامرِ

حتَّى فرغ من القصيدة ، وكان الجَحاف يأْكلُ رُطباً فجعل النوى يتساقطَ من يده غيظا ثم أَجابه فقال :

بَلَى سوفَ نبكيهم بكلِّ مهنَّدٍ ونبكى عُميراً بالرِّماح الشَّواجرِ

ثم قال : يا ابنَ النَّصرانية ، ما ظننتكَ تجترئُ علىَّ بمثل هذا ، ولو كنتُ مأْسوراً لك . فحُمَّ الأَخطلُ خوفاً . فقال عبد الملك: أَنا جارُك منه. فقال : يا أَمير المؤمنين ، هَبْكَ أَجرتنى منه فى اليَقَظة فَمن يُجيرُنى منه فى النَّوم ؟ ثم قام الجَحَّافُ ومشى يجرُّ ثوبَه وهو لا يعقل حتَّى دخل بيتًا من بيوت الديوان ، فقال للكاتب : أَعطِنى طوماراً من طوامير العُهود . فأَتاه بطومار وليس فيه كتاب ، فخرج إلى أَصحابه من القيسية فقال : إنَّ أَمير المؤمنين ولاَّنى صدقاتِ بكر وتغلب. فلحقَه زهاءُ أَلف فارس ، فسار حتى أَتى الرُّصافة ، ثم قال لمن معه : إنَّ الأَخطل قد أَسمعنى ما علمتم ، ولستُ بوالٍ ، فمن كان يحبُّ أَن يَغسِلَ عنه العارَ فليصحَبْنى فإنِّى قد آليت أَن لا أَغسلَ رأْسى حتَّى أُوقع ببنى تغلب . فرجَعُوا غيرَ ثلثمائة ، فسارَ ليلتَه فصبَّح الرَّحوب ، وهو ماءٌ لبنى جُشَم بنِ بكر رهطِ

١٤٤

الأَخطل فصادف عليه جماعةً كثيرة من تغلب ، فقَتل منهم مقتلةً عظيمة ، وأُخذ الأَخطلُ وعليه عباءةٌ وسِخة ، فظنُّوه عبدًا ، وسئل فقال : أَنا عبدٌ ! فخلَّوا سبيله فخشِيَ أَن يراه مَن يعرفُه ، فرمى بنفسه فى جُبٍّ فلم يزل فيه حتى انصرفت القيسيةُ فنجا ، وقُتل أَبوه غوث ، وأَسرفَ الجَحافُ فى القتل ، وشقَّ البطون عن الأَجنَّة ، وفعل أَمراً عظيما . فلمَّا عاد عنهم قدِم الأَخطلُ على عبد الملك فأَنشده :

لقد أَوقعَ الجَحَّافُ بالبِشْر وقعةً   إلى الله منها المُشتَكى والمعوَّلُ

والبشر ، بكسر الموحدة وسكون المعجمة : اسم ماءٍ[1] . فطلب عبدُ الملك الجَحَّافَ فهرب إلى الروم ، فكان يتردَّد فيها ، ثم بعث إلى بطانة عبدالملك من قيس ، فطلبوا له الأَمانَ فآمنَه ، فلما جاءَ أَلزمه دياتِ مَنْ قُتِل ، وأَخذ منه الكفلاءَ ، فسعى فيها حتَّى جمعَها وأَعطاها . ثم تنسَّك الجَحَّافُ وصَلح ، ومضى حاجًّا فتعلَّق بأَستار الكعبة وجعل يقول : اللهم اغْفِرْ لى وما أَظنُّك تفعل ! فسمعه محمد بن الحنفيَّة فقال : يا شيخُ ، قُنوطُك شرٌّ من ذَنْبك !

ومن هنا نرجع إلى شرح الأَبيات . فقوله : « بكى دَوْبل » هو اسم الأَخطل . قال شارحه : كان الأَخطل يلقَّب به صغيراً . وبكاؤه لقوله :

لقد أَوقع الجَحَّاف بالبشر وقعة   . . . . . . البيت

و« ابنَ » منادى . و« القلس » بفتح القاف : حبلٌ ضخم من ليف أَو خوصٍ ، أَراد به زُنَّار النصارى . والجَحَّاف بفتح الجيم وتشديد

(١) فى معجم ياقوت أنه جبل يمتد من عرض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية . لكن فى اللسان أنه اسم ماء لبنى تغلب ، وقال أيضاً : « والبشر : اسم جبل ، وقيل جبل بالجزيرة » .

الحاءِ المهملة . وتحضّه : تحثّه . يقال حَضّه على الأَمر ، أَى حمله عليه . والمكث: البطءُ . والورد ، بالكسر : الوُرود .

وذر قرن الشمس : طلعت . والكُردوس بالضم : القطعة من الخيل العظيمة ، والكراديس : الفِرَق منهم . يقال كردَس القائد خيله ، أى جعلها كتيبةً كتيبة . ويَهْديهنّ : يدُلُّهنّ ويقودهنّ . والوَرْد : الأَسد ، عنى به الجَحّاف .

وأتمّتِ الحُبْلى فهى متمٌّ ، إذا تمّت أيامُ حَملِها ، وولدت لِتِمامٍ ، بفتح التاءِ وكسرها ، وولد المولود لتِمامٍ كذلك . ومُعْجَل : خلاف التّمام .

والصَّبر : القتلُ أَسراً . والبقير : المبقور ، وهو الذى شُق بطنه . وتولوِل : تصوِّت وتصيح .

وخلاس وعَزْهَل : رجلان من قيس . والحليل : الزوج . وأبو مالك: كنية الأَخطل . والظعائن: جمع ظعينة ، وهى الهودج . والمَغْزَل كجعفر قال شارحه : من الغَزَل ، وهو محادثَةُ النساءِ واللَّعبُ . وإنّما هُزِئَ به. يقول : قد شغلك ما صنعتَ عن التغزُّل[1] . ا هـ .

والرُّدينيات : الرِّماح . والنَّهَل : الشرب الأَوّل . والعَلَل : الشُّرب الثانى . وعُقاب المنايا: الراية ، شبَّهها بالعُقاب . واللُّجم : جمع لجام . وتصلصِل :تصوِّت. وأراد بِشُعث النواصى الخيل .وأَوْحَلوا، بالبناءِللفاعل، أَى وقعوا فى الوحل .

وقوله : « فإن لا تعلَّقْ » استهزاءٌ فى معْرِض النصيحة ، أى إنْ لم تتعلَّقْ
١٤٥ بذمّة قريش فلا طاقَة لكم بسيوف قيس .

(١) فى النسختين : « من التغزل » .

وقوله : « لنا الفضلُ فى الدُّنيا » البيت أَورده ابن هشام (فى المغنى) على أَنَّ اللام تأْتى بمعنى مِنْ ، أى ونحن أَفضل منكم . وشَقَّقَتْ : قطَّعت . وعَواتق : جمع عاتق ، وهو ما بين المنكِب والعنق . والْمِحمَل بكسر الميم الأُولى : سُيُور السيَّف .

والمصراع الأَخير تقديره : فمَنْ أَعلى وأَفضل من بنى مروان .

وترجمة جرير تقدَّمت فى الشاهد الرابع من أَول الكتاب[1] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد السبعمائة[2] :

٧٨٤ (بَطلٍ كأَنَّ ثيابَه فى سَرْحَةٍ)

على أَنَّ (فى) بمعنى على فيه ، لأَنَّه معلوم أَن ثيابه ليست فى جوف سَرحة ، وهى الشَّجرة العالية ، وإنَّما هى على بدنه .

قال الشارح المحقق : والأَولَى أَن تكون على بابها ، لأَنَّ ثيابه إذا كانت عليها فقد صارت السَّرحة موضعاً لها .

وهذا المصراع صدرٌ ، وعجزه :

(يُحْذَى نعالَ السِّبتِ ليس بتوأَمِ)

صاحب الشاهد

والبيت من معلقة عَنترةَ العبسى ، وقبله :

أبيات الشاهد

(ومِشَكِّ سابغــةٍ هَتكتُ فروجَهــا

بالسَّيفِ عن حــامى الحقيقةِ مُعْلِمِ

---

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٢) الخصائص ٢ : ٣١٢ والمنصف ٣ : ١٧ والأزهية ٢٧٧ وابن يعيش ٨ : ٢١ورصف المبانى ٣٨٩ والمغنى ١٦٩ والأشمونى ٢ : ٢١٩ والمعلقات وشروحها .

رَبِذٍ يداهُ بالقِداحِ إذا شتا
هَتَّاكِ غاياتِ التِّجارِ ملوَّمِ

بطلٍ كأَنَّ ثيابَه فى سَرحةٍ
يُحذَى نِعالَ السِّبتِ ليس بتوأَمِ

فطعنتَهُ بالرُّمح ثم علوتُه
بمهنَّدٍ صافى الحديدَةِ مِخْذمِ

لما رآنى قدْ نزلتُ أُريدُه
أَبْدَى نواجِذَه لغير تبسُّم

عَهدِى به مَدَّ النَّهارِ كأَنَّما
خُضِب البنانُ ورأسُه بالعِظلمِ)

قوله: « و مِشَكِّ سا بغةٍ » بكسر الميم وفتح الشين المعجمة ، قال الأَعلم : أَراد ربَّ مِشَكِّ دَرعٍ سابغة. والمِشَكُّ : التى شُكَّ بعضُها فى بعض . والمِشَكُّ : مسامير الدُّروع . والسَّابغة : الكاملة . وقال الخطيب التبريزى: مِشَكُّ الدِّرع : حيث يُجمعُ جَيْبُها بسير . وكانت العرب تجعل سَيْراً فى جَيب الدِّرع يجمع جيبها ، فإذا أَراد أَحدُ الفرار جذب السَّير فقطعَه واتَّسع الجيب فأَلقاها عنه وهو يركض. وقيل: الدِّرع التى شُكَّ بعضُها إلى بعض . وقيل المِشَكُّ : المسامير التى تكونُ فى حَلَق الدرع . ومن جعل المشكَّ الدِّرع يكون من إضافة الصفة إلى الموصوف، وتأْويله عند البصريِّين: ومشكٍّ حديدةٍ سابغة . وهتكت: جوابُ رُبَّ . وكذلك على قول من جعله بمعنى السَّير والمسامير ، لأَنَّهما من الدرع ، فيصير الإخبار عن الدرع . وهَتكتُ فروجَها ، أَى شققتها وخرّقتها . وفروجها : جيبُها وكُمَّاها ، واحدها فَرج بفتح الفاءِ . وحامى الحقيقة ، أَى يَحمِى ما يحقُّ عليه أَن يحميَه. والمُعْلِم : ا م فاعل من أَعلم نفسه بعلامة ، وهو

الذى شَهَرَ نفسَه بعلامة إدلالاً بشجاعته ، وإعلاماً بمكانه . وقال أبوجعفر : هو اسم مفعول ، وكذلك المسوَّم ، يقالان بالفتح . والسُّومة بالضم :العلامة. وقال الزَّوْزنى : المعلم بكسر اللام : الذى أعلم نفسه بعلامةٍ يُعرف بها فى الحرب حتّى تبرز له الأبطال . والمُعْلَم بفتح اللام : الذى يشار إليه ويُدَلّ عليه بأنَّه فارس الكتيبة . يقول : رب موضع انتظامِ درعٍ واسعة شققتُ أوساطه بالسَّيف عن رجلٍ حامٍ لما يجبُ عليه حفظُه ، شاهرٍ نفسَه فى حَومة الحرب أو مشارٍ إليه فيها . يريد أنَّه هَتك مثل هذه الدرعِ على مِثْل هذا الشجاع ، فما الظنّ بغيره ؟ ! ١٤٦

وقوله : « ربذٍ يداه » هو بالجر صفةٌ لحامى الحقيقة . وكذا هَتّاك . والرَّبِذُ ، بفتح الراءِ المهملة وكسر الموحدةِ : السريع . قال أبو جعفرٍ والخطيب : لم يقل ربذَةٍ يداه لأنَّ اليد مؤنثة ، ووجهه أنَّ قوله يداه بدل من الضمير المستتر فى ربذٍ العائد إلى حامى الحقيقة ، كما تقول : ضربت زيدًا يده . ومذهبُ الفرّاءِ فى هذا أنَّه يجوز أن يذكّر المؤنّث فى الشِّعر إذا لم يكن فيه علامة التأنيث . والقداح ، هى سهام الميسر ، جمع قِدْح بالكسر . أىهو حاذقٌ بالقِمار والمَيسرِ ، خفيفُ اليدِ بضرب القداح. وهذا كان مدحاً عند العرب فى الجاهليّة . وقوله : « إذا شتا » يريد أنَّه إذا اشتدَّ الزمان ، وكان أشدُّ الزمان عندهم زمنَ الشتاءِ ، وكان لا يَيْسِرُ فيه إلّا أهل الجود والكرم . وقوله : « هتّاك غايات التجار » هو جمع تَجْر ، وهو جمع تاجر كما يجمع صاحب على صحب ، وصحبٌ على صحاب. وأراد بهم تجّار الخمر [1] . والغايات : علاماتٌ تكون للخمّارين . يقول : فهو يهتك راياتِ تجّار الخمر ، لأنَّه لا يترك شيئًا من الخمر إلّا اشتراه

(١) الكلام بعده إلى كلمة « الخمر » التالية ساقط من ش .

وإذا فَنِيَ ما عندهم رَفَعوا علاماتِهم . وقيل المعنى أنَّه يعطيهم ما يطلبون في السَّوم بها . والملوَّم : الذى يكثُر اللوم عليه فى تبذير مالِه .

وقوله : (بطلٍ كأَنَّ ثيابَه) إلخ بطل بالجر صفة حامى الحقيقة ، ويجوز رفعه على تقدير هو بطلٌ ، وهو الشُّجاع الذى تبطُل عنده شجاعةُ غيره . (والسَّرحة) ، بفتح السين وسكون الراءِ المهملتين فحاءٍ مهملة : واحدة السَّرْح ، وهو الشجر العظيم العالى . يريد أَنَّه طويلُ القامة كاملُ الجسم ، فكأَنَّ ثيابَه على شجرةٍ عالية . والعرب تمدح بالطُّول وتذمُّ بالقصر . قال أُثَال بن عَبْدة بن الطَّبِيب[1] :

ولمَّا التقى الصَّفَّانِ واختلفَ القنا نِهالًا وأَسبابُ المنايا نِهالُها[2]
تبيَّنَ لى أن القمـاءَةَ ذِلَّـةٌ وأَنَّ أَعـزَّاءَ الرِّجالِ طوالُهـا[3]

يريد أَنَّ القنا وردت الدم ولم تُثَنَّ ، وذلك أَنَّ الناهل الذى يشرب أَوّل شربة ، فإذا شرب ثانية فهو عَلَل . وقوله : نِهالُها ، أى أَوّل ما يقع منها يكون سبباً لما بعده .

وقال بعض بنى العنبر :

فجاءت به عبلَ العظام كأَنَّما عمامتُه بينَ الرجال لواءُ[4]

(١) البيتان بدون تسمية فى الكامل ٥٤ ، ٥١٣ . واقتصر المبرد على قوله إنه أعرابى من بنى سعد ، وإن الحنوت ، وهو توبة بن مضرس قد تمثل بهذا الشعر . ونسب إلى أنيف بن زبان النهشلى فى الحماسة البصرية ١ : ٣٥ .

(٢) الحماسة البصرية : « واشتجر القنا » .

(٣) الكامل : « وأن أشداء الرجال طوالها » .

(٤) البيت مع سابقين له فى الحماسة ٢٧٠ بشرح المرزوقى، وروايته : « سبط العظام ». وقبله :

لا تعذلى فى حندج إن حنـدجاً وليث عفـرين لـدى سواء
خبيث عـلى العهار أطهار أمـه وبعض الرجال المدعـين جفاء

[وقال آخر[1]] :

أشم طويل السّاعدين كأنّمـــا تُناط إلى جذعٍ طويلٍ حمائلُه

ولِسَلْمٍ الخاسر :

يقـــوم مع الرُّمح الرُّديني قائمـــاً
ويَقْصُـــر عنـــه طـــولُ كلِّ نِجادِ

وقوله : (يحذَى نِعال السِّبت) يحذى بالحاءِ المهملة والذال المعجمة على البناءِ للمفعول ، ونائب الفاعل ضمير البطل . ونعالَ مفعول ثانٍ له ، أى تُجعَل له النِّعال السِّبتية حذاءً بالكسر والمد . فى الصحاح : الحِذاءُ : النعل . واحتذى : انتعل . وأحذيته نعلاً ، إذا أعطيتَه نعلا . والسِّبت بكسر السين المهملة وسكون الموحَّدة : الجلد المدبوغ بالقرظِ ولم ينجرِدْ من شعره . قال أبو حنيفة الدينورى (فى النبات) : الجلد ما لم يُدبَغ فهو محرَّم ، وكذلك إذا دُبغ فلم يبالَغْ فيه الدِّباغ ففيه تحريم . والفطير مثله ، وهو الخام . وأجودُ ما يدبغ به الإهاب بأَرض العرب القَرَظ ، وهو يُدبَغ بورقه . ويقال للذى يأْخذه من شجرهِ : القارظ ، والذى يبيعه : القَرَّاظ . فما كان منها من جُلود البقر خاصّة فإنّ الأَصمعىَّ زعم أنّه السِّبت . وأمّا أَبو عمرو فزعم أنّ كلّ جلدٍ مدبوغ سِبْتٌ ، بالقَرَظ أَو بغيره . وقد اختلف علينا فى ذلك ، فروى ما حكيناه عن الأَصمعى عن أَبى عمرو ، وما ذكرناه عن أَبى عمرو عن الأَصمعى . وقال أَبو زياد : السِّبت: جلود البقر . قال: ولا تقول للجلد سِبْت حتى

١٤٧

(١) بمثلها يلتئم الكلام . وقد تنبه لذلك ناسخ ش فكتب : « كذا بخط المؤلف ، والقافية مختلفة ، فهنا سقط بلا شك » . وقال ناشر ط : « قافية هذا غير قافية ما قبله . فيظهر أنه سقط قبله وقال فلان » .

يصير حِذاءً[١] ، فذاك حين تنسُبه إلى السبت فتقول نعلُ سبتٍ ونعالُ سِبت . وأنشد قول عنترة :

* يُحذَى نِعالَ السِّبت ليس بتوأمِ[٢] *

وقال أبو زيد : نعل سبت، وهى من جلود البقر خاصة، وقال: السِّبت جلود البقر خاصَّة مدبوغة ، ولا يقال لغير جلود البقرِ سبت ، والجمِيع سُبوتٌ وأسبات . فأمَّا ما كان من جُلود الضأْن خاصَّة فهو السَّلْف ، والواحدة سَلْفة ، وهى أَضعفُ من الماعز وأَلْيَن . وقال أبو زياد: خيرُها ما دُبغ بالقَرَظ ، ثمّ الأَرْطَى ، ثم السَّلَم . وشرُّها ما دُبغ بالألاءِ . وقال : الألاءِ شديدُ المرارة ، شديدُ الخضرة ، طيِّب الريح . انتهى ما أردنا منه .

وقول عنترةَ : «يُحذَى نِعالَ السِّبت» يريد أنّه من الملوك الذين يلبسون النِّعال السِّبتيَّةَ الرقيقَة الطيِّبَة الرِّيح . وهم يتمدَّحون بجودة النعال ، كما يتمدَّحون بجودة الملابس . قال النابغة :

رقاقُ النِّعال طيِّبٌ حُجُزاتُهمْ　　يُحيَّوْنَ بالرِّيحانِ يومَ السَّباسبِ

أَراد أَنَّهم ملوكٌ لا يَخصِفون نعالهم ، إنَّما يخصفها مَن يمشى . والحُجْزة: الوَسط. أراد أنَّهم يشدُّون أُزُرَهم[٣] على عِفَّة. والسَّباسب : يوم الشَّعانين . وأراد برقَّة النعال أنَّ نعالهم ليست بمطْبقة . وقال النجاشى :

---

(١) ط : « حلا » ش : « حلاء » ، وفى حواشى ش : « كذا بخط المؤلف حلاء ، والصواب حذاء بالذال المعجمة » . فهو الصواب إن شاء الله .

(٢) صدره فى معلقته :

* بطل كأن ثيابه فى سرحة *

(٣) ط : « إزارهم » .

* لا يأْكل الكلبُ السَّروقُ نعالنا[١] *

إنَّما يأكُل الكلبُ الفطيرَ من النِّعال . وأمَّا السِّبت فلا . وقال كثيِّر وذكَر نعلاً :

إذا طُرِحتْ لا يطَّبِى الكلبَ ريحُها
وإنْ طُرِحَتْ فى مجلسِ القَومِ شُمَّتِ[٢]

أى هِى طيِّبَة الريح ليست بفطير ، لأَنَّ النعل إذا كانت غيرَ مَدبوغة وظَفِر بها الكلبُ أكلهَا . وقوله : « ليس بتوأم » يريد أنَّه لم يزاحمْه أَخٌ فى بطنِ أُمِّه فيكونَ ضعيفَ الخلقة . والتوأم : الذى يكون مع آخَرَ فى بطن أُمِّه . فَنَفَى عنه ذلك ووصفَه بكمال الخَلْقَ وتمام الشِّدّةِ والقُوّة . يقول . هو بطلٌ مديد القامة ، كأَنَّ ثيابه أُلبِسَتْ شجرةً عظيمة ، من طُول قامتِه واستواءِ خَلْقه ، ويتّخذ النعالَ من جلود البقر المدبوغة ، ولم تحملْه أُمُّه مع غيره . وقد بالغَ فى وصفه بالشِّدَّة والقوّة بامتِداد قامته ، وعِظَمِ أعضائه ، وتمامِ غذائه عند إرضاعه ؛ إذْ كان غير توأم .

وقوله : « بمهنَّد » هو السّيف الهندى . وقوله : « صافى الحديدة » أى مجلوٌّ صقيل . والْمِخذم ، بكسر الميم والمعجمتين : القاطع ، مِنْ خَذَمَه أى قَطعه .

---

(١) ورد البيت محرفاً فى اللسان (نقا ٢١٤) ، وهو على الصواب فى البيان ٣ : ١٠٩ وانظر تحقيقه فى كتابى « تحقيقات وتنبيهات فى معجم لسان العرب» ص ٣٧١ . ورواية البيان :

ولا يأكل الكلب السروق نعالهم ولا تنتقى المخ الذى فى الجماجم

وفى المعانى الكبير ٤٨٣ :

لا يأكل الكلب السروق نعالنا ولا تنتقى المخ الذى فى الجماجم

(٢) الحيوان ١ : ٢٦٦ والبيان ٣ : ١٠٩ والمعانى الكبير ٤٨٧ . وهو من قصيدة فى رثاء عبد العزيز بن مروان ، فى ديوان كثير ٣٢٤ .

وقوله: « لمَّا رآنى قد نزلت » إلخ. النواجذ: آخر الأَضراس. ومعنى أَبدي نواجذه، أَى كَلَح غيظاً علىّ. ويقال بل كَلَح كراهةً للطَّعن. وقيل: المعنى لمَّا رآنى قاصدًا له كلَح وكشَّر أَسنانه، فصار كأَنَّه متبسِّم. وقيل: المعنى لمَّا قتلته تَقَلَّصت شفتاه عن أَسنانه[١] فصرتُ إذا نظرت إليه كأَنَّه يتبسم. يقول: لمَّا نزلتُ عن فرسي أُريد قتلَه كشرّ عن أَسنانه غير متبسِّم. أَى لفَرط كُلوحِه من كراهيَة الموت تقلَّصت شفتاه عن أَسنانه. ١٤٨

وقوله: « عهدى به » أَى مشاهدتى له وقد تخضَّب بدمه، فكأَنَّه قد خُضب بالعِظْلِم، كزبرج، وهو شجرٌ يُتَّخذ منه الوَسْمَة. يقال إنّه الكَتَم. وإنَّما شَبَّه الدم به لمَّا انعقد وضَرَبَ إلى السَّواد. ويقال عَهِدته أَعهَده عهدًا، إذا لقيتَه. قال الخطيب: عهدى به مبتدأٌ، والخبر فى الاستقرار. وقوله: «مَدَّ النهار» بدلٌ من الاستقرار، كما تقول: القتال اليومَ، وكما تقول: عهدى قريبًا؛ أَى وقتاً قريباً. إِلَّا أَنَّه يجوز فى هذا أَنْ تقول قريب، على أَنْ تجعل القريبَ العهدَ. ومَدّ النهار: ارتفاعُه. ورُوِى: « شدَّ النَّهار » بمعناه. ويريد بالبنان الأَصابع. وروى بدله: «اللَّبَان» بفتح اللام، وهو الصَّدر. يقول: رأَيته طولَ النهار وامتدادَه بعد قتلِي إيَّاه وجُفوفِ الدم عليه، كأَنَّ بنانه أَو صَدْرَه ورأْسَه مخضوبَةٌ[٢] بهذا النَّبت.

وترجمة عنترة تقدَّمت فى الشاهد الثانى عشر من أَوائل الكتاب[٣]

* * *

---

(١) الكلام بعده إلى آخر هذه الفقرة ساقط من ش.

(٢) فى النسختين: « مخضوباً ».

(٣) الخزانة ١ : ١٤٨.

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد السبعمائة[1] :

٧٨٥ (ويركبُ يومَ الرَّوعِ فيها فوارسٌ
بَصِيرونَ فى طَعْنِ الأَباهِرِ والكُلَى)

على أنَّه قيل إنَّ (فى) بمعنى الباء ، أى بَصيرون بطعنِ الأَباهر. والأَولى أَن تكون بمعناها ، أَى لهم بَصارة وحِذقٌ فى هذا الشأْن .

قال ابن عصفور (فى الضرائر) : إنَّما عدَّى بصيرٌ بفى ، لأَنَّ قولك : هو بصير بكذا ، يرجع إلى معنى هو حكيمٌ فيه ، متصرِّف فى وجوهه .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ تسعةٍ لزيد الخَيْل الطائى ، رواها أبو زيد (فى نوادره) ، وأَبو العباس الأَحول (فى شرح ديوان كَعب بن زهير) ، وأَبو علىٍّ القالى (فى ذيل الأَمالى) ، وهى :

أبيات الشاهد

(أَفى كــلِّ عامٍ مأْتمٌ تبعثــونه
عَلى مِحْمَرٍ عَــوْدٍ أُثيبَ وما رُضَا
تُجِدُّونَ خمشــاً بعد خَمشٍ كــأَنَّه
على فاجعٍ من خير قومِكُم نُعَــا
تحضِّض جبّــاراً علىَّ ورَهطَــه
وما صِرْمَتِى منهمْ لأَوّلِ مَن سَعَى

(١) نوادر أبى زيد ٨٠ والقالى ٣ : ٢٤ وأدب الكاتب ٤٠٠ والجواليقى ٣٥٧ ، والاقتضاب ٤٣٧ والأزهية ٢٨١ والمخصص ١٤ : ٦٦ والضرائر ٢١٨ وابن الشجرى ٢ : ٢٦٨ والمغنى ١٦٩ والتصريح ٢ : ١٤ والهمع ٢ : ٣٠ والأشمونى ٢ : ٢١٩ وشرح ديوان كعب ابن زهير ١٣٤ .

تَرَعَّى بأذناب الشِّعابِ ودونَها
رجالٌ يردُّون الظَّلومَ عن الهوَى(١)
ويركبُ يومَ الرَّوعِ فيهـا فوارسٌ
بصيرون فى طَعن الأَباهِرِ والكُلَى(٢)
فلولا زهيرٌ أنْ أُكَـدِّرَ نعمـةً
لقاذعتُ كعباً ما بَقَيْتُ وما بَقَا(٣)
قد انبعثتْ عِرسى بليلٍ تلومُنى
وأقرِبْ بأَحلامِ النِّساءِ من الـرَّدَى
تقول : أرى زيدًا وقد كان مُقْتِراً
أراه لعَمرى قد تمـوَّلَ واقتنَى(٤)
وذاك عطاءُ اللهِ فى كلِّ غارة
مشمِّرةٍ يوماً إذا قَلَّص الخُصَـى)

وقوله : « أفى كلِّ عام » إلخ استفهامٌ توبيخى . والمأْتم ، مهموز ، وهو الجماعة من النِّساء يجتمعْنَ لحزنٍ أوْ فرح ، والمراد هنا الحُزْن ، ولهذا عاد الضمير إليه من تبعثونه مذكَّراً . وقال شرَّاح أبيات الكتاب : الضمير عائدٌ على محذوف ، أى أفى كلّ عام اجتماعُ مأْتم ، فيكون المأْتم بالمعنى الأوَّل . ولهذا قال أبو زيد : أراد : أفى كلّ عام(٥) ، حدوثُ مأْتم ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ا هـ .

---

(١) فى شرح الديوان وأمالى القالى والجواليقى والاقتضاب : « يصدون الظلوم » .
(٢) فى شرح الديوان : « يردون طعناً فى الأباهر والكلى » .
(٣) فى شرح الديوان وأمالى القالى : « لقادعت كعباً » .
(٤) عند القالى : « وقد كان مصرماً » ، وفى رواية ثانية لشرح الديوان :
تقول أرى زيداً وقد بان مقترا تمول من بعـد التصعلك واقتنى
(٥) ط : « فى كل عام » ، وأثبت ما فى ش . ولم أجد هذا النص فى نوادر أبى زيد .

وإنما قال كذا لئلاَّ يقع ظرف الزمان خبراً عن الجثَّة . وتبعثونه : تهيِّجونه وتحرِّكونه . وروى بدله : « تجمعونه ». والمِحْمَر بكسر الميم ١٤٩ الأُولى وسكون الحاء المهملة ، قال أبو زيد : هو الفرس الذى يُشبِه الحمار ، وهو أيضاً اللَّئيم من الرِّجال . أراد هنا أنَّه فرسٌ هجين ، أخلاقُه كأَخلاق الحمير ، بطىءُ الحركة . وعَلَى هنا تعليليَّة . والعَوْد ، بفتح العين المهملة ، قال أبو زيد : المُسِنّ . وأُثِيب: جُعِل لنا ثوابا . والثَّواب: الجزاءُ . وَرَوى الجرمى : « على مِحْمَرٍ ثوَّبتموه ومارُضا » يقال أثابه وثوَّبه ، أى أَعطاه الثَّواب . ورُضَا بضم الراءِ بمعنى رُضِيَ ، فعلٌ مجهول ، وهو لغة طيّ ، يكرهون مجئَ الياءِ المتحرِّكة بعد الكسرة ، فيفتحون ما قبلها لتنقلب إلى الألف لخفَّتها . يقولون فى بَقِيَ : بَقَا ، وفى نُعِيَ نُعَا كما هنا .

وهذا البيت استشهد به سيبويه على أَنَّ تبعثونه صفة لمأْتم ، ولهذا لم يعمل فيه . يقول : إنَّكم تجمعون نساءً ليبكين على فقد هذا الفرس الذى جعلتموه جزاءً لنا على جميل فعلناهُ بكم ، والحال أَنَّنا لم نرض بهذا الفرس الذى يُشبه الحمار .

وقوله : « تُجِدُّونَ خَمْشاً » إلخ : يقال أَجدَّ فلانٌ الشىءَ واستجدَّه ، إذا أَحدثه ، فتجدَّد . والخمش : مصدر خَمَشَتِ المرأَةُ وجهَهَا بظُفُرها ، من باب ضرب ، أى جرحَتْ ظاهرَ البشرَة . وفاجع : الذى فَجَعهم بنفْسه . يقال فجعَتْه المصيبةُ ، أى أَوْجعته . وروى بدله : « على سيِّد ». ونُعا أصله نُعِيَ ، يقال نعيت الميّت نعياً من باب نفع ، إذا أَخبرتَ بموته . يقول : إنَّكم تخمِشُون وجوهَكم مرّةً بعد مرّة ، على هذا البِرذون ، كأَنَّكم فقدتُم خبرَ قومِكم .

وقوله : « تحضَّض جبّاراً » إلخ . هذا خطابٌ لكعب بن زهير . قال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : يقال حَضَّضت الرجل ، إذا حثثتَه على الخير والشَّرِّ جميعاً ، وحضَضْته بالتخفيف ، إذاحثثتَه على الخير . وحثَثته ، إذا حرَّضته على سَوقٍ أو سير . ولا يكون الحضّ فى السّير والسوق .

وجَبّار ، بفتح الجيم والموحدة المشددة : اسم رجل . وقال أبو العباس الأَحول : هو رجلٌ من فزازة . والصِّرمة ، بكسر الصاد المهملة : القطعة من الإبل ما بين الثلاثين إلى الأربَعين . والرَّهْط : النَّفر ، وهم مادون العشْرة من الرجال . يقول : تُغْرِى هذا الرجلَ ليُغير على إبلى ، وليست إبلى لأَوّل جماعةٍ تغزونى ، لأَنِّى أُقاتلُ عنها وأُدافع .

وقوله : « تَرَغَّى بأَذناب » إلخ أَصله تَترغَّى فهو مضارع . وقال الجواليقى : أَى ترغِّى ، يريد أَنّه مبالغة ترْعَى بالتخفيف . والأَذناب : جمع ذَنَب بفتحتين . وروى بدلهُ : « بأَطراف » . قال الجَوَاليقى : والشِّعاب : جمع شِعْب ، وهو الموضع المنفرج بين جبَلين ، وهو جمعٌ نادر كقِدْح وقداح . ودونَها ، أَى دون هذه الصِّرمة رجالٌ يردّون الظَّالم عن هَواه .

وقوله : (ويركبُ يومَ الرَّوع) بفتح الراءِ هو الفَزَع . و (فيها) أَى من أَجل الصِّرمة . قال الأَحول : الأَباهر والكلى مَقتلان . والأَبهر : عِرقٌ فى المتْن . وقال الجواليقى : أَى هم بُصَراءُ عالمون بمواضع الطَّعن . والأَباهر : جمع أَبهَر ، وهو عرقٌ مستبطن الصُّلب . والكُلَى : جمع كُلْية . وللإنسان والحيوان[1] كليتان ، وهما لحمتان حمراوان مُنْتَبِرتانِ[2] لازقتان بعظم

(١) الجواليقى : « وكل الحيوان » .

(٢) ط : « منبترتان » ، صوابه فى ش . والانتبار : الارتفاع والبروز .

الصُّلب . ا هـ . وكذا قال ابن السِّيد . وصَفهم بالحذق فى الطَّعن ، فهم يتعمَّدون المقاتل . والأَبهر : عرقٌ مستبطنُ المتن متَّصل بالقلب .

وقوله : « فلولا زُهيرٌ أن أُكدِّر نعمةً » إلخ هذا البيْت فى رواية الأَحول وفى رواية القالى آخرُ الأَبيات . والملاصق لقوله : ويركب يوم الرَّوع ، عندهما : تقول أَرى زيداً ، البيت . وليس عندهما « قد انبعثت عرسى بليل تلومنى » البيت . ١٥٠

وهذا هو المناسب لسياق الكلام . وبيت « قد انبعثت عرسى » إنَّما هو من شعر كعب كما سيأْتى ، لكن كتبنا الأَبياتَ كما وجدناها ثابتةً فى نسختين صحيحتين (من نوادر أَبى زيد) .

وقوله : « فلولا زهير » هو والدكعب. وقوله : « أَن أُكدِّر نعمةً » هو بدل اشتمال من زهير بتقدير الرابط ، والتقدير : فلولا تكديرُ نعمة لزهير . وقوله : « لقاذعْتُ » جواب لولا . والقَذْع بالذال المعجمة : الفُحش والخَنَى . يقال قذعتُه ، إذا رميتَه بالفحش وشتمتَه .

وقوله : « قد انبعثَتْ عِرسى » إلخ ، هذا البيت أَوّل أَبياتِ كعبِ بن زُهير الآتية ، ولا مناسبة له هنا . والمِصراع الأَوَّلُ فى رواية الأَحول :

* أَلا بَكرت عِرسى تُوائمُ مَنْ لحا *

قال الأَحول : توائم : تعارض وتفعل مَا يفعلون[1] . وأَصل المواءمة المباراة فى الطعام. وقوله : « وأَقرِبْ بأَحلام » إلخ ، هو صيغة تعجُّب .

---

(١) ط : « وتفعل ما يفعلون » .

والأَحلام : العقول . قال الأَحول : هو من مثل تضربه العرب « لُبُّ النِّساءِ إلى حُمق[١] » .

وقوله : « تقول أَرى زيدًا » : إلخ هذا خطاب لكعب لا حكايةُ قولِ عرسه وإن كان ظاهراً . والمُقْتِر اسم : فاعل من أَقتر الرجُلُ ، إذا افتقر. وروى بدله : « مُصْرِمًا » من أَصرَم الرّجلُ ، إذا صار ذا صِرمة . وتموَّل : صار ذا مال . والمال عند العرب : الإبل والماشية . واقتنى، هو من قَنَيت الشيءَ ، إذا اتخَذْتَهُ لنفسك لا للتِّجارة . ويروى بدله : « وافتَلَى » أى صار ذا فَلُوٍّ ، وهو المُهْر . والفَلُوّ كفَعُول ، ويقال فِلْو بكسر الفاء وسكون اللام . ويقال افتلى بمعنى رَبَّى أَيضاً ، وبمعنى فَطم الصغيرَ عن اللَّبن .

وقوله : « وذاك عطاءُ الله » إلخ ، الإشارة للتموُّل والاقتناء . والغَارَة : الغَزاة . ومشمِّرة ، من شمَّر إزاره تشميرًا ، إذا رفَعه . ويروى : « قَلصَ الخُصَى » بتخفيف اللام وتشديدها ، بمعنى انضمَّت وانزوت . وتقلُّصُ الخصى يكون عند الرُّعب والفَزع .

وسبب هذه الأَبياتِ ما رواه القالى (فى ذيل الأَمالى) قال : حدثنا أَبو بكر قال : أَخبرنا أَبو حاتم عن أَبى عبيدة عن أَبى عمرو بن العلاء قال :

خرج بجير بن زُهير بن أَبى سلمى فى غِلمةٍ يجتنُون جَنَى الأَرض ، فانطلق الغِلمةُ وتركوا ابن زهير ، فمرَّ به زيدُ الخيل الطائىُّ فأَخذه – ودار طَيِّئٍ متاخمةٌ لدور بنى عبد الله بن غطفان – فسأَلَ الغلامَ : من أنت ؟ فقال : أنا بجيرُ بنُ زهير . فحمله على ناقةٍ ثم أَرسلَ به إلى أَبيه

---

(١) عند الميدانى : « لب المرأة إلى حمق » .

فلما أتى الغلامُ أخبره أنَّ زيداً أخذَه ثم خلَّاه وحمله ، وكان لكعب بن زهيرٍ فرسٌ من جيادِ خيل العرب ، وكان كعبٌ جسيما ، وكان زيد الخَيل من أعظم الناس وأجسمهم ، وكان لا يركب دابّة إلّا أصابت إبهامُه الأرضَ ، فقال زهيرٌ : ما أدرى ما أُثيبُ به زيدًا إلّا فرسَ كعب . فأرسل به إليه وكعبٌ غائب ، فجاءَ كعبٌ فسأل عن الفرس فقيل له : قد أرسل به أبوك إلى زيد . فقال كعبٌ لأبيه : كأنَّك أردتَ أن تقوِّىَ زيدًا على قتال غطفان . فقال زهيرٌ له : هذه إبلى فخذ ثمنَ فرسك[1] .

وكان بين بنى زهير وبين بنى مِلقطٍ الطائيِّين إخاءٌ ، وكان عمرو بن ملقط وفّادًا إلى الملوك ، وهو الذى أصاب بنى تميم مع عمرو بن هند يوم أوارة[2] ، فقال كعبٌ شعراً يريد أن يُلقِىَ به بين بنى مِلقط وبين رهط زيدِ الخيل شرًّا ، فعرف زهيرٌ حين سمعَ الشعرَ ما أراد به ، وعرف ذلك زيدُ الخَيْلِ وبنو ملقط ، فأرسلت إليه بنو ملقط بفرسٍ نحوِ فرسه ، وكانت عند كعبٍ امرأةٌ من غطفانَ لها حَسَبٌ فقالت له : أما استحييتَ من أبيك لشرفه وسنِّه أن تؤبسه[3] فى هبَته عن أخيك . ولامَتْهُ . وكان قد نزل بكعبٍ قبل ذلك ضِيفانٌ فنحرَ لهم بَكرًا كان لامرأته ، فقال : ما تلومينى[4] إلّا لمكان بَكرِك الذى نحرتُ ، فلك به بَكرانِ . وكان زهيرٌ كثيرَ المال ، وكان كعبٌ مجدودا[5] . فقال كعب :

١٥١

ألا بكرَتْ عِرسى بليل تلومُنى وأقرِبْ بأحلام النساءِ إلى الرَّدَى[6]

(١) فى الأمالى : « فخذ منها عن فرسك ما شئت » .

(٢) بعده عند القالى : « فسأله فيهم فأطلقهم له » .

(٣) أبسه يأبسه أبساً ، وأبسه تأبيساً : صغر به وحقره .

(٤) عند القالى : « تلومينى » بإثبات النونين . وكلاهما وجه جائز فى العربية حين تجتمع نون الرفع مع نون الوقاية ، يجوز فيهما الفك والإدغام ، والنطق بنون واحدة . وقد قرئ بهن فى السبعة فى قوله تعالى : « تأمرونى » . انظر المغنى ٣٤٤ .

(٥) مجدودا ، أى ذا جد وحظ .

(٦) فى ذيل الأمالى ٢٤ : « وأكثر أحلام النساء » .

وذكر فيها زيدًا ، فقال زهير لابنه :هجوت رجلاً غيرَ مُفحَم ، وإنّه لخليق أَنَ يظهَرَ عليك . فأَجابه زيد فقال :

* أَفى كلّ عام مأْتمٌ تجمعُونَه * إلى آخر الأَبيـــات . ا هـ

وهذه أَبياتُ كعبٍ (من ديوانِه) برواية أَبى العبّاس الأَحول :

(أَلا بكرَتْ عِـــرسى تُوائِمُ من لحـــا
وأَقرِبْ بأَحـــلامِ النِّساءِ من الرَّدى)

وتقدَّم شرحه .

(أَمِنْ أَجـــل بَكرٍ قطَّعَتْنِى ملامةً
لعمرى لقد كانت مَلامتُها نَثَا[1])

البَكر ، بالفتح : الفتىُّ من الإبل. قال الأَحول : أَمن أَجل بكر نحرتُه وأَطعمتُه أَصحابى بكَرتْ علىَّ باللَّوْمِ مع مَنْ يلوم . وقوله نَثَا ، بفتح النون بعدها مثلثة ، أَى مرّة بعد مرة :

(أَلَا لَا تلومى وَيْبَ غيرِكِ عارياً
رأَى ثوبَه يوماً من الدَّهر فاكتسى[2])

يقول : لاتلومى فى أَن نحرتُ بكراً وكسوتُ رجلاً عارياً فاكتسى . ووَيْبُ يُذهَبُ به مذهبُ وَيْحَ .

(فأُقسِمُ لولا أَنْ أُسِرَّ ندامـــةً
وأُعلِنَ أُخرى إنْ تراخَتْ بِىَ النَّوَى[3]

(١) كذا فى متن البيت وشرحه ، وهو خطأ من البغدادى ، والصواب : « ثنى » بتقديم الثاء المكسورة على النون كما فى الديوان واللسان (ثنى ١٣١) .

(٢) فى شرح الديوان : « ويروى نضا ثوبه ، أى سلخه ولبس غيره » .

(٣) فى الديوان : « باك النوى » .

وقِيلُ رجال لا يُبــالون شــأننا :
غوَى أمرُ كعبٍ ، مَا أرادَ وماارتـأى[1])

قال الأحول : يقول لولا قولُ رجال لا يبالون ماذكروا من أمرى وأمرك ، ويَنْثون[2] علىَّ وعليكِ أمراً لم أرتئِهِ ولم أفعلْه .

(لقد سَكنت بينى وبينكَ حِقبــةً
بـأطلائها العِينُ الملمَّعةُ الشَّــوَى)

قال الأحول : ويروى : « لقد رتعت بينى وبينك » . والعِين : الوحش . والشَّوَى : القوائم . يقول : يكون بينى وبينك تفرُّق دهر لانجتمع ، على بُعد منزلٍ ، وتَنَائى محلٍّ هذه صفتُه ، تسكنه الوحش . والمعنى لفارقتُكِ مفارقةً لا نجتمعُ معها .

(فيار اكباً إمّــا عرضتَ فبلِّغَنْ
بنى مِلقطٍ عنِّى إذا قيل : مَن عَنَى
فمــا خِلتُكمْ يا قومِ كنتم أذِلَّةً
وما خِلتُكــمْ كنتم لمختلِسٍ جَنَى
لقد كنتُمُ بالسَّهل والحزنِ حَيّةً
إذا نهشَتْ لم يَشْفِ نَهشَتَهَا الرُّقى[3]
وإن تَغْضَبوا أو تُدركوا لى بذمّة
لَعمركُمُ أو مثــلَ سعيكُمُ كَفَى[4]

(١) ط : « عوى » ، صوابه فى ش والديوان .

(٢) فى النسختين : « أو ينثون » ، صوابه ما أثبت . وفى شرح الديوان : « فينثون » ، يقال نثى الخبر ينثيه نثياً : حدث به وأشاعه .

(٣) الديوان : « إذا لدغت لم تشف لدغتها » .

(٤) فى الديوان : « لمثل سعيكم » .

لقد نال زيدُ الخيــل مالَ أخيكم
فأصبح زيدٌ قد تموَّلَ واقتنَى[1]
وإنَّ الكميت عنـــد زيدٍ ذِمــامةٌ
وما بالكميت من خَفاءٍ لمن رأى)

قال أبو عمرو : إذا أتى ما لا يَشتهى صاحبُه فقد أذمَّ به[2] . وقال غيره : يقول : إنَّ فرسى ذِمامٌ عند زيد وما به خفاءٌ لمن رآه .

(يَبِينُ لأَفيـــالِ الرِّجالِ، ومثلُه يبين إذا ما قِيدَ بالخيل أو جرَى[3])

١٥٣ أفيال الرجال : الذين لا رأىَ لهم ولا فَهْم . يقول : إذا رآه الذى لا علم له بالخيل ولا بصَرَ ، يُقاد أو يَجرِى ، علم كرمَه وعِتقَه ، ولم يَحتجْ إلى أن يسال عن نسبه . ثم وصفه ببيتين آخرين .

قال أبو العباس الأحول : وإنَّما قال كعب هذه الأبياتَ وأجابه زيد الخيل ،وذلك أنَّ بجير بن زهير والحطيئةَ ورجلاً من بنى بدر خرجُوا يقتنصون الوحشَ ولا سلاحَ معهم ، ومع زيد الخيل عدّةٌ من أصحابه ، فقال : استأسِرُوا ، فقالوا : لا إلاَّ على الطاقة[4] . فأخذهم. فأمَّا الحطيئةُ فخلَّى سبيله لخُبث لسانِه وفقرِه ، وأنَّه لم يكن عنده ما يَفْدِى به نفسَه. وأمَّا بُجَيرٌ ففدى نفسَه بفرسٍ كان يقال له الكميت . وأما أخو بنى بدر فافتدَى نفسَه بمائة من الإبل. فقال كعب بن زهير وبلغه حديثُ القوم ، وكان نازلاً فى بنى مِلقطٍ من طيئ ، فقال يحرِّضهم على زيد الخيل ،

---

(١) الديوان : « وأصبح زيد بعد فقر قد اغتنى » .
(٢) ش : « فقد أذم » ، فقط .
(٣) الديوان : « إذا ما قيد فى الخيل » .
(٤) ط : « فقالوا : إلا على الطاقة » ، وأثبت ما فى ش . وفى شرح الديوان : « فقالوا : لا نستأسر إلا على الطاقة » .

ليأْخذ الكميت . وزعَم أنَّ الكميت كان له دون بُجير ، فقال فى ذلك قصيدة : «ألا بكرت عرسى» ، وأجابه زيد الخيل : «أفى كل عام [مأْتمٌ][1] » ، فزعموا أنَّ زهيراً قال لكعب : هجوت امرأً غيرَ مفحم ، وإنّه لخليقٌ أن يَظهَر عليك .

ثم نقل أبو العباس أربعة أبياتٍ للحطيئة مدح بها زيد الخيل[2] . والله أعلم أىّ ذلك قد كان .

وزيد الخيل وكعب صحابيَّانِ تقدَّمت ترجمتهما .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد السبعمائة[3] :

٧٨٦ (نُحـابِى بهـا أكفاءَنا ونُهِينُهـا
ونَشـرب فى أثمانهـا ونُقـامِرُ)

على أن (فى) قيل إنَّها بمعنى الباء فى البيت ، أى ونشرب بأثمانها . والأَولى أيضاً أن تكون على معناها بجعل أثمانها ظرفاً للشَّراب والقمارِ مجازاً.

صاحب الشاهد

والبيت آخر أبياتٍ أربعةٍ لسَبْرة بن عمرٍو الفقعسى ، أوردها أبو تمام (فى الحماسة) ، وهى :

أبيات الشاهد

(أتَنْسَى دفاعى عنكَ إذْ أنتَ مُسلَمٌ
وقد سالَ من نصر عليك قُراقِـرُ

ونِسوتُكم فى الرَّوعِ بادٍ وجوهُهـا
يُخَلْنَ إمـاءً والإمـاءُ حـرائرُ

(١) التكلة من ش .

(٢) شرح الديوان ١٣٥ ، وديوان الحطيئة ٨٢ . وأول الأبيات :

إلا يكـن مال يثـاب فإنه سيأتى ثنائى زيداً ابن مهلهـل

(٣) أمالى ابن الشجرى ١ : ٢١٩ والحماسة بشرح المرزوقى ٢٣٩ ، وبشرح التبريزى ١ : ٢٣٤ .

أعيَّرتَنـا أَلبـانَها ولحومَهـا
وذلك عـارٌ يا ابنَ رَيْطةَ ظـاهرُ
نُحـابى بهـا أكفـاءَنا .... البيت)

قوله: «أتنسى دفاعى» إلخ استفهامٌ توبيخىّ، يخاطب ضَمرة[1] ابن ضمرة النهشلى. واذ ظرفٌ لدفاعى، أى لم تنس مُدافعتى عنك[2] حين كنتَ مخذولاً لا ناصر معك. ومُسْلَم: اسم مفعول من أسلمته بمعنى خذَلته، وهو أن تخلِّىَ بينه وبين من يريد النِّكاية فيه. قوله: «وقد سالَ من نصر» إلخ رواه شراح الحماسة: «وقد سال من ذُلّ»، قال المرزوقى وغيره: قُراقر بضم القاف الأُولى: اسم وادٍ، ويكون ذكره مثلا. ومن كلامهم: «سال عليهِ الذُّلُّ، كما يسيل السَّيل». ولا يمتنع أن يكون لحقه ما لحقه من الذلّ من ناحية قراقر، فلذلك خصَّه، والجملة حال. انتهى.

وأوّل من حرَّفه أَوَّلُ شارحٍ للحماسة، وهو أبو عبد الله النَّمَرىّ، قال: يقول: سال هذا الوادىعليك فلم تستطع الانتقالَ عنه ذُلاًّ وضعفاً.

وردّ عليه أبو محمد الأَسودُ الأَعرابى (فيما كتبه على شرح النمرى)، وقال: الصواب: «وقد سال من نصر»، يعنى نصر بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أَسد بن خزيمة. يقول: دافعتُهم عنك حين سال الوادى بهم عليك. كما قال الآخر:

ونحن أَسَلْنا مُصعِداً بطنَ حـائل ولم يُرَ وادٍ قبله سالَ مُصعِدا

يعنى أَنَّهم أَسَالُوه بالرجال. ولبيتسَبرة قصّة طويلةُ الذيل ذكرتُها (فى كتاب السَّلَّة والسَّرقة). انتهى.

---

(١) ط: «ضمر»، صوابه فى ش.
(٢) ش: «مدافعتى» بإسقاط «عنك».

أقول : قد ذكرها (فى ضالّة الأديب) أيضاً ونحن نذكرها . إن شاء الله بعد الأبيات .

وقوله : « ونِسوتُكم فى الرَّوع » إلخ . هذه الجملة معطوفة على جملة الحال السابقة . قال المرزوقى : وصف الحالَ التى مُنِىَ بها حين نصره مخاطِبُه . والمراد : نساؤكم تَشَبَّهْنَ[(١)] بالإماءِ مخافة السَّبْى ، حتَّى تبرَّجن وبرزن مكشوفاتٍ ناسيات للحياءِ ، وإنْ كنَّ حرائر . وإنَّما قالَ هذا لأنَّهم كانوا يَقْصِدون بسبيِ مَنْ يسبون من النِّساءِ إلحاقَ العار ، لا اغتنامَ الفداءِ والمال[(٢)] . ولمَّا كان الأَمر على هذا فالحرّة كانت فى مثل ذلك الوقت تتشبَّه بالأَمة لكى يُزهَد فى سَبْيِها . ومعنى « والإماءُ حرائر » : واللاتى يُحسَبْن إماءً حرائر . ولو قال يُخْلَن إماءً وهُنَّ حرائرُ[(٣)] لكان مأْخذ الكلام أَقربَ ، لكنَّه عدل إلى : والإماءُ حرائر ، ليكون الذكر أفخم .

وقوله : « أعيَّرتَنا أَلبانَهَا » ، إلخ استفهامٌ للإنكار والتقريع ، أى لِمَ عَيَّرتَنا أَلبان الإبل ولحومَها ، واقتناءُ الإبل مباحٌ ، والانتفاعُ بلحمها وأَلبانِها جائزٌ ديناً وعقلا . وقوله : « وذلك عارٌ ظاهر » أى زائل . قال أَبو ذؤيب :

وعيرَّهـا الواشـونَ أَنِّى أُحبُّهـا
وتلك شَكَاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها[(٤)]

ويقال عيَّرته كذا ، وهو الأَفصح ، وعيَّرته بكذا . قال عدىّ :

---

(١) فى النسختين : « فشبهن » ، صوابه من المرزوقى ٢٣٨ .
(٢) ط : « لاغتنام الفداء والمال » ، صوابه فى ش والمرزوق .
(٣) فى النسختين : « يخلن إماؤهن حرائر » ، صوابه من المرزوقى .
(٤) ديوان الهذليين ١ : ٢١ .

* أَيُّها الشَّامت المعيِّر بالدَّهر[١] *

والواو للحال ، أى أَتعيِّرنا ذلك والحالُ ذلك .

وقوله : (نحابى بها) إلخ قال المرزوقى : بيَّن وجوه تصرُّفهم فيما عيَّرهم[٢] به فقال : نجعلها حِباءً لنُظَرائنا فنتهادى بها ، ونسهِّل تمكُّن الزُّوَّار والعُفاة منها ، بابتذالها وإهانتها – وحذف ذكر مَنْ أُهينت له لأَنَّ المراد مفهوم – ونبيعها فنصرف أَثمانَها إلى الخمر والإِنفاق ، ونضرب بالقداح عليها فى الميسر[٣] عند اشتداد الزمان ، فنفرِّقها فى الضُّعفاء والمحتاجين . وفى تَعداد هذه الوجوه إبطالٌ لكلِّ ما أَوهَم أَنْ يلحق[٤] من العار فى اقتنائها وادِّخارها . انتهى .

قال ابن الشجرى (فى أَماليه) : حَابَى : بارَى ، يقال حابيت فلاناً أَى باريته فى الحِباء ، مثل باهيته فى العطاء ، كما يقال كارمته أَى باريته فى الكرم . فقوله : نحابى بها أَكفاءنا ، لا يكون إِلَّا بمعنى نباريهم فى الحِباء . وقدْ ورد أُحابى فى شعرِ زهيرٍ بمعنَى أَخُصُّ ، وذلك فى قوله :

أُحـــابى به ميتاً بنخـــلٍ وأَبتغى
إِخاءَك بالقِيل الذى أَنا قائلُ[٥]

قالوا : أَراد أُحابى بهذا الشعر ميتاً بنخل ، يعنى بالميْت أَبا الممدوح ، أَى أَخصُّه به . ونخل : أَرض بها قبرُه . وذهب ابن جنى فى قول المتنبى :

(١) البيت بتمامه كما فى ديوان عدى بن زيد ٨٧ وعيون الأخبار ٣ : ١١٥ :

أيهـــا الشامت المعـــير بالدهـــ ـــر أأنـــت المـــبرأ الموفور

(٢) كذا فى المرزوقى . وفى ش : « عير به » .

(٣) ط فقط : « والميسر » .

(٤) كلمة « أن » ساقطة من ش . وفى حواشيها مع ذلك : « كذا بخط المؤلف ، وفيه نقص . والظاهر : إبطال لكل ما أوهم ما يلحق » . والذى فى المرزوقى : « إبطال لكل ما أوهم أو ادعى يلحق من العار فى اقتنائها » .

(٥) فى ديوان زهير ٢٩٩ : « بالقول » موضع « بالقيل » ، وهما بمعنى ،

وإنَّ الذى حابَى جديلةَ طيـــئٍ ... به اللهُ يُعطِى من يشاءُ ويمنـــعُ[1]

إلى أن حابَى بمعنى حَبَا ، مأْخوذ من الحِباءِ وهو العطيَّة ، واسم الله مرتفع به . أى إنَّ الذى حَبَا اللهُ به جديلةَ يعطى ، فالجملة الّتى هى يعطى وفاعلُه خبر إنَّ . وخولف فى هذا القول . على أنَّ عليه أكثر مفسِّرى شعر المتنبِّى . والذى ردَّ عليه قال : إنَّ حابيته بكذا بمعنَى حَبَوْتُه به ليس بمعروف . فعلى هذا القول يكون فاعل حبا مضمرًا فيه يعود على الذى ، واسم الله مرفوعاً بالابتداءِ ، وخبره الجملة الّتى هى يعطى وفاعله ومفعوله . أَى إنَّ الذى بارَى جديلةَ فى الحباءِ اللهُ يعطى به مَن يشاءُ . ومفعول يمنع محذوفٌ دلَّ عليه مفعول يعطى ، ومفعول يشاءُ المذكورِ ويشاءُ المحذوفِ محذوفان . فالتقدير : يعطِى اللهُ به مَن يشاءُ أن يعطيه ، ويمنع به من يشاءُ أن يمنعه . على أن المضمرَينِ فى يعطيه ويمنعه يَعودان على الممدوح . والمعنى أنَّه مَلِكٌ قد فَوَّض اللهُ إليه أمرَ الخلق فى الإعطاءِ والمنع . فالمدح على هذا يتوجَّه إليه وإلى عشيرته : لأَنَّ المباراة فى العطاءِ أنَّهم يُعطون فيُعطِى مباهياً لهم بعطائه . والمعنى فى قول ابن جنِّى أَنَّ الذى حبا الله به جديلة بأَنْ جعله منهم يُعطى من يشاءُ إعطاءه ، ويمنع من يشاءُ مَنْعَه ؛ لأنَّه يُعطى تكرُّماً لا قهراً ، ويمنع عِزَّةً لا بخلا . ١٥٤

وأقول[2] : إنَّ أَصل فاعلته أَن يكون من اثنين فصاعداً ، وإنَّ فاعِلَه مفعولٌ فى المعنى ومفعولَه فاعلٌ فى المعنى ، كخاصمته وسابقته . ولم يأْت

---

(١) ديوان المتنبى ١ : ٣٨٧ . وقال ابن الشجرى فى أماليه : « وإنما قال جديلة طيئ فخص لأن الجدائل ثلاثة : جديلة طيئ فى قحطان : وهو جديلة بن خارجة بن بسعد العشيرة بن مذحج . وفى مضر : جديلة ، قال أبو عبيدة : هم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار . وفى ربيعة : جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

(٢) القائل هو ابن الشجرى فى أماليه . وقد فات البغدادى أن ينبه على استمرار النقل من الأمالى إلى نهاية النص بعد البيتين التاليين ، إذ لم يعقب عليه بقوله « انتهى » كما هو عادته .

من واحدٍ إلّا فى أحرفٍ نوادر كطارقتُ النعل ، وعاقَبتُ اللص ، وعافاك الله ، وقاتلهم الله .

فابنُ جنّى ذهب بقولهم : حابيت زيدًا مذهبَ هذه الألفاظِ الخارجة عن القياس . وقد جاءَ حابى بمعنى حَبا فى قول أشجع بن عمرو السُّلمى ، يمدح جعفرَ بنَ يحيى البرمَكِيَّ ، حينَ ولّاه الرشيدُ خُراسان :

إنَّ خُراسانَ وإنْ أصبحَتْ تَرفعُ من ذى الهمَّة الشَّانا
لم يَحْبُ هارونُ بها جعفراً لكنَّه حابى خُراسانا

أى لم يَحْبُ جعفراً بخراسان ولكنْ حبا خراسان بجعفر . فهذا يَعضُد قولَ ابن جنّى [(١)] .

وهذه قصة سَبْرةَ الفَقعسى مع ضمرة بن ضَمرة (من ضالّة الأديب لأبى محمد الأعرابى) قال : إنَّ ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قَطَن ابن نَهْشل ، كان جاراً لنوفل بن جابر بن شِجْنة [(٢)] بن حبيب بن مالك ابن نصر ، وأُمُّ نوفل عاتكة بنت الأشتر بن جَحْوان بن فَقْعس بن طَريف ابن عمرو بن قُعَين . وكان ضمرة كثيرَ المقامرة ، فنحر نوفلٌ جزوراً فدعا الحيَّ فأكلوا ، فدعا ضمرةَ فقال : يا معشر بنى قعين هذا جارُكم وأنا منه خِلْوٌ . ثمَّ إنَّ ضمرةِ قامَرَ [(٣)] ، فقُمِرَ مالَه كلَّه ، وانتجعت أسدٌ نحو أرضِ بنى تميم وهم مُقْحَمون مُضْعِفُون ، فأرسل ضَمرة إلى من يليهم من بنى تميم أنْ مِيلوا عليهم ، فإنَّهم لأوّلِ مَن أتاهم . فأتى بنى نصر الخبرُ فانصرفوا وأتمروا بضَمرة أن يأكلوه حين ينزلون ، فأمر نِسوتَه سرًّا

---

(١) هذه هى نهاية نص ابن الشجرى الذى بدأ فى ص ٥٠٦ وإن لم ينبه البغدادى عليه .
(٢) ضبط فى اللسان والاشتقاق ٢٥٧ بالكسر ، وفى القاموس بالفتح .
(٣) ط : « قام » ، صوابه فى ش .

أَنْ يتأَخَّرن ويَلحقْنَ بظُعُن بنى فقعس ، وسار هو فى سَلَفِ بنى نصرٍ وقد علِم أَنَّهم آكلوه إذا نزلوا ، فلمَّا نزلوا ركض نحو بنى فقعسٍ فقال: أنا جارٌ لكم : فقالوا : إنَّك لستَ بجارٍ ، ولك أمانُ العائذ الغادر ، ومنَعوه من بنى نصر ، وإذا مالُه فى بنى نصر قد أَحرزوه ، فلمَّا جاءت ظعن بنى فقعس إذا نسوتُه فيهنّ ، فعدلَ له بنو فقعس خمسين شائلة[1] ونحروا الجزور ، وكان فيهم زماناً ، ثم لحق بقومه . فنافر معبد بن نَضْلة بن الأَشتر بن حَجْوان ، خالدَ بن وهبٍ الصَّيداوى ، وجَمعهما وضَمْرَةَ مجلسُ النُّعمان ، فأَرسل ضمرةُ إلى خالد : نافرْهُ واجعلنى الكفيلَ وهو بينى وبينك نِصفين ، فإنَّه لا يخافنى ، واجعلهُما مائةً فى مائةٍ فى خُفْرة النعمان[2] واجعلْ بينكما بها رُهُناً ؛ فإنَّه لا بدَّ من أَدائها إذا كنتُ أَنا الكفيل . فلمَّا راحوا إلى النعمان سبَّ خالدٌ معبدًا فقال : أَتسابُّنى ولم تُنافِرْنى . قال : أُنَافِرُكَ . قال : ما بدا لك . قال خالد : إنِّى أَجعلُ الكفيلَ مَنْ شئتَ ، وإنْ شئتَ ولىَّ نعمتكم هذا . قال معبد : فإنِّى قد فَعلت . واعتقَدَ عليه بما أَمره به ضَمْرة ، ثم تغاديا[3] على ضَمرة فقال ضمرة : والله إنَّ بنى طَريفٍ لمن أَكرم النَّاس ، ومارأَيْنا قطُّ أَكرمَ مِن خالد . فنفَّره على معبدٍ فى مجلسه ، فحُبِس قيسُ بن معبدٍ عند النعمان رهينةً بمائة من الإبل ، فقال معبدٌ لبنى جابر بن شِجْنة : اكفُلونى يا بنى عمِّى فإنِّى لم يَشنِّى غدرُ ضَمرة ولا كذبُه . قال بنو جابر : تُرى بنى فقعس مقرِّين بهذا ؟ قال : نعَمْ ، يرون أَنَّها خيانة ،

١٥٥

(١) الشائلة من الإبل : التى أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها .

(٢) الخفرة ، بالضم : الأمان والضمان ، ومثلها « الخفارة » وهذه مثلثة الخاء . ش « خضرة » ، تحريف .

(٣) تغادياً من الغدو . وفى ش : « تعاديا » بالمهملة .

ولا تضرُّهم . فكفل بنو جابر الإبل فلما أتى معبدٌ بنى فقعسٍ قال بنو دِثارٍ وبنو نوفلِ بنِ فقعس : والله ما نرضى بهذا أبدًا ما بقى منَّا إنسان. فنهضت بنو فقعس إلى النعمان فوجدوا عنده ضمرة ، فقال سَبْرة بن عمرو بن الحارث بن دِثار بن فقعس بن طريف :

إنِّى لمن أنكر وجهِى سَبْرهْ   الرَّجلُ الأشمُّ فيه الزُّعْره[1]

كالمِيسم الحامى عليه الغُبره

إلى أن قال :

والله ما نَعقِل منها بَكْره   أو يأْمرَ النُّعمانُ فيها أمْرَه

فأَمرهم النعمان أن يتقاضَوا إلى العُزَّى : صنم كان بنَخْلة . فعندها قال سَبْرة :

أضمرَ بَنَ ضمرٍ أبلقَ الإسْتِ والقفا
وهل مثلُنا فى مثِلها لك غافرُ

أتنسَى دِفاعى عنكَ إذْ أنتَ مُسلَمٌ
وإذْ سال من نصر عليك قُراقرُ

ونِسوتُكم فى الرَّوع بادٍ وجوهُها
يُخَلنَ إماءً والإماءُ حرائرُ

يُسلِّخْنَ باللَّيل الشوِىَّ بأذرعٍ
كأَيدى السِّباع ، والرءُوسُ حواسرُ

وعيَّرتَنَا ألبانَهَا ولُحومَها
وذلك عارٌ يابنَ رَيْطةَ ظاهرُ

وإنَّا لتَغشانا حقوقٌ ولم تكُنْ
تقرِّبنا للمخزياتِ الأباعرُ

---

(١) المعروف « الزعارة » بمعنى الشراسة .

نُحــــابى بهـــا أكفاءَنا ونُهينهـــا
ونشـــربُ فى أثمـــانها ونقــــامرُ
وتَكسِبُهـــا فى غيـــر غـــدرٍ أَكفُّنـــا
إذا عُقــــدت يومَ الحِفـــاظ الـــدَّوابرُ
وإنَّا لنقـــرى الضَّيفَ فى ليلة الشِّـــتا
عظيمَ الجفـــانِ فَوقهنَّ الحــــوائرُ

جمع الحَوير ، وهو الشحم الأَبيض . وبعد هذا ثلاثة أَبيات أُخر .

ثم أَورد لِسَبْرة الفقعسىِّ أشعاراً كثيرة يُخاطب بها ضَمْرة ويهجوهُ بها. وفى سياقه هذا نقص[1] فإنَّه لم يذكر فيه وجه تعييره بالإبل ، ولا إلى أَىِّ شىءٍ تمَّ حالُهما . والله أعلم .

وسَبرة : شاعرٌ جاهلى . وذُكِر نسبُه فيما سقناه .

وترجمة ضمرة تقدّمت فى الشاهد الثامن والثمانين[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد السبعمائة[3] :

٧٨٧ (ما بكاءُ الكبيرِ بِالأَطلالِ)

على أَنَّ (الباءَ) فيه للظَّرفية ، أَى فى الأَطلال . وهذا صدرٌ ، وعجزه :

(وسُؤالى وما يردُّ سؤالى)

صاحب الشاهد ١٥٦

وهذا مطلع قصيدةٍ للأَعشى ميمون ،مدح بها الأَسودَ بنَ المنذر اللَّخمى ، أَخا النعمان بن المنذر ، وسيأْتى بعضٌ منها (فى رُبَّ) . وبعده :

أبيات الشاهد

(دمنةٌ قَفــرةٌ تعـــاوَرَها الصَّيْــــفُ بريحين من صَبًا .وشَمَالِ)
لاتَ هَنَّـــا ذِكرى جُبيرةَ أَو مَنْ جاءَ منهـــا بطـــائفِ الأَهوالِ)

(١) ط : « نقض » ، صوابه فى ش .
(٢) الخزانة ٢ : ٣٨ .
(٣) أدب الكاتب ٤٠٨ والجواليقى ٣٦٩ والاقتضاب ٤٤٨ وديوان الأعشى ٣ .

أَراد بالكبير نفسَه ، وعذَلَها بالوقوف على الأَطلال وسؤالِه إيّاها ، ثم رجع وقال : وما تردُّ سؤالى ؟ يقول : ما بكاءُ شيخ كبير مثلى فى طلل. والطَّلل : ما شخص من بقايا المنزل . والدِّمنة : ما اجتمع من التُّراب والأَبعار وغير ذلك . فتعاوَرَه الصَّيفُ بريحين مختلفينِ ، وهما الصَّبا ومهبُّها من ناحية المشرق ، والشِّمَالُ ومهبُّها من القطب الشمالى إلى الجنوب. والجَنوب من رياح اليمن .

قال أَبو على (فى كتاب الشِّعر) : اعلم أَنَّ قوله سؤالى بعد قوله ما بكاءُ الكبير حملٌ للكلام على المعنى ، وذلك أَنَّ الكبير لمَّا كان المتكلِّمَ فى المعنى حمل سؤالى عليه . أَلا ترى أَنَّ ما بكاءُ الكبير إنما هو ما بكائى وأَنا كبير ، وبكاءُ الكبير بالأَطلال ممَّا لا يليق به ، لأَنَّه اهتياجٌ لصِبًا أَو تَصَابٍ ، وذلك مما لا يليق بالكبير . ومن ثَمّ قال الآخَر :

أَتجزعُ إنْ دارٌ تحمَّل أَهلُهــا ... وأَنت امرؤٌ قد حمَّلتكَ العشائرُ

فحمَل سؤالى على المعنى . فأَمَّا قوله : « وما يردُّ سؤالى دِمنةٌ قفرة» فإنَّ (ما) تحتمل ضربين :

أَحدهما : أَن تكون استفهاماً فى موضع نصب ، كأَنه قال : أَىَّ شىءٍ يرجع عليك سؤالُك من النفع ؟ وقد يقول : عاد علىَّ نفعٌ من كذا ، وردَّ علىَّ كذا نفعاً ، ورجَعَ علىَّ منه نفع .

ويكون « دمنةً » منتصباً بالمصدر الذى هو سؤالى . والبيت على هذا مضمَّن.

والآخر : أَن يكون نفياً كأَنَّه قال : ما يردُّ سؤالى ، أَىْ جوابَ سؤالى دمنةٌ . فالدمنة فاعل قوله : « تردّ » . ومثلُ هذا قوله :

* وقُمْنا فسلَّمنا فردَّت تحيّةً *

إنّما هو جواب تحيّة. وكذلك قولُه سبحانه : ﴿ فحيُّوا بأَحْسَنَ منها أَو رُدُّوها[١] ﴾ ، أَى ردُّوا جوابها[٢] .

وقد قيل فى قوله :(فردَّت تحيّةً) قولان : أَحدهما : ردَّت التحية ، أَى لم تَقبلْها . والآخر : ردّت تحيّةً أَى جوابها ، كما تقدَّم . وذلك لما رأَينا فى وجهها من البشاشة وإنْ لم تَتكَلَّمْ . فالتقدير : وما يردُّ جوابَ سؤالى دمنة.

والبيت على هذا مضمَّن أَيضاً ، لأَنَّ الفاعل الذى هو « دمنة » فِعلُه فى البيت الذى هو قبل البيت الثانى . فيجوز أَنْ يقول: وما تردُّ، فيؤنِّث على لفظ الدمنة ، ويذكِّر على المعنى . انتهى .

وقال ابن السِّيد البَطَلْيَوْسىُّ (فى شرح أَدب الكاتب) : وسؤالى فهل تردُّ سؤالى، ويروى: « فما تردُّ » و« لا تَرُدُّ » . ويروى: بالتاء والياء . فمن روى (فهل تَردّ) على لفظ التأْنيث رفع الدّمنة[٣] وجعلها فاعلا، وجعل سؤالى مفعولًا بتقدير مضاف ، أَى فهل تردُّ جوابَ سؤالى[٤] دمنة . ومن روى: (فهل يَردُّ) بلفظ التذكير نصب دمنةً مفعولا ، وجعل سؤالى فاعلا[٥] ومعناه : إنَّ سؤالى لا يردُّ الدمنة إلى ما كانت عليه . ومن روى: « وما »، واعتقَدَ أَنَّها نفىٌ جاز أَن يقول تردُّ بلفظ التأْنيث ويرفع الدِّمنة لا غير، وجاز أَن يقول يرُدُّ بلفظ التذكير وينصب الدمنة إنْ شاءَ ، ويرفعها إنْ شاءَ . وإن اعتقد أَنَّ ما استفهام قال : يردُّ ، على لفظ التذكير ، وجعل ما فى موضع نصب بيردُّ ، وسؤالى فى موضع رفع ، ونصب دمنة بسؤالى لا غير . ومن روى: « ولا يردُّ سؤالى » على لفظ التذكير نصب

١٥٧

(١) الآية ٨٦ من سورة النساء .
(٢) الكلام بعده إلى « جوابها » التالية ، ساقط من ش .
(٣) ش : « رفع الدمنة لا غير » ، مع إسقاط سائر الكلام فى هذه الفقرة .
(٤) فى الأصل ، وهو هنا ط فقط : « سؤال » ، صوابه فى الاقتضاب ٤٤٧ .
(٥) الذى فى الاقتضاب : « وجعل سؤالى فى موضع رفع » .

الدمنة ، وإن شاءَ رفعَها . ومن روى « ولا تردُّ » على لفظ التأْنيث رفع الدمنة لا غير [١] .

ثم قال ابن السِّيد : ورُويت فى هذا البيت حكايةٌ مستظرفة [٢] رأيت إثباتَها فى هذا الموضع .

روى نَقَلَةُ الأَخبار أَنَّ طُليحة الأَسدىَّ كانشريفاً ، وكان يَفد على كسرى فيكرمُه ويُدْنى مجلسَه . قال طليحة : فوفدتُ عليه مرَّة فوافقت عيدًا من أَعياد الفُرس ، فحضرتُ عند كسرى فى جُملة مَن حضر من أَصحابه ، فلمّا طعِمنا وُضِع الشَّرابُ فطفِقْنا نشرب ، فغنَّى المغنِّى :

* لا يتأَرَّى لما فى القدر يطلبُه [٣] *

فقال كسرى لتَرجمانِه : ما يقول ؟ ففسَّره له فقال كسرى : هذا قبيح . ثم غنَّاه المغنى :

* أَتتك العيسُ تَنفُخ فى بُراهَا [٤] *

فقال كسرى لتَرجمانه : ما يقول ؟ فقال : لا أَدرى . فقال بعض جلسائه : « شاهانشاه [٥] ، أُشتُرْأُف أُف » معناه : يا ملكَ الملوك هذا جملٌ ينفخ. وأُشتُر بلغتهم: الجمل، وأُفْ: حكاية النَّفخ. قال طُليحة: فأَضحكَنى تفسيره العربيَّةَ بالفارسية . قال : ثمّ غناه المغنِّى بشعرٍ فارسىٍّ لم أَفهمْه ، فطرب كسرى ومُلئت له كأْس ، وقام فشربها قائماً ، ودارت

(١) انظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة .

(٢) كذا بالظاء المعجمة فى ط والاقتضاب ٤٤٨ ، وفى ش : « مستطرفة » بالمهملة .

(٣) لأعشى باهلة فى رثاء المنتشر بن وهب . الأصمعيات ٩٠ وجمهرة القرشى ١٣٧ . وعجزه :
* ولا يعض على شرسوفه الصفر *

(٤) لعبدالرحمن بن الحكم، أو زياد الأعجم، كما ينسب للأعشى. اللسان (قطع ١٥٦). وعجزه:
* تكشف عن مناكبها القطوع *

(٥) فى الاقتضاب ٤٤٨ : « شاه شاه » .

الكأْس على جميع الجلساء . قال طليحة : وكان التَّرجمان إلى جانبي فقلت له : ما هذا الشِّعرُ الذى أَطرب الملكَ هذا الطَّربَ؟ فقال : خرجَ يوماً متنزِّهاً فلقِى غلاماً حسنَ الصُّورة وفى يمينه وَردٌ ، فاستحسنَه وأَمر أن يُصنَع له فيه شعر ، فإذا غنَّاه المغنِّى ذلك الشِّعرَ طرِب وفعلَ ما رأَيتَ . فقلت : ما فى هذا ممَّا يُطرِب حتَّى يبلغ فيه هذا المبلغ ؟ فسأَل كسرى التَّرجُمانَ عمَّا حاورَنى فيه ،فأَخبره ، فقال : قل له : إذا كان هذا لايُطرب فما الذى يطربُك أَنت ؟ فأَدَّى إلىَّ التَّرجُمان قولَه فقلت : قولُ الأَعشى :

* ما بكاءُ الكبير بالأَطلال * . . . البيت

فأَخبره الترجمانُ بذلك فقال كسرى : وما معنى هذا ؟ فقلت : هذا شيخٌ مرَّ بمنزل محبوبته فوجدَه خالياً قد عفا وتغيَّر ، وجعَل يَبكِى[1] . فضحِك كسرى وقال : وما الذى يطربُك من شيخٍ واقفٍ فى خَربة وهو يَبكى ، أَو ليس الذى أَطربنا نحنُ أَولى بأَن يُطرَب له ؟ قال طليحة : فثَقُل عليه جانبى[2] بعدَ ذلك .

وقوله : « لات هَنَّا ذِكرى جُبَيرة » ، بضم الجيم : اسم امرأَة ، وهو من شواهد النحويِّين ، وتقدَّم توجيهه فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائتين[3] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد السبعمائة[4] :

٧٨٨ (غُلْبٍ تَشَذَّرُ بالذُّحُولِ)

---

(١) فى الاقتضاب ٤٤٩ : « فوقف فيه وجعل يبكى » .

(٢) فى الاقتضاب : « فثقل عليه بابى » ، يعنى الإذن لى .

(٣) الخزانة ٤ : ١٩٦ – ١٩٨ .

(٤) الأزهية ٢٩٧ والإنصاف ٧٧٢ والأشباه والنظائر ٣ : ١٠٨ . وانظر البيان والتبيين ١٠ : ٣٧ .

وهو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(غُلبٍ تشَذَّر بالذُّحول كأَنَّها جِنُّ البَدِىِّ رواسيًا أَقدامُها)

على أَنَّ الباءَ فيه للسببية .

قال الزوزنى (فى شرح معلقة لبيد) : يقول : هم رجالٌ غلاظُ الأَعناق ، كالأُسود ، أَى خلقوا خِلقة الأُسُود ، ويهدِّد بعضهُم بعضاً بسبب الأَحقاد التى بينهم . ثم شبَّههم بجنِّ هذا الموضعِ فى ثباتهم فى الخِصام والجِدال . يمدح خُصومَه ؛ وكلَّما كان الخَصْم أَقوى وأَشدَّ كان غالبُه أَقوى وأَشدّ .

صاحب الشاهد — والبيت من معلَّقة لبيدٍ الصَّحابىّ وقبله :

١٥٨ (وكثيرةٍ غرباؤها مجهولةٍ تُرجَى نوافلُها ويُخشَى ذامُها)

وبعده :

(أَنكرتُ باطلَها وبُؤْتُ بحقِّها عندِى ولم يَفْخَرْ علىَّ كِرامُها)

قوله : « وكثيرة » الواو واو ربّ ، وجوابها : « أَنكرتُ باطلَها » ، قال ابن السِّيد (فى شرح أَدب الكاتب) : يريد قُبّة ملِكٍ فيها قومٌ غرباءُ من كلِّ قبيلة ، فاخَرُوه بين يَدىِ الملكِ ، فغلَبهُم وظهَرَ عليهم . وقوله : « مجهولة » أَراد مجهولٌ مَنْ فيها[1] ولم يرد أَنّ القبَّة نفسهَا مجهولة . والنافلة : الفَضْل . والذَّامُ : العيبُ والعار . يريد أَنَّ من حضرها يرجو أَن يكون له الظُّهور والشَّرف ، ويَرهب أَن يُغلَب ويُظهَر عليه ، فيكون ذلك عارًا يبقى فى عَقبه ، فهو لذلك يذبُّ عن نفسه ولا يدعُ غايةً من المفاخرة إلاَّ قصَدَها . وشبَّههم بجِمالٍ غُلْبٍ تَشَذَّرُ بأَذنابها إذا تصاولَتْ وهاجَتْ . يقال : تشذَّر البعيرُ بذنبه ، إذا استثفر به[2] وتشَذَّرَ الرجلُ بثوبه عند القتال ، إذا تحزَّم وتهيَّأَ للحرب .

(١) ش : « مجهول منها » ، صوابه فى ط .

(٢) استثفر به : أدخله بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه ، كأنه يسد ثفره به . والثفر ، بالفتح والضم : فرج الحيوان . وفى ط : « استسفر به » بالسين ، صوابه فى ش .

و(الغُلْب) الغِلاظ الأَعناق، الواحد أَغلَب . و(البَدِيُّ): وادٍ تسكنه الجنُّ فيما يزعمون . و (الرَّواسِي) : الثابتة التى لا تَبرح ، والأَصل : مجهولة غرباؤها ، فحذف المضافَ وأَقام الضَّمير المضاف إليه مقامَه فاستتر فى الصفة . انتهى .

وما ذهب إليه من أَنَّ المراد بكثيرةٍ قُبَّة الملك هو الراجح الصَّحيح ، وهو قول الزَّوزنى ، قال : المعنى ربَّ قبةٍ أَو دارٍ كثُرت غرباؤُها وغاشيتُها وجُهلَت ، لا يَعرف بعضُ الغرباءِ بعضاً . افتخَر بالمناظرة التى جَرتْ بينه وبين الرَّبيع بن زيادٍ فى مجلس النُّعمان بن الأَسود ملكِ العرب ، ولها قصَّةٌ طويلة .

أَقول : قد ذكرتُها أَنا فى ترجمة النُّعمان بن المنذر فى الشاهد الخامس والخمسين بعد المائة[1] ، وستأْتى[2] فى ربَّ أَيضاً .

وكذا ذهب إلى هذا أَبو الحسن الطُّوسى (فى شرح ديوان لبيد) قال : يعنى قُبّة كانت تُضرَب على بابِ الملك يَقعُد فيها النَّاسُ حتَّى يُؤْذَن لهم . ونوافلُها : فضولٌ مِن شرفٍ وجوائزَ ومنازلَ. يُخْشَى سِقاطٌ من كلامٍ أَو فعل، يلحقه منه ذامٌ، أَى عيب . أَو أَنَّهم يرجعون بغير جائزة فيكون ذلك عيباً عليهم .

وفيها أَقوال أُخَر :

أَحدها : أَنَّ المعنى وجماعةٍ كثيرة غرباؤُها . وإليه ذهب الجواليقى (فى شرح أَدب الكاتب)، قال : أَى ربَّ جماعةٍ كثيرة غرباؤُها. ثم حذف الموصوفَ وأَقام الصَّفة مَقامه . هذا أَصحُّ ما قيل فيه .

---

(١) صوابه : « الثامن والأربعين بعد المائة » . وانظر الخزانة ٤ : ١١ — ١٢ .

(٢) ط : « وسيأتى » .

ثانيها: أنَّ المعنى ربّ خُطَّةٍ وشأْن قد جُهِل القَضاءُ[١] فيها وجُهِلت جهاتُها .

ثالثها: أنَّ المعنى ربّ حربٍ كثيرة غرباؤها[٢] ، لأنَّ الحرب مؤنثة . وجعلها كثيرةَ الغرباءِ لما يحضرها من ألفافِ النَّاس وغيرِهم . وجعلها مجهولةً لأنَّ العالم بها والجاهل يجهلان عاقبتَها . وقوله : « ترجى نوافلها » أى الغنيمة والظفر . و « يُخْشَى ذامُها » أى خلافها .

رابعها: أنَّ المعنى ربّ أَرض كثيرةٍ غرباؤها، يريد أرضاً يضلُّ بها مَن سلَكها إذا جَهِل طُرقَها . قال أبو جعفرٍ ، والجواليقى ، والخطيب : وإنَّما وقع الاختلاف فى ذلك أنَّه أقام الصِّفةَ مقامَ الموصوف ، فاحتمل هذه المعانى ، إلّا أنَّ الأشبَه بما يريد الجماعةُ ، لأنَّ بعده :

* أنكرتُ باطلَها وبُؤْتُ بحقِّها *

وإقامة الصِّفة مقامَ الموصوف فى مثلِ هذا قبيح ، لما يقع به من الإشكال. ألَا ترى أنَّك لو قلتَ مررت بجالسٍ كان قبيحاً، ولو قلت بظريفٍ كان حسناً . وغرباؤها مرفوع بكثيرةٍ [٣] أى كثرت غرباؤها . ١٥٩

وقوله : (غُلْبٍ تَشَذَّرُ) إلخ هو خبر لمبتدإٍ محذوف هو ضمير الغرباء، أى هُم غلبٌ : جمع أغلب ، والأُنثى غَلْبَاءُ. قال الطُّوسى : غُلْب : أسْد غِلاظ الرِّقاب . وقال ابن السِّيد : شبَّههم بالإبل . وعليهما فهو استعارةٌ تصريحيَّة . وتشذَّر ، أصله تتشذَّر بالذال المعجمة . وفيه أقوال : أحدها أنَّ التشذُّر رفعُ اليد ووَضْعُها ، أى إنَّهم كانوا يفعلون ذلك إذا تفاخَرُوا

(١) ش : « الفضا » بالفاء ، تحريف ، والمراد الحكم .

(٢) الكلام بعده إلى « غرباؤها » التالية ساقط من ش .

(٣) فى النسختين : « بكثير » ، ووجهه ما أثبت كما هو النص .

وتثالبوا . وإليه ذهب الجاحظ (فى كتاب البيان والتبيين) قال : كانت العربُ تخطب بالمخاصر ، وتعتمد على الأَرض بالقِسِىِّ، وتشير بالعصىِّ والقُنِىِّ[1] . وقال لبيدٌ فى الإشارة :

غُلبٍ تشذَّرُ بالذُّحول . . . . البيت

وقيل: التشذُّر: الإيعاد ، أى يُوعِد بعضهم بعضاً . وحكى ابنُ السِّكيت: تشذَّرت الناقة . إذا شالت بذنبها . وقال الطُّوسى : التشذُّر من الفحل بالذَّنَب تغضُّبٌ[2] وإيعاد. ومن هنا قال ابن السكيت: شبَّههم بالإبل . وروى : « غلب تشازَر[3] » بتقديم المعجمة . وتشازُرهُم[4] : نَظَرُ بعضِهم إلى بعض بمُؤخر عينه . والذُّحول : جمع ذَحْل، بفتح الذال المعجمة وسكون الحاء المهملة ، وهو الحقد[5] . وجملة (كأَنَّها جِنّ) حال من ضمير غُلب فى تشذَّر . و (البدِىّ) بفتح الموحَّدة وكسر الدال المهملة وتشديد الياء من غير همز ، قال أَبو عبيد : البادية ، حكاه عنه الطوسى . وكذا قال أَبو جعفرٍ ، والخطيب . وقال ابن السِّيد : وادٍ تسكنُه الجن . وقال ابنُ الأَنبارىّ : هو وادٍ لبنى عامر ، وقيل موضع . وقال أَبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : وادٍ لبنى عامر . وقال أَبو حاتم عن الأَصمعى : وادٍ لبنى سعد . وذكره أَبو عبيد أَحمد بن محمد بن الهَروىّ مهموزًا ، وذلك أَنَّه ذكر حديثَ ابن المسيَّب فى حريم البئر فقال: البَدِىءُ البئر التى ابتُدئت فحُفِرت وليست عاديَّة . قال : والبدىُّ فى غير هذا الموضع : بلدٌ تسكنه الجنّ . فإن كان هذا الذى ذكره الهروىُّ صحيحاً

---

(١) القناة: الرمح . والجمع قنوات وقنا وقنى على فعول، وأقناء . والذى فى البيان: « القنا ».

(٢) ط : « تقصب » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « تشاذر » ، صوابه فى ش وشرح ديوان لبيد ٣١٧ .

(٤) ط : « وتشاذرهم » ، صوابه فى ش .

(٥) ط : « هو الحقد » بإسقاط الواو .

فهو موضع آخر ، والله أعلم ، لأنَّ البديَّ المذكور فى الشَّواهد آهِلٌ يسكنه الناس ويَرعَوْنه[(١)]

أقول : قول الهروّى : والبدى[(٢)] فى غير هذا الموضع : بلدٌ ، يريد غير مهموز ، بدليل أنَّ كلامه فى المهموز ، وقولُ البكرى « آهل يسكنه الناس » يردُ عليه بيتُ هذه المعلَّقة .

و (رواسياً) حال من اسم كان ، لأنه فى المعنى مفعول لأُشبّه ، وصرفه للضَّرورة . و (أقدامها) فاعل رواسِىَ ، جمع قدَم .

وقوله : « أنكرتُ باطِلَها » إلخ هذا جواب ربّ . قال الزوزنى : باءَ بكذا : أقرَّ بهِ ، ومنه قولهم فى الدعاء: « أَبُوءُ لكَ بالنعمة». يقول: أنكرت باطلَ دعاوى تلك الرِّجال الغُلْب ، وأقررت بما كان حقًّا منها عندى ، أى فى اعتقادى ، ولم تفخَرْ علىَّ كرامُها ، أى ولم يغلبنى بالفخر كرامُها ، من قولهم : فاخرته ففخَرته ، أى غلبته بالفخر . وكان ينبغى أن يقول : ولم تفخُرنى[(٣)] كرامُها ، ولكنّه ألْحَقَ [عَلَى[(٤)]] حملاً على معنى : ولم تتعالَ علىَّ ولم تتكبَّر علىّ . قاله الزوزنى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد السبعمائة[(٥)] :

٧٨٩ (نَضرِبُ بالسَّيفِ ونَرجُو بالفَرَجْ)

---

(١) بعده فى معجم ما استعجم : « على ما نطقت به أشعارهم التى أنشدناها » .

(٢) والبدى : ساقطة من ش .

(٣) ش : « يفخرنى » . وفخره يفخره بضم الخاء فى المضارع ، من باب نصر : كان أفخر منه وأكرم أباً وأماً .

(٤) التكملة من ش والزوزنى .

(٥) أدب الكاتب ٤١٨ والاقتضاب ٢٦٥ ، ٤٥٨ والإنصاف ٢٨٤ والضرائر ٦٣ ورصف المبانى ١٤٣ والمغنى ١٠٨ وشرح شواهده للسيوطى ١١٤ ومعجم البلدان (الفلج) وديوان الجعدى ٢١٦ .

على أنَّ (الباءَ الثانية) زائدةٌ فى المفعول به سماعاً .

قال ابن عصفور (فى الضرائر) : وزيادة الباء هنا ضرورة . قال ابن السِّيد (فى شرح أدب الكاتب) : إنّما عدَّى الرّجاءَ بالباءِ لأنّه بمعنى الطَّمَع ، والطَّمعُ يتعدَّى بالباء ، كقولك : طَمِعت بكذا . قال الشاعر[1] : ١٦٠

طَمِعتَ بليلى أن تجـودَ ، وإنّما
تقطِّع أعنــاقَ الرِّجالِ المطــامعُ[2] [اهـ[3]]

وقال (فى شرح أبياته) : وزاد يعقوبُ قبله :

* نحنُ بنى جَعدةَ أربابُ الفَلَجْ *

ونحن مبتدأٌ وأربابُ خبره ، وبنى جعدة منصوبٌ على الاختصاص . وروى بالرفع أيضاً . والفلَج ، بفتح الفاءِ واللام . قال أبو عبيدٍ[4] (فى معجم ما استعجم) : موضعٌ لبنى قيس ، وهو فى أعلى بلاد قيس . قال الراجز :

نحنُ بنو جَعْدَة أربابُ الفَلَجْ نَضرِب بالبِيض ونَرجُو بالفَرَجْ

وأصله النَّهرُ الصغير . انتهى .

والبِيض ، بالكسر : السُّيوف ، أى نقاتِل بالسيوف . وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : مدينة بأرض اليمامة لبنى جَعْدة وقُشير ابنى كَعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، كما أنَّ حَجرا مدينة بنى ربيعة ابن نزار بن معدّ بن عدنان . قال الجعدىّ :

(١) هو البعيث ، كما فى اللسان (ريع ٤٩٨) ، ولم ينسبه فى الاقتضاب .
(٢) فى الاقتضاب : « أن تريع » ، وفى اللسان : « أن تريع وإنما تضرب » . وراع يريع : عاد ورجع .
(٣) التكملة من ش .
(٤) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى المتوفى سنة ٤٨٧ . ط : « أبو عبيدة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

نحن بنو جَعْدَة أَربابُ الفَلَــجْ

نحن منعنا سُبْلَه حتَّى اعتَلجْ[1]

والفَلَج فى اللغة : الماءُ الجارى ، ويقال عينٌ فَلَج وماءٌ فلَج . قال أَبو عبيد : الفَلَج : النَّهر . انتهى .

وقال ابن السِّيد : الفَلَج الجارى من العين . والفَلْج البئر الكبيرة ، عن ابن كناسة . وماءٌ فلَجٌ : جارٍ ، قال عَبيد :

أَو فَلْج ماءٍ ببطن وادٍ   للماء من تحتِه قَسيبُ[2]   انتهى

وتوهَّم الدمامينى (فى شرح المغنى) أَن الفَلَج هنا بمعنى الظَّفَر . قال : والظَّاهر أَنَّ المراد بالفلج الظَّفَر والفَوز ، لكن لم يحكِ صاحبُ الصحاح غير سكون اللام ، فيحتمل أَن يكون الشاعر فتحها اتباعاً لفتحه الفاء للضرورة . هذا كلامُه ، وتبعه الحلبيُّ (فى شرحه) ونقل كلامه ، وزادَ عليه بأَنَّ صنيع صاحبِ القاموس أَيضاً يقتضى سكون اللام . وتبعه شيخنا الشهاب الخفاجى أَيضاً (فى شرح درة الغوَّاص) ، وتُعقِّبه بأَن فتح اللام لغة أَصليَّة فيه ، وتوقُّفه من عدم الاطلاع . ثم نقَلَ (من شرح مقامات الزمخشري له) ما يؤيِّد كونه بالفتح .

والمشهور : « نحن بنو ضَبَّة » ، وهو من تغيير النُّسَّاخ ، والذى فيه « ضَبَّة » قافية لاميَّة ، وهو :

* نحن بنو ضَبَّة أَصحابُ الجمَل *

وآخره :

رُدُّوا علينا شَيخَنا ثُمَّ بَجَــلْ *

---

(١) ط : « نحن منعناه » ، صوابه فى ش ومعجم ما استعجم .

(٢) القسيب : خرير الماء وصوته تحت ورق أو قاش . وفى النسختين : « قشيب » ، صوابه فى معجم ، ما استعجم والديوان ١٢ واللسان (فلج ، قسب) .

وهذا من أبياتِ المفضَّل ، وهو مما قيل فى يوم الجمل ، وهو مذكورٌ فى الحماسة وغيرها ، وقائله معلوم مذكور[١] .

وقوله : « نحن منعنا سُبْله » هو جمع سَبيل ، وهو الطَّريق . واعتلجت الأَرضُ : طال نبَاتُها .

وهذا الرّجز لم ينسُبه أَحدٌ إلى قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد السبعمائة[٢] :

٧٩٠ (ولكنَّ أَجراً لو فعَلْتِ بهيِّنٍ
وهَلْ يُنكَرُ المعروفُ فى النَّاسِ والأَجرُ[٣])

على أَنَّ الباءَ تُزاد سماعاً بقلَّة فى خبر لكنّ .

قال ابن جنى (فى سرِّ الصناعة) : وقد زيدت فى خبر لكنّ لشبهه بالفاعل . وأَنشد البيت وقال : أَراد ولكنّ أَجراً لو فعلتِه هَيِّنٌ . وقد يجوز فيه أَن يكون معناه: ولكنَّ أَجراً لو فعلتِه بشىءٍ هيِّن، أى أَنتِ تصلين إلى الأَجر بالشىءِ الهيِّن ، كقولك : وجوبُ الشُّكر بالبر الهيِّن . فتكون الباءُ على هذا غيرَ زائدة . انتهى . ١٦١

وأفاد فى تفسيره[٤] أَنَّ الخطاب لمؤنَّث . ولم أَقف على تتمّته ، ولاعلى قائله . والله أَعلم .

* * *

---

(١) ومن عجب ألا يذكره ، وربما كان هذا الخلاف فيه ، فهو الحارث الضبى ، أو الأعرج المعنى ، أو عمرو بن يثربى . وانظر معجم الشواهد .

(٢) سر الصناعة ١ : ١٥٧ ، وابن يعيش ٨ : ١٣٩ والعينى ٢ : ١٣٤ والتصريح ١ : ٢٠٢ والهمع ١ : ١٢٧ والأشمونى ١ : ٢٥٢ واللسان (كفى ٩١) .

(٣) فى اللسان : « وهل يعرف المعروف » .

(٤) ط : « تقريره » ، وأثبت ما فى ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد والتسعون بعد السَّبعمائة[1] :

٧٩١ (أَلاَ هَلْ أتاها والحـوادثُ جَمّـةٌ
بـأَنَّ امرأَ القيسِ بنَ تَمْلِكَ بَيْقَـرَا)

على أَنَّ (الباء) قد تُزاد بقلة «مع أَنَّ» الواقعةِ مع معمولَيها فى تأْويل مصدرٍ مرفوع على أَنَّه فاعل أَتاها .

وقال ابن السيرافى (فى شرح أَبيات الغريب) : فاعل أَتاها يجوز أَن يكون مضمراً دلّ عليه معنى الكلام ، كأَنَّه قال : هل أَتاها الخَبَر . ولكثرة استعمال الخبر أُضمر ، ويكون « بأَنَّ امرأَ القيس » فى موضع نصب . هذا كلامُه .

ولا مفهومَ لقوله مع أَنَّ ، فكان ينبغى أَن يقول وتزاد بقلّة فى الفاعل فى غير ما ذُكر قياساً . وهذا عند ابن عُصفور وغيره ضرورة .

ومن زيادتها فى الفاعل ضرورة بدون أَنْ قولُه :

أَلم يأْتِيكَ والأَنبـاءُ تَنمى بمـالاقَتْ لَبونُ بنى زيـادِ[2]

فالباءُ فى بما زائدة ، وما فاعل يأْتيك . وقال ابن الضائع : الباءُ متعلِّقة بتنمِى ، وإنَّ فاعل يأْتى مضمر ، والمسأَلة من التنازع . ومن ذلك :

مَهْما لىَ الليلةَ مهمـا لِيَهْ أَودَى بنعلىَّ وسِربالِيَهْ[3]

---

(١) شرح القصائد السبع ٤٥٩ والأغانى ٨ : ٦١ والخصائص ١ : ٢٣٥ والمنصف ١ : ٨٤ والإنصاف ١٧١ وابن يعيش ٨ : ٢٣ ، ٢٤ والضرائر ٦٣ ، واللسان (بقر) وديوان امرئ القيس ٣٩٢ .

(٢) لقيس بن زهير ، وهو من شواهد الخزانة ٨ : ٣٦١ .

(٣) لعمرو بن ملقط ، وهو من شواهد الخزانة ٩ : ١٨ .

التقدير : أودى نعلاى. وقال ابن الحاجب : الباءُ للتّعدية . وتقدَّم شرحهما مفصَّلاً .

ومن ذلك قول النَّمر بن تَولب :

ظَهرتْ ندامَتُه وهانَ بسُخطِه
شيئاً على مَربوعِها وعِذارِها[1] .

التقدير : هان سخطُه . قال ابن عصفور : وبالجملة لا تَنقاس زيادة الباء فى سَعة الكلام إلاَّ فى خبر ما ، وخبر ليس ، وفاعل كفى ومفعوله ، وفاعل أَفعِلْ بمعنى ما أفعله . وما عدا هذه المواضعَ لا تُزاد فيه الباءُ إلّا فى ضرورةِ شعرٍ أو شاذٍّ من الكلام يُحفَظ ولا يُقاس عليه . انتهى .

ولقد أجاد ابن هشام (فى المغنى) فى تحرير زيادة الباء .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس ، قالها بعد أن ذهب إلى الرُّوم مستنجدًا بقيصر للأَخذ بثأْر أبيه . وأوّلها :

(سَما لكَ شوقٌ بعدما كانَ أقصَرا وحَلَّت سُليمَى بطنَ ظَبْيٍ فعَرْعَرا)

إلى أن قال :

أَلاَ هل أَتاها والحوادث جَمَّةٌ . . . . البيتَ

قوله : « سما لكَ » إلخ سما : علا وارتفع . وأقصر : كفَّ . وحَلَّت : نزلَتْ . وبطن ظَبْى : موضع ، ويقال ماءٌ من مياه كَلب . وعَرعَر : وادٍ .

---

(١) ديوان النمر بن تولب ٦٤ والميسر والقداح لابن قتيبة ٥٧ ، ١١٨ والضرائر ٦٣ ، والمربوع والعذار : قدحان من ذوات الحظوظ .

وقوله : (ألا هَلْ أتاها) الضمير لحبيبته . وقوله (والحوادِثُ جَمّة) أى كثيرة،جملة اعتراضية بين الفعل وفاعله. وأوردهُ الزمخشرىُّ عند قوله تعالى : ﴿ واتَّخَذَ اللهُ إبراهِيمَ خَلِيلاً[1] ﴾ على أنَّها جملة اعتراضيَّة كقول امرئ القيس : « والحوادث جَمّة » . وفائدة الاعتراض الإخبارُ بأنَّ هجرته عن بلاده حادثةٌ من الحوادث . والعرب تتمدَّح بالإقامة فى البَدْوِ ، قال أبو العلاء :

ويُوقِدُون بنجـــدٍ نار باديةٍ لا يَحْضُرون وفَقدُ العزِّ فى الحَضَرِ[2]

قال أبو عبيدٍ (فى الغريب المصنَّف) : بيقر الرجل بيقرة، إذا هاجر من أرض إلى أرض. وأنشد هذا البيت . ١٦٣

وقال الجوهرى : بيقر الرجل : أقام بالحضَر وترك قومَه بالبادية . وأنشد هذا البيت .

وقال ابن دريد : بيقر الرجل ، إذا خرج من الشام إلى العراق .

ولم يذكر ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) غير هذا . وأنشد له البيت ، والواقع يخالفه .

ملك والدة امرئ القيس

(وتملك) بفتح المثناة الفوقية : اسم امرأةٍ ، لاينصرف. قال شارحُ ديوانه : تَملك : بعضُ أُمَّهاته . قال صاحب الأغانى : أُمُّ امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة ، أُخت كُليبٍ ومُهلهلٍ ابنَىْ ربيعة . وأُمّ امرئَ القيس ابن السِّمْط اسمها تملك[بنت عمرو بن ربيعة بن زُبيد بن مَذحِج ، رهطه عمرو بن معد يكرب . وقد ذكر ذلك امرؤ القيس فقال :

---

(١) الآية ١٢٥ من سورة النساء .

(٢) شروح سقط الزند ١٤٢ .

* بأن امرأ القيس بن تَمْلِكَ[1]] بيقَرَا * انتهى .

ومثله (فى مختصر الجمهرة) لياقوت وغيره قالا : ومن بنى امرئ القيس بن عمرو بن معاوية البِّمط ، وأُمُّه تملك بنت عمرو ، من مذحج ، هم التّمِلكيّون ، بها يعرفون . وامرؤ القيس بن السِّمط بن امرئ القيس بن عمرو ابن معاوية بن الحارث الأكبر الذى يقول فيه امرؤُ القيس بنُ حجر :

* بأَنَّ امرأ القيس بن تملكَ بيقرا *

نسبه إلى جَدِّته تملك . انتهى .

وكذا قال العسكرى (فى كتاب التصحيف) عند ما ذكر المسمَّين بامرئ القيس . وهذا خلاف ماذكره شُرّاحُ شعره[2] من أنَّه أراد نفسَه . وهو الأغلب على الظَّن .

فمنهم من قال : أُمّه تملك ، ومنهم مَن قال : جدّته . ويحتمل أن تكون جدّتَه من قبل أمّه أو أُمّهاتها . والله أعلم .

وقد ذكرنا أبياتاً كثيرةً من هذه القصيدة ، وذكرنا أيضاً طَرفاً من حال امرئ القيس فى الشاهد السابع والستين بعد السّمائة[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد السبعمائة[4] :

٧٩٢ (فأَصبَحْنَ لايَسأَلْنَه عن بِمَا بِهِ أَصَعَّدَ فى عُلْوِ الهوَى أَم تَصوَّبا)

على أنَّه[5] من الغريب زيادة الباء فى المجرور ، فإنها زيدت مع المجرور بعَن .

(١) التكملة من ش .
(٢) ط : « شارح شعره » ، صوابه فى ش .
(٣) الخزانة ٨ : ٥٤٥—٥٥١ .
(٤) معانى القرآن ٣ : ٢٢١ وسر الصناعة ١ : ١٥٣ والضرائر ٧٠ ، ٣٠٢ والمغنى ٣٥٤ والتصريح ٢ : ١٣٠ والأشمونى ٣ : ٨٣ .
(٥) ط : « أن » .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : وأمَّا قول الشاعر :

* فأَصبحنَ لا يسألْنَه عن بمَا به *

فإنه أَراد الباءَ ، وفَصَلَ بها بين عن وما جَرَّته . وهذا من غريب مواضِعها . انتهى .

وقال الفراءُ (فى آخر تفسير سورة الإنسان) : قرأَ عبد الله : ﴿ وللظَّالمين أَعدَّ لهم[1] ﴾ فكررَّ اللام فى الظالمين وفى لهم . وربَّما فعلت العربُ ذلك . أَنشدنى بعضهم :

فأَصبَحْنَ لا يسأَلنَه عن بما به أَصعَّد فى عُلْوِ الهَوى أَم تصَّوبا

فكَّرر الباءَ مرتين . ولو قال : لا يسأَلنه عَمَّا به لكان أَبْينَ وأَجَود ، ولكنَّ الشاعر ربَّما زاد أَو نَقَص ليكمُل الشِّعر . انتهى .

وعدّه ابن عصفور كالفرّاءِ من ضرائر الشعر ، قال : ومنها إدخال الحرف على جهة التأْكيد ، لاتِّفاقهما فى اللفظ والمعنى ، أَو فى المعنى لا فى اللفظ ، نحو قول بعضٍ بنى أَسد :

فلاَ والله لا يُلفَى لما بى ولا لِلما بهم أَبدًا دواءُ[2]

فزاد على لام الجرّ لامًا أُخرى للتأْكيد . ونحوه قولُ الآخر ، وأَنشده الفراءُ :

فلئن قومٌ أَصابوا عِزَّةً وأَصَبْنَا من زمانٍ رَنَقا[3]
لَلقدْ كنَّا لدَى أَزمانِنا لِصَنيعينِ لِبأْسٍ وتُقَى

(١) الآية ٣١ من سورة الإنسان .
(٢) لمسلم بن معبد الوالبى . وانظر معجم شواهد العربية .
(٣) معانى الفراء ٢ : ٦٧ والصاحبى ٢٦ والضرائر ٧٠ والهمع ١ : ١٤٠ .

فزاد على لام لقد لامًا أُخرى للتأْكيد . ونحوه قول الآخر :

فأَصبحن لا يسأَلنه عن بما بهِ .... البيت

فأَدخل عَنْ على الباء تأْكيداً ، لأَنَّهم يقولون : سأَلت عنه، وسأَلت به . والمعنى واحد . انتهى . ١٦٣

وصعَّدَ فى الجبَل بالتثقيل ، إذا علاه . وصَعِد فى الجبل، من باب تعب، لغةٌ قليلة . وصعَّد فى الوادى تصعيدًا، إذا انحدر . والهواءُ[1] : ما بين السماء والأَرض . والتصوُّب : النزول . كذا فى المصباح .

وهذا البيت لم أَقفْ على قائله ولا تتمَّته . والله أَعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد السَّبعِمائة[2] :

٧٩٣ (لِدُوا للموتِ وابنُوا للخرابِ)

على أَنَّ اللام فى قوله (للموت) تسمَّى لام العاقبة ، وهى فرع لام الاختصاص .

أَقول : تسميتها بلام العاقبة وبلام الصَّيرورة هو قول الكوفيِّين ، ومثَّلوه بقوله تعالى : ﴿ فالتقَطَهُ آلُ فِرعَوْنَ ليكونَ لهم عدُوًّا وحَزَنا[3] ﴾ ، وبقول الشاعر :

فللموتِ تغــذو الوالداتُ سِخالَهــا

كما لخَرابِ الدُّور تُبنَى المســاكنُ[4]

(١) ش : « والهوى » .

(٢) الحيوان ٣ : ٥١ والأغانى ٣ : ١٥٥ والهمع ٢ : ٣٢ والتصريح ٢ : ١٢ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٢٤ وديوان أبى نواس ٢٠٠ وأبى العتاهية ٣٣ .

(٣) الآية ٨ من سورة القصص .

(٤) لسابق البربرى كما سيأتى ، وانظر العقد ٢ : ٦٩ .

وبقول الآخر :

فإن يكن المـوتُ أفنـاهمُ فللمـوت ما تَلدُ الوالـده[1]

وقال ابن هشام (فى المغنى) : وأنكر البصريُّون ومن تبعهم لامَ العاقبة . قال الزمخشرى : والتحقيق أنَّها لام العلَّة ، وأنَّ التعليل فيها واردٌ على طريق المجاز دون الحقيقة . وبيانه : أنَّه لم يكن داعِيهم إلى الالتقاط أنْ يكون لهم عدوًّا وحَزناً ، بل المحبَّةُ والتبنِّى . غير أنَّ ذلك لمَّا كانَ نتيجة التقاطِهم له وثمرتَه ، شُبِّه بالداعى الذى يُفعَل الفعلُ لأجله ، فاللام مستعارةٌ لمَا يشبه التعليل ، كما استعير الأَسدُ لمن يُشبِه الأَسد . انتهى .

وفُهِم منه أنَّ اللام فى هذه الأبياتِ للتعليل . وجَعْلُها من فروع الاختصاص أولى ، لأنَّ التعليل أيضاً من فروع الاختصاص .

صاحب الشاهد

وهذا المصراعُ من أبياتٍ (فى الديوان المنسوب إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه) ، وهى :

أبيات الشاهد

(عجبتُ لجـازع باكٍ مصاب بأَهـلٍ أَو حَبيبٍ ذى اكتئاب
شَقيقِ الجيب دَاعِى الويل جهلاً كأَنَّ الموتُ كالشئُ العُجابِ[2]
وسـوَّى الله فيـه الخلقَ حتَّى نبىَّ اللهِ عنـه لم يُحـابِ
لـه مَلَكٌ ينادى كُلَّ يومٍ : لِدُوا للمـوتِ وابنُوا للخرابِ

(١) سيأتى الكلام على نسبته . وقد تمثل بعجزه زرارة بن جزء بن عمرو بن عوف بن كعب ابن أبى بكر بن كلاب ، عند يزيد بن معاوية ، كما جاء فى عجز بيت لعبيد بن الأبرص فى أمالى القالى ٣ : ١٩٥ : وعجز بيت آخر لسماك بن عمرو العاملى فى اللسان (لوم ٣٨) . وانظر العقد ٢ : ٦٩ وجمهرة ابن حزم ٢٨٣ وما سيأتى .

(٢) شقيق الجيب : مشقوقه ، حزناً على من فجع به . وجيب القميص ونحوه : ما يدخل فيه الرأس عند لبسه .

قال شارح ديوانه حُسين المَيْبُذِيّ[1] : المصاب : مَنْ أصابته مُصيبة. والاكتئاب : الحزن . فإنْ قلت : الكاف مغنية عن كأنَّ ؟ قلت : قال التفتازانى (فى المطوّل): إنَّ كأنَّ تُستعمَل فى مقام يَظُنّ بثبوت الخبر دون التَّشبيه . ولام « للموت » لام العاقبة ، وهى فرع لام الاختصاص. انتهى .

وحتّى ابتدائية ، ونبيَّ الله مفعول مقدَّم ليحابِ[2] بمعنى يَخصّ ، كما تقدَّم مجيئه بهذا المعنى فى شعر زهير[3] .

ورأيت (فى الفصول القصار من نهج البلاغة) لسيدنا على رضى الله عنه : « إنَّ لله مَلَكًا ينادى فى كلِّ يوم : لِدُو للموت ، واجمعوا للفناء ، وابنوا للخراب » .

ورأيت أيضاً (فى جمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبى الخطاب) : قد رُوى أنَّ بعض الملائكة قال :

لِدُو للمــوت وابنُوا للخــرابِ ... فــكلُّكمُ يصيــر إلى ذَهَــابِ ١٦٤

والبيت الثانى هو من أبيات مغنى اللبيب ، ولم يعرفه شُرّاحه ، وهو لسابقٍ البَربرىّ .

قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : وفد عبدُ العزيز بن زُرارة سيِّدُ أهلِ الكوفة على معاوية ، فخرج مع يزيدَ بنِ معاوية إلى الصَّائفة فهلك هناك ، فكتب به يزيد إلى معاوية ، فقال معاوية لأبيه زرارة : أتانى

---

(١) فى النسختين : « الميبدى » . وانظر ما سبق من تحقيق اسمه ونسبه فى الخزانة ٦ : ٦٤ .

(٢) جاء هنا بلفظ المجزوم على الحكاية لما فى البيت الثالث .

(٣) انظر ما سبق فى ص ٥٠٦ من الشاهد ٧٨٦.

اليوم نعْىُ سيِّد شباب العرب ! فقال زرارة : يا سيِّدى هو ابنى أو ابنك؟ قال : بل ابنك. قال :«للموت ما تلد الوالدة». أخذه سابقٌ البربرىفقال :

* وللمــوتِ تغْذُو الوالداتُ سِخالَها * البيت

و(تغذو) بمعجمتين ، من الغِذاءِ بالكسر والمدّ : مابه نماءُ الجسم وقِوامُه. وغذوت الصبىَّ بالطعام واللَّبن فاغتذى به . وأما الغَدَاءَ بالفتح وإهمال الدال فطعام الغُدْوة ، وهو خلاف العَشَاء . والسِّخال بالكسر : جمع سَخْلة ، وهى ولَدُ الشاة من الضَّأْن والمعز ، ذكراً كان أو أُنثى . وفيه إقامة الظاهر مقام الضمير ، إلّا أنّه باللفظ المرادف ، إذ أَصلُ الكلام كما تبنى المساكنُ لخرابها .

وكذا نسبه إلى سابقٍ البربرىِّ (صاحبُ كتاب التفسُّح فى اللغة[١]) ، وقال بعد أن أورده : إنّما ابتَنَوْا دُورهم للعُمران ، وغذَوْا أولادَهم للبقاء لا للفناء ، فلمّا علموا أنَّ المصير إلى الموت والخراب تركوا الشىءَ الذى غذَوْا له أولادهمْ وابتنوا دورهم ، وأخبروا بمصيرهم لذلك ، اعتباراً كما قال تعالى : ﴿ فالتقَطَهُ آلُ فِرْعَوْن ليكونَ لهمْ عَدُوًّا وحَزَنا[٢] ﴾ ، وإنّما التقطوه ليكون لهم قُرّة عَين ، ولكن الله عز وجل وصفَ أمره بتصيُّره إلى ذلك[٣] . فهذا على الإخبار بالصَّيرورة . انتهى .

سابق البربرى

وسابقٌ البربرىُّ هو أبو سعيد سابق بن عبد الله . له أشعارٌ حسَنة فى الزُّهد . وهو من موالى بنى أُميّة . سكن الرَّقّة ، ووفد على عمر بن

(١) لأبى الحسين النحوى ، كما سبق فى الخزانة ١ : ٢٦ . ويبدو أنه من كتب المجاز اللغوى، كما يبدو من نصوصه المقتبسة .
(٢) الآية ٨ من سورة القصص .
(٣) هو مطاوع صيره تصييرا .

عبد العزيز ، وله معه حكاياتٌ لطيفة . روى عنه مكحولٌ ، وموسى ابن أَعْيَن ، والمعافى بنُ عِمران وغيرُهم .

والبربرى : نسبة إلى البربر ، وهى بلادٌ كثيرة فى المغرب . قال ابن الأثير (فى الأنساب) : ليس سابق منسوباً إلى البربر ، وإنَّما هو لقبٌ له .

والبيت الثالث هو من أبيات مغنى اللبيب أَيضاً . ولم يعرفه شُرَّاحه أَيضاً .

صاحب الشاهد

وهو من أبياتٍ أوردها ابنُ الأعرابى (فى نوادره) لنُهَيكة بنِ الحارث المازنى ، من مازن فزارة ، وهى :

أبيات الشاهد

(لا يُبعِد اللهُ ربُّ العبا دِ والملحُ ما ولدَتْ خالدَهْ[1]

هم المُطعمو الضَّيفَ شحمَ السَّنا مِ والقاتلو الليلةَ الباردَهْ

هُمُ يَكْسِرونَ صُدورَ الرِّما حِ فى الخيلِ تُطرَد أو طارده

يذكِّرُنى حُسْنُ آلائهم تفجُّعَ ثكلانةٍ فاقده

فإن يكن القتلُ أفناهمُ فللموتِ ما تلد الوالده)

انتهى :

ونسبه المفضَّل بن سلمة (فى كتاب الفاخر) لشُتَيْمِ بن خويلد الفزارى . قال : والملح هنا : البركة. يقال : اللهمَّ لا تُبارِك فيه ولاتَمْلَحه.

وكلاهما جاهليّان .

(١) ونسب الشعر فى الحيوان ٤ : ٤٧٢ إلى شتيم بن خويلد الفزارى، وكذا فى اللسان (لوم ٣٨) والفاخر للمفضل ١١ . ونسبه المبرد فى كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٧ إلى ابن الزبعرى . ونسب فى مقطعات مراث ص ١٠٦ إلى الحارث بن عمرو الفزارى . والأبيات بدون نسبة فى الروض الأنف ٢ : ٣٠٦ . والأول منها فى الكامل ٢٨٤ بدون نسبة أيضاً . وكلمة « الملح » فى البيت تضبط بالرفع عطفاً على لفظ الجلالة ، وبالجر عطفاً على العباد أو بجعل الواو واو القسم .

قال أبو الوليد الوقشى (فيما كتبه على كامل المبرد على هذا البيت) : خالدة هى بنت أرقم ، أُمُّ كَرْدم وكُرَيدِم ابنى شُعْبة الفزاريِّين . وكَرْدم هو الذى طعن دريد بن الصمة يوم قُتِل أخوه عبد الله . وهذا المصراع وقع فى شعر عبيد بن الأبرص الجاهلى أيضاً ، لمَّا قتله المنذر بن ماء السماء ، قال له بعض الحاضرين ما أشدَّ جزعَك للموت ! فقال :

(لا غَرْوَ من عيشةٍ نافده وهل غيرُ ما ميتةٍ واحدَه
فأبلغْ بنيَّ وأعمامَهُمْ بأنَّ المنايا هى الرَّاصِده
لها مُدَّةٌ فنفوسُ العبادِ إليها، وإن كرِهت، قاصده
فلا تَجْزَعوا لِحمامٍ دنا فللموت ما تَلِدُ الوالده)

ووقع فى شعر سِماك بن عمرو الباهلى أيضاً ، وهو أوّل من قال : « لا أطلُب أثراً بعدَ عَيْن » ، وهو جاهلىٌّ أيضاً . قال لمَّا خيِّر بين أن يُقتل هو أو أخوه مالك ، فقتلوه دون أخيه ، من أبيات :

فأُقسم لو قتَلُوا مالكًا لكنتُ لهم حيَّةً راصده
برأْسِ سبيلٍ على مَرقبٍ ويوماً على طُرقٍ وارده
فأُمَّ سِماك فلا تجزَعى فللموت ما تلدُ الوالده

* * *

وأنشد بعده :

(فَلَا واللهِ لا يُلفَى لما بى ولا لِلما بهمْ أبدًا دواءُ)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائة فى باب المنادى[1] .

* * *

(١) الخزانة ٢ : ٣٠٨ – ٣١٢ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد السبعمائة[1] :

٧٩٤ (رُبَّ هَيضَلٍ لَجِب لففتُ بهَيْضَلِ)

على أنَّ (ربَّ) فيه للتكثير . أى كثيراً ما لففت هيضلاً بهيضل .

ورُبَّ على اختيار الشارح اسمٌ ومحلها رفع على الابتداء ، والموجب لبنائها تضمُّنها معنى الإنشاء الذى حقُّه أن يؤدَّى بالحرف ، كالاستفهام والأَمر والنهى . ورُبَ هنا مخفَّفة مفتوحة الباء . قال أبو علىّ (فى كتاب الشعر) : الحروف على ضربين : حرف فيه تضعيف ، وحرف لاتضعيف فيه . فالأَوّل قد يخفَّف بالحذف منه كما فُعل ذلك فى الاسم والفعل بالحذف والقلب ، وذلك نحو : إنَّ ، وأنَّ ، ولكنَّ ، ورُبَّ . والقياس إذا حذف المدغَم فيه أن يبقى المدغَم على السُّكون . وقد جاء :

(أَزهيرُ إنْ يَشِب القذالُ فإنَّه رُبَ هيضلٍ لَجِبٍ لففتُ بهيضلِ)

ويمكن أن يكون الآخِر منه حرّك لمّا لحقه الحذف والتأْنيث ، فأَشبه بهما الأَسماء ، كما حرِّك الآخر من ضَرَب[2] . انتهى المراد منه .

ورواه ابن جنى (فى المحتسب) بسكون الباء . أنشد البيت وقال : أَراد ربّ فحذف إحدى الباءين وبَقَّى[3] الثانية مجزومة ، كما كانت قبل الحذف .

ورواه العسكرى (فى كتاب التصحيف) بالوجهين . أنشد البيت

(١) المحتسب ٢ : ٣٤٣ والتصحيف ٣٦٤ والأزهية ٢٧٤ وابن الشجرى ٢ : ٤ ، ٣٠٢ والإنصاف ٢٨٥ وابن يعيش ٥ : ١١٩ / ٨ : ٣١ والمقرب ١ : ٢٠٠ ورصف المبانى ٥٢ ، ١٩٢ وديوان الهذليين ٢ : ٨٩ وشرح السكرى ١٠٧٠ .

(٢) يعنى الأفعال الماضية المبنية على الفتح .

(٣) ش : « وأبقى » ، وما أثبت من ط يوافق ما فى المحتسب . والمراد بالجزم إسكان الباء .

وقال : رُبَ فيه خفيفة . ورواه بعضهم : « رُبْ هيضل » بتسكين الباء ، وأنشد :

ألا رُبْ ناصرٍ لك من لؤيٍّ كـــريمٍ لو تنـــاديه أجابا

وتقول العرب : رُبَّ بالتشديد ، ورُبَ بالتخفيف ، ورُبْ رجلٍ فيسكّنون الباءَ ، ثم يقولون : رُبَّت رجلٍ ورُبَتَ رجلٍ ، ورَبَّ رجل فيفتحون الراءَ ويشدّدون ، ورَبَّما رجلٍ مشدد ومخفّف ، ورَبَّتَما فيفتحون. حكى ذلك قطرب . انتهى .

١٦٦

وبهذا النقلِ يُردُّ على أبي عليّ وعلى ابن يَعيشَ فى قوله تبعاً له : إنَّهم قالوا رُبَ بضم الراءِ وفتح الباءِ خفيفة ، ويحتمل ذلك وجوهاً :

أَحدُها: أَنَّهم حذفوا إحدى الباءَين تخفيفاً، كراهيَةَ التضعيف ، وكان القياس أن يسكِّن آخرُها، لأَنَّه لمْ يلتق فيها ساكنان، كما فعلوا بإنَّ ونظائرها حين خفَّفوها ، إلّا أنَّ المسموع رُبَ بالفتح ، نحو قوله :

* رُبَ هيضلٍ لَجِبٍ لففْتُ بهَيْضَلِ *

كأَنَّهم أبقَوُا الفتحةَ مع التخفيف دلالةً على أَنَّها كانت مثقَّلة مفتوحة .

ويمكن أَن يكون إنَّما فتح باءَ ربَ لأَنَّه لمَّا لحقه الحذفُ وتاءُ التأْنيث أشبهَت الأَفعال الماضيةَ ففُتحت .

وقيل إنَّهُم لما استثقلوا التضعيفَ حذفوا الحرف الساكن .

وقد قالوا رُبْ بالتخفيف وسكون الباءِ على القياس ، حذفوا المتحرِّك ، لأَنَّه أبلغ فى التخفيف . انتهى .

وقد نقض أَوّلَ كلامه بآخِره .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لأَبى كَبيرٍ الهُذَلى ، وأَوَّلها :

أبيات الشاهد

(أَزُهَيْرَ هــل عن شَيْبةٍ منمَعْدِلِ ... أَم لا سبيــلَ إلى الشَّبابِ الأَوَّلِ
أَمْ لا سبيلَ إلى الشَّبابِ وذِكــرُهُ ... أَشهَى إلىَّ من الــرَّحيق السَّلسَلِ
ذهبَ الشَّبابُ وفاتَ منِّىما مضى ... ونضَا ، زُهَيْرَ، كريهتى وتبطُّلى[1]
وصحوتُ عن ذكر الغوانِى وانتهى ... عُمْرى وأَنكرنى الغداةَ تَقتُّلى
أَزُهَيرَ إنْ يَشِبِ القَــذَالُ فإنَّه ... رُبَّ هَيْضَلٍ مَرِسٍ لففتُ بهَيْضَلِ
فلففْتُ بينهــمُ لغَيــرِ هَــوادةٍ ... إلَّا لسَفْكٍ للــدِّماءِ محــلِّلِ)

وقوله : « أَزهير » إلخ الهمزة للنداء . وزهير: مرخَّم زُهيرَة ، وهى ابنته . قال السكرى ، وكذا قال أَبو سعيد: ومنهم من يقول امرأَة ، ومنهم من يقول: رجل . أَقول : يردُّ الأَخيرينقولُه فىالرائية كما يأْتى. والمَعْدِل : العُدول . والرَّحيق : الخمر . والسَّلسَل : العذب يتسلسَلُ فى الحلق تسلسُلاً . ونَضَا، بالنون والضاد المعجمة، بمعنى انسلخَ ومضَى . وزُهيرَ منادًى مرخَّم . وكريهته : شِدّته على الكريهةِ والحرب . وتبطُّلُه : أَخْذُه فى الباطل .

والغوانى : جمع غانية ، وهى المرأَة التى غَنِيَتْ بحُسنها عن الزِّينة . والتَّقتُّل بالقاف : التليُّن والتَّكسُّر والتثنِّى .

وقوله : (أَزهير إنْ يَشِب) إلخ هذا أَيضاً منادى مرخَّم. (والقَذَال): ما بين النُّقرة وأَعلى الأُذن ، وهو أَبطأُ الرأس شيْباً . و (الهيضل) ، بفتح الهاءِ والضاد المعجمة : الجماعة . وقوله : (لففت بهيضل) يريد : جمعت بينهم فى القتال. و (اللَّجِب) بفتح اللام وكسر الجيم ، فى

(١) رسمت « نضا» هنا وفى الشرح التالى بالياء ، ووجهه ما أثبت ، فإن الفعل واوى .

الصحاح : وجيشٌ لجب: عرمرم ، أى ذو جَلبَة وكثْرة . واللَّجَب، بفتح الجيم : الصَّوت والجَلَبة . وروى بدله : (مَرِسٍ) بكسر الراء، أى شديد.

وقوله: « فلففتبينهم » إلخ قال السكرى : يقول : إنَّما لففتُ بينهم ليقتتلوا، لا لهوادةٍ ولا لصداقة ، وهو قوله « إلاَّ لسَفكٍ للدِّماءِ محلِّل» أى محلِّل النَّذْرَ إذا بلَغَه . ومحلَّل : ممَّا يُستحَلّ . (والهَوادة) : الصُّلح ، وأصله من اللِّين . يقال : هوَّد فى السَّير ، إذا ليَّن .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : أبو كبير هو عامر بن حِلْس، وله أربعُ قصائدَ أوَّلها كلِّها شيءٌ واحد . ولا يُعرف أحدٌ من الشعراءِ فعَلَ ذلك[1] . انتهى .

أقول : ثانيها :

١٦٧
أَزُهَير هل عن شَيبةٍ من مَقْصِرِ ... أم لا سبيلَ إلى الشَّباب المُدْبِرِ
فَقَد الشَّبابَ أبوك إلَّا ذِكــرَه ... فاعجَبْ لذلك فِعلَ دهرٍ واهكَرِ

قال السكرى : الهَكْر مِنْ أَشدِّ العَجَب[2] . وهذا خطابٌ لنفسه .

وثالثها :

أَزُهَيرُ هل عن شيبةٍ من مَصْرِف ... أَم لا خلودَ لبــاذل متكلِّفِ

ورابعها :

أَزُهيرُ هل عن شَيبةٍ من مَعْكِمٍ ... أم لا خلودَ لباذِلٍ متكــرِّم[3]

قال السكرى : من مَعْكِم : من مَرجِع ، يقال عَكَم يعكِم .

---

(١) انظر كتاب « تحقيقات وتنبيهات فى معجم لسان العرب » لمحقق الخزانة ص ٢٨٥ — ٢٨٦.
(٢) عند السكرى : « الهكر أشد العجب » ، بطرح « من » .
(٣) فى النسختين : « لباذر » صوابه باللام فى آخره كما فى ديوان الهذليين وشرح السكرى . والباذل: الذى يبذل ماله .

وأبو كبيرٍ الهذلىُّ صحابىٌّ تقدَّمت ترجمته مع شرح أبياتٍ من هذه القصيدة فى الشاهد الثامن بعد السبّمائة[(١)] .

* * *

وأنشد بعده :

(ماوىَّ يا رُبَّتَمــا غــارةٍ شَعْواءَ كاللَّذعــةِ بالمِيسَمِ)

وتقدم شرحه قريباً فى الشاهد الستين بعد السبعمائة[(٢)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد السبعمائة[(٣)] :

٧٩٥ (فإنْ تُمْسِ مَهجورُ الفِنــاءِ فرُبَّما
أَقــامَ به بعدَ الوُفودِ وفُــودُ)

على أنَّ (ربَّما) فيه للتكثير . وهو ظاهر .

وأورده الزمخشرىُّ عند قوله تعالى : ﴿قد يَعْلَمُ اللهُ الذينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكمْ لِواذًا[(٤)]﴾ على أنَّ قد إذا دخلَتْ على المضارع كانت بمعنى رُبَّما ، فتوافقُها فى خروجها إلى معنى التكثير كما فى البيت ، فإنَّ المقامَ مقامُ مدحٍ لا يُناسب التَّقليل ، وإلاَّ لكان ذمًّا . ورُبَّ هنا مكفوفة بما عن عمل الجرّ ، ومهيِّئة للدخول على الجملة الفعلية .

ولا يتأتَّى هنا ما اختار الشارح من أنَّها اسمٌ مبتدأٌ ، إذْ لا مجرور موصوف بجملة فعليَّة . ولا يعرف على اختياره ما موقعُ الجملة بعد ربَّ المكفوفة .

---

(١) الخزانة ٨ : ٤٠٩

(٢) انظر هذا الجزء التاسع ص ٣٨٤ .

(٣) أدب الكاتب ٢١ وشرح الجواليقى ١٢٤ وابن السيد ٢٩٢ والأشباه والنظائر ٢ : ٨٥ والحماسة بشرح المرزوقى ٨٠٠ وبشرح التبريزى ٢ : ٢٩٦

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات أربعة أوردها أبو تمام (فى باب المراثى من الحماسة) لأبى عطاءٍ السِّندى ، رثى بها يزيد بن هُبَيْرَةَ الفَزَارىّ ، وهى :

أبيات الشاهد

(ألا إنَّ عيناً لم تَجُدْ يومَ واسطٍ عليكَ بجارِى دَمْعِها لَجمودُ
عِشيَّة قَام النائحاتُ وشُقِّقتْ جُيوبٌ بأَيدِى مأتمٍ وخُدودُ
فإنْ تمُسْ مهجورَ الفِناءِ فرُبَّما أَقامَ به بعدَ الوفودِ وفودُ
فإنَّك لم تبعُد على متعهِّدٍ بلى كلُّ مَنْ تحتَ التُّرابِ بَعِيدُ)

وقيل رثاهُ بها مَعْنُ بن زائدة الشَّيبانى ، وكان من أتباع ابن هُبيرةَ ومن أكبرِ أعوانهِ فى الحروبِ وغيرها .

يزيد بن هبيرة

وابن هبيرة مولده الشَّامُ فى سنة سبع وثمانين ، وَلِىَ قِنَّسرينَ للوليد ابن يزيد بن عبد الملك، وكان مع مروانَ بنِ محمدٍ آخرِ ملوك بنى أُمية ، يومَ غَلب على دِمشق وجُمِع له ولايةُ العراقين ، فلمَّا أدبرت دولة بنى مروان خرج قَحطَبة بن شَبيب فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، أَحدُ دعاة بنى العبَّاس ، فى جيوش خراسان ، ثم ولده الحسنُ من بعده فهزموهُ ،

١٦٨

ولحق ابنُ هبيرة بمدينة واسط ، فحاصَره أَبو جعفرٍ المنصورُ مع الحسن ، وجرت السُّفراءُ بين أَبى جعفر وابن هبيرة حتَّى جَعل له أَمانًا وكتب به كتَاباً . فمكث يُشاوِر فيه العلماءَ أربعين ليلة حتَّى رضىَ به ابنُ هبيرة ، ثم أَنفذه إلى أَبى جعفر ، فأَنفذه أَبو جعفر إلى أَخيه السَّفَّاح ، فأَمره بإمضائه له . ولمَّا تم الكتابُ خرج ابن هبيرة إلى أَبى جعفر فى أَلفٍ وثلثمائة ، فأَراد أَن يدخل الحجرةَ على دابَّته ، فقام إليه الحاجب فقال : مرحباً أَبا خالد ، انزلْ راشداً ! وقد أَطاف بالحجرة عشرة آلافٍ من أَهل خراسان . فنزل ودعَا له بوسادة ، ثم قال له الحاجب : ادخُلْ أَبا خالد .

فقال له : أنا ومن معى من القُوَّاد . فقال له : إنّما استأْذنتُ لكَ وحدك . فدخلَ على أبى جعفر وحادثَه ساعة ثم انصرف. فقال أبو جعفر [للحاجب[1]] : قل لابن هبيرةَ يدعُ الجماعة ويأْتينا بحاشيته . وجاءَ بعدُ فى نحوٍ من ثلاثين ، فكان بعد ذلك يأْتى فى ثلاثةٍ من أصحابه يتغذّى ويتعشّى عنده ، وألحَّ[2] أبوالعباس على أبى جعفرٍ يأْمُره بقتله، وهو يراجعه ، فكتب إليه : والله لتقتلنَّه أو لأَرسلنَّ إليه من يخرجه من حُجْرتك ثم يقتُله . فعزَمَ على قتله ، وأرسل الهيثمَ بنَ شُعبة فى نحوٍ من مائة فأرسلوا إلى ابن هبيرة: إنَّا جئنا لنأْخذ هذا المال. فقال ابن هُبيرة لحاجبه : انطلقْ فدُلَّهم عليه . فأقاموا عند كل بيتٍ نفراً ، ثم جعلوا ينظرون فى نواحى الدار ، ومع ابن هبيرة ابنُه داود وكاتبه وحاجبُه ، وعدَّةٌ من مواليه، وبُنَىٌّ له صغير فى حِجْرِه، فأقبلوا نحوه فقام حاجبُه فى وجوههم فضربه الهيثمُ فقتله ، وقاتل ابنُه داودُ فقُتل ، وقُتِل مواليه ، ونُحِّىَ الصبىُّ من حِجْره وخَرَّ ساجدًا ، فقُتِل وهو ساجد . وكان قتلُه بواسط يوم الاثنين لثلاثَ عشرةَ ليلةً بقيت من ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

ولمّا قُتل كان معنُ بن زائدة غائباً عند السَّفَّاح فسَلِم ، فرثاه أبو عطاءِ السِّندىُّ بهذه الأَبيات ، وقيل معن بن زائدة .

قال ابن عساكر (فى تاريخه الكبير) : كان ابنُ هبيرة إذا أصبحَ أُتىَ بِعُسٍّ ، وهو القَدَح الكبير، وفيه لبنٌ قد حُلِبَ على عَسَل، وأحيانًا على

---

(١) التكملة من ش .

(٢) ط : « ولح » ، صوابه فى ش .

سُكَّرٍ فيشربُه ، فإذا صلَّى الغداةَ جلَسَ فى مُصلاَّه حتَّى يحرِّكه اللبن ، فيدعو بالغَداءِ فيأْكل دَجاجتين وفَرخَىْ حَمام ، ونِصْفَ جدى ، وألواناً من لحم ، ثم يخرج فينظُر فى أُمور الناسِ إلى نِصف النهار ، ثم يدخل فيدعو جماعةً من خواصِّهِ وأَعيانِ النَّاس ، ويدعو بالغَداءِ فيتغدَّى ويعظِّم اللَّقم ويُتابع ، فإذا فرغَ من الغَداءِ دخلَ إلىَ نسائه حتَّى يخرجَ إلى صلاة الظُّهر ، ثم ينظر فى أُمور الناس ، فإذا صلَّى العصر وُضِع له سريرٌ ووُضِعت الكراسىُّ للناس ، فإذا أَخذوا مجالسَهم أَتوهم بعِساس اللَّبَن والعَسَل وأَلوان الأَشْرِبة ، ثم تُوضَع السُّفرةُ والطَّعامُ للعامَّة ، ويوضع له ولإخوانه خِوانٌ مرتفع ، فيأْكلُ معه الوجوهُ ثم يتفرَّقون للصَّلاة ، ثم يأْتيهُ سُمَّاره فيحضرون مجلسَه فيسامِرُونَه حتَّى يذهَب عامّةُ الليل. وكانَ يُسأَل كلَّ ليلةٍ عَشْرَ حوائج ، فإذا أَصبحوا قُضِيتْ . وكان رزقُه ستّمائةِ أَلفِ درهم ، فكان يقسِم كلَّ شهرٍ فى أَصحابه من قومِه ومن الفقهاءِ والوجوهِ وأَهلِ البيوتات أَكثَرَ من نِصْفها .

رُوِى أَن شَرِيك بن عبد الله النَّمرى سايَرُه يوماً ، فبرزت بغلَةُ شَريك ، فقال له ابن هبيرة : غُضَّ من لجامها . فقال شريك: إنَّها مكتوبة ، أَصلح الله الأَمير ! فقال ابنُ هبيرة : ما ذهبتُ حيث أَردتَ . ١٦٩

وقول ابن هبيرة : « غُضَّ من لجامها » ، يشير إلى قول جرير :

فغُضَّ الطَّرفَ إنَّك من نميرٍ فلا كعباً بلغْتَ ولا كِلابا

فعرَّض له شَريك بقول ابن دارة :

لا تأْمَنَنَّ فزاريًّا خَلَوْتَ به على قَلوصِكَ واكتُبْها بأَسيارِ

وكان بنو فزارة فى العربِ يُرمَوْن بإتيان الإبل .

وأَخبار ابن هُبَيرة ومحاسنُه كثيرة .

وقوله : « ألا إنَّ عيناً لم تَجُدْ » إلخ افتتح كلامه بحرف التنبيه ، ثم أخذ يعظِّم أمرَ الفجيعة ويبيِّنُ موقعَها من النُّفوس ، وتأْثيرَها فى القلوب فقال : إنَّ عيناً لم تَجُدْ بدمعها عليك يومَ واسطٍ لَشديدةُ البُخل بما فى شئونِها من الماء .

قال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : لم تَجُدْ : لم تسمَحْ بالبكاء . وجَمُود : قليلة الدَّمع ، يقال عينٌ جامدة [وجَمُود[1]] . وسنةٌ جمادٌ : قليلة القَطْر .

وقوله : « عشيَّةَ قام النائحات » إلخ عشيَّة بدلٌ من يومَ واسط .

قال ابن السِّيد (فى شرح أدب الكاتب) إنْ قيل : كيف جاز أن يعمل فيه لم تجُد ، وقد حال الخبرُ وهو الجَمُود[2] ، بين العامل والمعمول . ولو قلت : إنَّ الضاربَ أخوك زيدًا ، أو إنَّ خارجاً غيرُ مصيبٍ يومَ الجمعة[3] لم يجزْ ، وإنما يجب فيهما تقديم المعمول على الخبر ؟ قلت : إنَّ العشية لمّا كانت بدلاً من يومَ ، والمبدل يقدَّر من جملة أُخرى ويقدَّر معه إعادة العامل جاز ذلك . وقد أَجاز النحويُّون تأَخُّر الصِّفة بعد الخبر فى نحو : إن زيدًا خارجٌ الكريمَ ، والصِّفة أَشدُّ اتصالاً بالموصوف من البدل . وأَجازوا ذلك فى المعطوف ، نحو : إنَّ زيداً خارجٌ وعَمراً وعمرٌو : على اللفظ وعلى الموضع . وإذا جاز فى الصفة كان فى البدَل أَجوز .

وقوله : « قام النائحات[4] » أى تهَيَّأْن للنَّوح . والمأْتم : النساءُ

(١) التكملة من شرح الجواليقى .

(٢) ش : « جمود » بطرح اللام .

(٣) فى الاقتضاب : « وإن خارجاً يوم الجمعة غير مصيب » ، وما هنا صوابه لأنه المقصود .

(٤) فى النسختين : « وقام النائحات » ، وهو خلاف نص البيت .

يجتمعن فى الخير والشَّرّ ، قال الخطيب : وأصله من الأَتْم وهو التقاءُ المسلَكين ، ومنه الأَتُوم فى صفة النِّساءِ .

وقوله : (فإن تَمْسِ مَهجور) إلخ الفِناءُ بكسر الفاءِ والمد: ساحة الدّار . و (الوفود) : الزوّار وُطلاب الحاجات . قال المرزوقى : الرواية المختارة : « وربَّما أَقام » بالواو . وذلك أَنَّ جواب الشرطِ فى قوله :

* فإِنّك لم تبعُدْ على متعهِّدٍ *

ويَصير « وربَّما أَقام » بيانَ الحال فيما تقدَّم من رياسته وقت توفُّر الناس على قَصْدِه وزيارته . والمعنى : إن مُتَّ وصرتَ مهجورَ السَّاحة ، وربَّما كانت الوفود تزدحم على بابك ، فإِنَّك السَّاعةَ لم تبعُد على من يتعهَّدك ويريد قضاءَ حقِّكَ، وإقامةَ الرَّسمِ فى زيارتك. ثم قال مستدركاً على نفسه :

* بلَى كلُّ من تحتَ التراب بعيدُ *

ويريد بالمتعهِّد متتبِّعَ العهُود بالحفظ لها ، ومنْعها من الدروس . وإذا روَيْتَ « فربَّما » وجعلتَه جواب الشرط يكون « فإِنّك لم تبعُد» استئنافَ كلام . والمعنى : إنْ هُجِرَ فناؤك اليومَ فربَّما كانَ مأْلفاً للوفود أَيّام حياتك . وتقول العرب : هذا بذاك، أى عوضٌ من ذاك .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : ينبغى أَن يكون جوابُ الشرط مستقبَلاً ، وربَّما جاءَت مكانه جملةٌ ماضيّةٌ[1] ، والشرط لا يصح إِلَّا بالاستقبال ، والمستقبلُ لا يكون علَّة للماضى ؛ لئلاَّ

(١) يقال فى النسبةإلى الماضى «ما ضوى »، و « ماضى » ، والصيغة الأخيرة أرجح . ونص إعراب الحماسة : « وربما كما يرى ماضية » .

يتقدم المعلولُ على علَّتِه . وإذا كان الأَمر كذلك فالكلام محمولٌ على معناهُ دونَ لفظه. ألا ترى أَنَّ معناه [إنْ[١]] أَمسيتَ هكذا فتسلَّ عنه بذكر ما مضى ، أى فليكن هذا بإزاءِ ذلك . انتهى .

وهذا البيت من الاستدراك ، وهو من محاسن الشعر . والاستدراك: أَن يأْخذ الشاعر فى معنًى يرسِلُه ، أَو وصفٍ يَذكُره يستدركه على نفسه[٢] .

١٧٠ أبو عطاء السندى

وأَبو عطاءٍ السندىُّ قيل اسمه مرزوق ، وهو قول ابن قتيْبة . وقال أَبو عُبيدٍ البكرىُّ (فى شرح أَمالى القالى) : هو أَفلح بن يسار ، مولًى لبنى أَسد . وكان يسارٌ سِندِيًّا أَعجميًّا لا يُفصح ، وأَبو عطاءٍ ابنه عبدٌ أَسودُ لا يكادُ يفصح أَيضاً ، جمعَ بين لُثْغةٍ ولُكنَة ، وهو مع ذلك من أَحسنِ الناس بديهةً ، وأَشدِّهم عارضةً وتقدُّماً .

وهو شاعرٌ فحل فى طبقته ، أَدرك الدولتين. وكان من شعراءِ بنى أُميَّة وشِيعتهم ، وهجا بنى هاشم ، ومات عَقِب أَيَّام المنصور . ودخل يوماً على المنصور وهو يَسحَبُ الوَشْىَ والخزَّ ، فقال له المنصور : أَنَّى لك هذا يا أَبا عطاءٍ ؟ فقال: كنت أَلبس هذا فى الزَّمن الصالح . ثمَّ ولَّى ذاهباً فاستخفى ، فما ظهر حتَّى مات المنصور .

فمما قال فى بنى هاشم :

بنى هاشمٍ عُودوا إلى نَخَلاتِكمْ ... فقد قام سِعْرُ التَّمر صاعٌ بدرهمِ
فإنْ قلتُم رهط النبىِّ صَدقتمُ ... فهذِى النَّصارى رهطُ عيسى بنِ مريَمِ

انتهى .

---

(١) التكلة من ش .

(٢) انظر تحرير التحبير ٣٣١ – ٣٣٨ والبديع لابن المعتز ١٠٨ . وسماه ابن المعتز الرجوع .

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : أَبو عطاءٍ السِّندىّ اسمه مرزوق ، وكان جيِّد الشِّعر ، وكانت به لُكنة . قال حمادٌ الراوية : كنت يوماً وحمادُ عجردٍ وحمادُ بنُ الزِّبرقان مجتمِعِينَ ، فنظَر بعضُنا إلى بعضٍ فقلنا : لو بعثنا إلى أَبى عطاءٍ . فبعثْنا إليه فقلنا : من يحتالُ حتَّى يقول : جرادة ، وزُجّ ، وشَيطان ؟ فقلت : أَنا . وجاءَ فقال : مَنْ ههنا؟ فقلنا : ادخلْ . فدخَل فقلنا : أَتتعشَّى ؟ فقال : قد تأَسَّيت . قلت : أَفتشرب ؟ قال : بلى . فشرب حتَّى استرخَى . فقال حمادٌ الراوية : كيف بَصرُك بالُّلغز ؟ قال : هَسَن . قال :

فما صفراءُ تُكنَى أُمَّ عَوفٍ كَأَنَّ رُجَيْلَتَيْهــا مِنْجــلانِ[1]

فقال : زَرَادة . قال : أَصبتَ . ثم قال :

فما اسمُ حديدةٍ فى الرُّمح تُرسَى دُوَينَ الصَّدْرِ ليسَت بالسِّنانِ

قال : زُزّ . قال : أَحسنت . ثم قال :

أَتعرفُ مسجداً لبنى تميــم فُوَيقَ الميــل دُونَ بنى أَبانِ

قال : بنى سَيْتان . فقلنا: أَصبت يا أَبا عطاءٍ، وضحكنا . انتهى[2] .

وفى رواية غيره أَنَّه أَجابه فى الأَول ببيت وهو :

فتلك زَرادةٌ وأُذُنٌّ ذَنّـــا بأَنَّك قد عنيْتَ به لسانى[3]

يريد بالزَّرادة الجرادة . وأُذُنٌّ ذَنَّا ، أى أَظنُّ ظَنًّا .

* * *

(١) فى العقد والشريشى ٢ : ١٢٣ : « كأن سويقتيها » . وانظر الحيوان ٥ : ٥٥٨ .

(٢) تصرف البغدادى يسيرا فى هذا النقل . والخبر بصورة أخرى فى الأغانى ١٦ : ٨٠ والعقد ٦ : ٤٧١ .

(٣) ط : « وأدن دنا » فى هذا الموضع وتاليه ، وأثبت ما فى ش وفى الشعراء والأغانى : « وأزن زنا » بالزاى فيهما . والبيت لم يرد فى العقد .

وأنشد بعده :

(هذا سُراقةُ للقرآن يدرُسُه)

على أنَّ الضمير فى (يدرُسه) ضمير المصدر المفهوم من يدرُس ، أى يدرس الدَّرس .

وقد تقدَّم شرحُه فى الشاهد الثانى والثَّمانين[1] . وتمامه :

(والمرءُ عند الرُّشَا إنْ يَلْقَها ذيبُ)

* * *

١٧١

وأنشد بعده :

(غيرُ مأْسوفٍ على زَمنٍ ينقضى بالهَمِّ والحَـزَنِ)

وتقدَّم شرحُه فى الشاهد الثالث والخمسين من باب المبتدإ[2]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد السعمائة ، وهو من شواهد س[3] :

٧٩٦ (يا رُبَّ هَيْجا هى خيرٌ مِن دَعَهْ)

على أنَّه يجوز أن تقع الجملة الاسمية نعتاً لمجرورِ رُبَّ ، ف (هِىَ) مبتدأٌ و(خيرٌ) خبره ، والجملة نعت لِهَيجَا ، وهى الحرب ، تمدُّ وتقصر ، وهى هنا مقصورة .

و (الدَّعَة) : الخفض والراحة . والهاءُ عوضٌ مِن الواوِ ، تقول منه : وَدُعَ الرّجلُ بالضم فهو وديع ، أى ساكن ، ووادعٌ أيضاً . والموادَعة :

(١) الخزانة ٢ : ٣ - ٤ .

(٢) الخزانة ٣٤٥ - ٣٤٨ .

(٣) فى كتابه ١ : ٣٢٧ . وانظر مجالس ثعلب ٤٤٢ ، ٤٤٩ والأغانى ١٤ : ٩٢ وأمالى المرتضى ١ : ١٩١ والعمدة ١ : ٢٧ والهمع ٢ : ٢٥ وديوان لبيد ٣٤٠ .

المصالحَة. ويا: حرف تنبيه ، أو حرف نداءٍ ، والمنادى محذوف . ورُبَّ هنا للتكثير ، وهى اسمٌ مبتدأٌ على ما اختاره الشارح المحقِّق لا خبر لها ، والجملة التى هى نعت مجرورها قد سدَّت مسد الخبر ، لا يقدَّر له جواب يعمل فى محلِّ مجرورها .

صاحب الشاهد وهو من رجزٍ للبيد بن ربيعة العامرىِّ الصَّحابىّ، أورده ثعلبٌ (فى أماليه) ، وهو :

أشطار الشاهد (لا تزجُرِ الفِتيانَ عن سُوءِ الرِّعَه يا رُبَّ هيجَا هى خيرٌ من دَعَه
فى كـلِّ يومٍ هامتـى مقزَّعَه نحنُ بنو أُمِّ البنينَ الأَربعَـه
نحنُ خيـارُ عـامِرِ بنِ صَعصَعَه المُطعِمون الجَفْنـةَ المُدَعدَعه
والضـاربونَ الهامَ تحتَ الخَيْضَعه يا واهبَ المالِ الجزيلِ مِنْ سَعَه
إليـكَ جـاوَزنا بـلاداً مَسْبَعه إذ الفلاة أوحشَتْ فى المعمعَه[1]
يخبرْكَ عن هذا خبيرٌ فاسمعَه)

فقال النعمان : ما هو ؟ فقال :

* مهلاً أبيتَ اللَّعن لا تأْكلْ معـه *

فقال النُّعمان : ولِمَ ؟ قال :

* إنَّ استَه من بَرَصٍ ملمَّعه *

قال النعمان : وما علىَّ ؟ ! قال :

(وإنَّه يُدخِلُ فيها إصبَعه يُدخِلُها حتَّى يُوارى أَشجَعه
كأنَّما يطلُب شيئاً ضيَّعه)

الرِّعة : حالة الأَحمق التى رَضِىَ بها . وقوله : « مقزَّعة»، يقول: أنا

---

(١) فى مجالس ثعلب : « إذا الفلاة » . والشطر لم يرد فى الأغانى .

أُقاتِلُ فى كلِّ يوم وأُقاتَل . والمدعدعة : المملوءَة . والخَيْضعة : أصوات الحرب . انتهى .

وهذا السياق مبتورٌ لا يُنتَفَع به ، وأوفى ما رأيته ما رواه السيد المرتضَى علمُ الهدى (فى أماليه المسمَّاة بغزر الفرائد ، ودرر القلائد) قال :

إنَّ عُمارة ، وأنساً ، وقيساً ، والربيعَ ، بنى زيادٍ العبسيِّين ، وفَدوا على النُّعمان بن المنذر ، ووفد عليه العامريُّون بنو أُمِّ البنينَ ، وعليهم أبو بَراءٍ عامرُ بنُ مالك بن جعفر بن كلاب ، وهو ملاعب الأَسِنَّة ، وكان العامريُّون ثلاثين رجلا ، وفيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جَعفر ابن كلاب ، وهو يومئذٍ غلامٌ له ذُؤابة . وكان الرَّبيع بن زياد العبسىُّ ينادم النُّعمان ويُكثِر عنده ، ويتقدَّم على مَن سواه ، وكان يُدعَى الكاملَ لشَطاطِه وبياضِه وكمالِه[1] ، فضرب النعمانُ قبَّةً على أَبى بَراءٍ ، وأجرى عليه وعلى مَنْ كان معه النُّزْل ، وكانوا يحضرون النُّعمانَ لحاجتهم ، ١٧٢ فافتخرُوا يوماً بحضرته ، فكاد العبسيُّون يغلبون العامريِّين . وكان الربيعُ إذا خلا بالنُّعمان طعَن فيهم وذَكَر معايِبَهم ، ففعل ذلك مِراراً لِعداوتهم لبنى جعفر ، لأَنَّهم كانوا أَسَرُوه ، فصدَّ النُّعمانَ عنهم حتَّى نزع القُبَّةَ عن أَبى بَرَاءٍ ، وقطع النُّزل ، ودخَلوا عليه يوماً فرأَوا منه جَفاءً وقد كان قبل ذلك يُكرمهم ويقدِّم مجلسَهم ، فخرجوا من عنده غِضاباً وهمُّوا بالانصراف ، ولبيدٌ فى رحالهم يحفظُ أَمتعتَهم ويَغدُو بإبلهم فيرعاها ، فإذا أمسى انصرفَ بها . فأَتاهم تلك الليلةَ ، وهم يتذاكرون أَمْرَ الرَّبيع ، فقال لهم : ما لكم تتناجَوْن ؟ فكتَمُوه وقالوا له : إليكَ عَنَّا .

---

(١) الشطاط ، كسحاب وكتاب أيضا : الطول واعتدال القامة .

فقال : أخبروني فلعلَّ لكم عندى فرجاً . فزجروه فقال : لا والله لا أحفظ لكم ولا أُسرِّح لكم بعيراً أو تخبروني . وكانت أم لبيدٍ عبْسيّة فى حِجْر الربيع ، فقالوا له : إنَّ خالك قد غَلَبنا على المَلِك ، وصَدَّ عنَّا وجهَه . فقال لهم : هل تقدرون أن تجمعوا بيني وبينه غدًا حين يقعد الملك ، فأَرجُزَ به رَجزًا مُمِضًّا مؤلماً ، لا يلتفت إليه النُّعمان بعده أبدا ؟ قالوا له : وهل عندك ذلك ؟ قال : نعم . قالوا : إنَّا نَبْلوكَ بشَتْم هذه البقلة ، وقُدَّامَهم بقلةٌ دقيقةُ القضبان ، قليلةُ الورق، لاصقةٌ فروعُها بالأَرض — تدعى التَّرِبة — فأَقتلعها من الأَرض وأَخذها بيده وقال: « هذه البقلة التَّرِبة التَّفِلة الرَّذْلة ، التى لا تُذكِيَ ناراً ، ولا تسرُّ جاراً[1] ، عودها ضئيلٌ، وفرعها ذليل ، وخيرُها قليلٌ . بلدُها شاسع، ونبتها خاشع ، وآكلها جائع ، والمقيمُ عليها قانع . أقصَرُ البقولِ فرعاً ، وأخبثها مرعًى ، وأشدُّها قلعا ، فحَرَباً لجارِها وجَدْعا[2] . ٱلقَوْا بى أخا عبس ، أُرجِعْه عنكم بتَعْس ونكس ، وأتركْه من أمره فى لَبْس » .

فقالوا : نصبح ونرى فيك رأْينَا . فقال لهم عامر : انظروا إلى غلامكم هذا ، فإنْ رأَيتموه نائماً فليس أمرُه بشيء، إنَّما تكلَّم بما جرى على لسانه . وإن رأَيتموه ساهراً فهو صاحبكم . فرَمَقُوه بأَبصارهم فوجدوه قد ركب رَحْلاً يكدِم واسطتَه حتَّى أَصبح . فلمّا أَصبحوا قالوا : أَنت والله صاحبُه[3] . فحلَقُوا رأْسه وتركوا له ذُؤابتين ، وأَلبسوه حُلَّةً وغَدْوا به معهم ، فدخلوا على النُّعمان فوجدوه يتغدَّى ، ومعه الربيعُ ، ليس معه

---

(١) فى أمالى المرتضى : « ولا تؤهل داراً ولا تستر جاراً » و « تستر » محرفة عن « تسر » كما فى الخزانة هنا والأغانى ١٤ : ٩١ .

(٢) الحرب ، بالتحريك : أن ينهب مال المرء ويترك لا شىء له .

(٣) أى صاحب الربيع ، تستطيع مغالبته . أو صاحب هذا الأمر لا يقدر عليه غيرك .

غيره ، والدَّار والمجالس مملوءةٌ بالوفد . فلمَّا فرغ من الغَداء أَذِن للجعفريِّين فدخلوا عليه ، والربيعُ إلى جانبه . فذكروا للنُّعمان حاجتَهم ، فاعترَضهم الرَّبيعُ فى كلامهم ، فقال لبيد ، وقد دَهن أَحَدَ شِقَّى رأسِه[1] وأرخَى إزارَه ، وانتعل نعلاً واحدة — وكذلك كانت الشعراءُ تفعل فى الجاهلية إذا أرادت الهجاءَ — فمَثَل بين يديه ثم قال :

يارُبَّ هَيْجا هى خيرٌ مِن دَعَهْ   إذْ لا تزالُ هامتى مقَزَّعَهْ
نحنُ بنِى أُمِّ البنينَ الأَربعَهْ   ونحن خيرُ عامِرِ بنِ صعصعه[2]
المُطعِمون الجفنةَ المُدَعدَعهْ   والضَّاربونَ الهامَ تحتَ الخَيْضَعهْ
مَهلاً أَبيتَ اللَّعنَ لا تأْكُلْ مَعَهْ   إنَّ استَه من برصٍ مُلمَّعَهْ
وإنَّه يُدخِل فيها إصبَعَه   يُدخِلها حتَّى يوارِى أشجعَهْ
كأنَّما يطلبُ شيئاً ضيَّعه

١٧٣ فلما فرغ لبيدٌ التفتَ النُّعمانُ إلى الربيع يَرمُقه شَزْرا . قال : أَكذلك أَنت ؟ قال : كذب والله ابنُ الحَمِقِ اللَّئيم ؟ فقال النعمان : أُفٍّ لهذا الطعام ، لقد خَبُثَ علىَّ طعامى . فقال الربيع : أَبيتَ اللَّعنَ، أَمَا إنِّى قد فعلتُ بأُمِّه ! لا يكنِى . وكانت فى حجره . فقال لبيد : أَنت لهذا الكلام أَهل ؟ ! أما إنَّها من نسوةٍ غير فُعُل ، وأنت المرءُ قال هذا فى يتيمته .

ووجدتُ فى رواية أُخرى[3] : « أَمَا إنَّها من نسوةٍ فُعُل». وإنَّما قال ذلك لأنَّها كانت من قوم الرَّبيع ، فنسبها إلى القبيح وصَدَّقه عليها، تهجيناً له ولقومه .

(١) فى النسختين : « إحدى شق رسه » ، صوابه فى أمالى المرتضى . وفى الأغانى : « فعمدوا إليه فحلقوا رأسه وتركوا ذؤابته ، وألبسوه حلة » .

(٢) بين هذا الشطر وسابقه فى الأغانى :

* سيوف جز وجفان مترعه *

(٣) القائل هو الإمام المرتضى . وفى الأمالى : « قال سيدنا أدام الله علوه » .

فأَمر الملكُ بهم جميعاً فأُخْرِجُوا ، وأَعادَ على أَبى براءٍ القُبَّة ، وانصرف الرَّبيعُ إلى منزله فبعث إليه النعمانُ بضِعْفِ ما كان يحبُوه به ، وأَمره بالانصراف إلى أهله . فكتب إليه : إنِّى قد تخوّفت أَن يكون قد وقع فى صدرك ما قال لبيد ، ولستُ برائمٍ حتَّى تبعَثَ من يُجَرِّدُنى ليعلمَ من حَضَرك من النَّاس أَنِّى لست كما قال . فأَرسل إليه : إنَّك لَست صانِعاً بانتفائك ممَّا قال لبيدٌ شيئًا ، ولا قادراً على رَدِّ ما زلَّت به الأَلسُن ، فالحقْ بأَهلك ! ثم كتب إليه النعمان فى جملةِ ما كتبه أَبياتاً جواباً عن أَبيات كتبها إليه الربيع مشهورة :

شَمِّر برَحلِكَ عنِّى حيثُ شِئتَ ولا
تُكثِرْ علىَّ ودع عنْكَ الأَقاويــلا
قــد قيل ذلك إنْ حقّــا وإنْ كذباً
فمــا اعتذارُك مِن شىءٍ إذا قِيــلاَ

وقد جاءَنا هذا الخبر من عدَّة طرق ، وفى كلٍّ زيادةٌ على الآخر ، ولم نأْتِ بجميع الخبرعلى وجْهِه ، بل أَسقَطْنا منهما لم نحتجْ إليه.انتهى.

وقال أَبو الحسن الطوسى (فى شرح ديوان لبِيد) : إنَّ بنى أُمِّ البنينَ وجماعةً منهم ، أَتَوُا النُّعمانَ أَوَّلَ ما مَلك ، فى أُسارَى من بنى عامر يَشترونهم منه . إلى آخر ما أَوردناه فى الشاهد الثامن والأَربعين بعد المائتين[1] فى شرح قوله :

قد قيل ذلك إنْ حقًّا وإن كذباً . . . البيت

وساق هذا الخبرَ كالطُّوسىِّ الخطيبُ التِّبريزى (فى شرح ذيل

(١) الخزانة ٤ : ١٠ — ١٣ .

المعلقات) ، وأورد الأبياتَ كثعلبٍ إلّا البيتَ الأوّل ، وقولَه :

* يُخبِركَ عن هذا خبيرٌ فاسمَعه *

فإنّه أسقطهُما .

وقوله :

* فى كلّ يومٍ هامتى مقزعهْ *

قال السيِّد المرتضَى : القَزَع : تساقُط بعضِ الشعر والصُّوف وبقاءُ بعضِه . يقال كبشٌ أقزَع وناقةٌ قزعاءُ .

وقوله : « نحن بنو أمّ » إلخ هذا البيت من شواهد سيبويه ، أورده فى باب الاختصاص الذى يجرى على ما جرى عليه النِّداءُ . قال : وأمّا قول لبيد :

* نحن بنو أمِّ البنينَ الأربعهْ *

فلا ينشدونه إلّا رفعاً ، لأنّه لم يُرِدْ أن يجعلَهم إذا افتخروا أنْ يُعَرفوا بأنَّ عَدَّتهم أربعة ، ولكنه جعل الأربعة وصفاً ثم قال : المطعمون الفاعلون ، بعد ما حلاّهم ليُعَرفوا . انتهى .

وخالفه المبرد وقال : النصب فيه جيِّد على وجهين :

أحدهما : أنّ أمَّ البنين امرأةٌ شريفة ، وبنوها الأربعةُ كلُّهم سيِّد ، فيُنصَب (بَنِى) على الفخر .

والوجه الآخر : على معنى أعنى ، بلا مدحٍ ولا ذمّ .

قال النحّاس بعد ما نقله : هذا الذى ذهب إليه سيبويه صحيحٌ ، ألَا تَراه قال : إنّه لم يرد أن يجعلهم إلخ . فهذا قولٌ صحيح . فيجوز أن يكون بنو خبر نحن ، والأربعة نعتٌ كما قال سيبويه ، والمطعمون

خبر[١] بعد خبر. ويجوز أن يكون بدلا من نحن والمطعمون خبر، والأربعة صفة للبنين . فإذا رفع فإنّما أفاد هذا النَّسَب . فإذا نصب فالخبر ما بعده ، ونصبه على الاختصاص . انتهى .

١٧٤

وكذا ذهب ثعلبٌ (فى أماليه) قال : بعضهم ينصب بنى ، وليس بالوجْه ، لأنّه ليس مدحاً يمدح نفسَه بأنَّ عددهم أربعة . والعرب تفعل هذا فى بنى ، ورهط ، ومَعشَر ، وآل . قال الفرَّاءُ : كأنّهم قالوا : نحنُ جميعاً نقول ذلك[٢] . انتهى .

أم البنين

وأُمُّ البنين اسمُها ليلى بنتُ عامر . قاله السُّهيلى (فى الروض) .

وقال السيد المرتضَى : هى بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة ، وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب ، ولدت له عامرَ بنَ مالكٍ ملاعبَ الأَسنَّة . وطُفَيلَ بن مالك فارسَ قُرزُل ، وهو أبو عامر بن الطفيل ، وقُرزُل : فرسٌ كانت له . وربيعةَ بن مَالك أَبا لبيد ،وهو ربيعُ المُقْتِرِين . ومعاوية بن مالك مُعوِّد الحكماءِ . وإنّما لقِّب بهذا لقوله :

أُعوِّد مثلَها الحكماءَ بعدى إذا ما الحقُّ فى الأَشياعِ نابا

وولدَتْ عُبيدةَ الوضَّاحَ . فهؤلاءِ خمسة . وقال لبيد : أربعة ، لأَنَّ الشِّعر لا يمكنه غير ذلك[٣] .

قال السُّهيلى : وسمِّى ملاعبَ الأَسنَّة فى يوم سُوبان ، وهو يومٌ كانت فيه وقعةٌ فى أيَّام جَبَلة ، وهى أيّام حربٍ كانت بين قيس وتميم . وجَبَلة : اسمٌ لهضبة عالية . وسبب تسميته ملاعبَ الأَسنَّة أَنَّ أَخاه

(١) ما بعده إلى « خبر » التالية ساقط من ش
(٢) فى مجالس ثعلب ٤٤٣ : « نقول ذاك » .
(٣) فى أمالى المرتضى ٦ : ١٩٤ : « لم يمكنه من ذلك »

الذى يقال له فارس قُرزُل ، وهو الطُّفيل ، كان أسلمَه فى ذلك اليوم وفَرَّ ، فقال شاعر :

فَرْرتَ وأسلمتَ ابنَ أمِّك عامراً ... يُلاعِبُ أطرافَ الوشيجِ المزعزعِ

فسمِّى ملاعبَ الرِّماح ، ومُلاعِب الأَسنَّة . قال لبيد :

وأَبِّى مُلاعِبَ الرِّمـــاحِ ... ومِدْرَهَ الكتيبةِ الرَّدَاحِ [1] . انتهى .

وقال مُغُلْطاىُ (فى الزَّهر الباسم [2]) : يخدش فيه ما ذكره سابقاً : أَنَّ عامرَ بن مالكٍ ملاعبَ الرِّماح ، وعامرَ بن الطُّفيل ملاعب الأَسنَّة لقِّبا بهما مبالغةً فى وصف شجاعتهما .

ثم قال السُّهيلى : وسُمِّى معاوية معوِّدَ الحكماء بقوله :

يُعوِّد مثلَها الحكماءُ بعدى ... إذا ما الأَمرُ فى الحَدَثانِ نابا [3]

وفى هذا الشعر :

إذا سقطَ السَّماءُ بأَرضِ قوم ... رَعيناهُ وإن كـــانوا غِضابا

وقول السيد المرتضى : إنَّ لبيدًا إنَّما قال أربعة وهم خمسة لضرورة الشعر ، هذا قولُ الفرَّاء ، وهو قولٌ فارغ . والصواب كما قال ابن عصفور (فى الضرائر) [4] : لم يقل إلَّا أربعة ، وهم خمسةٌ ، على جهة الغلط . وإنَّما قال ذلك لأَنَّ أَباه كان مات وبقِى أعمامُه وهم أربعة .

وهو مسبوقٌ بالسُّهيلى فإنَّه قال : وإنَّما قال الأَربعة لأَنَّ أَباه كان

---

(١) المدره : زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم ، وهو أيضا رأس القوم والدافع عنهم . ط : « مدرة » صوابه فى ش والروض الأنف ٢ : ١٧٥ وديوان لبيد ٣٣٣ . ويروى : « وعامر الكتيبة » . والرداح : الضخمة الكثيرة .

(٢) الزهر الباسم فى سيرة أبى القاسم ، وعندى منه مصورة .

(٣) وكذا فى الروض . وصوابه « أعود مثلها » كما فى القاموس (عود) والمفضليات ٣٥٨ .

(٤) الضرائر ٢٤٩

قد مات قبل ذلك ، لا كما قال بعضُ الناس . وهو قولٌ يعزَى إلى الفرَّاء ، أنَّه قال : إنَّما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافى . فيقال له : لا يجوز للشَّاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن .

وأعجب مِن هذا أنَّه استشهد به على تأويلٍ فاسدٍ تأوَّله فى قوله سبحانه : ﴿ وَلِمَنْ خافَ مَقام رَبِّهِ جَنَّتان[1] ﴾ وقال : أراد جَنَّة واحدة وجاء بلفظ التثنية لتتفَّق رءُوس الآى ، وكلامًا هذا معناه . فصَمِّى صَمامِ ما أشنع هذا الكلام ، وأبعده عن العلم وفَهْم القرآن ، وأقلَّ هيبَةَ قائِله من أن يتبوَّأ مقعدَه من النار ، فَحذارِ منه حذار .

١٧٦ ومِمَّا يدلُّكَ أنَّهم كانوا أربعةً حين قال لبيدٌ هذه المقالة أنَّ فى الخبر يُتْمَ لبيدٍ[2] وصِغَر سِنِّه ، وأنَّ أعمامه الأربعة استصغروه أن يُدخِلوه معهم إلى النعمان . فبان بهذا أنَّهم كانوا أربعة . ولو سكت الجاهلُ لقلَّ الخلاف . انتهى .

وقوله :

* المطعِمُون الجَفنةَ المدعدعهْ *

الجفنة ، بفتح الجيم : القَصْعة الكبيرة . قال أبو حنيفة (فى كتاب النبات) : ولا آنيةَ أكبر من الجَفنة . والمُدعدعة فى قولِ لبيد[3] هى المملوءة ، فهو بالدَّال المهملة . قال فى الصحاح : دعدعت الشىء : ملأتُه .

---

(١) الآية ٤٦ من سورة الرحمن . ولعله فى كتاب آخر للفراء ولم أجد الفراء قد استشهد بالرجز فى معانى القرآن ، ولا ذكر تعليله باتفاق رءوس الآى . انظر المعانى ٣ : ١١٨ .

(٢) فى الروض : « ذكر يتم لبيد » .

(٣) فى النسختين : « والمدعدعة قال لبيد » ، والوجه ما أثبت .

وجفنةٌ مُدعدَعة أى مملوءة. وقوله: « تحتَ الخَيْضعة » بالخاء والضاد المعجمتين. قال السيِّد: ذكر الأَصمعىُّ أَنَّ لبيدًا قال: تحت الخَضَعة يعنى الجلَبَة والأَصوات، فغيَّرته الرُّواة. وقيل: إنَّ الخيضعة أصواتُ وَقْع السُّيوف. والخَيضَعة أَيضاً: البيضة التى تُلبَس على الرأْس. والخيضعة: الغُبار. والقول يحتمل كُلَّ ذلك[1]. انتهى.

وقال أَبو عُبيدٍ (فى الغريب المصنَّف): الخيضعة: البَيْضة. وأنشدَ هذا البيت:

وردَّ عليه على بن حمزة (فى كتاب التنبيهات) بأَنَّ هذا لم يقُله أَحدٌ قطّ، وإنَّما اختلاف أَهلِ العلم فى رواية الشعر، فرواه قوم: تحتَ الخيضعة كما رُوى، وفسَّرُوه بأَنْ قالوا: الخيضعة: اختلاط الأَصوات فى الحرب. ورواه آخرون: « تحت الخَضَعة » وقالوا: هى السُّيوف. وقال أَبو حاتم: إنَّما قال لبيدٌ تحتَ الخَضَعة، فزادُوا الياءَ[2] فِراراً من الزِّحاف. انتهى.

وقوله: « بلادًا مَسْبَعة » البلاد: الأَراضى. وأَرضٌ مَسبَعة بالفتح، أى ذات سباع. والمعمعة، قال صاحب الصحاح: هى صوتُ الحريق فى القَصَبِ ونحوِه، وصوتُ الأَبطال فى الحرب. والملمَّع: الذى يكون فى جسَده بُقَعٌ تخالف سائرَ لونه. والأَشجع: أُصولُ الأَصابع التى تتَّصل بعصب ظاهر الكفّ.

وترجمة لبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[3].

(١) ط: « يحتمل علىذلك ». ش مع أثر تغيير: « محتمل على ذلك »، صوابهما ما أثبت من أمالى المرتضى.

(٢) كذا فى ط والتنبيهات ٢١٩. وفى ش: « فزاد »، تحريف.

(٣) الخزانة ٢: ٢٤٦.

وأورد ابن الحباب السَّعدى (فى كتاب مساوى الخمر)[1] حكايةً مناسبة رأينا إيرادَها هنا ، قال :

ذكر بديعُ الزَّمان الهَمَذَانىّ أنَّه لاعبَ أبا سعيدٍ ، خليفةَ أبى علىٍّ الحسين ابن أحمد بجرجان، الشِّطرَنج عَلى خاتَمين ، قَمَرَهُ البديعُ عليهما ، فأَبى أَن يعطيَه إيَّاهما ، فذكر قصّةً طويلة أفضَتِ الحالُ فيها بينهما بعد مراسلاتٍ بهجاءٍ من البديع وإغلاظٍ من الآخَر ، إلى أَن اجتمعَ هو والبديعُ على مائدةِ صاحِبه أبى علىٍّ الحسين .

قال البديع : وكان هذا الرجلُ أقرعَ ، ولم يكن أَحدٌ يجسُر أن يذكُرَ بحضرته القَرْع ولا القُرعة ، ولا تَقارُعَ الأَقرانِ ، ولا الأَقرعَ بنَ حابس ، ولا بنى قُريع ، ولا يقرأُ سورة القارعة . فلمَّا وُضعت المائدةُ أمسكتُ عن الطعام ، فقال : مالكَ لا تأْكل ؟ فقلت : وأَشرتُ إلى أَبى سعيد :

مهلاً أَبيتَ اللَّعنَ لا تَأْكُلْ معَهْ ... استقذِرَنْهُ وتجنَّبْ قَرَعَهْ
فإنَّه يُنْجِى عليها إصبعَهْ ... يحكُّ تلك الهامةَ الملمَّعهْ
لا تُدنه وذلك الرأْسُ معه ... ومُرْه إنْ أَدنيتَه أَنْ يَضعَهْ
إنْ لم يزايل عن جِماك موضعَهْ ... فارسُم لفرَّاشك ذا أَنْ يصفَعَهْ

قال : فأَطرقت الجماعة ، وبقى الأُستاذ داهشًا ، ثم قال : يا مولاى إن لم يحتشمنى ما يحتشم المائدة ؟ فقلت له : أَطال الله بقاءَك ، ما أَسرعَ ١٧٦

(١) سماه فى ٥ : ٣٣٠ « مساوى الخمرة » وقال : « وهو كتاب ضخم ، وهو عندى فى مجلدين » . وذكر الميمنى فى الإقليد ١٠٢ أن بحيدر آباد جزءا من كتاب « الكشف عن مساوى الخمرة » مخروم الأول .

ما أراكَ تتقذّر ؟ وحَيَاتِك عليَّ لأُنشدنّك فيه ألفَ بيت بعضُها يلعنُ بعضاً ، إلَّا أنْ يُعطِيَني خاتَمَيْه عَطاءً صُغْرِيًّا[(١)] . فقال الأُستاذ : أَمرُ الخاتَمين أسهلُ ، فما السَّبَب ؟ فقصصت القصَّة عليه ، فمال إليه وقال : أشهد أنَّك ساقط الهمّة ، أمَا علمت أنَّه إن قُمِرَ أو قَمَرَ أعطى الخَطَر ! ثُمَّ تناول الخاتَمين وناولنيهما ،وسألني السُّكوتَ عنه ،وعاهدني أن لا أزيد.انتهى.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد السبعمائة[(٢)] :

٧٩٧ (رُبَّ رِفْدٍ هَرَقْتَه ذلك اليو مَ وأَسْرَى من مَعْشَرٍ أَقْيَالِ)

على أنَّ الأكثر مراعاة الأَصل فى وقوع صفةِ مجرورِ رُبَّ جملةً فعليَّة سواءٌ كانت مذكورةً أو مقدَّرة .

وقد اجتمعا فى هذا البيتْ . أمّا الأَوَّل فهو جملة « هرقتَه » صفة لرفد ، وهو القدح الكبير . وإراقةُ الرِّفد كنايةٌ عن القتل والإماتة .

وأمّا الثانى فإنَّ أسرَى مجرور بربّ المذكورةِ بطريق التَّبعيَّة ، ومن معشر متعلِّق بأَسرى ، وصفة أَسرى محذوفٌ تقديره : حصَلْت لى ، ولا جواب لربَّ فى الموضعين ، لأَنَّ معنى الكلام تامٌّ لا يفتقر إلى شىءٍ سِوى الصِّفة المقدرة . ورُبَّ اسمٌ محلُّها الرفع على الابتداءِ لا خبر لها ، للاستغناءِ بالصفة عن الخبر . هذا تقدير كلامه .

وأقول : يؤخذ من تقديره (حصلَتْ لى) أنَّ تاءَ هرقته مضمومة . وليس كذلك، فإنَّ هذا الكلام خطابٌ للأسود بن المنذر كما يأْتى بيانه ، فكان ينبغى أن يقول : حصلَتْ لك بالخطاب . وقد أصاب فيما يأْتى قريباً[(٣)] : « وأسرى من معشرٍ أقيال ، أى أسَرْتَهم » .

---

(١) أى عن صغار وذلة . والصغر ، بالضم والتحريك : الصغار والذلة .

(٢) ابن يعيش ٨ : ٢٨ والمغنى ٥٨٧ والعينى ٣ : ٢٥١ والهمع ١ : ٩ وديوان الأعشى ١٣ .

(٣) يعنى ما أورده الرضى بعد الكلام السابق ، وهو « وأسرى من معشر » إلخ . وانظر الرضى ٢ : ٣٠٩ س٩

وقوله: (رفد) الرِّفد : القَدح الضَّخم، وهو قول الأَصمعىِّ فيما نقله أَبو حنيفة(فى كتاب النبات) عند ذكر أَقسام الأَوانى ، وضبطه بكسر الراءِ ، وأنشد هذا البيتَ وقال : وكذلك المِرْفَد بكسر الميم .

وكذا نقل ابن الأَنبارى (فى شرح المفضَّليّات) عن أَحمدَ بن عُبيدٍ تلميذِ الأَصمعى . قال : وروَى أَحمدُ: « ربَّ رِفْدٍ » الرِّفد بالكسر ، وقال هو القَدَح . والرَّفدْ بالفتح : العَمَل .

قال ابنُ الأَنبارىّ : وقال أَبو عُبيدةَ : الرَّفد بفتح الراءِ : القَدَح الضَّخم بما فيه من القِرى . والرِّفد بالكسر : المَعُونة . يقال رفدْتُه عند الأَمير ، أَى أَعنته . (هَرَقته) أَصله أَرقته ، فالهاءِ بدلٌ من الهمزة .

وقوله « هريق رفدُه كنايةٌ عن الموت[1] » ، هو أَحدُ قولين . قال الزَّمخشرىُّ (فى أَساس البلاغة) : هريق رفد فلانٍ ، إذا قُتل ، كما يقال : صَفِرت وِطابُه ، وكُفِئَتْ جَفنتُه .

وقال ابن الأَنبارى عند قول سَلَمَة بن الخُرشُب الأَنمارىّ :

هَرقْنَ بساحوقٍ جِفاناً كثيرةً وغادَرْنَ أُخرى من حَقينٍ وحازرِ

قوله: هَرَقن ، يعنى الخيل . وساحُوق: موضع . أَى قتلتْ أَصحابَ الجفان ومن كان يَقرِى فيها ويحتلب ، فكأَنَّها لمَّا قَتلت أَصحابَها هراقتها ، كما قال الأَعشى : رُبَّ رفدٍ هرقته ذلك اليومَ ، إلخ . ومثله قولُ امرىء القيس :

وأَفلتَهُنَّ عِلبـــاءٌ جريضاً ولو أَدركْنَه صَفِرَ الوطـــابُ

(١) نص الرضى فى ٢ : ٣٠٨ : « يقال هريق رفده ، إذا مات ، وهو كناية كقولهم : صفرت وطابه » .

وعِلباءٌ : رجل . والجريض : الذى قارب الموتَ ، فهو يجرض بريقه ، أَى يَغَصّ . والوطاب : جمع وَطْب ، وهو سِقاءُ اللَّبَن .

١٧٧

وقوله « وغادرنَ أُخرى » أَى تركْنَ جِفاناً لم يُرِقْنَها . وروى: «وأَدَّين أُخرى » أَى جئن بأَسرَى وغيرِ ذلك . فاللفظ على اللَّبنَ والمعنى على القَوْم . وقوله : « من حَقينٍ وحازر » أَى من سيِّدٍ شريفٍ ودونَ ذلك . ومثله قولُ أَبى زُبَيد :

يا جَفنةً كنضيح الحَوْضِ قد كُفِئتْ
بثِنْىِ صِفّينَ يعلو فوقَهـا القتَرُ[٢]

أَى قُتِل صاحبُها فذهبَتْ وبطَلت . ومثله قولُ الآخر :

وماذا بالقليب قليب بدرٍ من الشِّيزَى تُكلَّلُ بالسَّنامِ[٣] . انتهى

وكذا (فى شرح الفصيح للمرزوقى) قال فيه : الصِّفْر بالكسر : الخالى ، يقال صَفِرت الآنيةُ تَصْفَر صَفَراً ، فهى صَفِرةٌ . وقيل اشتقاق الصَّفَر فى الشهور منه ، لأَنَّ وِطابَهم كانت حينئذ تخلوُ من الأَلبان . ويقال فى الكناية عن الهَلاك : صفِرَتْ وِطابُهم . وهذا كما يقال : أُرِيقَ جفانُهم . انتهى .

وكذا نقل ابن المستوفِى عن الأَصمعىّ ، قال : يريد قتلت صاحب ذلك الرِّفد فبطل رِفدُه . والرِّفد : اللَّبن والعطيّة والمعونة . والرَّفْد المصدر.

---

(١) ط : « ينتص » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ديوان أبى زبيد ٦٩ ، وفى جمهرة ابن دريد ٢ : ١٢ : « قد تركت بثنى صفين يجرى فوقها » . والقتر والقترة بالتحريك فيهما : الغبرة

(٣) لأبى بكر شداد بن الأسود بن شعوب الليثى ، فى السيرة ٥٣٠ واللسان (شيز) ، والشيزى : شجر تتخذ منه الجفان ، وبه سميت الجفان شيزى .

ويقال للقَدح الذى يُقْرى فيه رِفْد . والرِّفد : المِحْلب الذى يُحلَب فيه . وأَما القولُ الآخر فهو نهبُ الماشية وأَخْذُها .

قال شارح ديوان الأَعشى : معناه رُبَّ رجلٍ كانت له إبلٌ يحلبُها فاسْتَقْتَها فذهب ما كان يحلبُه فى الرِّفد وهو القَدَح. وقوله : (وأَسرى): هو جمع أَسير كجرحَى جمع جريحَ . و(المعشر): الجماعة من الناس . و(أَقيال) روى بالمثناة التحتيّة والفوقيَّة . أَما الأَوَّل فهو جمع قَيْل بفتح القاف مخفف قَيِّل كسيِّد ، وهو الملك مُطلقاً ، وقيل الملك من مُلوك حمير ، وقيل هو دون الملك الأَعلَى ، سمِّى به لأَنَّه يقول ما يشاءُ فينفُذ . والمرأَة قَيْلة ، ويجمع على أَقوالٍ أَيضاً ، حكاه ابنُ السكيت . فالأَوّل على اللفظ والثانى بالنظر إلى الاشتقاق من القَوْل ، كما قالوا فى جمع ريح أَرياح وأَرْوَاح .

وقال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : وقال جماعة : لهذه الكلمة اشتقاقان : فمَنْ قال أَقوال فهو من القَوْل ، ومن جَمعه على أَقيال فهو من قولهم : تقيَّل أَباه ، أَى اتَّبعه فى النَّسب ، كما تسمِّى تُبَّعًا مَنْ تَبِعَ الذى قبلَه فى المُلْك . قال هؤلاءِ : ولو كان من القَول لم يجُزْ فى جمعه إلَّا أَقوال ، كما لا يقال فى الميْت المخفف إلَّا أَموات ولا يقال أَمْيات على اللفظ . قال ابن الشجرى : ولا يلزم ذلك ، لأَنَّهم قالوا من جَفوت ومن الشَّوب : مجفوٌّ ومَشُوب على الأَصل ، ومجفِىٌّ ومشِيب على لفظ جُفِىَ وشِيبَ . ولم يَطردوا ذلك فى نحو مغزوٍّ ومدعوّ ، فلم يقولوا مَغزىّ ومدعِىّ وإنْ قالوا غُزِىَ ودُعِىَ . فكذلك قالوا أَقيال على لفظ قَيْل وإنْ لم يقولوا أَمْياتِ . قلت : يُرَدّ هذا بأَنَّه لا يصار إلى خلاف الأَصل ما وُجِد عنه

مندوحة . ولا شَكَّ أَنَّ جمع قَيْل المشتقّ من القول على أَقيال رعايةً[1] للفظ الياء خارجٌ عن الأَصل، فإذا وُجِدَ[2] مشتقاً عند جمعه كذلك من التقيُّل لم يخرُجْ عن الأَصل ، لكان قول أُولئك الجماعة بالاشتقاقين هو الراجحَ لا محالة . انتهى كلامه .

وأما الرِّواية بالمثناة الفوقية فهو« جمع » قِتْل بكسر القاف وسكون المثناة ، وله معنيان : أَحدهما العدوُّ المقاتِل ، والثانى الشِّبْه والنَّظير ، أى العِدْل فى المقاتلة ، كما يقال سِبٌّ للعديل فى المُسابَّة . يقال هما قِتْلان أى مِثلان . وكلٌّ منهما قِيلَ به هنا . ١٧٨

قال ابن الأَنبارىّ : وقول الأَعشى : « من معشر أَقتال » يعنى الأَعداءَ والقَتَلة الذين قتلوا أَصحابك . وأَمَّا أَبو عُبيدة فإنَّه قال : هم الأَشباه . وأَنشَدَ فِى أَنَّهم الأَعداءُ لابن قيس الرقيَّات :

واغترابِى عن عامِرِ بن لؤىٍّ   فى بلادٍ كثيرةِ الأَقتـــالِ[3]

وأَنشد أَحمد فى القِتْل المِثْل والشِّبه ، فى وصف بعيرين :

من كلِّ قِتْلينِ إذا ما ازدحَمَـــا   أدرك هذا غَرْبَ هـــذا بعدَما

أَغربَ ذاك ذرعَه فانصرمـــا

وقَولُ الشارح المحقق : إنَّ صفة أَسرى محذوفة تقديرها ما ذكره ، هذا مستغنًى عنه بجعل من معشر متعلِّقا بفعل صفة لأَسرى ، والتقدير

---

(١) ش : « مراعاة » .
(٢) ط : « جعل » .
(٣) ديوان ابن قيس الرقيات ١١٣ واللسان (قتل ٦٨) .

وأسرى حَصَلَتْ من معشر أقبال ، كما قال الزمخشرى (فى المفصل) : هرقته ومن معشر : صفتان لرفد وأسرى .

وكأَنَّ الشارحَ علَّق من معشر بأسرى ، لأَنَّه بمعنى ربَّ مأْخوذِينَ من معشرٍ . ولا ضرورة إليه .

واعلم أَنَّ ما اختاره الشارح من جعل رُبَّ مبتدأً لا خبر له مخالفٌ للبصريين والكوفيِّين .

أَمَّا البصريُّون فقد قالوا : إنَّها حرفٌ لأَنَّها لا تقبل شيئًا من خواصّ الاسم ، من الإخبار عنه والإضافة ، وعودِ الضمير إليه ، ودخول أَل والتنوين . ولأَنَّها لو كانت اسماً لجاز أَن يتعدَّى إليها الفعل بنفسه إن كان متعدِّياً وبحرف الجر إن كان لازماً ، فيقال : ربَّ رجلٍ أكرمتُ وبربَّ رجلٍ مررتُ ، كما يقال : كم رجلٍ أكرمتُ وبكم رجلٍ مررتُ ، إذْ ليس فى كلامهم اسمٌ يتعدَّى إليه الفعل بنفسه[1] إلَّا ويجوز أَنْ يتعدَّى إليه الفعلُ اللازم[2] بواسطة حرف الجرّ. والشارح معترفٌ بجميع هذا.

وأَمّا الكوفيُّون فقد قالوا : إنَّها اسمٌ مثل كم ، وقالوا : محلُّها رفعٌ بالابتداء فى قولنا : ربَّ رجل كريم لقيتُه ، وفى نحو : وربَّ قتلٍ عار. ومحلُّها نصبٌ على المصدر فى نحو: ربَّ ضربٍ ضربتُ ، مثل كم ضربةٍ ضربتُ . وعلى الظرف فى نحو : ربَّ يومٍ سرتُ، مثل كم يومٍ سرت . وعلى المفعول به فى نحو: ربَّ رجل ضربت ، نحو: كم رجل ضربت .

والشارح تبع الكوفيِّين فى اسميتها، وخالفهم فى جَعْلها مبتدأً لا خبر له أبدًا . وهذا لا يتمشَّى له فى نحو: ربَّ ضربة ضربت، ولا يطَّرد له

(١) ط : « يتعدى إلى الفعل بنفسه » ، صوابه فى ش

(٢) ط : « بالفعل اللازم » ، صوابه فى ش

فى المكفوفة بما كقوله تعالى : ﴿ رُبَّما يودُّ الذين كَفَروا[1] ﴾ كما اعترف به ، وجَعَلَهَا فى هذا حرفاً . وجَعْلُها نوعين بحسب الاستعمالَين مع اتّحاد المعنى ، تعسُّفٌ لا ضرورةَ تدعو إليه .

وما أورده من الإشكالين على حرفيَّتها يضمحلّان بجعلها حرفًا زائداً لا يتعلَّق بشىء ، وهو مذهبُ جماعةٍ من النحويين ، كالباءِ ومن الزائدتين فى نحو : ﴿ كفَى بالله شهيدًا[2] ﴾ ، و﴿هل مِنْ خالقٍ[3] ﴾، ولعلَّ الجارّةِ فى لغة عَقيل ، ولولا الجارّة الضميرَ نحو: لولاى ولولاك ولولاه، وكافِ التشبيه ، وحرف الاستثناء وهو خلا وعدا وحاشا إذا خفَضْنَ . فهذه الحروفُ كلُّها لا تتعَلَّق بشىء . ذكرها ابنُ هشامٍ (فى الباب الثالث من المغنى). فيكون محلُّ مجرورِ ربَّ فى نحو : ربَّ رجل كريم عندى، رفعًا على الابتداءِ ، ومنه :

* وربَّ قتلٍ عار[4] *

وفى نحو : ربَّ رجل كريمٍ لقيتُ، نصباً على المفعولية ، ولا يجوز أَن يكون مبتدأً والجملة بعده خبر والرابط محذوف ، أى لقيته ، لأَنَّ فى ذلك تهيئةَ العاملِ للعمل وقطعَه عنه . ومثله :«ربَّ رفد هرقتَه» . . البيت. وكذلك: « أَسرى من مَعْشر » فإنَّه بتقدير : أَسرتَهم . وفى نحو: ربَّ رجلٍ كريم لقيته ، رفعاً أَو نصباً ، وفى نحو: ربَّ ضربٍ ضربتُ، نصباً على المفعول المطلق ، وفى نحو: ربَّ يوم سرت، نصباً أَيضاً على الظرف.

١٧٩

(١) الآية الثانية من سورة الحجر .
(٢) الآية ٧٩ ، ١٦٦ من سورة النساء وآيات أخرى .
(٣) الآية ٣ من سورة فاطر .
(٤) قطعة من الشاهد ٧٩٨ فيما سيأتى .

والدَّليل على ما ذكرنا أنَّه يجوز مراعاة محلِّ مجرورِها كثيرًا نحو : ربَّ امرأةٍ صالحة لقيتُ ورجلاً صالحاً، وإنْلم يجز نحو: مررتبزيد وعمراً إلَّا قليلا ، كما يأْتى نقلُه من المغنى .

لكنَّه قال فى الكلام على أقسام العطف على المحلِّ : إنَّ له ثلاثة شروط : أحدها إمكان ظهور ذلك المحلِّ فى الفصيح . وهذا الشرط مفقودٌ هنا ، ولعله مستثنى منه .

وقد ذهب ابن هشام (فى الباب الثالث من المغنى) إلى أنَّها لا تتعلَّق بشيءٍ ، فقال : الرابع أى مما استُثنىَ من قولهم : لا بدَّ لحرف الجرّ من متعلَّق : ربَّ فى نحو : ربَّ رجلٍ صالح لقيتُه أو لقيت ، لأنَّ مجرورها مفعولٌ فى الثانى ومبتدأٌ فىالأَول ، أَو مفعولٌ على حدّ: زيدًا ضربته ، ويقدَّر الناصب بعد المجرور به ، لا قبل الجارّ ، لأَنَّ ربَّ لها الصَّدر من بين حروف الجرّ ، وإنَّما دخلت فى المثالين لإفادة التكثير أَو التَّقليل ، لا لتعدية عامل . هذا قول الرُّمَّانى وابن طاهر . وقال الجمهور : هى فيهما حرفُ جرٍّ مُعَدٍّ . فإنْ قالوا : إنَّها عدَّت العاملَ المذكور فخطأٌ ، لأَنَّه يتعدَّى بنفسه ، ولاستيفائه معمولَه فى المثالالأَوّل . وإن قالوا: عدَّت محذوفاً تقديره حَصَل أَو نحوه كما صرَّح به جماعة ، ففيه تقديرٌ لما معنى الكلامِ مستغن عنه[1] ولم يُلفَظبه فى وقت. انتهى .

وقال أَيضاً (فى بحثِ ربّ من الباب الأَوّل) : وتنفرد ربَّ بوجوب تصديرها ، ووجوب تنكير مجرورها ، ونعته إن كان ظاهرًا ، وإفرادِه وتذكيره وتمييزه بما يطابق المعنى إن كان ضميراً ، وغلبةِ حذف مُعدَّاها

---

(١) ط : « مستغنى عنه » ، صوابه فى ش .

ومضيِّه ، وإعمالِها محذوفة بعد الفاء كثيرًا ، وبعد الواو أكثر ، وبعد بَلْ قليلا ، وبدونهنّ أقلّ . وبأنّها زائدة فى الإعراب دون المعنى ، فمحلُّ مجرورها فى نحو : رُبَّ رجلٍ صالحٍ عندى رفعٌ على الابتداء . وفى نحو : رُبَّ رجلٍ صالحٍ لقيتُ نصبٌ على المفعولية . وفى نحو : ربَّ رجلٍ صالحٍ لقيته ، رفعٌ أو نصب ، كما فى زيداً لقيته . ويجوز مراعاة محلِّه كثيراً وإن لم يجز نحو : مررت بزيد وعمراً ، إلّا قليلا . قال :

وسِنٍّ كَسُنَّيْقٍ سَناءً وسُنَّماً ذعرتُ بمِدلاجِ الهَجيرِ نَهُوضِ[1]

فعطفُ سُنَّماً على محل سِنّ . والمعنى : ذعرت بهذا الفرس ثوراً وبقرة عظيمة . وسُنَّيق : جبل بعينه . وسَناءً : ارتفاعاً . وزعم الزجاج ومُوافقوه أنَّ مجرورها لا يكون إلّا فى محل نصب . والصواب ما قدّمناه . انتهى .

وقوله : «بوجوب تصدُّرها» ، أى فى جملتها ، وإن كانت مبنيّةً على ما قبلها . ألا ترى أنّ ما حرفُ نفى له صدر الكلام ، وأنّه يصحُّ : إنّ زيداً ما قام . وكذلك ربَّ تقع جملتها خبرًا لإنَّ ، نحو :

أمَاوِىَّ إنّى رُبَّ واحدِ أُمِّهِ أخذْتُ فلا قتلٌ لدىَّ ولا أَسْرُ[2]

وخبراً لأنَّ المخفَّفة ، كقوله :

تيقَّنتُ أنْ رُبَّ امرئٍ خِيلَ خائناً أمينٍ وخوّانٍ يُخالُ أمينـــا[3]

١٨٠

وجَواباً للواو . وهو غريبٌ كقوله :

ولو عَلِم الأقوامُ كيف خَلَفتُهم لَرُبَّ مُفدٌّ فى القبـــور وحامدِ

---

(١) لامرئ القيس فى ديوانه ٧٦ واللسان (سنق) . وفى ط : « زعرت » فى البيت وتفسيره ، صوابه فى ش والديوان واللسان .

(٢) لحاتم الطائى ، وهو الشاهد ٢٨٦ فى الخزانة ٤ : ٢١٠ .

(٣) همع الهوامع ١ : ١٤٣ / ٢ : ٢٦

ومنع أبو حيَّان وجوبَ تصدُّرِها ، بهذه الأبيات ، وغلَّط فيه .

وقوله : « وغلبة حَذْف مُعدَّاها » أى متعلَّقها . وكان ينبغى أن لا يَذكر هذا ، فإنَّه لا يناسب ما اختاره من عدم التعلُّق بشىء .

وأجاب عنه الشُّمُنِّىُّ بأَنَّ مراده به الفعل الذى مجرورها مفعولُه .

وقوله « وبأنَّها زائدة فى الإعراب » ، أُورِدَ عليه بأنَّ هذا لا يختصُّ بربَّ ، بل لعلّ ولولا وأخواتُهما كذلك . وهو حقٌّ . ويمكن أن يجاب بأنَّ ربَّ تنفرد بجميع ما ذُكِر لا بكلٍّ واحد .

وقوله : « لأنَّ مجرورها مفعول فى الثانى » قيل فيه أمران : الأوَّل أنَّ كونه مفعولاً لا ينافى التعلُّق . والثانى أنَّ التعلُّق معناه أنَّ المتعلِّق معمولٌ بحسب المحلّ ، إلَّا أنْ يراد أنَّه مفعولٌ لفعل يتعدَّى بنفسه فلا حاجة لتعلُّق الحرف ، بمعنى تعديته للفعل ، بدليل مقابلته هذا الكلام بقوله : « وقال الجمهور هى فيهما حرف جر مُعَدٌّ » . ثم إنَّه يمكن الجواب عن اعتراضه على الجمهور[1] باختيار الشِّقّ الأَوّل ، وتعدِّى الفعلِ بنفسه لا يمنع تعدِّيَه بالحرف إذا قُصِد معنًى لا يحصُل بدون تعدِّيه بذلك الحرف ، فإنَّه لو عدَّىَ هنا بنفسه فاتَ معنى التقليل أو التكثير . ونظيره صحَّةُ قولك: أخذت من الدراهم ، فعدَّيت الفعل بمن لإفادة معنى التبعيض وإن كان يتعدَّى بنفسه . وأَخْذُ مفعولِه فى المثال الثانى لا يمنع جَعْلَه معمولاً لمثله ، كما فى: زيدًا ضربته .

واعترض الدمامينى على الجمهور بأنه لو كان كما يقولون لم يُعطف على محلِّ مجرورها رفعاً ونصباً فى الفصيح ، وقد جاز كما تقول : ربَّ رجلٍ وأخاه أكرمتُ ، فيجعلون لها حكم الزائد فى الإعراب وإن لم تكن زائدة فى المعنى . ولا يجوز فى الفصيح : بزيدٍ وأخاه مررت .

---

(١) ط : « عن الجمهور » ، صوابه فى ش .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد من قصيدةٍ للأعشى ميمون ، أوّلُها :

(ما بكاءُ الكبيرِ بالأطْــلالِ وسُؤالى ومــا يردُّ ســؤالى)

وتقدّم شرحُه مع أبيات منها قريباً .

ومدح بهذه القصيدة الأسودَ بنَ المنذر ، أخا النُّعمان بن المنذر اللَّخمى ، وكان قد أغار على الحليفَين أسدٍ وذبيان ، ثم أغار على الطَّف ، فأصابَ نَعَماً وأَسرى ، وسبَى من بنى سعدِ بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة رهطِ الأعشى ، والأعشى غائبٌ ، فلمّا جاءَ إليه وأنشده هذه القصيدة سأله أنْ يَهَبَ له الأسرى ففعل . وهذه أبياتٌ منها يخاطب ناقته :

أبيات الشاهد

(لا تَشَكَّىْ إلىَّ من ألــم النِّسْـ ع ولا من حَفًى ولا من كَلالِ
لا تَشَكَّىْ إلىَّ وانتجعِى الأسـ وَد أهل النَّدى وأهلَ الفَعالِ
فرعُ نَبْعٍ يهتزُّ فى غُصُن المجْـ دِ غزيرُ النَّدَى شَديد المِحَالِ
عنــده البرُّ والتقى وأَسَا الشَّـ قِّ وحملٌ للمُعْضِلاتِ الثِّقالِ
وصِلاتُ الأرحام قد علم النَّا سُ وفَكُّ الأَسرَى من الأغلالِ
وهَوَانُ النَّفس الكريمة للذِّكـ رِ إذا ما التقَتْ صدورُ العَوالى
ووفاءٌ إذا أجَرْتَ فما غَـزَّ تْ حبالٌ وصَلتَها بحبالِ[2]
وعطاءٌ إذا سألتَ إذا العِـــذ رةُ كانت عطيَّةَ البُخَّـــالِ
أريحىٌّ صَلْتٌ تَظَـــلُّ له القَوْ مُ ركودًا قِيامَهُمْ للهـــلالِ
إنْ يعاقِبْ يكن غَراماً وإنْ يُعْـ طِ جزيلاً فإنَّه لا يُبـــالى
يَهَبُ الجِلَّةَ الجَــراجر كالبُسْـ تانِ تَحنُو لدَردقٍ أطفـــالِ
والبغايا يَركُضْنَ أكسِيةَ الإضْـ ـريجِ والشَّرعَبِىَّ ذا الأذيالِ

١٨١

(١) همع الهوامع ٢ : ٢٦ .
(٢) فى ديوان الأعشى ١٠ : « فما غرت » .

والمكاكيكَ والصِّحافَ من الفِـ ضَّةِ والضَّامراتِ تحتَ الرِّحال
وجيادًا كأنَّها قُضُبُ الشَّـو حَطِ يَحمِلْنَ شِكَّةَ الأَبطال
ودُروعاً من نسجِ دَاودَ فى الحر بِ وسُوقًا يُحْمَلن فوقَ الجمال
لم يُنَشَّرنَ للصَّـديق ولكنْ لقتال العدوِّ يومَ القِتال[1]
ربَّ رِفدٍ هرقتَه ذلك اليـو مَ وأَسرى مِنْ معشرٍ أَقيَال
وشُيوخٍ حَرْبَى بشَطِّ أَريكٍ ونساءٍ كأنَّهنَّ السَّعـالِى[2]
وشريكين فى كثيرٍ من المـا ل وكانا مُحالِفَىْ إقـلال
قَسَمَا الطَّارفَ التَّليدَ من الغُنْـ مِ فآبا كلاهمـا ذُو مال
لن يزالوا كذلـكم ثمَّ لا زِلْـ تَ لهم خالدًا خُلودَ الجبـال)

قوله : « لا تَشَكَّىْ إلىَّ مِن أَلَم النِّسع » إلخ هو بكسر النون وسكون المهملة ، واحده نِسْعة ، وهى التى تُنسَج عريضاً للتَّصدير . والحَفَى بفتح المهملة والقصر : رقَّة الخُفِّ والحافر والقدم ، من كثرة المشى . والكَلَال : مصدر كلَّ البعيرُ وغيرُه من المشْى ، إذا أَعيا . والنَّدى : الجُود . والفَعَال بالفتح: الكرم والجميل . وغزير: كثير . والمحال ، بالكسر: القُوَّة ، كقوله تعالى : ﴿ وهو شَدِيد المِحَال[3] ﴾. كذا فى العباب.

وقوله : « وأَسا الشَّقِّ» قال شارح ديوانه : أَى التئام الشَّقّ ، ومن ذلك سمِّىَ الآسى الذى يأْسو الجُرح . والمعضِلة : المشكِلة ، أَى وعنده حملٌ للأُمور المعضلات ، وعنده فكُّ الأَسرى . والأَغلال : جمع غُلّ بالضم ، وهو ما يوضع فى عُنق الأَسير ونحوِه من سلسلةِ حديدٍ أَو قِدٍّ .

---

(١) فى الديوان : « لم ييسرن للصديق » .
(٢) فى الديوان : « بشطى أريك » ، بالتثنية .
(٣) الآية ١٣ من سورة الرعد .

وقوله : « وهَوَان » أى وعنده هوانٌ أى إهانةُ النَّفس فى الحرب . والعوالى : جمع عالية ، وهى مِن مدخَل السِّنان فى الرُّمح إلى ثُلثه . وصدورُها : أوساطُها .

وقوله : « ووفاءٌ » أى وعنده وفاءٌ ، إذا أجرتَ أحدًا من أنْ يظلمه ظالم فيفى بإجارة من أجارَ من أصدقائه ، فكيف لا يفى هو بإجارة مَنْ يُجيره . وهذا خطابٌ لكل من يصلح معه الخطاب. وكذا قوله : « وعطاءٌ إذا سألتَ » أى وعنده عطاءٌ إذا سألتَه . والعِذْرة بالكسر : العُذر ، أى هو يُعطى ولا يَعْتذر ، كما أنَّ البخلاءَ يعتذرون ولا يُعطُون . و« عَزَّ » من العِزَّة وهى القلَّة . والحبال مستعارةٌ للعهود .

والأَرْيحىّ : الذى يَرتاح للعطَاءِ . والصَّلت بالفتح ، قال شارحه : هو القاطع . والراكد : القائم ، فيكون قيامَهُم مصدراً تشبيهيًّا .

والغرام ، بالفتح ، قال شارحه : هو الموُجع .

وقوله : « يَهَبُ الجِلَّة » بالكسر ، جمع جليل ، وهى الإبل المسنَّة . والجَراجِر بجيمين ، قال صاحب الصحاح : هى العظام من الإبل . وأنشد هذا البيت . قال : وكذلك الجُرجور . وقال شارحه : ويروى الجراجير ، جمع جُرجور وهى الإبل الكثيرة . وتَحْنُو : تَعطِف . والدَّردَق : الصِّغار من أولادها ، شبَّهها بالبستان . ١٨٢

وقوله: « والبغايا » أى ويهَبُ البغايا ، قال شارحُه : البغايا هنا : أولاد الإماءِ . والإضريج : الأخضر من الخَزِّ[1] . وفى الصحاح : الشَّرعِىُّ : ضربُ من البرود .

---

(١) بعده فى ش : « والشرعى : ضرب من البرود » ، فقط .

وقوله: « والمكاكيك » أي ويهبُ المكاكيك، قال شارحه: المكاكيك: آنيَة يُشرب فيها الخمر. والصِّحاف: القِصاع. والضامرات: النُّجُب من الإبل.

وقوله: « وجياداً » أي ويهبُ خيلًا جياداً. والقُضُب: جمع قضيب وهو فرعُ الشَّجر، شبَّهها به لضُمرها. والشَّوحط: ضرب من شجر الجبالِ يُتَّخذ منه القِسِيّ. قال شارحه: والشِّكَّة: السِّلاح الكامل.

وقوله: « ودروعاً » أي ويهب دروعاً. قال شارحه: الوسوق: الأَحمال، جمع وَسْق. ويُحمَلْن بالبناءِ للمفعول. وكذلك قوله: « لم يُنَشَّرن ».

وقوله: (رُبَّ رِفدٍ هَرَقْته) إلخ، خطابٌ مع الأَسود بن المنذر يمدحه بكثرة قتله وكثرة أسره.

وقوله: «وشيوخ» بالجر عطف على مدخول رُبَّ، وكذا قوله: «ونساءٍ»، يقدَّر في الثلاثة سَبَيْتَهم. وحَرْبى: جمع حَرِيب، من حُرِب الرَّجلُ مالَه أي سُلِبَه، فهو محروبٌ وحَرِيب.

وقوله: « وشريكين » معطوف أيضاً على مجرور ربّ، وهو في محل رفع على الابتداء. و« في كثير » متعلِّق به، وجملة « قَسَما » من الفعل والفاعل خبره. وصَرعَى: جمع صريع، أي مقتول. والمحالفة: المصاحبة. والإقلال: الفقر والحاجة. والطارف: المال المستحدَث. والتليد: المال القديم، وحرف العطف منه محذوف. والغُنْم بالضم: الغنيمة. وآبا: رجَعا. يقول: كانا فقيرين فلما غَزَوَا معك استغنيَا، فقسما بينهما مالَ الغنيمة الذي كان عند صاحبه طارفاً وتليداً.

قال أبو عبيد البكري (في معجم ما استعجم): أَريك، بفتح الهمزة وكسر الراءِ المهملة وآخره كاف: موضعٌ في ديار غَنِيّ بن يَعصُر. وقال

أَبو عُبيدة: أَريك فى بلاد ذُبيان ، قال : وهما أَريكان: أَريكٌ الأَسود وأَريكٌ الأَبيض . والأَريك : الجبل الصغير . قال : وبشطِّ أَريكٍ قَتَل الأَسودُ بنى ذُبيان وبنى دُودَان ، وسَبَى نساءهم. قال الأَعشى فى مدحه الأَسودَ :

وشيوخٍ صَرْعَى بشطِّ أريكٍ . . . . البيت

ويدلُّك على أَنَّ أَريكاً جبلٌ مُشْرِفٌ قولُ جابر بن حُنَىٍّ [(1)] يصف ناقة :

تَصعَّدُ فى بطحـاءِ عِرْقٍ كأَنَّما تَرقَّى إلى أَعلى أَريكٍ بسُلَّمِ [(2)]

وقال الأَخفش : إنَّما سمِّى أَريكاً لأَنَّه جبلٌ كثير الأَراك . انتهى.

وقال أَيضاً (فى شرح أَمالى القالى): هذا اليوم الذى ذكره فى قوله : « رب رفدٍ هرقته ذلك اليومَ » هو اليومُ الذى أَغار فيه الأَسودُ بن المنذر على الطَّفِّ فأَصاب نَعَماً وأَسرى من بنى سعد بن ضُبيعة رهطِ الأَعشى ، وذلك مُنصَرَفَه من غَزْو الحليفين أَسدٍ وذُبيان. وكان الأَعشى غائباً ، فلمَّا قدِم وجد الحيَّ مُباحا ، فأَنشده هذه القصيدة وسأَله أَن يهَبَ له الأَسرى، ففعل . انتهى .

والطَّفُّ : موضعٌ بناحية العراق من أَرض الكوفة [(3)] ، وهناك الموضع المعروف بكرْبلاء ، الذى قُتِل فيه الحسين بن على [رضى الله عنهما [(4)]] . وقول البكرى (فى معجمه) : والصحيح أَنَّ الطَّفَّ على فرسخين من البصرة غلطٌ وخطأٌ .

وسبب غزوِ الحليفين هو ما ذكره الأَصبهانى (فى الأَغانى) : أَنَّ الحارث

---

(١) ط : « حيى » ، صوابه فى ش ومعجم البكرى ١ : ١٤٤ والمفضليات .

(٢) البيت ١٠ من المفضلية ٤٢ ص ٢١٠ ، وفى النسختين : « تصعدن » ، تحريف ، صوابه فى المفضليات ومعجم ما استعجم ، لأنه فى صفة ناقة واحدة .

(٣) ش : « بناحية الكوفة » ، وما أثبت من ط يوافق ما فى معجم ما استعجم .

(٤) التكملة من ش .

١٨٣ ابن ظالمٍ المُرِّيَّ لمَّا قَتَل خالدَ بنَ جعفر بن كلاب العامرى ، وهو نازلٌ عند النعمان بن المنذر ، سأَل الأَسودُ بنُ المنذر عن أمرٍ يَبْلُغ من الحارث ، فقال عروة بنُ عُتبة: إنَّ له جاراتٍ، ولا أَراكَ تنالُ منه شيئاً هو أغلظ عليه من أَخذهنّ وأَخْذِ أَموالهنّ. ففعَلَ فبلغ ذلك الحارثَ بنَ ظالم، فخرج من الحيَّينِ فدخل فى غِمار الناس حتَّى عرفَ موضع جاراته ومَرعَى إبلهنّ، فجمعهنَّ مع أَموالهنَّ ، وسار معهنَّ حتَّى استنقذهنَّ [١] .

قال أَبو عبيدة : ولحق ببلادِ قومه مستخْفياً، وكانت أُختهُ سَلمى بنت ظالم عند سِنان بن أَبى حارثة المرى ، وكان الأَسود بن المنذر دفع إليها ابنَه شُرحبيلَ تكفُلُه ، وكانت بنتُ كَثِير [٢] بن ربيعة من بنى غَنْم بن دُودان، امرأَةُ سنانٍ تُرضعه ، وهى أُمُّ هرم ، فجاءَ الحارثُ بنُ ظالِم وكان قد اندسَّ فى بلاد غطفان ، فاستعار سَرْج سِنانٍ ولا يَعلم سِنان ، وهم نزولٌ بالشَّرَبَّة ، فأَتى أُختَه سلمى فقال : يقول لكِ بَعلُكِ : ابعثِى بابن الملك مع الحارث حتَّى أَستأْمن له منه [٣] ، وهذا سرجُه آيةً إليك . فزيَّنَتْه ثم دفعتْه إلى الحارث ، فأَتى بالغلامِ ناحيةً من الشَّرَبَّة فقتله وهرب ، فغزا الأَسودُ بنى ذبيان وبنى أَسدٍ إذْ نقضوا العهدَ ، بشطِّ أَريك .

قال أَبو عبيدة: هما أَريكانِ: الأَسود والأَبيض ، ولا أَدرى بأَيِّهما كانت الوقعة .

قال أَبو عبيدة : إنَّ سلمى امرأَةَ سِنان التى أَخذَ الحارثُ شرحبيلَ من عندِها من بنى أَسد، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وسَبَى ، لدَفعْ الأَسديَّة ابنَه إلى الحارث . وفى ذلك يقول الأَعشى يمدح الأَسود :

---

(١) انظر الخبر بتفصيل فى الأغانى ١٠ : ٢٢ .
(٢) فى الأغانى : « وكانت سلمى بنت كثير » .
(٣) فى الأغانى : « حتى أستأمن له ويتخفر به » .

وشيوخٍ صَرْعَى بشَطّ أَريكٍ ونساءٍ كأنّهنّ السَّعالِى
مِن نواصى دُودانَ إِذْ نقضوا العهـ ـدَ وذبيانَ والهجانِ الغوالى
رُبَّ رِفدٍ هرقتَه ذلك اليو مَ وأَسرَى من معشرٍ أَقتالِ
هَـؤلاَ ثم هـؤلاَ كُلاًّ أَحذيْـ ـتَ نِعالاً محذُوّةً بمثالِ
وأرى مَنْ عصاك أَصبَح مخذو لاً وكعبُ الذى يُطيعُكَ عالى

قال : ووُجدتْ نعلُ شُرحبيلَ عند أُضاخ ، بضم الأَلف وبالمعجمتين ، وهى من الشَّرَبَّة من ديار بنى مُحارب بن خَصَفة بن قيس عيلان .

قال : فأَحمى لهم الأَسوُد الصَّفَا بصحراءِ أُضَاخ ، وقال لهم : إِنِّى أُحذِيكم نعالاً . فأَمشاهم على ذلك الصَّفا فتساقط لحمُ أَقدامهم . فلمَّا كان الإِسلام هجا جَوشنٌ الكِندىُّ بنى محارب ، فعيَّرهم بتحريق الأَسود أَقدامَهم ، فقال :

على عَهدِ كِسرى نَعَّلتكمْ ملوكُنا صَفاً من أُضاخَ حامياً يتلهَّبُ

وصار ذلك مثَلاً يتوعَّد به الشعراءُ .

ومثل ذلك أَنَّ ابن عباد الكِلابى ، ورَدَ على بنى البُوس[1] من جديلة طيِّىء ، فسرقوا سِهاما له فقال يحذِّرهم :

بنى البُوس رُدُّوا أَسْهُمى إِنَّ أَسهمى كنعل شُرحبيلَ التى فى مُحاربِ

وإِنَّما فعل الأَسود ذلك ببنى محارب من أَجل نعل شرحبيل التى وُجِدت عندهم . انتهى .

وقوله : « لن يزالوا » بالياءِ التحتية بضمير الغيبة الراجع لمجموع مَن ذكر ممَّن قُتلوا وأُسروا ونُهبوا من الأَعداءِ ، وممن غزا معه وقَتَل وغَنِم من الأَولياءِ . وقوله : « لا زلت » بالخطاب ، و« لهم » بضمير الغيبة . فظهر من هذا أَنَّ روايته فى كتب النحو « لن تزالوا » بالخطاب « ولا زلتُ

١٨٤

(١) فى الأغانى : « النوس : بالنون هنا وفى البيت التالى ، ولم أجد لأحدهما مرجعا .

لكم » بالتكلم والخطاب ، على خلاف الرواية الصحيحة .

وترجمة الأَعشى تقدَّمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أَوائل الكتاب[١] . وهو شاعرٌ جاهلىّ .

وقد اشتبه على العينى فقال : قائلُ :

ربَّ رفدٍ هرقته ذلك اليو مَ . . . . . البيت .

أَعشى همدان ، واسمه عبد الرحمن بن عبد الرحمن .

ولا يخفى أَنَّ هذا الشاعر إسلامىٌّ فى الدَّولة المروانية زمَنَ الحجَّاج ، ولم يكن فى زمن الأَسود بن المنذر .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد السبعمائة[٢] :

٧٩٨ (إنْ يقتلوك فإنَّ قَتْلَكَ لم يكنْ عاراً عليكَ ورُبَّ قتلٍ عارُ)

على أَنَّ الأَخفشَ استدلَّ به على اسميَّة (ربَّ)، فهى مبتدأٌ وعارٌ خبرها .

قال الشارح المحقق : والأَولى[٣] أَنْ يكون عار خبر مبتدإٍ محذوف، والجملة صفة مجرورها .

وأقول : مفهومُه أَنَّه يجوز على خلاف الأَولى ما ذكره الأَخفش ، وهو خلاف ما اختار فيها من أَنَّها مبتدأٌ لا خبر له ، فكان الظاهر على مذهبه أَن لا يذكر الأَولَى .

ومن جعلَ رُبَّ حرف جرٍّ زائد[٤] لا يتعلَّقُ بشىءٍ قال: قتلٍ المجرور فى محل مبتدإٍ مرفوع وعار خبره ، وما فى ربَّ من معنى التكثير هو المخصِّص لابتدائية قَتْل .

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٢) المقتضب ٣ : ٦٦ والبيان ١ : ٢٩٣ والأغانى ١٣ : ٥٣ والأزهية ٢٦٩ وابن الشجرى ٢ : ٣٠١ وحماسة ابن الشجرى ٩٠ والمقرب ١ : ٢٢٠ والضرائر ١٧٣ والمغنى ٢٧ ، ١٣٤ ، ٥٠٣ والتصريح ٢ : ١١٢ والهمع ١ : ٩٧ .

(٣) ط : « الأولى » ، وأثبت ما فى ش وشرح الرضى ٢ : ٣٠٨ بإثبات الواو.

(٤) فى النسختين : « زائد » صوابه بالنصب كما أثبت .

واقتصر ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) على أنَّ الضميرَ الواقعَ مبتدأ محذوف ، والجملة صفة لقتل ، لكن جعل حذفه ضرورة .

وكذا خرجَّه ابن هشام (فى الأشياء التى تحتاج إلى الربط من الباب الرابع من المغنى) ، إلاَّ أنَّه لم يقيِّده بضرورة . وقيل فيه غير ذلك .

وروى أيضاً : « وبعضُ قتلٍ عار » ، فلا شاهدَ فيه .

قال ابن السِّيد (فيما كتبه على كامل المبرد) : قال أبو العباس المبرِّد : هكذا أنشده النحويون وربَّ قتل عارُ على إضمار هو عار . وأنشدنيه المازنى : « وبعض قتلٍ عار » ، وهو الوجه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لثابت قُطْنَةَ ، رثى بها يزيد بن المهلَّب بن أبى صُفرة ، أورد منها أربعة أبياتٍ الشَّريفُ الحُسينىُّ (فى حماسته) وبعده :

أبيات الشاهد

شهِدتْكَ من يمنٍ عصائبُ ضَيَّعتْ ونأى الذين بهم يُصاب الثَّارُ
ولقد بسطْتَ لهم يمينَكَ بالنَّدى مثلَ الفُراتِ تَمُدُّهُ الأَنهارُ
حَتَّى إذا شَرِقَ القنا ، وجعلتَهم تحتَ الأَسنَّة ، أسلموك وطارُوا)

واقتصر الجاحظ (فى البيان والتبيين) منها على الثلاثة أبيات[1] ، وكذلك صاحب الأَغانى ، وهى :

كلُّ القبائل بايعوكَ على الذى تدعو إليه طائِعينَ وساروا
حَتَّى إذا حمىَ الوغَى وجعلتَهم نُصْبَ الأَسنَّةِ أَسلموكَ وطاروا
إن يقتلوك فإنَّ قتلَكَ لم يكن ... ... البيت[2]

والعصائب : جمع عِصابة ، وهى الجماعة . وشَرِقَ القنا ، أى احمرَّت

(١) كذا فى النسختين ، وهو وجه جائز فى العربية على قبحه ، حكاه ابن عصفور كما فى شرح درة الغواص ١٣٥ . قال الخفاجى : « ووقع فى صحيح البخارى : « وأتى بالألف دينار » .

(٢) عجزه فى البيان ١ : ٢٩٣ والشعراء ٦٣١ والأغانى ١٣ : ٥٣ :

* عاراً عليك وبعض قتل عار *

وبهذه الصورة لا شاهد فيه .

الرِّماح بالدم . وأَسلموك : خذلوك ولم يُعينوك . والأَسنَّة : جمع سِنان ، وهى حديدة الرمح التى يُطعنَ بها . ونُصْبَ الأَسنَّة : قُبالتَهَا وجِهتَها . والوغى : الحرب . وحَمْيها عبارةٌ عن اشتدادها .

١٨٥ وقوله : (إنْ يقتُلوكَ فإنَّ قتلكَ) أَراد : إنْ يفتخروا بسببِ قَتلِكَ أَو إنْ يتبيَّنْ أَنَّهم قتلوك .

وقوله : «كلُّ القبائل بايعوك» إلخ يريد أَنَّه خلع يزيد بن عبدالملكِ ورام الخلافةَ لنفسه فى البَصرة ، فجهَّز يزيد بن عبد الملك لقتاله أَخاه مَسْلمة بنَ عبد الملك ، وخرج يزيد بن المهلَّب واستخلف على البصرة ولده مُعاوية بنَ يزيد ، وسار حتى نزل العَقْر ، وهى عَقْر بابل عند الكوفة بالقُرب من كَرْبَلاءَ ، ثم أَقبل مسلمة بن عبد الملك حتَّى نزل على يزيدَ بن المهلَّب ، فاصطفُّوا ، فشدَّ أَهلُ البصرة على أَهل الشام فكشفوهم . ثم إنَّ أَهل الشام كثُرُوا عليهم فكشَفُوهم ، وما زال الحربُ بينهم ثمانيةَ أَيَّام حتَّى كان يومُ الجمعة لأَربع عشرةَ ليلةً مضت من صَفَرَ[1] سنةَ اثنتين ومائة ، وشرع أَصحاب ابن المهلَّبِ يتسلَّلون من حوله ، وبقيت معه جماعة ، فقاتل حتَّى قُتِل هو وأَخوه محمد بن المهلَّب ، وجماعةٌ من أَهله .

ثابت قطنة وثابت قطنة هو (كما فى الأَغانى) ثابت بن كعب ، وقيل : ابن عبد الرحمن بن كعب ، ويكنى أَبا العلاءِ ، أَخو بنى أَسد بن الحارث ابن العَتيك . وقيل بل هو مولًى لهم. ولقِّب قطنة لأَنَّ سهماً أَصاب إحدى عينيه فذهبَ بها فى بعضِ حروب التُّرك ، فكان يحشوها قُطنة . وهو شاعرٌ فارسٌ شجاع ، من شعراءِ الدَّولة الأُمويَّة . وكان من أَصحاب

(١) يقول النحاة إن رجب وصفر يمنعان من الصرف إن أريد بهما معين . انظر يس على التصريح ٢ : ١٢٥ .

يزيدَ بن المهلَّب ، وكان يولّيه أعمالاً من أعمال الثغور ، فيُحمَدُ فيها مكانُهُ ، لكفايته[١] وشجاعته . وكان ولىَ عملاً من أعمال خُراسان ، فلمَّا صعِد المنبر يَومَ الجُمعة رامَ الكلامَ فتعذَّر عليه وحَصِرَ ، فقال : « سيجعل اللهُ بعدَ عُسْرٍ يُسرًا ، وبعد عِيٍّ بياناً ، وأنتم إلى أميرٍ فعَّالٍ ، أحوجُ منكم إلى أمير قوَّال .

وإلاَّ أَكنْ فيكم خطيباً فإنَّنى بسيفى إذا جدَّ الوغَى لَخطيبُ[٢] »

فبلغت كلماتُه خالدَ بن صفوانَ ، وقيل الأَحنف بن قيس ، فقال : والله ما علا المنبرَ أَخطبُ منه فى كلماتِهِ هذه ، ولو أَنَّ كلاماً استخفَّنى فأَخرجنى من بلادى إلى قائله ، استحساناً له ، لأَخرجَتْنى هذه الكلماتُ[٣] .

ورُوِى عن دِعبل بن على قال : كان يزيد بن المهلب تقدَّم إلى ثابت قطنة أَنْ يصلِّىَ بالناس يَومَ الجمعة ، فلمَّا صعِدَ المنبر ولم يُطِق الكلامَ قال حاجبٌ الملقَّب بالفِيل ، ابن ذبيان المازنى[٤] :

---

(١) فى الأغانى ١٣ : ٤٧ : « لكتابته » ، وما هنا صوابه .

(٢) فى الشعراء ٦٣٠ أن يزيد بن المهلب استعمله على بعض كور خراسان ، فلما علا المنبر حصر فلم ينطق حتى نزل ، فلما دخل عليه الناس قال :

فإلا أكن فيكم خطيباً فإننى بسيفى إذا جد الوغى لخطيب

فقالوا : لو كنت قلت هذا البيت على المنبر كنت أخطب الناس . ونحو هذه الرواية فى العقد ٤ : ١٤٧ — ١٤٨ . لكن ذكر أن الخطبة كانت بسجستان ، وانظر أمالى المرتضى ٢ : ١٠٥ . والذى فى الطبرى ٧ : ٣٨ أنه خطب أهل خراسان فحصر فقال : « من يطع الله ورسوله فقد ضل ! » . وأرتج عليه فلم ينطق بكلمة ، فلما نزل عن المنبر قال :

إن لم أكن فيكم خطيباً فإننى بسيفى إذا جد الوغى لخطيب

فقيل له : لو قلت هذا على المنبر لكنت خطيباً .

هذا إلى أن الخطبة التى رواها البغدادى عن أبى الفرج ، منسوبة إلى يزيد بن أبى سفيان فى الكامل ٥٧ والعقد ٤ : ١٤٧ قالها حين ولاه أبو بكر الصديق ربعاً من أرباع الشام . وهى أيضا منسوبة إلى عثمان بن عفان فى أمالى المرتضى ٢ : ١٠٣ والبيان ١ : ٣٤٤ .

(٣) فى العقد : « فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه » ، يعنى كلام يزيد بن أبى سفيان : وكذلك أيضاً فى الكامل : « فبلغ كلامه عمرو بن العاص فقال : هن مخرجاتى من الشام ، استحسانا لكلامه » .

(٤) وكذا فى الأغانى ، وصوابه « بن دينار » ، كما فى الحيوان ١ : ١٩١ والبيان ٢ : ١٨٣ .

أَبا العلاءِ لقد لُقِّيتَ مُعْضِلةً يومَ العَرُوبة من كَربٍ وتحنيقِ [(١)]
أَمَّا القُرآنُ فلم تُخلَقْ لمحكَمِهِ ولم تُسدَّد من الدُّنيا لتوفيق [(٢)]
لمَّا رَمتْكَ عيونُ النَّاس هِبتَهمُ فكِدتَ تشرَقُ لَمَّا قُمْتَ بالرِّيقِ [(٣)]
تَلوِى اللِّسانَ وقد رُمْتَ الكلامَ به كما هوى زَلِقٌ من شاهِقِ النِّيقِ [(٤)]

ومن هَجْوِه فيه :

لا يعرفُ النّاسُ منه غيرَ قُطنتـهِ وما سِواها من الأَنسابِ مجهـولُ

قال دِعْبِل : بلغني أَنَّ ثابت قطنة قال هذا البيت فى نفْسِه ، وخطر بباله يوماً فقال :

لا يعرف الناس منـه غير قُطنته ... ... البيت

وقال : هذا بيتٌ سوف أُهجَى به . وأَنشدَه جماعةً من أَصحابه وأَهل الروايةِ وقال : : اشهَدوا إنِّى قائلُه . فقالوا : ويحك ما أَردت أَن تهجوَ نفسك به ؟ ! ولو بالغ عدوُّك ما زاد على هذا . فقال : لابد من أَنْ يقع على خاطر غيرى فأَكونُ قد سبقتُه إليه فلما هجاه به حاجبُ الفيلُ استشهَدَهم على أَنّه هو قائله . فشهدوا على ذلك ، فقال يردُّ على حاجب : ١٨٦

هيهات ذلك بيتٌ قد سُبِقْتَ به فاطلبْ له ثانياً يا حاجبُ الفيلُ

قال أَبو الفرج الأَصبهانى : نسخت من كتابٍ بخط المُرْهِبىّ الكوفى (فى شعر ثابت قطنة) قال : لمَّا وَلِىَ سعيدُ بنُ عبد العزيز بن الحارث

(١) الأبيات فى الشعراء ٦٣٠ والطبرى ٧ : ٣٨ وأمالى المرتضى ٢ : ١٠٥ . المرتضى : « لقد لاقيت » . و«تحنيق» كذا وردت بالأغانى وأمالى المرتضى. وفى سائر المراجع : « تخنيق » بالخاء المعجمة .

(٢) المرتضى : « فلا تهدى لمحكمه » . وفى الطبرى :
أما القران فلا تهدى لمحكمه من القران ولا تهدى لتوفيق

(٣) الطبرى :
لما رمتك عيون الناس ضاحية أنشأت تجرض لما قمت بالريق

(٤) الطبرى والمرتضى : « إذا رمت الكلام به » . والنيق ، بالكسر : أرفع موضع فى الجبل .

ابن الحكَم بن أَبي العاص بن أُميّة خراسان، بعد عَزْل عبد الرحمن بن نُعيم ، جلسَ يَعرض النَّاس ، وعنده حُميدٌ الرُّؤَاسى ، وعُبادة المحاربى ، فلمَّا دعا بثابت قطنة تقدَّم ، وكان تامَّ السِّلاح جوادَ الفَرَس ، فارساً من الفُرسان ، فسأَل عنه فقيل : هذا ثابت قُطنة ، وهو أَحد فُرسان الثُّغور. فأَمضاهُ وأَجاز على اسمه ، فلمَّا انصرفَ قال له حُميد، وعُبادة : هذا أَصلَحكَ الله الذى يقول :

إنَّا لضَرَّابونَ فى حَمَيِس الوغَى ... رَأْسَ الخليفة إن أَرادَ صدودا

فقال سعيد : علىَّ به . فردُّوه وهو يريد قتله ، فقال له : أَنت القائل : « إنا لضَرَّابون » البيت ؟ فقال : نعم أَنا القائل :

إنّا لضَرَّابُون فى حَمَس الوغَى ... رأْسَ المتوَّجِ إن أَرادَ صُدودا

عن طاعةِ الرَّحمن أَو خُلفائِه ... إن رام إفساداً وكَرَّ عُنُودا

فقال سعيد : أَولَى لك ، لولا أَنَّك خرجتَ منها لضربتُ عنقُك .

وروى الأَصبهانى بسنده إلى أَبى عُبيدة قال : كان ثابت قطنة قد جالس قوماً من الشُّراة وقوماً من المُرْجئة ، كانوا يجتمعون فيتجادلون بخراسان ، فمال إلى قول المرجئة وأَحبَّه ، فلما اجتمعوا بعد ذلك أَنشدهم قصيدةً قالها فى الإرجاء :

يا هند إنى أَظنُّ العيشَ قد نَفِدَا ... ولا أَرى الأَمر إلاَّ مُدبِراً نَكِدَا

إنِّى رهينةُ يومٍ لستُ سابقَه ... إلاَّ يكن يومنا هذا فقد أَفِدا

بايعت ربِّىَ بيعاً إنْ وفَيتُ به ... جاورْتُ قبلى كراماً جاورُوا أُحدا[1]

يا هند فاستمعى لى إنَّ سيرتنا ... أَنْ نعبد الله لم نُشرِكْ به أَحدا

نُرْجِى الأُمورَ إذا كانت مشبَّهةً ... ونصدُقُ القولَ فيمن جارَ أَو عَنَدا

المسلمون على الإسلام كُلُّهمُ ... والمشركون استوَوا فى دينهم قِدَدَا[2]

(١) فى الأغانى : « قتلى كراما » يشير إلى قتلى أحد وشهدائها .

(٢) ط : « أشتوا دينهم » ش : « أشتروا دينهم » ، صوابهما من الأغانى ١٣ : ٥٠ .

ولا أرى أنَّ ذنباً بالغٌ أحَداً م الناسِ شِركاً إذا ماوحَّدُوا الصَّمَدا
لا نَسفِكُ الدَّمَ إلاَّ أنْ يُراد بنا سَفكُ الدماءِ طريقاً واحداً جَدَدا[1]
من يتَّقِ اللهَ فى الدُّنيا فإنَّ له أجرَ التقىِّ إذا وفَّى الحِسابَ غدا
وما قضى اللهُ من أمرٍ فليس له ردٌّ وما يَقْضِ من شئٍ يكنْ رَشَدا
كلٌّ الخوارج مُخْطٍ فى مقالته ولو تعبَّد فيما قال واجتهدا
أمَّا علىٌّ وعثمانٌ فإنَّهما عَبدان لم يُشرِكا باللهِ مذ عَبَدا
١٨٧ وكان بينهما شَغْبٌ وقد شَهِدا شَقَّ العصا وبعَيْن اللهِ ما شَهِدا
يُجزَى علىٌّ وعثمانٌ بسَعْيِهما ولستُ أدرى بحقٍّ أيَّةً وَرَدا
اللهُ يعلم ماذا يحضُران به وكلٌّ عبدٍ سيَلْقى اللهَ مُنفردا

وأطال الأصبهانى ترجمته ، وفيما أوردنا كفاية .

* * *

وأنشده بعده :

(يارَبَّ هَيْجَا هى خيرٌ من دَعَه)

وتقدم شرحُه قبل بيتين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد السبعمائة[2] :

٧٩٩ (رُبَّما ضَرْبةٍ بسَيفٍ صَقيلٍ بَيْنَ بُصْرَى وطَعْنةٍ نَجْلاءِ)

على أنَّ ما المتَّصلة بربَّ فيه زائدة لا كافَّة ، ولذا عملتْ رُبَّ الجرَّ فى ضربةٍ .

---

(١) الجدد ، بفتحتين : الأرض الصلبة ، وقيل المستوية . وفى المثل : « من سلك الجدد أمن العثار » .

(٢) معجم المرزبانى ٢٥٢ والأزهية ٨٠ ، ٩٤ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٣ وحماسة ابن الشجرى ٥١ والمغنى ١٣٧ ، ٣١٢ والعينى ٣ : ٣٤٢ والهمع ٢ : ٣٨ والتصريح ٢ : ٢١ والأشمونى ٢ : ٢٣١ والأصمعيات ١٥٢ .

ومن العجائب قولُ العينى : كلمة ربَّ دخلت عليها ما الكافّة ، ولكنَّ ما كفَّتها عن العمل ههنا ، ولهذا جَرّت ضربة . انتهى .

وقوله : (بسيفٍ) متعلّق بضربة . (صَقيل) بمعنى مصقول ، أى مجلوّ ، صفة لسيف . و(طعنةٍ) بالجر معطوف على ضربة . و(نجلاءِ) بالنون والجيم . والنجلاءُ : الواسعة البيِّنة الاتِّساع ، من قولهم : عينٌ نَجْلاءُ ، أى واسعة . وهى صفة طعنة ، وجرُّها بالكسرة للضَّرورة . وقوله : (بين بُصرَى) ظرف متعلِّق بضربة ، ويقدَّر مثله لطعنة . و(بُصرَى) بضم الموحَّدة وسكون الصاد المهملة والقصر : بلدٌ قربَ الشَّام هى كرسىُّ حَوْران ، كان يقوم فيها سوقٌ للجاهليَّة . وقد قدِمَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مرَّتين : مرَّةً مع عمِّه أبى طالب ، وأُخرى فى تجارة لسيِّدتنا خديجة أُمِّ المؤمنين رضى الله عنها . وإنَّما صحَّ إضافة بينَ إلى بُصرى لاشتمالها على متعدِّدٍ من الأَمكنة ، أى بين أَماكن بُصرى ونواحيها .

وروى الشريف الحُسَينى (فى حماسته): « دُونَ بُصَرى ». ودون هنا بمعنى قَبْلَ ، أو بمعنى خَلْف . وقال العينى : بمعنى عند .

صاحب الشاهد

والبيت أوّل أبياتٍ ستٍّ لعدىِّ بن الرَّعلاءِ الغَسَّانى ، أوردها الأَعلم والشريف الحسينى (فى حماستيهما) . وبعده :

أبيات الشاهد

(وغَموسٍ تَضِلُّ فيها يدُ الآ سِى ويَعْيَا طبيبُها بالدَّوَاءِ
رفَعوا رايةَ الضِّرابِ وأَعلَوْا لا يذودُونَ سامرَ المَلْحاءِ[1]
فصَبَرنا النُّفُوسَ للطَّعنِ حتَّى جَرَت الخيلُ بينَنَا فى الدِّماءِ
ليس مَنْ مات فاستراح بمَيْتٍ إنَّما المَيْتُ ميِّتُ الأَحيَاءِ
إنَّما المَيْتُ من يعيشُ كئيباً كاسفاً بالُه قليلَ الرَّجاءِ[2]

(١) فى حماسة ابن الشجرى والأصمعيات : « وآلوا ليذودن سائر البطحاء » .

(٢) كذا فى نص البيت وشرحه وهو يطابق ما فى معجم المرزبانى ٢٥٢ . والمعروف : « قليل الرجاء » .

وقوله: « وغَموس » بالجرّ عطف على نجلاء ، يقال طعنة غموسٌ : نافذة . وقوله: « تضلُّ فيها » إلخ صفةٌ كاشفة لغَموس ، أشار به إلى سَعَة الطعنة وبُعْدِ غَوْرها . والآسى : المُعالج الجِراح . ويَعيا ، من عَيِيَ بالأمر ، من باب تعِب : عَجَز عنه ولم يهتدِ لوجهه . وفيه إشارةٌ إلى إصابة الطعنةِ المَقْتَلَ واليأسِ من علاجها .

وقوله: « رفعوا رايةَ الضِّراب » إلخ الراية: علمَ الجيش ، قيل أصلُها الهمز ، لكنَّ العرب آثرت تركه تخفيفاً . وقد أُنكِرَ هذا القولُ بأنَّه لم يُسمع الهمزُ أَصْلاً . والضِّراب : مصدر ضاربه بالسَّيف وغيره مضاربةً وضِراباً . وقوله: « وأَعْلَوْا » معطوف على رفَعوا ، وإنَّما رفعوا الراية وأعلَوْها تأكيداً للضِّراب وتشديداً . ويذودون : يطرُدون ويَمنعون . والسامر: اسمُ جمع بمعنى السُّمَّار ، وهم القوم يتحدَّثون باللَّيل . والمَلْحاءُ ، بفتح الميم والحاء المهملة : موضعٌ يَدفع فيه وادى ذى الحُلَيفة . كذا قال البكرى (فى المعجم[1]) . وهذا المصراع هو معنى قوله : « رفعوا راية الضِّراب » .

١٨٨

وقوله : « فصبَرْنا النُّفوسَ » أى حبسناها .

وقوله : « إنَّما الميْتُ » إلخ الميْت بسكون الياء: مخفف ميِّت بتشديدها . وفَرقَ بعضهُم بأنَّ الأوَّل مَنْ وقعَ عليه الموت ، والثانى هو الحىُّ الذى سيموت . وقد ضمَّن البحترىُّ هذا البيت فى أَمردَ طلعت لحيتهُ ، فقال :

يا قتيلاً باللِّحية السوداءِ آفةُ المُردِ فى خُروجِ اللِّحاءِ[2]

(١) وفى اللسان (ملح ٤٤٥) أن الملحاء كتيبة كانت لآل المنذر . وفيه أيضا أن الملحاء والشهباء كتيبتان كانتا لأهل جفنة .

(٢) فى ديوان البحترى ٨ هندية و ١ : ٤٩ صيرفى : « للحية السوداء » على أن سواد لحيته قضى على جماله بعد أن كان أمرد بضاً . وأصل اللحاء : قشر الشجرة ، كنى بها عن اللحى . وبين هذا البيت وتاليه فى الديوان :

آجر الله عاشقيك فقد مـ ـت وعريت من ثياب البهاء

شاهدى فى ادِّعاءِ موتِكَ بيتٌ قاله شاعرٌ من الشُّعراءِ [(١)]
ليس مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بميْتٍ إنَّما الميْتُ ميِّتُ الأَحياءِ

والكئيب : الحزين . وكاسفاً وقليلاً [(٢)] منصوبان ، من كسفَت حالُ الرَّجل ، من باب ضرب ، إذا ساءت . والبال : الحال فاعل كاسفاً . والرَّخاءُ بالخاءِ المعجمة : اسمٌ من رخِيَ العيشُ ورَخُو ، من بابى تعب وقرب ، إذا اتَّسع ، فهو رخىٌّ على فعيل [(٣)] .

وهذا البيت أورده ابن هشام (فى المغنى) على أنَّ الحال قد يتوقَّف معنى الكلام عليها كما هنا ، فإنَّ كئيباً حال ولا معنى لمَا قبله بدونه .

وهذه الأَبياتُ من قصيدةٍ أوردَا [(٤)] منها هذا المقدار .

وبعد السادس :

(فأُناسٌ يُمصَّصـون عِشارًا وأُناسٌ حُلوقُهم فى الماءِ [(٥)])

ومنهـا :

(كَمْ تركنا مِنكُمْ بعينِ أُباغٍ مِن مُلوكٍ وسُوقةٍ أَلقاءِ [(٦)]
فرَّقَتْ بينهمْ وبين نَعيمٍ ضَربةٌ فى صفيحةٍ نجلاءِ [(٧)])

والعِشار : جمعُ عُشَراء ، وهى النَّاقة . وأُباغ بضم الهمزة وفتحها بعدها

(١) فى الديوان : « فى بيان موتك بيت » .

(٢) ط : « وقليل » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) سبق التنبيه على أن الرواية المعروفة : « قليل الرجاء » .

(٤) يعنى كلا من الأعلم الشنتمرى والشريف الحسينى المعروف بابن الشجرى .

(٥) فى معجم المرزبانى : « يمصصون ثمادا » . والثماد كالثمد بالفتح ، والثمد بالتحريك : الماء القليل . صور بذلك تباين الحظوظ وتخالف الجدود . فهى الرواية الجيدة .

(٦) ط : « كم تركناكم » ، صوابه فى ش . والألقاء : جمع لقًى كفتى ، وهو الشىء الملقى . وفى معجم المرزبانى : « ألفاء » بالفاء : جمع لفى بوزن لقى أيضاً ، وهو الشىء المطروح .

(٧) فى معجم المرزبانى : « ضربة من صفيحة » ، والصفيحة : إحدى صفائح الرأس ، وهى قبائله ، وهذا المعنى يتجه مع رواية الخزانة . كما تتجه الرواية الأخرى بتفسير الصفيحة بأنها السيف العريض .

موحّدة ثم غين : موضع بطرف الشام . وهنالك أَوقعَ الحارثُ الغسّانى الحرّاب ، وهو يَدِين لقَيْصر ، بالمنذر بن المنذر وبعرب العراق ، وهم يدينون لكسرى ، وقُتِل المنذرُ يومئذٍ ، قتله شَمِر بن عمرو من بنى حنيفة . كذا فى المعجم للبكرى .

عدى بن الرعلاء

وعدِىُّ بن الرَّعلاءِ شاعرٌ جاهلى . والرَّعلاءُ اسمُ أُمِّه اشتَهر بها . وهى بفتح الراء وسكون العين المهملتين بعدها لامٌ فألف ممدودة . كذا ضبطه العسكرى (فى كتاب التصحيف[1]) .

* * *

وأنشد بعده :

(ماوىَّ يا رُبَّتَما غارَةٍ)

وتقدّم شرحه قريباً[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى للثمانمائة[3] :

٨٠٠ (رُبَّما الجاملُ المؤبَّلُ فيهمْ   وعَنَاجيجُ بينهنَّ المِهـارُ)

على أَنَّ رُبَّ المكفوفة بما لا تدخل على الفعل عند سيبويه . وهذا البيت شاذٌّ عنده لدخول ربَّ المكفوفة فيه على الجملة الإسمية ، فإنَّ الجامل مبتدأٌ ، والمؤبَّل صفته ، وفيهم هو الخبر ، وتكون ربَّ كما قال أَبو حيان من حروف الابتداء تدخل على الجمل فعليةً كانت أَو اسميّة للقصد إلى تقليل النِّسبة المفهومة من الجملة. فإذا قلت : ربَّما قام زيد، كأنَّك قلَّلت النسبة المفهومة من قيام زيد. وكذلك إذا قُلت: ربَّما زيد

١٨٩

(١) كتاب التصحيف ١٠ والنص فيه محرف فليصحح .

(٢) هو الشاهد ٧٦٠ فى هذا الجزء . وقد أعاده قبل الشاهد ٧٦٠ . وتمامه :

* شعواء كاللذعة بالميسم *

(٣) الأزهية ٩٣ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٣ ورصف المبانى ١٩٣ ، ٣١٨ والمغنى ١٣٧ ، ٣١٠ والعينى ٣ : ٣٢٨ والتصريح ٢ : ٢٢ والهمع ٢ : ٢٦ ، ٣٨ والأشمونى ٢ : ٢٣٠ ، ٢٣٢ وديوان أبى دواد ٣١٦ .

شاعر، قلّلت نسبة شعر زيد . ونقل التّبريزى عن المصنف (فى شرح هذه المقدمة) أنّ ربَّ المكفوفة نُقلت من معنى التقليل إلى معنى التحقيق ، كما نُقلت قد الداخلة على المضارع فى نحو قوله تعالى : ﴿ قد يَعْلَمُ مَا أَنتُم عليه[١] ﴾ من معنى التقليل إلى معنى التحقيق. ودخولُها على الجملة الاسميَّة مذهبُ المبرِّد والزمخشريّ ، وابن مالك . قال (فى التسهيل) : وإنْ ولىَ ربَّما اسمٌ مرفوعٌ فهو مبتدأٌ بعده خبرٌ ، لا خبر مبتدإٍ محذوف . وما نكرةٌ موصوفة ، خلافاً لأَبى علىّ . انتهى .

فما عند أَبى علىّ بمعنى شىء ، والجامل خبر مبتدإٍ محذوف ، أَى هو الجامل ، والجملة الاسمية صفة له ، فيكون كقوله :

يا رُبَّ هَيْجا هى خيرٌ من دَعَه[٢]

وقد تُطلَق على ذَوِى العلم. حكى أَبو زيد : « سبحانَ ما سخَّركُنَّ لنا » وقال تعالى : ﴿ والسَّماءِ وما بَناها[٣] ﴾ . وقال الشاعر[٤] :

* ربَّما ظاعنٌ بها ومُقِيمُ[٥] *

أَى ربَّ إنسانٍ هو ظاعن بقلبهِ مع أَحبَّته الذين ظعنوا عن بلدته . قال المرادى (فى شرح التسهيل) : وخرَّجه ابن عصفورٍ على تخريج أَبى علىّ . ونسبه بعضُهم إلى الجمهور ، قال : وهو الصحيح ، إذْ لو كان ما اختاره المصنِّف [لسُمِعَ[٦]] من كلامهم : رُبَّما زيدٌ قائم ، بتصريح المبتدإِ والخبر . ولم يُسمَع ذلك فيما أَعلم . انتهى .

---

(١) الآية ٦٤ من سورة النور .

(٢) للبيد . وهو الشاهد ٧٩٦ .

(٣) الآية ٥ من سورة الشمس .

(٤) هو أبو دواد . ديوانه ٣٤٢ ومعجم ما استعجم ١ : ٢٣٠ .

(٥) صدره : * سالكات سبيل قفرة بدى *

وبدى على وزن فعلى : موضع بالبادية كما فى معجم البكرى عند إنشاد البيت .

(٦) التكملة من ش .

أقول : قائل هذا أبو حيان .

فإن قلت : أليس الخبر وهو فيهم مصرَّحاً فى البيت فكيف يدَّعى عدم السماع . قلت : له أن يمنعَه بجعله ظرفاً مستقرًّا على أنه حالٌ من الضمير فى المؤبّل . لكنَّ ما ذهب إليه فاسد ، لأنَّه صحَّح مذهب الفارسى بما أبطله ، لأنَّه هو القائل بأَنَّ المرفوع بعد ربَّما خبر مبتدإٍ ، أى ربَّما هو الجامل . فذهب إلى أنَّه لو كان هذا التقدير صحيحاً لسُمِع من كلامهم : ربَّما زيد قائم ، لكن لم يُسمع . فيلزم من هذا أنَّ ما ذهب إليه الفارسىُّ باطلٌ من إضمار المبتدإ وإظهار الخبر ، إذْ لو جاز لسمع إظهار المبتدإ والخبرِ فى كلامهم . على أنّا نقول : قد يمكن أن يكون فى البيت ما يوجب تصحيح ما يريد إبطاله ، بجعل الجامل مبتدأً وفيهم الخبر ، والجملة صفة لما ، وهى بمعنى ناس ، ولا حذف ، لصحَّة المعنى عليه ، فيكون الجزءان قد سُمعا بعد ربَّما . وهو عينُ ما ادَّعى عدمَ سماعه . والله أعلم .

صاحب الشاهد — والبيتِ من قصيدةٍ طويلة عدَّتُها ثمانيةٌ وسبعون لأَبى دُوَاد الإيادىّ . وهذه أبياتٌ مِن أوَّلها :

أبيات الشاهد

(أوحشَتْ من سُروبِ قومي تِعارُ ... فأَرومٌ فشابَةٌ فالسِّتارُ

بعد ما كان سَرْبُ قومىَ حِيناً ... لهمُ الخيلُ كلُّها والبحارُ [1]

فإلى الدُّور فالمَرَوْراةِ منهمْ ... فَحفيرٌ فناعمٌ فالدِّيارُ [2]

فَقَدَ امسَتْ ديارُهم بَطْنَ فَلْج ... ومَصِيرٌ لصَيفِهِمْ تِعشارُ

ربَّما الجاملُ المؤبَّلُ فيهم ... وعَنَاجِيجُ بينَهنَّ المِهارُ

ورجالٌ من الأَقَارب بانُوا ... مِن حُذَاقٍ هم الرءُوسُ الخيارُ

١٩٠ وجَوادٌ جَمُّ النَّدى ، وضَروبٌ ... بِرقاقِ الظُّباتِ ، فيه صَعَارُ

ذاك دهرٌ مضَى فهلْ لدهورٍ ... كنَّ فى سالف الزَّمان انكرارُ)

(١) فى الديوان ٣١٦ : « لهم النخل » .

(٢) فى الديوان : « فحفير » بالحاء المهملة .

قال شارحُ ديوانه يعقوبُ بن السكيت : أَوحشت : أقفرت. وسُروبٌ : جمع سَرْب بفتح فسكون: المال السَّارحُ من إبلٍ وخيل. وتِعارٌ، وأروم، وشابة ، والسِّتار : مواضع ، والأَوَّل بكسر المثناة الفوقية بعدها عين مهملة . والثانى بفتح الهمزة وضم الراءِ المهملة ، والثالث بالشين المعجمة والباءِ الموحدة ، والرابع بكسر السين المهملة بعدها مثناة فوقيَّة . والبحار: الرِّيف. قال الأَصمعى : وكذلك البُحور : الريف.

وقوله « فإلى الدُّور » إلخ قال شارحه : الدُّور : جُوَب تنجاب فى الرَّمل . وما بعد الدُّورِ فأَسماءُ مواضع، والأَوَّل بفتح الميم والراءِ ، والثانى بفتح الجيم وكسر الفاءِ ، والثالث بالنون وكسر العين المهملة . وفَلْج بفتح الفاءِ وسكون اللام بعدها جيم . وكذلك تِعْشار بكسر المثنَّاة الفوقيَّة وسكون العين المهملة بعدها شين معجمة . قال شارحه : أَى يحضُرون فى الصيف تِعشارا[1] .

وقوله: (ربَّما الجامل) إلخ . قال شارحه: الجامل : الجماعة من الإبل ، لا واحد لها من لفظها . ويقال إبلٌ مؤبَّلة إذا كانت للقُنْية . والعناجيج : الخيل الطِّوال الأَعناق ، واحدها عُنجوجٌ. انتهى. فالجامل: اسمُ جمعِ الجَمل ، كالباقر اسم جمعِ البقر. وقال الجوهرىّ : الجامل : القطيع من الإبل مع رُعاته وأربابه . و (المؤبَّل) : اسم مفعول من أَبَّل الرّجلُ تـأْبيلاً، أى اتَّخذ الإبل واقتناها. وضمير (فيهم) راجعٌ لقومه إن كانت ما بمعنى شىءٍ أو كافَّة، ولِمَا[2] ، إن كانت بمعنى ناس. و(عناجيجُ) بالرفع معطوف على الجامل . وجملة (بينهنَّ المِهار) صفة لعناجيج ،

---

(١) ش : « تعشار » .

(٢) أى ولكلمة « ما » . وفى ط : « وأما » ، صوابه فى ش .

فالرابط محذوف أى فيهم . والمِهار : جمع مُهْر ، بكسر الميم فى الجمع وضمِّها فى المفرد ، وهو ولد الفرس ، والأُنثى مُهْرة .

قال أبو حيَّان (فى الارتشاف) : ورواه بعضهم : « ربَّما الجاملِ » بجر الجامل على أنَّه مجرورٌ برُبّ وما زائدة .

وقوله : « ورجالٌ من الأَقارب » إلخ بانوا : بعُدوا . وحُذاق : مرخَّم حُذاقة فى غير النداء ، وهو بضم المهملة بعدها ذالٌ معجمة وقاف . قال شارحه : حُذاقة : بطنٌ من إياد . ورجالٌ بالرفع معطوف على الجامل ، ومن الأَقارب فى موضع الصفة لرجال ، وبانوا خبر رجال ، ومن حُذاق متعلِّق ببانوا .

وقوله : « وجواد » إلخ الجواد : الكريم . وجمُّ النَّدَى : كثير المعروف. والنَّدى : السَّخاءُ ، يقال فلانٌ أَندى من فلان كفًّا . والظُّباتُ : جمع ظُبَة ، وهى طرف السَّيف. والصَّعار ، بفتح المهملتين : العَظَمة والخُيَلاءُ . كذا فى شرحه . وجوادٌ معطوف على الجامل ، وجمٌّ نعته ، وضَروبٌ معطوف على جَمّ ، وجملة « فيه صَعَار » خبر جواد .

وقوله « انكرار » قال شارحه : هو انفعال من كرَّ يَكُرُّ .

أبو دواد الإيادى

وأبو دُواد بدالين مهملتين أُولاهما مضمومة ، بعدها واو : شاعر جاهلى . وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراءِ) قال بعضُهم : اسمه جارية ابن الحجّاج . وقال الأَصمعىّ : هو حَنظلة بن الشَّرْقىّ . وكان فى عَصْر[1] كعب بن مامةَ الإِيادىّ، الذى آثَرَ بنصيبه من الماء رفيقَه النَّمَرِىَّ ، فمات عَطشاً ، فضُرب به المثل فى الجُود . ورثاه أَبو دُوَادٍ بقصيدةٍ منها :

لا أَعُدُّ الإِقتارَ عُدماً ولكنْ   فَقْدُ مَنْ قدْ رُزِئتُه الإِعدامُ

(١) ط : « مصر » ، صوابه فى ش .

١٩١

مِنْ رجالٍ من الأَقاربِ بادُوا من حُذاقٍ همُ الرءُوسُ العِظامُ[(١)]

فيهــمُ للمُــلاينين أنــاةٌ وعُــرامٌ إذا يُراد عُرامُ[(٢)]

فعلَى إثرهمْ تَسَاقَطُ نفسِى حَسَراتٍ ، وذكرُهمْ لى سَقَامُ

وكان أجاره بعضُ الملوك فأحسن إليه[(٤)] . فضَرب المثلُ بجار أبى دُوَاد . قال طرَفة :

إنِّى كفانىَ من أمرٍ هممتُ به جارٌ كجار الحُذاقىِّ الذى انتصفَا[(٤)]

وهو أحدُ نُعَّاتِ الخيل المجيدين . قال الأصمعى : هم ثلاثة : أبودُوادٍ فى الجاهلية ، وطُفَيل ، والجَعدىّ . قال : والعربُ لا تَروى شعر أبى دُواد وعدىّ ؛ لأنَّ ألفاظهما ليست بنجْديَّة .

ويقال : إنَّما أجاره الحارث بن همَّام بن مُرَّة بن ذُهل بن شيبان . وذلك أنَّ قُباذَ سرَّح جيشاً إلى إيادٍ ، فيهم الحارث بنُ همّام ، فاستجار به قومٌ من إيادٍ فيهم أبو دُواد ، فأجارهم . قال قيسُ بنُ زهير ابن جذيمة :

أُطوِّفُ ما أُطوِّف ثم آوِى إلى جارٍ كجــار أبى دُوادِ

---

(١) فى الديوان ٣٣٨ والأصمعيات ١٨٧ : « فادوا » بالفاء، بمعنى هلكوا أيضا .

(٢) فى الديوان والأصمعيات : « فهم للملائمين أناة » و « يراد العرام » .

(٣) الجار يطلق على من يجير المستجير ، كما يطلق على الحليف والناصر أيضاً ، وفى اللسان (جور ٢٢٦) : « ويقال للذى يستجير بك جار ، وللذى يجير جار » ، وفى الشعر والشعراء ٢٣٧ : « وكان بعض الملوك أخافه ، فصار إلى بعض ملوك اليمن فأجاره فأحسن إليه »

(٤) البيت لم يرد فى ديوان طرفة ، وأنشده فى اللسان (وصف) وفى ش : « من هم هممت به » ، وما أثبت من ط يوافق ما فى أمثال الميدانى (جار كجار أبى دواد) ، والحذاق هو أبو دواد . ورواية اللسان والميدانى : « الذى اتصفا » وفسره ابن منظور بقوله : « أى صار موصوفاً بحسن الجوار » ، والميدانى بقوله : « أى صار الجواد ، يعنى كعباً » . وما عند الميدانى مبنى على رواية أن كعب بن مامة هو الذى أجار أبا دواد .

وقيل للحطيئة : من أشعر الناس ؟ قال : الذى يقول :

لا أَعُدُّ الإقتارَ عُدْماً ولكن فَقْدُ مَن قد رُزِئتُه الإعدامُ

الأبيات .

ويُتَمَثَّل [1] مِن شعره :

أَكلَّ امرئٍ تَحسَبِينَ امرأً ونارٍ تَحرَّقُ بالليلِ نارا [2]

ومما سَبَق إليه فأُخذ عنه قوله :

نرى جارَنا آمناً وسْطنا يَرُوح بعَقْدٍ وثيقِ السَّبَبْ [3]

إذا ما عقَدْنا له ذِمّةً شدَدنا العِناجَ وعَقْدَ الكَرَبْ

أَخذَه الحطيئةُ فقال :

قومٌ إذا عَقَدوا عَقْداً لجارهمُ شدُّوا العِنَاجَ وشدُّوا فوقه الكَرَبا [4]

هذا ما أَورده ابنُ قُتيبة [5] .

تم الجزء التاسع من خزانة الأدب

بتقسيم محققها

---

(١) ش : « وتمثل » بتشديد الثاء المكسورة .

(٢) ديوان أبى دواد ٣٥٣ ومعجم الشواهد .

(٣) ديوان أبى دواد ٢٩٢ .

(٤) ديوان الحطيئة ٧ . والعناج ، ككتاب : خيط أو سير يشد فى أسفل الدلو حتى تتصل إلى أعلى الكرب . والكرب : الحبل الذى يشد على الدلو ، والمراد توثيقهم العهد وإيفاؤهم به .

(٥) الشعراء ٢٣٧ — ٢٤٠ .

الفهارس

١ ـ فهرس التراجم

٢ ــ فهرس الشواهد

(الجـــوازم)

(المتعدى وغير المتعدى)

(أفعال القلوب)

(الأفعال الناقصة)

(أفعال المدح والذم)

(حروف الجـر)

رقم الإيداع : ١٩٨٢/٣٣٠٩

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
تليفون : ٨٢٦٢٨٠ القاهرة


Bibliotheca Alexandrina
0553591